

المجلد
١٢

إِثْرَاءُ
المَشْرُوعِ الحضاري



مَوْسُوعَةُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ
قَادَةُ الْحَضَارَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ الرَّبَّانِيَّةِ

الْأَنْبِيَاءُ الْمُرْسَلُونَ

دَاوُودُ وَسُلَيْمَانُ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ

وَهَيْكَلُ سُلَيْمَانَ الْمَرْعُومُ

تَأليف

د. علي مُحَمَّد مُحَمَّد الصَّلَابِي

الْأَمِينُ الْعَامُ لِلاتِّحَادِ الْعَالَمِيِّ لِعُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ

تقديم

أ.د. عَلِي مُجِيبُ الدِّينِ الْقُرَّة دَاغِي

رئيسُ الاتِّحَادِ الْعَالَمِيِّ لِعُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ



رقم الإصدار	315
الترقيم الدولي للسلسلة	(Tk) 978-625-5637-70-3
الترقيم الدولي للمجلد	(12.c) 978-625-5637-82-6
اسم الموسوعة	موسوعة الأنبياء والمرسلين: قادة الحضارة الإنسانية الربانية
اسم الكتاب	الأنبياء الملوك داوود وسليمان عليهما السلام وهيكل سليمان المزعوم
اسم المؤلف	د. علي محمّد محمّد الصّلابي
المدير العام للدار	رجب صونگول
الاخراج الفني	AsaletAjans
الطبعة	الأولى - يوليو 2026 م / محرم 1448 هـ
دار النشر	Imak Ofset Basım Yay. A.Ş. Sertifika No: 71320 Akçaburgaz Mah. 137. Sk. No: 12 Esenyurt/İSTANBUL
	دار الأصاله للنشر والتوزيع وخدمات الترجمة والطباعة Asalet Eğitim Danışmanlık Yayın Hizmetleri İç ve Dış Ticaret Sertifika No: 40687 Balabanağa Mh. Büyük Reşit Paşa Cd. Yümni İş Merkezi No: 16B/16 Vezneciler Fatih/ İSTANBUL-TÜRKİYE Tel: +90 212 511 85 47 www.asaletyayinlari.com.tr asalet@asaletyayinlari.com.tr

كما أن إصداراتنا متاحة على منصتي



Google Play
Books

Copyright © 2026

دار الأصاله للنشر والتوزيع وخدمات الترجمة والطباعة – إسطنبول – © تركيا 2026
جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للمؤلف.

مَوْسُوعَةُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ
قَادَةُ الْحَضَارَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ الرَّبَّانِيَّةِ

الْأَنْبِيَاءُ الْمَلِكِيُّونَ

دَاوُودُ وَسُلَيْمَانُ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ
وَهَيْكَلُ سُلَيْمَانَ الْمَرْعُومِ

تَأليف

د. علي محمد محمد الصلابي
الرئيس العام للاتحاد العالمي لعلماء المسلمين

تقديم

أ.د. فضل بن عبد الله مراد
أ.د. عبد السلام مقبل المجيدي

أ.د. علي محيي الدين القره داغي
رئيس الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين

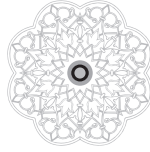


الإهداء

إلى الراغبين والمتعطشين لمعرفة سير "الأنبياء الملوك"؛ داوود
وسليمان عَلَيْهِمَا السَّلَام، وهيكل سليمان المزعوم.
إلى الباحثين عن الحقيقة.
إلى العقول النيرة وأصحاب الفطرة السليمة والأفئدة الصافية من بني الإنسان.
أهدي هذا الكتاب؛ سائلاً المولى عَزَّجَلَ بِأَسْمَائِهِ الْحَسَنَى وَصِفَاتِهِ الْعُلَا أَنْ
يكون خالصاً لوجهه الكريم.

قال تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ ۚ
أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].





تقديم لكتاب

الأنبياء الملوك: داود وسليمان عَلَيْهِمَا السَّلَام

بقلم

أ.د. علي محيي الدين القره داغي

رئيس الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين

إن كثيراً من العلماء الكبار قديماً وحديثاً تمنّوا أن يكونوا قد صرفوا أعمارهم مع القرآن، والتدبر فيه، ولا غرو في ذلك فهو كتاب مبارك، قال تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٥]، وقال تعالى: ﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ [الأنبياء: ٥٠]، وقال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [سورة ص: ٢٩].

فهو مبارك في معناه، ومبارك في أحكامه، ومبارك لمن يتعاش معه، ومبارك لمن يتذكر آياته، ومبارك لمن يتدبر معانيه ودلالاته ومفاهيمه، ومبارك لمن يطبّقه، ويستخرج درره، ويستنبط لآلئه، ومبارك لمن يقبل عليه فيطمئن، وللمن يلجأ إليه فيأمن، ويلوذ به فيتحصن، ويتمسك به فينجو، ويستفيد ويعيش معه فتفتح له أبواب الحكيم والأسرار ما لم يفتح به على غيره، ويصبح ثابت القلب عند الأزمات، وساكن النفس مهما عظمت النكبات.



ومن بركة القرآن أن الله تعالى يبارك في عقل قارئه وحافظه، ولذلك قال: عبد الملك بن عمير: ”أنقى الناس عقولاً قرّاء القرآن“. وقال بعض السلف: ”ما رأينا شيئاً يغذي العقل والروح، ويحفظ الجسم، ويضمن السعادة أكثر من إدامة النظر في كتاب الله تعالى“^(١).

وإنَّ من فضل الله تعالى على أخي العالم الجليل، فضيلة الدكتور علي الصلابي أنه أنعم عليه بالعيش مع القرآن الكريم، وبخاصة مع أعظم قصصه، وأحسنها؛ حيث كتب موسوعة شاملة عن سيدنا آدم أبي البشرية، وعن أولي العزم من الرسل وهم سادتنا: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد المصطفى (عليهم الصلاة والسلام جميعاً) فأجاد وأفاد، وجمع فيها من الخير الكثير، وحوت من الفوائد والعبر ما تقر به الأعين، وتنشرح به الصدور، وتتغذى عليه العقول؛ فجزاه الله خيراً. وقد انتشرت هذه الموسوعة، وترجمت إلى معظم اللغات العالمية والمحلية، وهذا من فضل الله تعالى، ومن البشريات العاجلة بالقبول بإذن الله تعالى. وقد حرص المؤلف -حفظه الله- على أن أكتب لهذه الكتب الخمسة، ماعدا السيرة النبوية، تقديمًا علميًا، فلم تسعني مخالفته لصلتي الأخوية القوية به؛ ولأن هذه الكتب كانت مفيدة لي أيضاً، في معلومات دقيقة، ومعايشة مباركة مع القرآن الكريم من جانب، ثم مع هؤلاء الأنبياء العظام من جانب آخر.

وهأنذا أقدم لكتابه الجديد الموسوم: (الأنبياء الملوك: داود وسليمان عَلَيْهِمَا السَّلَام) وهيكل سليمان المزعوم، حيث يجمع الكتاب بين النبوة والحكم

(١) يراجع البداية والنهاية، لابن كثير (٢/ ١٢٥).

والملك لداوود وسليمان عَلَيْهِمَا السَّلَام، ولم يتحقق هذا الجمع بين النبوة والملك لأحد قبل الرسول محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الأنبياء عَلَيْهِمَا السَّلَام المتفق على نبوتهم حسب علمنا، وذلك لأن ذا القرنين ليس بنبي عند الأكثر بل كان ملكاً صالحاً^(١)، وقد ورد فيه حديث ضعيف لا ينهض حجة، وفيه "...وما أدري ذو القرنين أنبياً كان أم لا؟!"^(٢).

وورد بسند جيد عن سيدنا علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: "كان رجلاً أحبَّ الله فأحبه، وناصح لله، فناصره". ثم قال: "لم يكن نبياً ولا ملكاً"^(٣).
وأما سيدنا يوسف فلم يكن ملكاً، ولا حاكماً مستقلاً، وإنما كان وزيراً، ثم عزيز مصر تحت إمرة الملك^(٤).

ولذلك فإن هذا الكتاب يكتسب أهمية أخرى، وهي حكم الأنبياء، كما أنه تضمن مقومات الحكم الرشيد، والصفات القيادية في داوود وسليمان عَلَيْهِمَا السَّلَام التي تتوزع على الجوانب الإيمانية والأخلاقية، والعلمية، والاجتماعية، والإدارية، والسياسية، والرؤية الاستراتيجية.

ومن أهم مباحث الكتاب: حديثه عن ثمرات الحكم العادل لداوود وسليمان عَلَيْهِمَا السَّلَام من النهضة الشاملة، والقوة.

(١) يراجع تفسير الطبري، والقرطبي، وابن كثير، وابن الجوزي، والرازي، في تفسير الآية ٨٢ من سورة الكهف.

(٢) قال السخاوي في الأجوبة المرضية (٨٥٧/٢): غريب من هذا الوجه. وقبله قال مثله ابن كثير في البداية والنهاية (٩٥/٢). أخرجه أبو داود مختصراً (٤٦٧٤). وقال الألباني في ضعيف الجامع (٤٩٩١): "ضعيف".

(٣) قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري: (٤٤١/٦): (... وسنده صحيح).

(٤) يراجع للمزيد: كتابنا: يوسف عَلَيْهِ السَّلَام قدوة للمسلمين. طبعة دار النداء / إسطنبول ٢٠٢٠ م.



وتحدث الكتاب عن أهمية المسجد الأقصى، والأحداث الواردة في فضائله، والفتح العمري، وتحريره على يد صلاح الدين الأيوبي، خاتماً كتابه بالحديث عما يسمى: هيكل سليمان، فأثبت بأنه مزعوم، وأن الأسفار التي تحدثت عن وجود الهيكل أسفار غير مقدّسة، داعماً رأيه بعلم الآثار، وأقوال المؤرخين.

والكتاب ليس مجرد سرد للقصص، وجمعاً لحياة هذين النبيين الملكين العظيمين، فقط؛ وإنما تضمّن تحليلات جيّدة، منها ما نقله عن ابن خلدون، والسيد رشيد رضا من أن سبب امتناع بني إسرائيل عن القتال مع موسى عَلَيْهِ السَّلَام ودخول الأرض المقدسة، وتخليهم عن رسولهم العظيم موسى عَلَيْهِ السَّلَام وقولهم: ﴿قَالُوا يَمُوسَى إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتَلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤]، يعود إلى أن الشعوب التي تنشأ في عهد الاستبداد، وتستأنس بالظلم والاضطهاد تفسد أخلاقها، وتذل نفوسها، ويذهب بأسها، وتضرب عليهم الذلة والمسكنة، وتألف الخضوع، وتأنس بالمهانة والخنوع، بل تصبح سجية إذا طال الأمد^(١).

وكذلك يُعدُّ من فوائد الكتاب وقفاته مع الآيات التي تتحدث عن بني إسرائيل، أو عن سيدنا موسى، أو عن داود وسليمان عَلَيْهِمَا السَّلَام؛ حيث يستنبط منها الأحكام، والعبر، والفوائد العامة والخاصة، والسنن المرتبطة بحياة الشعوب والأمم، ومن أهمها سنة التدافع؛ لأنها مرتبطة بالتمكين والحكم والسلطان ارتباطاً وثيقاً.

(١) يراجع: مقدمة ابن خلدون، ط. المكتبة التجارية الكبرى / القاهرة (٢/ ٥٠٢-٥٠٣).
وتفسير المنار، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٠م (٦/ ٢٧٩).



والباحث الكريم قام باستقراء شامل لملوك بني اسرائيل في سورة البقرة التي تخص طالوت، وداوود عَلَيْهِ السَّلَام، ثم قصة داوود وسليمان في سورة ص، وفي سورة النمل، وفي سورة الأنبياء، وسورة سبأ؛ فقام بتفسير هذه الآيات تفسيراً واضحاً معتمداً على المصادر القديمة والحديثة، ولم يكتف بذلك، بل عاد لاستخراج مجموعة طيبة من الصفات القيادية لسيدنا سليمان عَلَيْهِ السَّلَام من الإيمان العميق، والعلم الدقيق، والتنظيم والضبط المحكم، والحزم والصرامة مع العدل، وحسن التصرف والثبات على المبدأ ونحو ذلك، منتقلاً من ذلك إلى مقومات الحكم الرشيد الشاملة.

وبذلك ضمَّ الكتاب جزءاً كبيراً من السياسة الشرعية، يستفيد منه من يبحث عنها في الإسلام.

ومن المباحث القيِّمة -أيضاً- في نظري، المبحث الخاص بالهيكل، فقد أطال النَّفْس فيه، وهو أمر مهم؛ لأن الصهاينة المحتلِّين يتشدَّقون به، ويريدون هدم المسجد الأقصى، وبناء الهيكل مكانه، فأوضح الباحث الكريم أن هناك تناقضات واضحة، واختلافات فارقة بعين الروايات اليهودية، الواردة في الأسفار، وبعين علماء اليهود، وحاخاماتهم في تحديد المكان، قائلاً: ”وهذا دليل دامغ وقوي على أن هيكل سليمان أكلوبة وأسطورة“، وأنه أقرب إلى الخيال من الواقع.

وبالإضافة إلى ما سبق؛ فإن المسجد الأقصى بني قبل الهيكل المزعوم بزمان طويل، وأن الحفريات والآثار التي يبحث عنها الصهاينة المحتلِّون لا تدلُّ على



وجود الهيكل من قريب أو بعيد، ولكنهم اليوم يصرون على إعادة الهيكل في مكان المسجد الأقصى، من منطلق الوجدان اليهودي الديني السياسي^(١).

والخلاصة: أن الكتاب قيّم في موضوعه؛ لأنه يتعلق بالقرآن الكريم، ولأنه يتعلق بنبيّين عظيمين هما سيدنا داود، وسيدنا سليمان عَلَيْهِمَا السَّلَام، وقد قيل: إن شرف العلوم بشرف موضوعاتها، فلا يوجد أشرف من القرآن الكريم، والأنبياء عَلَيْهِمَا السَّلَام. وبالإضافة إلى ذلك؛ فإن الكتاب يدخل في التفسير الموضوعي الشامل لنبيّين عَلَيْهِمَا السَّلَام، وهذا نوع جديد - إلى حد كبير - من أنواع التفسير وعلوم القرآن، ومما امتاز به الكتاب أيضاً هو تحليلاته حول القصة بالكامل، واستخراجه منها الفوائد والعبر بقدر الإمكان.

فقد بذل الباحث الكريم فضيلة الدكتور علي محمد الصلابي جهوداً طيبة في خدمة الموضوع، فحتى لو وُجدت ثغرات فإنها طفيفة تغرق في بحر حسناته، كما أن الكمال لله تعالى.

وقد استمتعتُ - حقاً - بقراءة الكتاب، وأفدتُ من مباحثه صدقاً؛ ولذلك أنصح بقراءته قراءة شاملة، فهي نافعة للباحثين، وعامة المثقفين، وبخاصة في الظروف التي تمرّ بها أمتنا، وبصورة أخصّ فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية، والمسجد الأقصى، ودعوى الصهاينة المحتلين في الهيكل ومكانه، التي تهدّد قبلتنا الأولى بالهدم تحت أي ذريعة، ليست تحت الغطاء التوسّعي للمحتلين، والقضاء على وجودنا التاريخي فحسب، وإنما تحت الغطاء الديني أيضاً، فهذه أكبر مشكلة.

(١) يراجع الكتاب، ص ٥٥٧ وما بعدها.



ومن هنا فإن مواجهة هذا الادّعاء الصهيوني مطلوبة عقلاً، وأن إبطاله فريضة شرعاً، وإن إقامة الحجج على زيغه ودحضه تاريخياً، ودينياً، وأثرياً واجب شرعي ووطني على القادرين. فالصهاينة احتلّوا أرضنا تحت غطاء ديني مزيف، واليوم يحاولون هدم قبلتنا الأولى أيضاً تحت غطاء بعض الروايات المتناقضة في أسفارهم، ولذلك يجب التصدّي لهم بجميع الوسائل المتاحة لدحض شبهاتهم. وهذا الكتاب يحمل في طيّاته غايةً نبيلةً أخرى، وهي: بيان أن المسلمين اليوم، على الرغم مما يفعله الصهاينة بأهلنا في فلسطين وقبلتنا الأولى ومسرى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإنّ موقفهم الثابت من أنبياء بني إسرائيل عَلَيْهِمُ السَّلَام من الإيمان لهم، وحبّهم لهم، لم يتغير. وهذا يؤكّد على أن ثوابت الإسلام لا تتغير بالعواطف وتصرفات الآخرين، في حين أن غيرهم تدور مواقفهم مع مصالحهم. فجزى الله تعالى مؤلّفه خيراً عن الإسلام والمسلمين عن ما قدمه في هذا الكتاب، وفي غيره من المؤلفات النافعة، وتقبّل الله منه، وجعله خالصاً لوجهه الكريم، ووفّقه للمزيد من المؤلفات النافعة.. آمين.

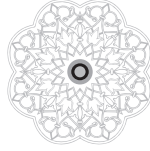
وصلّى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه الفقير إلى ربه

أ.د علي محيي الدين القره داغي

الدوحة: في ١٥ جمادى الآخرة ١٤٤٤هـ





مقدمة الكتاب

إِنَّ الحمد لله، نحمده، ونستعين به ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].
 ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِءَ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].
 ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

اللَّهُمَّ لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك ولعظيم سلطانك، ولك الحمد حتى ترضى، ولك الحمد إذا رضيت، ولك الحمد بعد الرضا.
 أما بعد:

فهذا الكتاب الذي حمل اسم "الأنبياء الملوك: داوود وسليمان عَلَيْهِمَا السَّلَام، وهيكَل سليمان المزعوم" يأتي ضمن سلسلة كتب الأنبياء والمرسلين، التي أخرجتها. وقد أكملت -بفضل الله، وكرمه، وتوفيقه- موسوعة "نشأة الحضارة الإنسانية وقادتها العظام"، إذ تحدثُ فيها بالتفصيل عن:



١- مؤسس الحضارة الإنسانية الأولى، أبو البشرية، آدم وزوجته حواء عَلَيْهِمَا السَّلَام، وعن خلق الجنس البشري، وقصته في الحياة، وعن وظيفته ومهامه في الأرض، ومصيره، وطبيعته المادية والروحية والوجدانية، وعن الحكمة من عداوة الشيطان للإنسان، وعن المخلوقات التي خلقها الله عَزَّجَلَّ قبل الإنسان وعلاقته بها.

كل ذلك كان منطلقاً من الرؤية القرآنية الصائبة، البعيدة عن الظنون والأهواء، ويا لها من قصة متماسكة مليئة بالدروس والمواقف والعبر والفوائد!

٢- مؤسس الحضارة الإنسانية الثانية نوح عَلَيْهِ السَّلَام، وميلاد الحضارة الإنسانية الثانية. وقد بيّنت في هذا الكتاب مرحلة مهمة من حياة الإنسان، التي حفظ الله تاريخها وأبعادها، ودروسها وسننها في كتابه العزيز الذي: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۖ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢].

وقصة نوح عَلَيْهِ السَّلَام أكدت أن الأصل في الإنسان هو توحيد الله، وهو أصل دعوة الرسل والأنبياء لأقوامهم. واستقيتُ جُلَّ المادة التاريخية من القرآن الكريم، والتفاسير المتعددة التي شرحت آياته، فالقرآن هو القول الصادق. قال تعالى: ﴿وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [هود: ١٢٠].

أظهرت قصة نوح عَلَيْهِ السَّلَام والطوفان العظيم الذي حدث لقومه إصراره على دعوة قومه للحق، وشرحت مواقف نوح عَلَيْهِ السَّلَام في دعوته لقومه إلى توحيد الله عَزَّجَلَّ، وما واجهه في دعوته من كفر وعناد وتقليد أعمى، وكيف بدأت الحضارة



الإنسانية الثانية مع بناء السفينة، وتجلّت في دعوته السنن الربانية، ومنها سنة الله في التغيير، وسنة البناء، وسنة العمل الجماعي، وسنة الابتلاء، وسنة الأخذ بالأَسباب، وسنة النصر والتمكين، وصناعة السفينة، ونجاة نوح ومن معه بفضل الله، ثم إيمانهم به. وفي تلك اللحظة كانت بداية الحضارة الإنسانية الثانية بالسَّلام والبركات، كما قال تعالى: ﴿قِيلَ يٰنُوحُ أَهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ وَأُمُرٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [هود: ٤٨].

وكان من أبرز عوامل نشوء الحضارة الإنسانية في طورها الثاني ما يأتي:

- العامل العقدي.

- العامل الصناعي والاقتصادي.

- العامل البيئي.

- العامل الاجتماعي.

- العامل الأخلاقي.

- العامل السياسي.

فحققت دعوة نوح عَلَيْهِ السَّلامُ خلافة الله في أرضه، وعمارة الكون، والقيم الإنسانية الراسخة: كالرخاء، والمحبة، والتراحم، والتعاون، والتضامن، والتناصح، والتطهر، والعدالة، والتقدم الفكري والنفسي والروحي والمادي.

٣- إبراهيم (خليل الله)، داعية التوحيد، ودين الإسلام، والأسوة الحسنة،

وهو الكتاب الثالث في موسوعة نشأة الحضارة الإنسانية.

يبيّن الكتاب المرحلة التاريخية التي سبقت إبراهيم عَلَيْهِ السَّلامُ، وتناول الحياة الدينيّة، والمعتقدات القديمة في زمانه من عبادة للكواكب والنجوم والأصنام



والملوك، وتقديم القرابين والنذور، وكذلك طبيعة الحياة الاجتماعية والسياسية، وطبقات المجتمع، وطقوس الزواج، والأسرة، والعادات والتقاليد.. إلخ.

ثم تكلم عن المشاهد التي مرَّ بها إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَام، عندما كان في العراق، ثم انتقاله للشام، ثم رحلته إلى مصر، ومنها إلى الحجاز. وعن شبابه وشيخوخته في ابتلاءاته العظيمة، وصبره الجميل، وحلمه الكبير، وحرصه على هداية الناس.

وقد تتبع الكتاب قصة خليل الرحمن في القرآن الكريم، فبرهن على كونه رمزاً من رموز دعوة التوحيد، وإفراد العبادة لله، ومعلماً عظيماً من معالم الطريق الحق، بيَّنته الآيات القرآنية؛ فأصبح حاضراً في ذهن لا ينساه المسلم أبداً: فهو قدوته ومثله الأعلى.

إنَّ قصَّة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَام قصة أصيلة في القرآن الكريم، لا وجود لها في التوراة أو في الكتابات الإنجيلية من ناحية الدقة والصواب والبعد عن التحريف والتزييف والأباطيل.

فالقرآن الكريم، والحديث الشريف، أظهرنا لنا الجوانب الصحيحة من قصة خليل الله إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَام، وقيادته للإنسانية في جوانبها العقائدية والروحية، والأخلاقية، والابتلائية، والتمكينية، وإمامته للناس، وخصائصه وفضائله الجليلة: كالإسلام، والحنيفية، والحلم، والصدّيقية، والشكر، والدعاء، والقنوت، وسلامة القلب، وعمارة البيت الحرام، وإكرام الضيف، والخُلة، وكونه خير البرية، والإمامة، والاجتباء، والاصطفاء، وإيتائه رشده، وجعل النبوة والكتاب في ذريته، واتخاذ مقامه مصلًى، وتقاربه الكبير مع نبيِّنا محمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،



فهو قرب لصيق رغم بُعد الزمان والمكان، حتى لكانها الأبوة المباشرة القريبة؛ ولذلك تلقى إبراهيم ابنه محمداً في منازل الملائكة ليلة الإسراء والمعراج، بترحاب الآباء بالأبناء، قائلاً له: "مرحباً بالابن الصالح، والنبي الصالح".

٤- موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ كليم الله، عدو المستكبرين وقائد المستضعفين. وهي القصة الأطول في القرآن الكريم؛ حيث ذكر الكتاب قصة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بالتفصيل، ولم يترك أي موضع لها في القرآن الكريم إلا ورجع إليه، واعتمد على التفاسير الموضوعية للقصة، ودروسها، وعبرها وفوائدها، وأبعادها. وتكلمت عن قصة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ مع فرعون بالتفصيل، وحواراته العظيمة في إقامة الحجة، والتصدي للكفر، وهزيمة الإلحاد، وحواراته مع السحرة، ومع السامري، وحرصه على هداية قومه، وأنسه بالله، وتكليم الله له، وطلبه من الله أموراً متعلقة بالدعوة والرسالة، وقد استجاب الله له كل ذلك.

وقد بينت أسباب هلاك فرعون وقومه؛ من الكفر بالله، والشرك، والظلم، والاستكبار، ودفع الحق، وانتهاك الحرمات، والاستعلاء على الناس واحتقارهم، والاعتداء عليهم، والفخر بالملك والسلطان والمال، والتكذيب للرسل، وفساد الملائكة، والترف، وسنة الله في المفسدين.. إلخ. وكذلك نجا موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وقومه، وقصة التيه والعبد الصالح ثم وفاته.

٥- عيسى ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ الحقيقة الكاملة. إذ حفظ الله سُجَّانَهُ وَتَعَالَى سيرة عيسى ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ، التي تُعتبر من أبرز محطات تاريخ الحضارة الإنسانية، وقد بسَّط الكتاب مراحل ولادته، ونشأته، وجذور أسرته، من ناحية والدته،



ودعوته، ومعجزاته. فكانت ولادته من دون أب معجزةً خالدةً دالةً على قدرة الله المطلقة؛ حيث قدّم القرآن الكريم قصة عيسى وأمه مريم عَلَيْهِمَا السَّلَام في أبهى صورة، وأروع بيان، وأصدق حقيقة: فكل ما يفيد الإنسانية وحضارتها فيما يتعلّق بعيسى ابن مريم جاء في القرآن الكريم؛ فقمّت باستخراج الآيات الكريمة من المواضع التي ذكر فيها عيسى وأمه عَلَيْهِمَا السَّلَام، وتتبعُ حديث القرآن عن جدّته لأُمّه، وعن عائلة آل عمران، ولماذا ذُكروا في سورة آل عمران، ومن هم آل عمران الذين اصطفاهم الله على العالمين.

وقد بيّن الكتاب ولادة مريم لعيسى عَلَيْهِمَا السَّلَام من المنظور القرآني، ووضّح دعاء امرأة عمران لله عَزَّوَجَلَّ، ومناجاتها، وتضرّعها، وانكسارها بين يدي ربّها، ومخاطبتها إياه بأسمائه الحسنی، الرب، السميع، العليم. واستجابة الله لها، وقبول دعائها، وكيف جعل زكريا يتكفّل برعاية مريم، واصطفاء الله لها على العالمين، وبشارة الملائكة بعيسى عَلَيْهِمَا السَّلَام.

وتكلم الكتاب عن قصة عيسى ابن مريم عَلَيْهِمَا السَّلَام في مهده، وشبابه، ومعجزاته ورفع الله له، وتوضيح ما جرى ليلة القبض على الشبيه، وترتيب أحداث مسلسل تلك الليلة، مما ذكره المؤرخ الكبير والمفسر الشهير العلامة: ابن كثير. وذكر الآيات التي تحدّثت عن نفي قتل عيسى، وصلبه، وإنما الذي قتل هو الشبيه: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ [النساء: ١٥٧].

واستدل الكتاب بآراء العلماء الراسخين، وتجلّت فيه حقائق مهمة متعلّقة بتاريخ الحضارة الإنسانية، في مرحلة حسّاسة من مراحلها، ردّت على الأكاذيب



والخرافات، وبيّنت الحق من الباطل، والهدى من الضلال، والعلم الراشد من الكذب الفاضح.

٦- عهد النبوة وخاتم الرسالات وسيرة رسول العالمين محمد ﷺ (السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث)، وكانت المرحلة الأخيرة من سلسلة نشأة الحضارة الإنسانية وقادتها العظام.

هذا النبي العظيم، الخاتم للرسالات السماوية، أنزل الله عليه القرآن الكريم الذي حفظ الله عزّ وجلّ فيه قصص وسير قادة الإنسانية من الأنبياء والمرسلين، فكانت سيرته ﷺ قرآناً يمشي على الأرض في العقائد، والعبادات، والأخلاق، والتشريع، وقد سار على نهج من سبقوه من دعاة التوحيد من الأنبياء والمرسلين.

أمّا كتابنا الحالي "الأنبياء والملوك: داود وسليمان عليهما السلام" -وهو جوهر الحديث هنا- فهو حلقة موصولة بموكب الأنبياء والمرسلين وقادة الإنسانية، ويبحث في مرحلة من مراحل تاريخ الإنسانية، التي حفظها القرآن الكريم، لتكون ميزاناً نرجع إليه، للوصول إلى الحقائق التي يتم تزويرها وتحريفها بأهواء الكتّاب، والمؤرخين، والساسة في عصرنا الحديث.

وقد تضمن هذا الكتاب مدخلاً ومباحث.

فأما المدخل ففيه الحديث عن: شجرة إبراهيم عليه السلام، وأنبياء الفرع الإسرائيلي، وختم النبوة بالفرع الإسماعيلي، وبداية تاريخ بني إسرائيل، من يعقوب عليه السلام، وموقف المسلمين من أنبياء بني إسرائيل، وحياة بني إسرائيل في مصر، ووفاة يوسف عليه السلام، وحكم الفراعنة لمصر، وهزيمة الهكسوس،



وامتناع بني إسرائيل عن دخول الأرض المقدسة، وفترة التيه، ووفاة موسى عَلَيْهِ السَّلَام، ومرحلة يوشع بن نون، ودخول الأرض المقدسة، ومخالفات بني إسرائيل بعده، وعهد القضاة، والمدة الزمنية بين موسى وداوود عَلَيْهِمَا السَّلَام.

وفي المبحث الأول كان الحديث عن قصة ملوك بني إسرائيل في سورة البقرة، وهم طالوت وداوود عَلَيْهِمَا السَّلَام، وتفسير الآيات الكريمة على نهج علماء التفسير، والفقهاء الراسخين والمؤرخين الثقات، وبيان أهم السنن في حياة الأمم والشعوب من قصة طالوت وبداية المملكة القوية لبني إسرائيل، ونزع التمكين وزواله من الظالمين.

وفي المبحث الثاني تكلمتُ عن قصة داوود وسليمان، في سورة ص، وأهم صفات داوود عَلَيْهِ السَّلَام، ورفض الإسرائيليات التي حاولت تشويه صورته عَلَيْهِ السَّلَام، وقواعد الحكم التي أشارت إليها الآيات الكريمة، ومدى اتساع دولة داوود عَلَيْهِ السَّلَام، وحدودها، والأسس التي قامت عليها، وهبة الله لداوود في ابنه سليمان عَلَيْهِمَا السَّلَام، وعروضه العسكرية، وخيوله القتالية، وجمالها وروعها وتجارتها، والفتنة التي تعرض لها، وأهم الدروس والعبر والفوائد من قصتهما، من خلال سورة ص، كما ذكرها العلامة السعدي رَحِمَهُ اللهُ، وبيان مكانة داوود وسليمان عَلَيْهِمَا السَّلَام في موكب الأنبياء والمرسلين. وتحدثتُ عن الزبور الذي أنزل على داوود عَلَيْهِ السَّلَام، وسبب تسميته، ومحتواه، وحديث المصادر الإسلامية عنه، وتاريخ نزوله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في دولة داوود عَلَيْهِ السَّلَام، ووفاة داوود عَلَيْهِ السَّلَام.



وفي المبحث الثالث عرضتُ قصة داوود وسليمان عَلَيْهِمَا السَّلَامُ في سورة النمل، وقد قمتُ بتفسير الآيات الكريمة معتمداً على الله ثم علماء التفسير، كالطبري، وابن كثير، والقرطبي، وابن عطية، والشعراوي، وأبي زهرة، والسعدي، والزحيلي، وغيرهم من المفسرين.

وفي المبحث الرابع كان الحديث عن قصة داوود وسليمان عَلَيْهِمَا السَّلَامُ في سورة الأنبياء وسبأ، وعن اتِّهام اليهود لسليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ بالسحر، ودفاع القرآن عن هذا النبيِّ الكريم، وبيان براءته مما نسب إليه من الكفر والسحر، كما جاء في سورة البقرة.

ووقفتُ وقفاتٍ للتأمل والتدبر مع صفات نبي الله سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ، وشخصيته القيادية التي جاءت في القرآن الكريم، وأهمها: الإيمان، والعلم، والتنظيم، واليقظة، والمتابعة، والتقدم، والحزم، والصرامة، وقدرته على بناء العلاقات، والكرم، وحسن الاستقبال، والتواضع، والعدل، وقبول العذر، والهيبة والوقار، والتثبت من الأخبار، وحسن التصرف، والذكاء، واختيار الصادق، وتعزيز الثقة في الجنود، ومعرفة مواطن القوة والضعف واستثمارها، واختبار ذكاء مَلَكة سبأ وعقلها، وسعة الصدر، وحسن الاستماع، والتدرج في تحقيق الأهداف، وتوظيف المهارات والمواهب والإمكانات، والتعالي فوق حطام الدنيا، والثبات على المبدأ، وتشجيعه للمبادرات، وحرصه عليها، والاستماع لكبار مستشاريه، والقدرة على الحسم، والشدة مع المعاند، وحب الجهاد، وعدم الاغترار، والصبر، والفهم والحكمة، والبناء، والإبداع، وعلو الهمة، والانفتاح على الآخرين، والقدرة على التنفيذ والتخطيط... إلخ.



- وَيَبِّنُ مقومات الحكم الرشيد في دولة سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ:
- المقومات الاجتماعية: كالنشئة الاجتماعية والعلمية.
 - والمقومات الإدارية والاقتصادية: كنظام الموارد البشرية، والإصلاح المالي والإداري، ووضوح الرؤية في السياسة الاقتصادية.
 - المقومات التشريعية والسياسية: كالشفافية، وسيادة الحقوق والقانون، والمشاركة في اتخاذ القرار، وحرية التعبير، والرؤية الاستراتيجية السياسية، ومراعاة الأعراف الدبلوماسية.
 - وتحدّثُ عن أهم ثمرات الحكم الرشيد في عهده، وهي:
 - النهضة العلمية.
 - النهضة الإعلامية.
 - النهضة العمرانية.
 - نهضة المواصلات والاتصالات.
 - النهضة العسكرية.
 - النهضة الصناعية.
 - النهضة البحرية.
 - النهضة التجارية.
 - النهضة الحضارية القائمة على توحيد الله وإفراده بالعبادة ومحاربة الشرك.
 - وتكلّمْتُ عن مُلك سليمان العظيم، وتجديدِ بناء المسجد الأقصى، ومتى تم بناؤه، وكم كان بينه وبين بناء الكعبة، وكيف كان في عهد سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ،



وفضائل المسجد الأقصى، مسرى رسول الله ﷺ ومنطلق معراجهِ، وأولى القبلتين، والندب لشدة الرحال إليه، وفضل الصلاة فيه، وأنه مقر الطائفة المنصورة كما جاء في الأحاديث الصحيحة الشريفة عن رسول الله ﷺ، وعن المسجد الأقصى بعد الفتح العمري، وتحريره على يد صلاح الدين الأيوبي والأمة الإسلامية من الصليبيين.

وكان الحديث أيضاً عن بني إسرائيل بعد وفاة سليمان عليه السلام، وعن الحكم العراقي لفلسطين والقدس، وعن السبي البابلي لبني إسرائيل، والحكم الفارسي، وتحريف أحبار اليهود للتوراة، وعن التوراة ما بين وفاة سليمان وما قبل السبي البابلي، وكيف أثنى القرآن الكريم على موسى والتوراة التي أنزلت على موسى عليه السلام، وكذلك بيان أن القرآن الكريم فصل القول فيها، وعن اختلاف بني إسرائيل، وكيف بدأ فقدان الثورة الحقيقية، وعن علاقة الفرس مع اليهود، وعن الحكم الإغريقي، وعن الحكم الروماني، وعن اضطهاد اليهود للنصارى في عهدهم ثم تغيرت المواقف، وعن تدمير الرومان للقدس، ومنع اليهود من دخولها وتشريدهم، وعن عهد الإمبراطور قسطنطين -الذي اعتنق المسيحية، وأضاف لها عقائد وثنية- وانقسام الإمبراطورية، وحكم هرقل، وطرد الفرس للروم من القدس، ووعد القرآن الكريم بانتصار الروم على الفرس في بضع سنين، وتحقق ذلك، ووقوع الاضطهاد على اليهود الذين تحالفوا مع الفرس، وكان الحديث عن هيكل سليمان عليه السلام "المزعوم"، وعن معنى الهيكلية وجبل الهيكل، وعن الهيكل الأول والهيكل الثاني، وعن معنى الهيكل الثاني،

وعن سبب حرص الكيان الصهيوني على بناء هيكل سليمان في مكان المسجد الأقصى في وقتنا الحاضر، وعن مكانة الهيكل عندهم، وعن حائط البراق، وعن عدم قدسية الأسفار التي تحدثت عن وجود الهيكل، والأخطاء التي تحدثت عنها العلماء، وعن علم الآثار، ودعوى وجود الهيكل تحت المسجد الأقصى، وعن عقيدة أرض الميعاد، وعن رجال العقيدة اليهودية الصهيونية، وعن الدعم الأمريكي والأوروبي لاحتلال اليهود للأراضي الفلسطينية، وعن تزيف الحقائق في ادعاء الحق اليهودي في قضية فلسطين، كالحق التاريخي، والديني، والقومي، والإنساني، والإنشائي، والقانوني، ثم خلاصة الكتاب.

هذا؛ وقد انتهيتُ من هذا الكتاب يوم الثلاثاء ٣٠ مايو ٢٠٢٣ م / ١٠ ذو القعدة ١٤٤٤ هـ، في تمام الساعة السادسة قبل موعد أذان المغرب بتوقيت العاصمة القطرية الدوحة.

وإنَّ الفضل لله عَزَّجَلَّ من قبل ومن بعد. فأسأله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ يتقبل هذا العمل قبولاً حسناً وأن يُكرمنا برفقة النبيين والصديقين والشهداء والصالحين. ولا يسعني في مرحلة وضع اللمسات الأخيرة على هذا الكتاب إلا أن أقف بين يدي الخالق تَبَارَكَ وَتَعَالَى بقلب خاشع منيب، معترفاً بفضلِهِ وكرمه، ومتبرئاً من حولي وقوتي، وملتجئاً إليه في كل حركاتي وسكناتي، وحياتي ومماتي، فالله خالقي هو المتفضل عليّ.

وإنَّ الله تعالى هو المعين والميسر والمنعم، وهو إلهي العظيم، وهو الموفق، ولو تخلّى عني، ووكلني إلى عقلي ونفسي لتبدّل منّي العقل، وغابت الذاكرة، ويست الأصابع، وجفّت العواطف، وتحجّرت المشاعر، وعجز القلم عن البيان.



اللهم بصرني بما يُرضيك، واشرح صدري، وجنّبي ما لا يرضيك، واصرفه عن قلبي وبصري وتفكيري.

وأسألك اللهم بأسمائك الحسنى وصفاتك العلا، بأن تأجرني وإخواني الذين أعانوني قولاً وفعلًا ومشورةً على إنجاز هذا العمل. راجين رحمتك، ومبتغين رضوانك، وأن تجعل عملنا لوجهك الكريم خالصًا، ولعبادك نافعًا، واطرح فيه البركة والقبول والنفع العظيم.

اللهم إني أسألك بمتّك وكرمك أن تغفر لي ذنوبي، وترحم ضعفي، فأنت الغفور الرحيم الذي وسعت رحمتك كل شيء.

اللهم مُدّني بعونك وتأيدك، واحفظني بحفظك، واغفر لي جدّي وهزلي، وخطئي وعمدي وكلّ ذلك عندي.

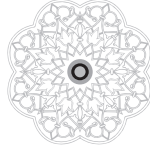
وفي نهاية المطاف أدعو إخواني وأخواتي، وكلّ من يطلع على هذا الكتاب ألا ينساني -أنا العبد الفقير إلى عفو ربّه ومغفرته ورحمته ورضوانه- من الدعاء. ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَلَدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ [النمل: ١٩].

الفقير إلى عفو ربه ومغفرته ورحمته ورضوانه:

د. عليّ محمد الصّلابيّ

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

٣٠ مايو ٢٠٢٣ م - ١٠ ذو القعدة ١٤٤٤ هـ



المدخل

هذا الكتاب محطة من المحطات الحضارية الكبرى التي مرّت بها أمة بني إسرائيل، وكنت قد بينتُ في كتابي ”موسى كليم الله عدو المستكبرين وقائد المستضعفين“، بأنّ بني إسرائيل ينتسبون إلى إسرائيل، وهو نبيّ الله يعقوب بن إسحاق، فأشرتُ إلى المواضع التي ورد فيها اسمُ يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ في القرآن العظيم، ومواضع ذكر اسمه الثاني عَلَيْهِ السَّلَامُ إسرائيل في القرآن، وتحدّثُ في كتابي عن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بالتفصيل وعن شجرة النبوة الإبراهيمية، وما تفرّع منها، وهي كالآتي:

- الفرع الإسماعيلي: المتمثل في إسماعيل بن إبراهيم عليهما الصلاة والسلام، وهذا الفرع خُتم بخاتم الأنبياء والمرسلين محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، سيّد ولد إسماعيل، بل سيد ولد آدم، وأفضل المخلوقين جميعاً، وأحبهم إلى الله.

- الفرع الإسرائيلي: المتمثل بإسرائيل (يعقوب) حفيد إبراهيم عليهما الصلاة والسلام، وهو أبو بني إسرائيل، وأصل أسباطهم، وكل أنبيائهم من ابنه يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، حتى عيسى ابن مريم من ذرية يعقوب بن إسحاق، من جهة الأم؛ لأنه لا أب له عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. ولهذا الاعتبار ورد ذكر إسرائيل معطوفاً على إبراهيم عَلَيْهِمَا السَّلَامُ في الآية: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَءِيلَ﴾ [مريم: ٥٨].



وقد صرّح القرآن بأن الله تعالى جعل النبوة في ذرية كلٍّ من إبراهيم ويعقوب عليهما الصلاة والسلام، إذ قال تعالى: ﴿فَأَمِّنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿٢٦﴾ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٧﴾ [العنكبوت: ٢٦، ٢٧]؛ فالله وهب لإبراهيم كلاً من إسحاق ويعقوب، عليهم جميعاً السلام. وكان ذلك بعد أن هاجر إلى الله، وغادر العراق إلى الأرض المقدسة^(١).

١ - أنبياء الفرع الإسرائيلي:

جعل الله النبوة والكتاب في ذرية إبراهيم وحفيده يعقوب عليهما الصلاة والسلام، والراجح أنّ ضمير الغائب في قوله ﴿فِي ذُرِّيَّتِهِمَا﴾ [الحديد: ٢٦] يعود إلى إبراهيم ويعقوب. ووجه الترجيح في ذلك ما سبق أن قرّرناه من تفرّع فرعي النبوة من الشجرة الإبراهيمية: الفرع الإسرائيلي (فرع إسرائيل وأبنائه)، والفرع الإسماعيلي (فرع إسماعيل وأبنائه).

لقد استمرّت النبوة في فرع نبي الله إسرائيل وأبنائه عدداً من القرون؛ فقد بعث الله أنبياءً كُثُر إلى بني إسرائيل؛ أولهم نبي الله إسرائيل نفسه عَلَيْهِ السَّلَام الذي كان نبياً لأبنائه، ثم ابنه نبي الله يوسف عَلَيْهِ السَّلَام، ثم الأنبياء الآخرون من بني إسرائيل، مثل موسى وهارون وداوود وسليمان وزكريا ويحيى، وآخرهم عيسى ابن مريم عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَام.

(١) القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث، صلاح الخالدي، دار القلم، دمشق - الدار الشامية، بيروت، ط ١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م، (٢/ ٦٠).



٢- ختم النبوة بالفرع الإسماعيلي:

ختم الله النبوة في الفرع الإسرائيلي بعيسى ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهو آخر أنبياء بني إسرائيل الذي خلقه الله خلقاً معجزاً، دون أب، وأظهر على يديه الكثير من المعجزات. وقد شاء الله أن يختم النبوة كلها بنبيٍّ من فرع إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهو أفضل الخلق جميعاً، سيد الأولين والآخرين وخاتم الأنبياء والمرسلين محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(١).

٣- بداية تاريخ بني إسرائيل من يعقوب:

يبدأ تاريخ بني إسرائيل من يعقوب، وصلتهم بإبراهيم كصلتهم بإسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ، أليس إسماعيل عمًّا ليعقوب؟ أليس هو شقيق أبيه إسحاق؟ فلماذا لا يجعلون تاريخه تاريخاً لهم مع أنه عمٌّ لأبيهم؟ لو كانوا بني إبراهيم لبدأ تاريخهم من تاريخ إبراهيم، ولو كانوا بني إسحاق لبدأ تاريخهم من تاريخ إسحاق. ولأنهم بنو إسرائيل أي: بنو يعقوب، فإن تاريخهم يبدأ من تاريخ يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولهم أن يتوقفوا عند حياته وحياة أبنائه الاثني عشر؛ وأن يعتبروا ذلك بداية لوجودهم وحياتهم وتاريخهم هذا لمن ثبت أصله ونسبه ليعقوب^(٢).

(١) المصدر السابق، (٢/ ٦١).

(٢) المصدر السابق، (٢/ ٦٢).



٤ - نحن نؤمن بأنبياء بني إسرائيل:

نحن نؤمن بأنبياء بني إسرائيل الذين أخبرنا الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى عنهم، ونحبهم ونصلي عليهم ونقتدي بهم، وننزّههم عن كل نقص وظلم وتشويه، لا فرق عندنا بين أنبياء العرب مثل: هود، وصالح، وشعيب، عَلَيْهِمُ السَّلَام - كما في الحديث الصحيح - وأنبياء بني إسرائيل مثل: يعقوب، ويوسف، وموسى، وهارون، وداوود وسليمان، وزكريا، ويحيى، وعيسى (عليهم الصلاة والسلام). ونعتقد أننا أولى بهؤلاء الأنبياء من بني إسرائيل كما علّمنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

روى مسلم بسنده عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: بَيْنَمَا يَهُودِيٌّ يَعْزِضُ سِلْعَةً لَهُ أُعْطِيَ بِهَا شَيْئًا، كَرِهَهُ أَوْ لَمْ يَرْضَهُ، قَالَ: لَا، وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى الْبَشَرِ، قَالَ: فَسَمِعَهُ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَلَطَمَ وَجْهَهُ، قَالَ: تَقُولُ: وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى الْبَشَرِ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ أَظْهَرِنَا؟! قَالَ: فَذَهَبَ الْيَهُودِيٌّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا أَبَا الْقَاسِمِ، إِنَّ لِي ذِمَّةً وَعَهْدًا، وَقَالَ: فَلَا تَطْمَ وَجْهِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لِمَ لَطَمْتَ وَجْهَهُ؟» قَالَ: قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: [هُوَ قَالَ] وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى الْبَشَرِ، وَأَنْتَ بَيْنَ أَظْهَرِنَا! قَالَ: فَغَضِبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى عُرِفَ الْغَضَبُ فِي وَجْهِهِ، ثُمَّ قَالَ: «لَا تَفْضَلُوا بَيْنَ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ؛ فَإِنَّهُ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ، فَيَصْعَقُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ»، قَالَ: «ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ بُعِثَ أَوْ فِي أَوَّلِ مَنْ بُعِثَ فَإِذَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَخَذَ بِالْعَرْشِ، فَلَا أَذْرِي أَحُوسِبَ بِصَعْفَتِهِ يَوْمَ الطُّورِ، أَوْ بُعِثَ قَبْلِي، وَلَا أَقُولُ: إِنَّ أَحَدًا أَفْضَلُ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى عَلَيْهِ السَّلَامُ». (١)

(١) موسى كليم الله عدو المستكبرين وقائد المستضعفين، علي محمد محمد الصلابي، دار ابن كثير،



وروى البخاري ومسلم عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَدِمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ فَرَأَى الْيَهُودَ تَصُومُ يَوْمَ عَاشُورَاءَ، فَقَالَ: «مَا هَذَا؟» قَالُوا: هَذَا يَوْمٌ صَالِحٌ؛ هَذَا يَوْمٌ نَجَّى اللَّهُ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ عَدُوِّهِمْ، فَصَامَهُ مُوسَى. قَالَ: «فَأَنَا أَحَقُّ بِمُوسَى مِنْكُمْ»، فَصَامَهُ، وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ^(١).

نحن أولى بموسى منهم: شعار دائم وقاعدة عامة يعتقدها المسلمون دائماً، ويعتبرون أنفسهم أولى بأنبياء بني إسرائيل من اليهود أنفسهم، ونعتقد أن كل من أنكر نبوة أحد هؤلاء فقد كفر، وكل من أبغضه أو انتقصه وذمه فقد كفر. والله عَزَّ وَجَلَّ يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا ۖ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ۝١٥١﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُولَٰئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرَهُمُ ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿النساء: ١٥٠-١٥٢﴾^(٢).

وإن صراعنا اليوم مع اليهود (الصهاينة)، الذين يدعون الانتساب إلى أنبياء بني إسرائيل عَلَيْهِمُ السَّلَامُ مخالفين منهجهم ومعتقداتهم وقيمهم الروحية والإنسانية، التي حُرِفَتْ مع مرور الزمن. وإن المسلمين هم أولى بأنبياء الله تعالى من حيث دقة الاتباع، وهم السائرون على ملة إبراهيم والأنبياء الذين من ذريته جميعاً (إسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، وإلياس، واليسع، ويونس، وداود، وسليمان، ويحيى، وزكريا، وأيوب، وذو الكفل، وموسى، وهارون، وعيسى، ومحمد

(١) موسى كليم الله، للصلاحي، ص ٥٧.

(٢) المصدر السابق نفسه، رواه البخاري ومسلم.



(عليهم الصلاة والسلام) وغيرهم. قال الحق تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ أَوَّلَى الْتَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ
لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٦٨].

٥ - حياة بني إسرائيل في مصر:

بدأت قصة بني إسرائيل في مصر بعد مجيء يوسف عَلَيْهِ السَّلَام إليها، ودعوة والده وإخوته للمقام فيها، بعد ما تمكّن في الحكم، وأصبح الرجل الثاني فيها؛ وقصّت علينا سورة يوسف الأحداث العجيبة والمثيرة التي جرت ليوسف عَلَيْهِ السَّلَام، منذ أن كان طفلاً صغيراً يكرهه إخوته الكبار ويغارون منه، إلى أن صار رجلاً عظيماً محفوفاً برعاية الله عَزَّ وَجَلَّ. وقد ذكرت ذلك في كتابي: ”النبي الوزير يوسف الصديق من الابتلاء إلى التمكين“^(١).

ولقد هاجر يعقوب عَلَيْهِ السَّلَام ومن معه من الأبناء وزوجاتهم والأحفاد إلى مصر بدعوة من ملكها، ومن نائبه يوسف عَلَيْهِ السَّلَام، وذلك في القرن السادس عشر قبل الميلاد، وكان عمر يعقوب مئة وثلاثين سنة، وقد استقبله ابنه يوسف استقبالاً حافلاً، ثم استقبله ملك مصر - كان من الهكسوس - ورحب الملك بوالد يوسف وإخوته أجمعاً ترحيباً، وعاش يعقوب في أرض مصر مُعَزَّزاً مُكْرَماً سبع عشر سنة، حتى صار مجموع عمره مئة وسبعاً وأربعين سنة كما تذكر بعض كتب التاريخ، ثم حضرته الوفاة وكان قد أوصى أبناءه بهذه الوصية التي أخبر القرآن عنها في اللحظات الأخيرة من حياته عَلَيْهِ السَّلَام، وكانت في مصر وبين أولاده:

(١) رقم الطبعة: ١، دار الأصالة - تركيا، ودار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت، ٢٠٢٣.



قال الله تعالى: ﴿وَوَصَّي بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ يَبْنِي إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١٣٢) أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَاللَّهُ ءَابَاؤُكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿[البقرة: ١٣٢، ١٣٣].

٦ - وفاة يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ:

عاش بنو إسرائيل في مصر محفوفين بالكرمة وصنوف الامتيازات، وطاب العيش لهم أرض الكنانة، وكان يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ يحظى باحترام كبير في مصر، وذكر الله عَزَّجَلَّ لنا في كتابه العزيز دعاء ختامياً ليوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ، فقال تعالى: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١]، وقد أشار القرآن الكريم إلى وفاة يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ على لسان مؤمن آل فرعون، عندما خاطب قومه ودعاهم إلى التوحيد؛ فجاء في ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ﴾ [غافر: ٣٤].

لقد عاش نبي الله يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ في مصر داعياً إلى توحيد الله عَزَّجَلَّ وإفراده بالعبادة في سجنه وفي قصره ووظف منصبه الكبير توظيفاً دعوياً، وقدم الآيات البينات على نبوته، والبراهين على دعوته، فأمن به من هداه الله إلا قليلاً من الناس ﴿فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ﴾ وعبر المصريون عن معارضتهم لدعوة

يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ بعد وفاته وهلاكه، فما إن توفي حتى قالوا: لن يبعث الله من بعده رسولا، وكأنهم ارتاحوا لأنهم تخلصوا منه ومن دعوته^(١). ولعل القرآن الكريم عبر عن موت يوسف بالهلاك؛ لأجل عدم استجابة أهل مصر لدعوة يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ. والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَم.

ولا تتحدث النصوص القرآنية والحديثية عن بني إسرائيل بعد يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولا تُشير إلى ما جرى لهم في هذه الفترة من قرب عهد موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولا تبين كم بقي بنو إسرائيل في مصر في تكريم وإعزاز، ولا تحدد الفترة التي بدأ فيها اضطهاد الفراعنة لهم وتعذيبهم^(٢).

٧- حكم الفراعنة لمصر وهزيمة الهكسوس:

استطاع الفراعنة بقيادة أحمس أن يهزموا الهكسوس، وأن يُطهروا بلادهم من ملوك الهكسوس، ويطردوهم من مصر، فتغيرت الأحوال على بني إسرائيل، ودخلت مصر في طور جديد من الحكم الفرعوني. ولما انتقل الحكم في مصر إلى الفراعنة، قاموا باضطهاد بني إسرائيل وتعذيبهم بسبب أنهم اعتبروا الإسرائيليين أعوان للهكسوس المستعمرين الغزاة، ولهذا صبوا غضبهم عليهم، ونسي الفراعنة فضل يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ عندما ولي أمرهم وحكم مصر في أزمة اقتصادية حادة؛ تمثلت في سبع سنوات عجاف قاحلة، خرج منها يوسف بأهل مصر بسلام وأمان. وكان بنو إسرائيل في مصر مؤمنين بالله، وموحدين له، في

(١) القصص القرآني (٢/ ٢٥٥).

(٢) موسى كليم الله عَلَيْهِ السَّلَامُ، ص ٧٠.



حين كان المصريون كافرين مشركين بالله يعبدون الأوثان والأصنام ويعبدون فرعون نفسه إلهًا، وهذا من أسباب العداوة بين الطرفين؛ فريق الإسرائيليين المؤمنين بالله رب العابدين له، وفريق المصريين المشركين بالله العابدين لفرعون. وقد أشارت آيات القرآن إلى مظاهر فساد حكم فرعون، وذكرت نماذج من اضطهاده وتعذيبه لبني إسرائيل^(١)، وقد بينت ذلك في كتابي: موسى كليم الله عدو المستكبرين وقائد المستضعفين.

٨- بدأ نجم الإسرائيليين في الأفول:

أصبحوا جماعة غير مرغوب في بقائهم، فأذاقهم المصريون شتى ألوان العذاب، واتخذوا منهم عبيدًا في بيوتهم وأجرء في أراضيهم، وأجبروهم على تعبيد الطرق، وشق الترع وبناء المعابد والمقابر^(٢).

وفي وسط هذا البلاء المبين الذي أحاط ببني إسرائيل من الله عليهم بالنعمة الكبرى، وهي ولادة نبي الله موسى، ونجاته من جند فرعون، بل تربيته في بيت فرعون نفسه. وقد ذكرت في كتابي تفاصيل قصة موسى عَلَيْهِ السَّلَام التي تُعتبر أطول قصة في القرآن الكريم، إضافة إلى أنها القصة الغنية بالدروس والعبر والفوائد، وبينت المراحل التي مرَّ بها موسى عَلَيْهِ السَّلَام، وهي:

- في نشأته وشبابه

- وهجرته

(١) المصدر السابق، ص ٧١.

(٢) العقيدة اليهودية، د. سعد الدين صالح، دار الصفا، ط ٢، ١٩٩٠م، ص ٥٧.



- ورجوعه إلى مصر، ووحى الله له بالرسالة، وذهابه إلى فرعون وإقامة الحجة عليه، وانتصاره على سحرة فرعون، وانتقام الله من فرعون وقومه حين كذبوا موسى، فأرسل عليهم الجراد والقمل والضفادع والطفوفان والدم؛ حتى طلبوا من موسى أن يرفع عنهم هذا البلاء. وشق البحر أمام أعينهم نصفين بضربة من عصا موسى بعد أن كاد فرعون يلحق بهم، وغرق فرعون وقومه أمام أعينهم، وبعد أن لفحهم الحر في صحراء سيناء، وهم بلا مأوى ولا بيوت، شكوا إلى موسى ما يلقون من العناء، فدعا موسى ربه، فساق الغمام إلى ذلك المكان ليظلهم، وبعد ما كاد طعامهم ينتهي طلبوا من موسى المأكَل والمشرب، فأرسل الله لهم الرياح تحمل لهم المنّ والسلوى. والمنّ: مادة تظهر على أوراق الشجر يميل طعمها إلى الحلاوة. والسلوى: هي طائر السمان.

وبعد أن شعروا بالظماً دعا موسى ربه فاستجاب له، وأخرج الماء من بين الصخور الصماء. ومن عجيب تقدير الله أن يتفجر الماء اثنتي عشر عيناً بعدد أسباط بني إسرائيل، لكل جماعة منهم عين محددة، حتى لا يجور بعضهم على بعض^(١). وهناك تفاصيل كثيرة في قصة موسى عَلَيْهِ السَّلَام، التي تعتبر من أهم المراحل الحضارية التي مرّت بها بنو إسرائيل. ومن أراد التوسع في قراءتها، يمكن مراجعة كتابي: (موسى كليم الله؛ عدو المستكبرين وقائد المستضعفين).

٩- امتناع بني إسرائيل عن دخول الأرض المقدسة في تلك الفترة، ومرحلة التيه:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُومُ أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَ لَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ

(١) المصدر السابق، ص ٦٥.



﴿٢٠﴾ يَقَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا يَمُوسَى إِنَّا فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَنْدْخُلُهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُوا يَمُوسَى إِنَّا لَنَنْدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾

[المائدة: ٢٠-٢٦].

إن هذه القصة التي بين كلیم الله موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وقومه، التي جاءت في سورة المائدة، ونزلت في الفترة المدنية تتحدث عن مرحلة متقدمة في حياة موسى مع قومه، وهم على أبواب الأرض المقدسة التي وعدهم الله في تلك الفترة، وموقفهم كذلك من ميثاق ربهم معهم، وكيف نقضوه، وكيف كان جزاؤهم على نقض الميثاق^(١). هذه الآيات الكريمة تُبَيِّن موقف بني إسرائيل من نبي الله موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ الذي أرسله الله إليهم، وخلصهم على يديه من ظلم فرعون -الذي كان يذبح أبناءهم، ويستحيي نساءهم- وطغيانه، وأنعم الله عليهم إكراماً لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ نعماً جليلة جليلة، كتظليل الغمام، ونبع الماء من الحجر، وإنزال المن والسلوى، وفوق كل ذلك أنزل عليهم التوراة نوراً وهداية. ومع كل هذه النعم وقفوا مع نبي الله موسى موقف الجحود والخذلان عندما طلب إليهم موسى أن

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، ط ١٧، ١٤١٢ هـ (٢/ ٨٦٨).

يجاهدوا في سبيل الله، ويدخلوا الأرض المقدسة، وقبل أن يطلب إليهم ذلك ذكرهم ببعض نعم الله عليهم^(١). وقد تناول العلماء التعليق على ”مرحلة التيه“ التي عاشها بنو إسرائيل؛ بسبب ما فعلوه:

أ- علّق ابن خلدون رَحِمَهُ اللهُ على حكمة الله في التيه، فقال: ”إن حكمة ذلك التيه مقصودة، وهي إفناء الجيل الذين خرجوا من قبضة الذل والقهر والقوة، وتخلّقوا به، وأفسدوا من عصبيتهم، وحتى نشأ في ذلك التيه جيلٌ آخر عزيز لا يعرف الأحكام والقهر، ولا يسام بالمذلة، فنشأت لهم بذلك عصبية أخرى اقتدروا بها على المطالبة والتغلب. ويظهر لك من ذلك أن الأربعين سنة أقل ما يأتي فيها فناء جيل ونشأة جيل آخر. سبحان الحكيم العليم“^(٢).

ب- وقال محمد رشيد رضا رَحِمَهُ اللهُ تعليقاً على هذه القصة: ”إن الشعوب التي تنشأ في مهد الاستبداد، وتساس بالظلم والاضطهاد، تفسد أخلاقها وتذل نفوسها، ويذهب بأسها، وتُضرب عليهم الذلة والمسكنة، وتألف الخضوع، وتأنس بالمهانة والخنوع. وإذا طال عليها أمد الظلم تصير هذه الأخلاق موروثة ومكتسبة، حتى تكون كالغرائز الفطرية والطبائع الخلقية، إذا أخرجت صاحبها من بيئتها، ورفعت عن رقبتها نيرها، ألقيته ينزع بطبعه إليها، ويتفلّت منك ليقتحم فيها“^(٣).

(١) التفسير الموضوعي لسور القرآن، عبد الحميد محمود طهماز، دار القلم، دمشق، ط ١، ١٤٣٥ هـ (٢٨٣/٢).

(٢) مقدّمة ابن خلدون، للعلامة عبد الرحمن بن محمّد بن محمّد بن خلدون، ط المكتبة التجارية الكبرى. القاهرة، بدون تاريخ، (٥٠٢/٢ - ٥٠٣).

(٣) تفسير المنار (تفسير القرآن الحكيم)، محمد رشيد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٠ م (٢٧٩/٦).



وقال أيضا: فعلينا أن نعتبر بهذه الأمثال التي بيّنها الله تعالى لنا، ونتعلم أن إصلاح الأمم بعد فسادها بالظلم والاستبداد إنما يكون بإنشاء جيل جديد يجمع بين البداوة واستقلالها وعزتها، وبين معرفة الشريعة والفضائل والعمل بها. وقد كان يقوم بهذا بعد ختم النبوة ورثة الأنبياء، الجامعون بين العلم وسنن الله في الاجتماع، وبين فترة البصيرة والإخلاص والصدق في حب الإصلاح، وإيثاره على جميع الأهواء والشهوات، ومن يضل الله فماله من هاد.

وهكذا انفصل موسى وأخوه هارون عَلَيْهِمَا السَّلَامُ بمن أطاعهما واتبعهما من بني إسرائيل، انفصلا وافترقا عن الأغلبية الضالة الفاسقة من بني إسرائيل، وتاه بنو إسرائيل الفاسقون في صحراء سيناء، وصاروا يتخبطون بين شعابها ووديانها في حيرة وتيه وضلال وضياح، لا يعرفون ماذا يفعلون، ولا أين يسرون، وهذا ما جنّوه على أنفسهم، وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون^(١). وبدأ أفراد ذلك الجيل يموتون تباعاً، ويخرجون من هذه الدنيا مجلبلين بالذل والضعف والهوان. وهكذا تنتهي حياة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ مع هذا الجيل من بني إسرائيل بعد محاولاته المستمرة للارتقاء بهم، لكنهم لم يتجاوبوا معه لتنتهي حياته معهم بيأسه منهم والتوجّه لتربية أبنائهم على الخشونة والشدة والجهاد. وأما هم فقد غادروا هذه الدنيا تائهين، حيارى، ضائعين^(٢). ويتركهم السياق القرآني هنا في التيه، لا يزيد على ذلك، وهو موقف تجتمع فيه العبرة النفيسة إلى الجمال الفني، على طريقة

(١) القصص القرآني (٣/ ٢٩٢).

(٢) موسى كلم الله، ص ١٠٦٤.



القرآن في التعبير، وكانت هذه بعض آثار المنهج القرآني في التربية بالقصص عامة، وبعض جوانب الحكمة في تفصيل قصة بني إسرائيل^(١).

١٠ - وفاة موسى عَلَيْهِ السَّلَام:

كان موسى عَلَيْهِ السَّلَام من أولي العزم من الرسل، الذين حققوا التوحيد وإفراد الله بالعبادة، وحارب فرعون ونظامه الظالم بالعقل والحكمة والحجج والبراهين، وجعله الله سبباً في إنقاذ بني إسرائيل من النظام الاستبدادي الفرعوني. وقد تميّزت شخصيته العظيمة بصفات جميلة، وأخلاق كريمة: فقد كان كثير الدعاء لله عَزَّجَلَّ، والتضرع بين يديه، وشديد الخوف منه، ومتوكلاً عليه، وصابراً على تكاليف الدعوة ومشاقها صادقاً مع ربه، شجاعاً لا يخاف إلا الله، عالماً وحكيماً وأميناً وقوياً ورحيماً ومُعيناً للمستضعفين، وغير ذلك من الأخلاق الحميدة، والصفات الكريمة التي عاش بها وسط الناس، ودعا إليها وعلمها لمن استجاب لدعوته. وقد أسهمت تلك المنظومة الأخلاقية المتينة في التأسيس الأخلاقي والمنهج الرباني، الذي سار عليه الموحّدون لله عَزَّجَلَّ في عهده وبعد وفاته، ومن أهم تلك الأخلاق والصفات: الإخلاص والصبر، عبوديته لله، تعظيم موسى عَلَيْهِ السَّلَام لربه وخوفه، والتّوكل على الله، والشكر، والإحسان والعلم، والقوة الإيمانية، وكثرة الدعاء والتواضع، والاعتراف بالخطأ، والشهامة ومساعدة الضّعفاء، والعزيمة. فقد استمر بنو إسرائيل في التيه بسيناء، وواصل موسى عَلَيْهِ السَّلَام مسيرته ودخول الأرض المقدسة لتربيتهم على قيم الجهاد،

(١) المصدر السابق نفسه.



وخلال هذه الفترة توفي نبي الله هارون عَلَيْهِ السَّلَامُ، فقد كان هارون عَلَيْهِ السَّلَامُ حيًّا مع بداية التيه، قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي ۖ فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ (٢٥) قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾ [المائدة: ٢٥، ٢٦]، ولم يرد له ذكر في القرآن، ولا في الحديث الصحيح بعد ذلك.

وتحدّثت الإسرائيليات كثيراً عن وفاة هارون عَلَيْهِ السَّلَامُ، وفصلت في ذلك، فذكرت اتهام بني إسرائيل لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في قتل هارون، ودفاع موسى عن نفسه. وحدّدت المكان الذي دُفن فيه هارون، لكننا لن نذهب مع تلك الإسرائيليات، ونؤمن بما ورد في الآيات القرآنية والأحاديث الصحيحة. وبعد وفاة هارون استمرّ موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ يرّبي الجيل الجديد من بني إسرائيل، ويساعده في ذلك فتاه الصّالح يوشع بن نون.

وأخيراً حان أجل موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقدّر الله أن ينهي حياته التي عاشها في الابتلاءات والمحن وواجهها بالصبر والثبات والاحتمال، وبذل جهده في تربية بني إسرائيل والارتقاء بهمهم وعزائمهم. وجاءه الأجل، وهو يرّبي الجيل الجديد من قومه، ويُعدّهم لدخول الأرض المقدسة^(١). عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -في حديث الإسراء والمعراج - قال: «مررت على مُوسَى لَيْلَةً أُسْرِي بِي عِنْدَ الْكُتَيْبِ الْأَحْمَرِ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي قَبْرِهِ»^(٢).

(١) القصص القرآني (٣/٣٣٢).

(٢) رواه مسلم، رقم ٢٣٧٥.

أي: أن رسول الله شاهد موسى عَلَيْهِ السَّلَام قائماً يُصَلِّي في قبره عند الكثيب الأحمر، وهو في طريقه من المسجد الحرام في مكة إلى المسجد الأقصى في بيت المقدس في رحلة الإسراء والمعراج^(١).

قال الشيخ صلاح الخالدي: إن طريق الإسراء كانت هي الطريق ما بين الحجاز وبلاد الشام، فلعل الكثيب الأحمر المذكور في الحديث في منطقة معان جنوب الأردن أو منطقة وادي عربة، أو منطقة شرق نهر الأردن. ويدل الحديث على أن موسى عَلَيْهِ السَّلَام حي في قبره، وحياته خاصة ليست بمقاييس حياتنا الدنيا لأنه غادر هذه الحياة، إنما حياته حياة برزخية تليق به. ومعلوم بأن الأنبياء أحياء في قبورهم، يحيون حياة خاصة، وأن الأرض لا تأكل أجسامهم. وكان موسى عَلَيْهِ السَّلَام قائماً في قبره يُصلي لله سبحانه، وهي صلاة خاصة، وذكر لله وثناء عليه، وليست تكليفاً، لأنه لا تكليف بعد الموت^(٢).

والخلاصة: لا يمكننا تحديد المكان الذي دفن فيه موسى عَلَيْهِ السَّلَام، فكل ما ذكره الحديث أن قبره بجانب الطريق عند الكثيب الأحمر، كما أن هذا القبر والكثيب الأحمر ليسا في الأرض المقدسة، وإنما هما على مشارفها على بُعد رمية حجر منها، لأن موسى عَلَيْهِ السَّلَام تُوِّفِّي قبيل دخول قومه الأرض المقدسة، وهم دخلوها بعد دفنه، وكانوا بقيادة خليفته يوشع بن نون ولم يأخذوه معهم، ولم يدفنوه في الأرض المقدسة، لأن كل نبي يدفن في المكان الذي تُوِّفِّي فيه^(٣).

(١) القصص القرآني (٣/ ٣٤٠).

(٢) المصدر السابق، (٣/ ٣٤١).

(٣) المصدر السابق نفسه.



ودليل ذلك ما رواه أحمد والترمذي عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: (أَنَّ أَصْحَابَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَدْرُوا أَيْنَ يَقْبَرُونَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَتَّى قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «لَنْ يُقْبَرَ نَبِيٌّ إِلَّا حَيْثُ يَمُوتُ»^(١). وروى ابن ماجه: عن أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَا قُبِضَ نَبِيٌّ إِلَّا دُفِنَ حَيْثُ يُقْبَضُ»^(٢)؛ وهذا معناه أن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ دُفِنَ فِي الْمَكَانِ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ، وَلَمْ يَدْفَنِ فِي الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ، وَلَمْ يَنْقَلْ إِلَيْهَا. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وهكذا انتهت حياة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وبقيت سيرته وقصته التي عاشها الله ومع الله وبالله وفي سبيل دعوة التوحيد، وتعليم الناس عبادة الله وشرعه، وإنقاذ المستضعفين، وإقامة الحججة على الفراعنة الجاحدين. لقد عاش موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، واستطاع أن يُرسي قواعد حضارة ربانية أسست على تقوى الله وتوحيده، واكتملت تلك الحضارة بعد وفاته في عهد طالوت، وداوود، وسليمان عَلَيْهِمُ السَّلَامُ؛ فأصبحت لبني إسرائيل دولة داوود، ثم سليمان عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، بعدما كانوا مستضعفين تحت حكم الفراعنة^(٣).

١١ - يوشع بن نون ودخول الأرض المقدسة:

وكان يوشع بن نون من قادة الجيل الجديد الذي اهتم موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بتربيته وإعداده، وتحصل يوشع بن نون من موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ على رعاية خاصة، ولازمه في الحضر والسفر والحل والترحال، وتميّز بين أقرانه بالعلم والأخلاق، والتمسك

(١) مسند أحمد، رقم ٢٧، حديث قوي بطرقه.

(٢) سنن ابن ماجه، رقم ١٦٢٨.

(٣) موسى كليم الله، ص ١٢٥٩.

بشرع الله عزَّ وجلَّ، وبعد وفاة موسى عَلَيْهِ السَّلَام تولى قيادة بني إسرائيل يوشع بن نون، وكان من صالحهم، وقد اختلف العلماء في نبوة يوشع بن نون؛ فذهب بعضهم إلى أنه نبي، وتوقف آخرون في القول بنبوته، لعدم وجود حديث صريح بذلك. وأما أهل الكتاب من اليهود والنصارى، فيعتقدون أنه نبي واسمه عندهم (يشوع) وله سفر خاص وهو السفر السادس من أسفار العهد القديم، الذي يسمونه (سفر يشوع)^(١).

أ- حجة من قالوا بنبوته يوشع:

إن الذين قالوا بنبوته يوشع اعتمدوا على حديث في الصحيحين، إذ روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «غزا نبي من الأنبياء فقال لقومه: لا يتبعني رجلٌ مَلَكٌ بضع امرأة وهو يريد أن يبني بها و لَمَّا بين بها، ولا أحد بنى بيوتاً لم يرفع سقوفها، ولا أحد اشترى غنماً أو خِلِفَاتٍ وهو ينتظر أولادها، فغزا فدنا من القرية صلاة العصر أو قريباً من ذلك، فقال للشمس: إنك مأمورة وأنا مأمور، اللهم احبسها علينا، فحبست حتى فتح الله عليه، فجمع الغنائم فجاءت -يعني النار- لتأكلها فلم تطعمها، فقال: إن فيكم غُلُولاً، فليبايعني من كل قبيلة رجلٌ، فلزقت يد رجل بيده، فقال: فيكم الغُلُول فلتبايعني قبيلتك، فلزقت يد رجلين أو ثلاثة بيده، فقال: فيكم الغُلُول، فجاءوا برأس مثل رأس بقرة من الذهب، فوضَعَهَا فجاءت النار فأكلتها، فَلَمَّ تَحَلَّ الغنائمُ لِأَحَدٍ قَبْلَنَا، ثُمَّ أَحَلَّ الله لنا الغنائمَ لَمَّا رَأَى ضَعْفَنَا وَعَجَزَنَا فَأَحَلَّهَا لَنَا، متفق عليه^(٢).

(١) القصص القرآني (٣/٣٦٢).

(٢) أخرجه البخاري، برقم ٥١٥٧، ومسلم برقم ١٧٤٧، وانظر: الأحاديث الصحيحة، رقم ٢٣٦٦ =.



ب- ومن قال بعدم نبوة يشوع:

هذا الفريق رأى بأن الحديث النبوي في الصحيحين، إنما أبهم اسم النبي واسم القرية واسم القوم.

والخلاصة: أنه ذهب كثير من العلماء إلى أن هذا النبي هو يوشع بن نون، وأن القوم هم بنو إسرائيل. وذهب بعضهم إلى أن المراد بالقرية بيت المقدس. وأبقى علماء آخرون الإبهام في الحديث على ما هو عليه فلم يُعيّنوا اسم النبي ولا اسم القرية؛ لأنه لم يَعيّن في الحديث، ولا توجد أحاديث صحيحة غير هذا الحديث تبيّن ذلك، وتُزيل الإبهام. ونحن مع الفريق الثاني: فلا بد أن يعتمد الذين قالوا بنبوة يوشع من خلال الحديث على حديث آخر صريح صحيح. إننا لا نملك حديثاً صحيحاً مرفوعاً للنبي ﷺ يصرح أن النبي المذكور هنا هو يوشع بن نون، أو يصرح أن يوشع نبي، ولو وجدنا ذلك لقلنا به.

وقد قال الدكتور الخالدي رَحِمَهُ اللهُ: الراجع إذن أن يوشع بن نون ليس نبياً، لعدم وجود حديث صريح مرفوع بذلك، فهو رجل صالح كان متابعا لموسى عَلَيْهِ السَّلَام، وهو من أصلح وأفضل بني إسرائيل، ولما توفي موسى عَلَيْهِ السَّلَام تولى يوشع بن نون قيادة بني إسرائيل، وحكم فيهم على أساس التوراة وطبق فيهم شرع الله. تولى يوشع قيادة بني إسرائيل قبل دخولهم الأرض المقدسة، وقام بإعدادهم للجهاد، ليدخلوا الأرض المقدسة مجاهدين، ودخل يوشع ببني إسرائيل الأرض

= وانظر: القصص القرآني (٣/٣٦٦). ”من حكمة هذا النبي وفطنته أنه أراد أن يكون الجنود الخارجين للجهاد متفرغين تفرغا كاملا، حتى في خواطهم ومشاعرهم، لئلا يشغلهم عن الجهاد شاغل“. (د. الخالدي، المصدر السابق).



المقدسة، وقاتلوا الكافرين الذين فيها، ونصرهم الله على أولئك الكافرين ومكّن لهم في الأرض المقدسة، وصار يوشع يفتتح القرى والمدن فيها^(١).

ج- يوشع بن نون المجاهد الصالح:

دخل يوشع بن نون ببني إسرائيل الأرض المقدسة، وكانوا مؤمنين صالحين معه، وكان هو رجلاً مؤمناً صالحاً، ومجاهداً شجاعاً. إن يوشع بن نون الرجل الصالح مثال للقائد الشجاع، والمؤمن المجاهد، القوي العادل، وكان جهاده للكفار في الأرض المقدسة جهاداً إيمانياً، قائماً على العد ونصر الحق. وقد صورت الإسرائيليات يوشع بأنه سفاك الدماء، الذي كان يُبِيد كل ما يجده أمامه من مدن وقرى الأرض المقدسة إبادة؛ يُبِيد كل الرجال والنساء والأطفال، ويُبِيد المواشي والحيوانات. و(سفر يشوع) هو السفر السادس من أسفار العهد القديم، ويستحق أن يُسمّى (سفر المذابح والمجازر)، وقد وضعه وكتبه أحبار اليهود الكاذبون الإرهابيون، ونسبوا إلى يوشع -أو يشوع- تلك المذابح والمجازر.

و(سفر يشوع) من المواد الأساسية في التربية اليهودية، ويُربي اليهود أولادهم عليه ويُلقنونهم إياه، ويدعونهم للاقتداء بيشوع في التعامل مع خصومهم؛ وما مذابح اليهود المعاصرة ضد أهل فلسطين والعرب إلا نتاج التربية اليهودية على

سفر يشوع الإرهابي!!

(١) القصص القرآني (٣/٣٦٥). وانظر: البخاري رقم ٥١٥٧، ومسلم رقم ١٧٤٧، والأحاديث الصحيحة، رقم ٢٣٦.



أما يوشع بن نون -زعيم الجيل الجديد بعد موسى عَلَيْهِ السَّلَام- فإنه بريء من كل ما ألصقه به أحبار اليهود من مذابح ومجازر، فما كان إلا مؤمناً صالحاً ومجاهداً شجاعاً، وكانت فتوحاته في الأرض المقدسة نشراً للحق، ومحاربة للباطل، وكان يتعامل مع الآخرين وفق أحكام شريعة الله. ولم يفتح يوشع كل مدن وقرى الأرض المقدسة وإنما افتتح بعضها، ورتب إقامة بني إسرائيل فيها^(١). ويرى الأستاذ محمد علي دولة رَحِمَهُ اللهُ وهو ممن يرى أن يوشع بن نون نبي، بأن بني إسرائيل بعد دخولهم الأرض المقدسة كانت تساس من الأنبياء -ابتداءً من النبي يوشع وحتى النبي صمويل الذي أقام لهم أول ملك، تلبية لرغبتهم وهو الملك (طالوت) الذي تسميه أسفارهم (شاؤول). ولقد بقي هذا الجيل الذي قاده يوشع بن نون إلى الفتح على جادة الاستقامة، متمسكاً بأحكام التوراة وهدى الأنبياء مدة بقاء يوشع فيهم، وهي ست وعشرون سنة، وبعد أن انتقل يوشع هو وجيل الكبار الذين كانوا معه إلى جوار ربهم بدأ الانحراف السريع في سلوك القوم، وهانت عليهم الذنوب فاقترفوا صغارها، ثم تجرؤوا على كبارها، وهكذا عم الفساد معظم جنات هذا المجتمع الذي رُبِّي على أعين الأنبياء؛ ليقوم بمهمة التبشير بدين الله، وانتشر في بني إسرائيل العُلو والكبرياء، وكثرت الإساءات للأقوام الذين فتحوا بلادهم، والذين أوصت التوراة بحسن معاملتهم والإحسان إليهم^(٢).

(١) القصص القرآني (٣/٣٦٦).

(٢) كلام في اليهود، مجموعة مقالات في اليهود وفي دولتهم المعاصرة، محمد علي دولة، دمشق، =

ويصف صاحب قصة الحضارة ما فعله بنو إسرائيل بالكنعانيين قائلاً: كانت هزيمة العبرانيين للكنعانيين مثلاً واضحاً لانقضاخ جموع جياح على جماعة مستقرين آمنين، وقد قتل العبرانيون من الكنعانيين أكثر من استطاعوا قتلهم، وسبوا ما بقي من نسائهم، وجرت دماء القتلى أنهاراً، وكان هذا الفعل - كما تقول نصوص الكتاب المقدس - فريضة الشريعة التي أمر بهار ب موسى وزكاة للرب!! ولما استولوا على إحدى المدن، قتلوا من أهلها اثني عشر ألفاً، وأحرقوا وصلبوا حاكمها... ولنا نعرف من تاريخ الحروب مثل هذا الإسراف في القتل والاستمتاع به. وطبق يوشع قانون الطبيعة الذي يقول: إن أكثر الناس قتلاً هو الذي يبقى حياً، وبهذه الطريقة التي لا أثر فيها للعواطف استولى اليهود على الأرض الموعودة^(١).

وقد علق الدكتور الخالدي رَحِمَهُ اللهُ على (سفر يوشع) وما نسب إليه من الفظائع، وبين بطلان ما نسبوه ليوشع بن نون عَلَيْهِ السَّلَام^(٢). ويبدو أن صاحب قصة الحضارة (ول ديورانت) وقع في المحذور في نسبة الأكاذيب والأباطيل إلى يوشع بن نون.

= دار القلم، ط ١، ٢٠١٣ م، ص ٤٦.

(١) قصة الحضارة، ول ديورانت، تقديم محي الدين صابر، ترجمة زكي نجيب محمود، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع، بيروت، د.ت، (٢/ ٣٢٦)، باختصار.

(٢) القصص القرآني (٣/ ٣٦٦).



د. مخالفات بني إسرائيل بعد يوشع بن نون عَلَيْهِ السَّلَام:

توفي يوشع بن نون بعد ذلك، وتولى قيادة بني إسرائيل آخرون، واستقروا في المناطق المفتوحة من الأرض المقدسة ولا يعنينا هنا الحديث عنهم في هذه المرحلة.

كل ما نقوله إنهم لم يكونوا جادين في الالتزام بشرع الله، ولا ثابتين على الحق، وإنما كانت تغلب عليهم طبيعتهم القائمة على التفلت والتمرد والمخالفة والعصيان، وقد أورد القرآن مثلاً لتمردهم ومخالفتهم، بعدما استقروا في الأرض المقدسة.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ٥٨﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿البقرة: ٥٨، ٥٩﴾.

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ١٦١﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴿الأعراف: ١٦١، ١٦٢﴾.

وخلاصة معنى هذه الآيات: أن الله يُخبرنا عن بعض مخالافات بني إسرائيل، فلما مَنَّ الله تعالى عليهم بالنصر على أعدائهم، أمرهم بشكره على تلك النعمة، وذلك بأن يدخلوا باب القرية ساجدين شاكرين له، وأن يطلبوا منه وضع ذنوبهم وحطَّها ومغفرتها، فإن فعلوا ذلك فإن الله سيستجيب لهم، ويغفر لهم ذنوبهم



ويحطّ عنهم سيئاتهم، ولكنّ طبيعتهم المتفلّته المتمردة تأبى عليهم الالتزام بأوامر الله، فلمّا نصرهم الله على أعدائهم لم يدخلوا باب القرية ساجدين، وإنما دخلوا يزحفون على مؤخراتهم وأستاهم، كما يفعل الأطفال الصغار، وبدل أن يقولوا: حطّة، قالوا: حبة في شعرة، وبهذا بدلوا قولاً غير الذي قيل لهم، وتمردوا على الأمر الرباني وحرّفوه وغيروه، وبذلك استحقوا العذاب من الله.

ونرى بأن الآيات أبهمت اسم القرية، فهي قرية في الأرض المقدسة، ولعل ذلك كان بعد فترة من وفاة يوشع بن نون، في مرحلة لاحقة من مراحل إقامتهم في الأرض المقدسة، بدليل أن الله عاجلهم بالرجز والعذاب عقاباً لهم، ولم يكن ذلك العذاب في عهد يوشع بن نون، والله أعلم^(١).

هـ- تبديل بني إسرائيل أوامر الله قولاً وفعلاً، والحديث في ذلك:

وضح الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مخالفتهم لأمر الله التي أشارت لها الآيات، وروى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «قيل لبني إسرائيل: ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ فبدّلوا، فدخلوا يزحفون على أستاههم، وقالوا: حبة في شعرة». متفق عليه.

إنّ المخالفة كانت عندهم هدف بحد ذاته، وإلا فما معنى (حبة من شعرة)؟ ولا معنى لهذا الكلام؛ المهم هو أن لا يدخلوا باب القرية ساجدين، وأن لا يقولوا حطّة. قال الإمام ابن حجر في شرح الحديث:

(١) القصص القرآني (٣/٣٦٨).



قال الحسن: ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾: أي احطط عنا خطايانا وفي: مسألتنا حطة، فبدّل الذين ظلموا بالذي قيل لهم قولاً غير الذي قيل لهم، وقالوا: ”حبة في شعرة“. وأكثر الرواة على رواية: (حبة من شعرة).

وفي رواية الكُشْمِهيني: (حبة من شعيرة)، ومن الشعير. والحاصل أنهم خالفوا ما أمروا به من القول والفعل: فإنهم أمروا بالسجود عند انتهائهم من الفتح، شكراً لله، وأمروا بأن يقولوا حطة، فبدلوا السجود بالزحف، وقالوا: حنطة بدل حطة، أو قالوا حطة وزادوا فيها حبة في شعيرة^(١).

و- الله يعاقبهم بالرجز والطاعون:

لما بدل بنو إسرائيل أمر الله قولاً وفعلاً أوقع الله بهم العذاب، فأنزل عليهم الرجز ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾.

وكان العقاب لهم فورياً وسريعاً، بدلالة الفاء في قوله ﴿فَأَنْزَلْنَا﴾ التي تدل على الترتيب مع التعقيب الفوري؛ أي أن إنزال الرجز عليهم كان فوراً بعد تبديلهم. والرجز هو العذاب. قال الإمام الراغب: أصل الرجز: الاضطراب، ومنه قيل: رجز البعير رجزاً وناقته رجزاء: إذا تقارب خطوها واضطرب، لضعف فيها^(٢).

(١) صحيح البخاري (٣١٢/٦). وانظر فتح الباري (٢٢٩/٨). وانظر في تفسير ابن كثير (١٨٠/١).

(٢) القصص القرآني (٣٦٩/٣).



وسُمِّي العذاب رجزاً؛ لأنه يقود إلى اضطراب وزلزلة وحركة القوم المعذبين، والرجز في الآية مبهم، وقد بيَّنه رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأنه الطاعون؛ روى البخاري ومسلم عن أسامة بن زيد: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الطَّاعُونُ رَجَسٌ أُرْسِلَ عَلَى طَائِفَةٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ - أَوْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ - فَإِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بَأْزُضٍ، فَلَا تَقْدُمُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا، فَلَا تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ»^(١). ولم يُفَصِّل الحديثُ في تعذيبهم بالطاعون، وإنما أبقاه مُجْمَلاً، فلا نعرف تفصيلاً، ولا نخوض في ذلك.

وهكذا كانت إقامة بني إسرائيل في الأرض المقدسة تقوم على المخالفة والمعصية، وكان الله يعاقبهم لأنواع العذاب، بسبب فسقهم وظلمهم، ويوقع بهم غضبه ويُحل عليهم لعنته^(٢).

١٢ - عهد القضاة:

بقي رجال بني إسرائيل في الأرض المقدسة (فلسطين)، وذلك بعدما عبروها مع فتى موسى عَلَيْهِ السَّلَام قائلهم يوشع بن نون، وبذلك انتهت حياة البداوة والخشونة والترحال إلى شبه حضارية مستقرة؛ فسكنوا المدن والقصور بعد الخيام في الصحراء، وكانوا مع ذلك في حروب دائمة مع من جاورهم من الفلسطينيين، وحروب داخلية مع أسباطهم الاثني عشر، كما كانت تسودهم الفوضى والانتكاس في العبادة أيضاً^(٣).

(١) البخاري، رقم ٣٤٧٣. وانظر: صحيح مسلم، رقم ٢٢١٨.

(٢) القصص القرآني (٣/ ٣٧٠).

(٣) داود في الأسفار اليهودية، مي المدهون، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى - مكة المكرمة، ١٤٢٠ - ١٤٢١هـ، ص ٦١٥.



ويبدأ عصر القضاة بموت يوشع بن نون، وينتهي بقيام الملكية على يد طالوت (شأؤول في التوراة). وهناك نوعان من القضاة.

أ- النوع الأول:

هم الذين يفصلون في الدعوى بين المتخاصمين، فقد كان موسى عليه السلام يقضى للشعب وحده من الصباح إلى المساء؛ فنصحته (يثرون) بأن يعلم الشعب الفرائض والشرائع، ثم يختار ذوي قدرة وخائفين من الله ومبغضين للرشاوي، وليقيمهم على الشعب على رؤساء ألوف ومئات وعشرات ليقضوا للشعب في الدعاوى الصغيرة. أما الدعاوى الكبيرة فيأتون بها إلى موسى عليه السلام. والقضاة من هذا النوع كان عددهم كبيراً جداً ومتواجدين منذ بداية التيه مع موسى عليه السلام وبعده.

ب- النوع الثاني:

هو بمعنى المخلص، وهو ما ورد في سفر القضاة (وأقام لهم الرب قضاة، فخلصوهم من يد ناهبيهم). وهذا النوع بمعنى المخلص هم الذين ورد ذكرهم في فترة القضاة، وفي عهد القضاة. تذكر كتب التاريخ التي اعتمدت على سفر القضاة وغيرها من الكتب؛ بأن بني إسرائيل ارتدوا عن عبادة الله سبع مرات، وعبدوا الأصنام، وهو ما كان سبباً في تسليط الأعداء عليهم، وكان من قضااتهم من يلم شعث المتفرقين، ويجمع شملهم. وكان منهم من يقوم برد غارة أو دفع عدو عنهم، ومنهم من تولّى الحكم طوال حياته، ومنهم من فسد في حكمه،

وولّى أولاده في القضاء. ولقد سطر سفر القضاة سيرتهم وأحوالهم وما أصابهم من نكبات وقعت بهم.

ومن قراءة عهد القضاة من خلال سفر القضاة نستخلص: أن عهد القضاة أسوأ عهود بني إسرائيل؛ ففيه انتشرت الرذائل والمنكرات بينهم، وعبدوا الأصنام، وقتلوا الصالحين، وفشا بينهم الزنا، وترتب على ذلك أن تعرضوا خلال عهد القضاة لنكبات وغارت عليهم من غيرهم. وقد تحدثت كتب كثيرة عن أسماء القضاة، وسيرهم وعهدهم وسماتهم ومدتهم، واختلفوا في ذلك اختلافاً بيناً. ومن أهم هذه الكتب:

- بنو إسرائيل منذ دخولهم فلسطين وحتى الشتات الروماني في عام ١٣٥م، الدكتور محمد بيومي مهران.

- المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم، لمؤلفه: محمد علي البار.
- دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، للدكتور سعود عبد العزيز الخلف.
- دراسات في اليهودية والمسيحية في أديان الهند، للدكتور محمد ضياء الأعظمي.

- دراسات تاريخية من القرآن في بلاد الشام، للدكتور محمد بيومي مهران.
- التاريخ العسكري لبني إسرائيل من خلال كتبهم (قراءة جديدة للعهد القديم)، لكاتبه اللواء الركن المتقاعد الدكتور: ياسين سويد.

أما أرجح الأقوال فيما يتعلق بمدة عهد القضاة، فيمكننا أن نستعين في هذا الموضوع بما ذكره ابن خلدون في مقدمته حين قال: إن للدولة أعماراً طبيعية كالأشخاص، وذكر قياس عمود النسب قائلاً: يجري على ألسنة الناس في



المشهور أن عمر الدولة مائة سنة، فاعتبره واتخذ منه قانوناً يصحح لك عدد الآباء في عمود النسب الذي تريده من قبل معرفة السنين الماضية، إذا كنت قد اقتربت في عددهم وكانت السنوات الماضية منذ أولهم محصلة لديك، فعُدَّ لكل مائة من السنين ثلاثة من الآباء، فإن نفّذت كل هذا القياس مع نفوذ عددهم فهو صحيح، وإن نقصت عنه بجيل، فقد غلط عددهم بزيادة واحد في عمود النسب، وإن زادت بمثله فقد سقط واحد، وكذلك تأخر عدد السنين من عددهم، إذا كان محصلاً لديك فتأمله، تجده صحيحاً. والله يقدر^(١). وعليه تكون مدة عهد القضاة ١٢٠ - ١٣٠ عاماً. والله أعلم^(٢).

ولا شك أن كتب العهد القديم المتعلقة بسفر يشوع وسفر القضاة، تعرضت لمبالغاتٍ وأكاذيبٍ بعيدةٍ عن الدقة والحقيقة والمصادقية، كما أنها تعرضت للتحريف والتبديل بسبب الأهواء؛ فقد حاولوا إقناع الناس من خلال تزوير حقائق التاريخ بأن جذورهم التاريخية بالأرض المقدسة استمرت قرونًا عدة، مضى معظمها في حروب وتناوش مع سكان الأرض الأصليين -الفلسطينيين- وإن شيدوا فيها أعظم مملكة لهم، ولكنها كانت قائمة على التوحيد الخالص لله، ومع ذلك لم تصمد أكثر من قرن من الزمان -ملك داوود وسليمان عَلَيْهِمَا السَّلَام- لردّتهم وتمردهم وعصيانهم، فأشركوا بالله وعبدوا الأصنام والأوثان، فسلط عليهم من مزق ملكهم بما كسبت أيديهم. والله عزيز ذو انتقام^(٣). وإن في إزالتهم سنة لله في الاستخلاف والعمارة والتمكين في الأرض.

(١) مقدمة ابن خلدون، ص ١٧١ - ١٧٢.

(٢) داوود وسليمان عَلَيْهِمَا السَّلَام في الأسفار اليهودية، ص ١٦٠.

(٣) المصدر السابق نفسه.



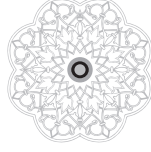
١٣ - المدة الزمنية بين موسى وداوود عَلَيْهِمَا السَّلَام:

توفي موسى عَلَيْهِ السَّلَام في التيه، وأجمع العلماء على أن فترة التيه ٤٠ سنة كما نصَّ عليها القرآن الكريم، وسبق أن وضحنا استنتاجاً أن مدة عهد القضاة ١٢٠ سنة، وذكرت كتب العهد القديم أن حكم شاؤول استمر سنتين، وبعدها تولى الملك داوود عَلَيْهِ السَّلَام فتكون الفترة الزمنية بين وفاة موسى عَلَيْهِ السَّلَام وتولي داوود عَلَيْهِ السَّلَام الملك كما يأتي:

٤٠ عاماً في التيه + ١٢٠ عاماً عهد القضاة، + سنتان ملك شاؤول = وهي ما تعادل ١٦٢ عاماً، أي أكثر من قرن ونصف القرن تقريباً. والله أعلم. وهو مخالف لما ذكره العلامة المفسر ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ من أن المدة بين داوود وموسى ما ينيف عن ألف سنة^(١).



(١) المصدر السابق، ص ١٦٢.



المبحث الأول

ملوك بني إسرائيل في سورة البقرة طالوت وداود عَلَيْهِمَا السَّلَام

قال تعالى ﴿الَمْ تَر إِلَى الْمَلَا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لَنَبِيِّ لَّهُمْ أُبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَانَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِعَ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلْكُوا اللَّهَ كَمِ مِّن فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةٌ كَثِيرَةً بِأِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ

الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا
وَتَبَّتْ أَقْدَامُنَا وَأَنْصَرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ
وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا
يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ
ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٥١﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ
وَإِنَّكَ لِمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿البقرة: ٢٤٦-٢٥٢﴾.

هذه الآيات الكريمة تقص علينا إحدى مراحل أمة بني إسرائيل الحضارية، وقصص بني إسرائيل في القرآن الكريم من أكثر القصص وروداً في القرآن الكريم، لأسباب عدة، ذكرنا بعضها في كتابي: (موسى كليم الله عدو المستكبرين وقائد المستضعفين)، جاءت بوفرة وتنوع؛ لأن الله عَزَّوَجَلَّ علم أن أجيالاً من هذه الأمة المسلمة ستمر بأمور كالتى مرَّ بها بنو إسرائيل، وتقف من دينها وعقيدتها مواقف شبيهة لمواقف بني إسرائيل فعرض عليها مزلق الطريق، مصورة في تاريخ بني إسرائيل، لتكون لها عظة وعبرة، ولترى صورتها في آيات الذكر الحكيم قبل الوقوع في تلك المزلق أو اللجاج فيها على مدار الطريق.

إن هذا القرآن ينبغي أن يُقرأ، وأن تتلقاه أجيال الأمة المسلمة بوعي، وينبغي أن يتدبر على أنه توجيهات حية تنزل، لتعالج مسائل اليوم، ولتنير الطريق إلى المستقبل، لا على أنه مجرد كلام جميل يُرتل أو على أنه سجل لأحداث وظواهر ومواقف مضت، ولن تعود.



ولن ننتفع بالقرآن الكريم حتى نقرأه، ونلتمس عنده توجيهات حياتنا الواقعة في يومنا وفي غدنا؛ وحين نقرأ القرآن بهذا الوعي سنجد عنده ما نريد وسنجد فيه عجائب لا تخطر على البال الساهي^(١).

إن هذه الآيات الكريمة تحدثنا عن تجربة حياة بني إسرائيل من بعد موسى عَلَيْهِ السَّلَام، وبعدهما ضاع ملكهم، ونهبت مقدساتهم، وذلوا لأعدائهم، وذاقوا الويل بسبب انحرافهم عن هدى ربهم، وتعاليم نبيهم، ثم انتفضت نفوسهم انتفاضة جديدة، واستيقظت في قلوبهم العقيدة، واستفاقوا للقتال في سبيل الله، فقالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله، ومن خلال هذه التجربة - كما يعرضها السياق القرآني - تبرز جملة حقائق، تحمل إichاءات يستفيد منها كل جيل؛ حتى يرث الله الأرض ومن عليها. والعبرة الكلية التي تبرز من القصة كلها هي أن هذه الانتفاضة - انتفاضة العقيدة - على الرغم من كل ما اعترأها أمام التجربة الواقعة من نقص وضعف، ومن تخلي القوم عنها فوجاً بعد فوج في مراحل الطريق، على الرغم من هذا كله فإن ثبات قلة قليلة من المؤمنين عليها قد حقق لبني إسرائيل نتائج ضخمة جداً: حيث كان فيها النصر والعز والتمكين بعد الهزيمة المنكرة والمهانة الفاضحة، والتشريد الطويل والذل تحت أقدام المتسلطين. ولقد جاءت لهم بملك داود ثم ملك سليمان عَلَيْهِمَا السَّلَام، وهذه أعلى قمة وصلت إليها دولة بني إسرائيل في الأرض، وهي عهدهم الذهبي الذي يتحدثون عنه، والذي لم يبلغوه من قبل، وكان هذا النصر كله ثمرة مباشرة

(١) في ظلال القرآن (١/ ٢٦٢).



لا تنفاضة العقيدة من تحت الركام وثبات قلة قليلة عليها أمام جحافل جالوت^(١)، وإليكم تفسير الآيات السابقة:

أولاً: قوله تعالى: ﴿الْمَرَّ إِلَى الْمَلَا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لَهُمْ أبعثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَاءِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٦].

تفسير الآية الكريمة:

١- ﴿الْمَرَّ إِلَى الْمَلَا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى﴾:

- ﴿الْمَرَّ﴾: الخطاب هنا إلى الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، خطاب زعيم الأمة خطاب له وللأمة؛ لأنها تتبع له، وإما أنه خطاب لكل من يتوجه له الخطاب، فيكون عامًّا باعتبار التبعية للمخاطب به أولاً؛ وهو الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والثاني عامٌّ باعتبار وضعه؛ بمعنى: ألم تر أيها المخاطب، و(ترى) هل المراد تنظر أو تسمع، أو تعلم؟ الفعل هنا عُدِّي بـ(إلى)؛ فتعيّن أن يكون من رؤية العين. ولو عُدِّي بنفسه لأمكن أن يكون المراد بالرؤية للعلم؛ فإذا كان كذلك فإنه يلزم أن يكون المعنى: ألم تر إلى شأن بني إسرائيل، لأن من المعلوم أننا نحن - بل كذلك الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لم نشاهده. ويمكن أن نقول: إنها عديت بـ(إلى)؛ وهو

(١) في ظلال القرآن، (١/ ٢٦٢).



بمعنى النظر؛ لأن الإخبار بها جاء من عند الله، وما كان من عند الله كالمرئي بالعين، بل أشد وأبلغ. والظاهر في الاستفهام -هنا- أنه للتشويق: يعني يشوقنا أن ننظر إلى هذه القصة لنعتبر بها؛ لأن التقرير إنما يكون في أمر كان معلوماً للمخاطب، فيقرّ به، كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [الشرح: ١]. وأما هذا فهو أمر ليس معلوماً للمخاطب إلا بعد أن يخبر به، فيكون للتشويق، مثل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تَجْرَةِ تُجَيِّمٍ مِّنْ عَذَابِ إِلِيمٍ﴾ [الصف: ١٠]. وقوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾ [الغاشية: ١]، وما أشبهها. وأما لو كان يخاطب من كان عالماً بها لقلنا: إن الاستفهام للتقرير^(١).

- ﴿الْمَلَأْنَا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾: أي الأشراف والوجهاء الذين يملؤون العيون والنفوس بمظهرهم وشارتهم. وقد كشفت الآيات الكريمة عن أبطال القصة وعينت زمانهم، فهم من بني إسرائيل الذين عاشوا بعد عهد موسى عَلَيْهِ السَّلَام^(٢).

- ﴿مِنْ بَعْدِ مُوسَى﴾: بيان لزمان تلك الهزيمة، فذكر أنه من بعد موسى، ولم يبين الزمان بالتحديد. وذكر كونه من بعد موسى للإشارة إلى أن تلك الهزيمة كانت بعد أن أخرجهم موسى من ذل فرعون الذي كان يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم، وبعد أن ظهر منهم الضعف، حتى إن موسى عَلَيْهِ السَّلَام لما دعاهم لأن يدخلوا الأرض المقدسة ظهر خورهم وضعفهم؛ فتأهوا في الأرض أربعين سنة استردوا فيها بأسهم وذهب عنهم خور العزيمة، ثم بعد ذلك نزل بهم ما نزل، فقله تعالى: ﴿مِنْ بَعْدِ مُوسَى﴾ فيه إشارة إلى تلك التجارب الشديدة

(١) قصص القرآني، محمد بن صالح بن عثيمين، ص ١٧٥.

(٢) التفسير الموضوعي (١/٣٦٧).



التي كانت تنزل بهم، فهم ذُلُّوا في مصر ثم أعزهم الله بموسى فلم يعودوا إلى حياة العزة وتكاليفها من جهاد ونضال إلا بعد أن تعودوا حياة الشدة والبأس في الصحراء، ثم بعد هذه العزة دخلوا الأرض المقدسة ثم أخرجوا منها بعد أن استناموا إلى الدعة والراحة. وفي هذه التجارب بيان لأطوار الأمم بأنها إن استنامت إلى الراحة واستمرت الحياة الواعدة، غلب على أمرها، ثم كان من وراء ذلك ذهاب سلطانها، حتى إذا أحست بمرارة الهزيمة وذاقت وبال الراحة، استيقظت فيها القوى الكامنة، واستفاقت من سبات الغفلة وسكرة النعمة؛ فعملت على استرداد أمرها ومقاومة عدوها^(١).

٢- ﴿إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لَهُمْ أَبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾:

إن بيان موضوع القصة ومكان الالتفات والاتجاه بالنظر والقلب؛ فالمعنى: ألم تنظر وتفكر وتعتبر في أمر بني إسرائيل عندما قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله؟^(٢).

لقد اجتمع الملاء من بني إسرائيل، من كبرائهم وأهل الرأي فيهم إلى نبي لهم، ولم يجر في السياق ذكر اسمه، لأنه ليس المقصود بالقصة، وذكره هنا لا يزيد شيئاً من إحياء القصة، وقد كان لبني إسرائيل كثرة من الأنبياء يتتابعون في تاريخهم الطويل.

لقد اجتمعوا إلى نبي لهم، وطلبوا إليه أن يُعَيِّنَ لهم ملكاً يقاتلون تحت إمرته (في سبيل الله)، وهذا التحديد منهم لطبيعة القتال، وأنه في (سبيل) يدلل على ترسخ العقيدة في قلوبهم، ويقظة الإيمان في نفوسه، وشعورهم بأنهم أهل دين

(١) زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة (ت: ١٣٩٤هـ)، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٨٧م، (٢/ ٨٨٤).

(٢) المصدر السابق نفسه.



وإيمان وحق، وأن أعداءهم على ضلالة وكفر وباطل، ووضوح الطريق أمامهم للجهاد في سبيل الله، وهذا الحسم هو نصف الطريق إلى النصر، فلا بد للمؤمن أن يتضح في حسه أنه على حق وأن عدوه على باطل، ولا بد أن يتجرد في حسه الهدف في سبيل الله، فلا يُغشيه الغش الذي لا يدري معه إلى أين يسير، وقد أراد نبيهم أن يستوثق من صدق عزيمتهم، وثبات نيتهم، وتصميمهم على النهوض بالتبعية الثقيلة، وجدّهم فيما يعرضون من الأمر^(١).

٣- ﴿قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا﴾:

ألا يُتَظَر أن تُنكَلوا عن القتال إن فرض عليكم؟ فأنتم الآن في سعة، فأما إذا استجيب لكم، فتقرر القتال عليكم فتلك فريضة إذن مكتوبة، ولا سبيل بعدها إلى النكول عنها، إنها الكلمة اللائقة بنبي، والتأكد اللائق بنبي، فما يجوز أن تكون كلمات الأنبياء وأوامرهم موضع تردد أو عبث أو تراخ، وهنا ارتفعت درجة الحماسة والفورة، وذكر الملاء أن هناك من الأسباب الحافزة للقتال في سبيل الله ما يجعل القتال هو الأمر المتعين الذي لا تردد فيه^(٢).

٤- ﴿قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَاءِنَا﴾:

نجد أن الأمر واضح في حسهم، ومقرّر في نفوسهم. إن أعداءهم أعداء الله ولدين الله. وقد أخرجوهم من ديارهم وسبّوا أبناءهم، فقتالهم واجب، والطريق

(١) في ظلال القرآن (١/٢٦٦).

(٢) المصدر السابق نفسه.



الواحدة التي أمامهم هي القتال، ولا ضرورة إلى المراجعة في هذه العزيمة أو الجدل، ولكن هذه الحماسة الفائرة ساعة الرخاء لم تدم، ويُعجل السياق بكشف الخطوة التالية^(١).

٥- ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾:

هنا نطلع على سمة خاصة من سمات أغلبية هؤلاء في نقض العهد والنكث بالوعد، والتفلّت من الطاعة، والنكوص عن التكليف، وتفرُّق الكلمة، والتولي عن الحق البين، ولكن هذه كذلك سمة كل جماعة لا تنضج تربيتها الإيمانية؛ فهي سمة بشرية عامة لا تغير منها إلا التربية العالية الطويلة الأمد العميقة التأثير، وهي سمة ينبغي للقيادة أن تكون منها على حذر، وأن تحسب حسابها في الطريق الوعر، كي لا تفاجأ بها، فيتعاضمها الأمر! فهي متوقعة من الجماعات البشرية التي لم تخلص من الأوشاب ولم تصهر ولم تطهر من هذه العقابيل^(٢).

- ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾: لقد صبر القليل من بني إسرائيل، وهؤلاء الصابرون كانوا فئة الله الغالبة، وسرى دم الحياة في الأمة بعد انتصار تلك الفئة القليلة، فقادها من بعد ذلك نبي الله داوود إلى مواطن النصر والظفر^(٣).

- ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾: الذين يُعرضون عن تنفيذ أمره، ويظلمون أنفسهم بمعصيته. ودلت الآيات على كمال علمه تعالى، وأنه سبحانه يعلم ما يكون

(١) المصدر السابق نفسه.

(٢) المصدر السابق، (١/٢٦٧).

(٣) زهرة التفاسير (٢/٨٨٨).



قبل أن يكون؛ علم تعالى أن أكثرهم لن ينقاد لأمره، ولن يستسلم لشرعه، ومع ذلك استجاب تعالى لطلبهم، وكلفهم بالجهاد وهياً لهم أسبابه، ابتلاءً لهم وإظهاراً لفضل الفئة القليلة الصالحة المستسلمة لأمره الشرعي وحكمه القدري جَلَّ وَعَلَا^(١).
ومن فوائد الآية الكريمة:

- تحريم ترك الجهاد في سبيل الله.
- أنه لا بد للجيش من قائد يقودها.
- أنه لا بد من طاعة القائد.
- أن مرتبة النبوة أعلى من مرتبة الملك، لأنهم طلبوا من نبيهم أن يبعث لهم ملكاً.
- امتحان المدعي للشيء لتستبين حقيقة دعواه.
- استنهاض الهمم للجهاد في سبيل الله بذكر حال المظلومين.
- أن بعض من يدعي فعل الخير، قد لا يثبت عليه إذا جاء وقت الجد.
- أن من مبيحات القتال: رفع الظلم عن المظلومين، وإعادتهم إلى ديارهم واستنقاذ ذرياتهم من أيدي الظالمين.
- ابتلاء الله لعباده بفعل الواجبات وترك المحرمات.
- أن من العبادة الثبات عند الابتلاء.
- الإشارة إلى أنه لا يصح الاستهانة بالأعداء وتمني مقابلتهم؛ لأن كثيراً ممن يدعي الشجاعة والثبات ربما يفر إذا لاقاهم. ولذلك قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا تتمنوا لقاء العدو وسلوا الله العافية فإذا لقيتموه فاصبروا»^(٢).
- أن ترك القيام بما أوجبه الله ظلم.

(١) التفسير الموضوعي (١/٣٦٩).

(٢) رواه البخاري، رقم ٢٩٦٦، ورواه مسلم، رقم ١٧٤٢.



- أن الأخذ بالأسباب لملاقاة الأعداء والإعداد لجهادهم - وذلك من أجل تحرير بلاد المسلمين وإنقاذ أسراهم - هو واجب. وهذا يختلف عن التمنيّات والادّعاءات الفارغة القائمة على الاستهانة بالعدو، والاغترار بالنفس.
- الحذر من تغيير النيات وانحلال الهمم والعزائم في فعل الخير.
- سلب الأبناء أشد على النفس، لأجل الحاجة إليهم حالاً ومستقبلاً.
- أن العلماء يضبطون حماس العامة ويوجهونه.
- إيقاف المدّعي على حقيقة نفسه.
- الحياة تهون في نظر المظلوم المقهور المسلوب؛ فيكون أكثر استعداداً للقتال.
- ليس هناك تنافٍ بين الجهاد في سبيل الله، وبين استرجاع الديار المسلوبة والذرية المأخوذة، بل يُستثمر الثاني لتعزيز الاندفاع إلى الأول^(١).

ثانياً: قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٤٧].

(١) تفسير الزهراوين: البقرة وآل عمران، محمد صالح المنجد، دار العبيكان، الرياض، ط١، ٢٠١٦م، ص٤٠٨.



تفسير الآية الكريمة:

١- ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾:

ذكر الله سبحانه وتعالى حالهم عند القتال عندما طلبوه ليعين سبحانه المفاارقة بين القول والعمل عند الذين غلبت عليهم الذلة واستولت عليهم شهواتهم، ومن ثم أخذ سبحانه يذكر بقية القصة والعبرة، أي أن الله سبحانه قد أخرج من صفوفكم -وهو العليم الخبير بأحوالكم- شخصاً قد استوفى كل أسباب الرياسة، وجعله ملكاً عليكم. وفي التعبير إشارة إلى أنه أمثلهم وأقواهم على تحمل أعباء الحكم؛ لأن ﴿بَعَثَ﴾ تتضمن معنى الإثارة والفحص ثم الإخراج. والملك المراد به هنا فيما يظهر = مالك أمرهم، والمتولي ملكهم، وليس المراد منه المعنى المتعارف وهو من يتولى بالسلالة. فإنه سيتبين أنه لم يختار لسلالته، بل اختير لعلمه وحكمته وقوته، ولم يستمر الملك في ذريته، بل آل من بعده لنبي الله داود عَلَيْهِ السَّلَام. وكما تدل على ذلك أخبار داود التي ذكرها القرآن الكريم؛ فقد آتاه الله الملك والحكم، وأنه اختير اختيار الله تعالى بما أوحى به لنبيه، ولم يكن باختيارهم؛ حتى لا يتنافسوا، فيكون بأسهم بينهم شديداً بدل أن يكون على عدوهم. فلا دلالة في الآية على أن النظام الملكي الذي نعرفه في عصرنا مطلوب -لا بالعبرة ولا بالإشارة- لأنها ليست ملكية الوراثة والسلالة، بل رياسة العلم والقدرة والحكمة، فما اختير طالوت لسلالته ونسبه، بل اختير لمعانٍ شخصه فيه. كان مقتضى ما طلبوه من نبيهم من أن يختار ملكاً أن ينفذوا من غير تردد الأمر فيما اختاره بهداية الله ووحيه، لأنهم فوضوا الأمر إلى نبيهم، ولأن الله



سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هو الذي اختاره، وما كان لهم الخيرة بعد اختيار الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ ولأن الله سبحانه قد اختاره لأجلهم ولمصلحتهم، ولذا عبر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بقوله: ﴿قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ﴾، فالتعبير بـ(لكم) إشارة إلى أنه في مصلحتكم، وأنكم ستنتفعون بقوته، وستكون قوته لكم على أعداءكم، ولكنهم بدل أن يطيعوا ويأخذوا الأهبة، أثاروا اللجاجة التي تعودوها؛ ولذلك قال سبحانه حكاية عنهم:

٢- ﴿قَالُوا إِنِّي يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ﴾:

تمردوا على نبهم بذلك الاعتراض، ولقد أكدوا اعتراضهم بعد أن فوضوا الأمر، فناقضوا أنفسهم، وبنوا الاعتراض على أسباب جعلوها مناط الملك وليست هي السبب للرياسة الصالحة، والملك القوي، وظنوا أن سبب الملك أخذ الأمرين: إما سعة من المال وثروة طائلة أو سلالة ملكية توارثها.

- ﴿إِنِّي يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ﴾: من أي جهة استمد الملك، أي أنه ليس في عروقه دم ملكي يستحق تولي الملك من خلاله، وليس هو ذا نسب رفيع، بل أيُّ واحد منا أحق بالملك منه، لأنه ليس من الأشراف، ولئن تجاوزنا شرف النسب وكرم الولادة لنجدن أنه فقير ليس فيه سعة من المال، فقد سُلب منه سببا للسيادة: وهما النسب والمال.

وهكذا يكون تفكير الجماعات التي سيطرت عليها الأهواء، وغلبت على أمرها، وهي تتجه إلى الماديات فتحكمها، وتفقد تقدير المعنويات؛ وبذلك تختل



مقاييس التقدير، فأول ما يتلى به الجماعات الضعيفة أن تختل مقاييس العظمة فيها؛ فإنه إذا اختل مقياس العظمة غمر العظماء، ولم يظهروا إلا بالمصادفات أو القوى الخارقة، والعظماء في الأمم هم القمم العالية التي تهدي إلى مواطن القوة، وتثير العزة من مكانها.

وإن أردت أن تعرف مقاساً ضابطاً لُرقي أمة من الأمم، فخذ من مقياس العظمة فيها. وقد كان بنو إسرائيل في وقت هذه القصة في ذروة مرحلة الانهيار الخلقي، ويدل على ذلك مقياسهم للعظمة بالسلالة والمال. وفي هذه الجملة الكريمة مباحث لفظية نشير إليها:

- أولها: قوله تعالى: ﴿أَنِّي يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ﴾؛ أنى: تستعمل بمعنى كيف، وقد تستعمل بمعنى من أين. وهي هنا يجوز أن تكون بمعنى كيف، ويكون المعنى: كيف يكون له الملك علينا، وعلى أي حال يسوغ ذلك ويمكن؟ فهو استفهام المقصود منه الاستبعاد المطلق، أي أنه لا يتصور أن يكون مثله ملكاً؟ أي أنه ليس فيه من الصفات، ولا في بيته من المحيّد (كريم النسب)، ما يسوغ معه أن يكون ملكاً. فالمقصود من الاستفهام استبعاد أن يكون فيه سبب من الأسباب المسوغة للملك.

- ثانيها: قوله تعالى: ﴿مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ﴾؛ أصل السعة أن تكون في المكان وفي الفعل وفي الحال، والسعة في الحال أن يكون على حال من القدرة أو المال بحيث لا يكون مضيقاً عليه أو لا يكون في ضيق، فلما كُنّي عن قلة المال بالضيق كُنّي عن كثرته بالسعة.

- ﴿قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾؛
لقد أعرضوا على اختيار طالوت بأنه ليس خيراً منهم سلاله ومحتداً، وأنه ليس
ذا مال وفير، فردّ نبيّهم قولهم، بأمرين:

أولاً: الله تعالى اصطفاه؛ أي اختاره من الصفوة وأهل الهمة والنبل، وقال:
﴿اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ﴾، ولم يقل منكم مع أنه منهم، للإشارة إلى فضله عليهم
واستعلائه بما منحه الله من خواص وصفات، وإنه كان يكفي اصطفاء الله له
ليسكنوا ولا يعترضوا، لأنه ليس فوق إرادة الله إرادة وليس لهم الخيرة فيما
اختاره الله؛ ولأنهم فوّضوا أمر اختيار الملك إلى النبي، وقد اختاره الله ربهم
ورب النبي.

ثانياً: ردّ نبيّهم على اعتراضهم ببيان المقياس الصحيح لعظم ومكانة الرجال،
واستعدادهم لقيادة الشعوب إلى مواطن العزة والشرف، وقد عدّوا المال والنسب
مقياس العظمة، فبيّن لهم مقياسها، فقال: ﴿وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾؛
أي أنه أعظم منكم جميعاً؛ لأن الله سبحانه زاده عليكم في الأمرين الذين هما
سبب القيادة والحكمة، وهما:

أ- قوة العقل وسعة العلم وكثرة التجارب.

ب- وقوة الجسم؛ أي القوة والمتانة.

وخص بعضهم بالكفاية فيه، فإذا كان الملك أعلى المناصب، وإذا كانت
الرياسة الكبرى أعظم الأعمال، فليس الذي يؤهل للمناصب السعة والمال، بل



الكفاية لها والقدرة عليها، ففي الآية الكريمة إشارة إلى مقياس العظمة، وإلى مقياس الاختيار للأعمال والمناصب.

وإن البسطة في العلم معناها الاتساع في الأفق والتجارب، وقوة العقل والتدبير والإحكام في التفكير، فالبسطة معناها الاتساع، وإذا أضيفت إلى العلم؛ فمعناها الاتساع والإحاطة بكل ما يوجه العقل إلى التفكير المستنير مع سلامة العقل ذاته.

وإن بسطة الجسم اتساعه، لا بمعنى كثرة اللحم والشحم؛ بل بأن يكون سبط العظام، ومديد القامة، وهناك تباعد بين المنكبين، وقد يراد بسطة الجسم تلك الحقيقة، والمقصود: يلقي - في الحرب - منظره بالخوف في قلوب الأعداء، وبالهيبه في قلوب الأولياء. أو يراد بسطة الجسم مطلق القوة؛ لأن طول العظام عريض ما بين المنكبين يكون في جميع الأحوال قوي الجسم، فأطلق ذلك، وأريد مطلق القوة، ويلاحظ أنه قدمت بسطة العلم على بسطة الجسم بمقدار الحاجة إلى قوة الرأي والتدبير وسعة العلم وكثرة التجارب.

- ﴿وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾؛ إذ ذل الله سبحانه هذه الآية الكريمة بهذه الجملة السامية للدلالة على أمرين:

أولاً: أن الأمور كلها بيده سبحانه وتعالى، وأنه فعّال لما يريد، وأن ما شاء في هذا الكون يقع، وما لا يشاء لا يقع، وأنه سبحانه يؤتي الملك في الدنيا لمن يشاء وأنه هو المسيطر عليه؛ ولذلك أضيف الملك إليه قال: ﴿مُلْكُهُ﴾؛ فهو إذ يعطيه لمن يعطيه هو الغالب على أمره يستطيع أن يسلبه في أي وقت شاء، فهو مالك الملك، يؤتي الملك من يشاء، وينزع الملك ممن يشاء، وهو القاهر فوق عباده.



ثانياً: أن كل شيء في الوجود تحت سلطان الله تعالى، وهذا معنى أن الله واسع؛ أي محيط بكل شيء، وقد وسع كل شيء برحمته وقدرته، وأنه يدبّر الأمور على مقتضى العلم الواسع الشامل؛ فهو يربط الأسباب والمسببات، وهو يعطي لحكمة يعلمها، ويمنع لحكمة يعلمها، وهو يتلي الأمم بالقوة والضعف والعزة والذلة، والهزيمة والانتصار، والبأساء والضراء، ثم النعماء والسراء، كما قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥].

وعلى الأمم المغلوبة أن تتخذ الأسباب بجمع الكلمة وتأليف القلوب، وتحرير النفوس من ربة الأهواء والشهوات، ولا تستسلم للضعف، ولا تستحذى وتناضل، وتكافح وتصابر، وتتوكل على الله. وإلى الله مصير الأمور^(١). ومن فوائد هذه الآية:

- الأنبياء لربهم وحسن أدبهم معه، وسعيهم في طاعة الناس له.
- وجوب السمع والطاعة لله ورسله.
- في الآية مراعاة الدين والبدن في اختيار القائد وفيها أنه كلما كان الخليفة والملك ذا صفات ومزايا أعلى، كان أعون له على الحكم وانقياد الرعية له.
- أن فضائل النفس مقدمة على المال.
- أن ملك العباد هو في الحقيقة ملك لله، وأن الله يؤتية إياه، ابتلاء واختباراً.
- من الناس من ينخدع بالأمور المادية الدنيوية المحسوسة، ويغفل عن الحقائق والفضائل النفسية والمعنوية.

(١) زهرة التفاسير (٢/ ٨٩٣).



- أن العلم أفضل من قوة البدن، لأنه قدمه بالذكر في الآية.
- أن الإمامة لا تستحق بالإرث ولا الغنى.
- إنه لا يشترط في ولادة الأمر أن يكونوا أغنياء.
- أن قوة الرأي اللازمة للقيادة تنبع من العلم.
- حُسن الإجابة عن الاعتراضات وإزالة الشبهات. فإنهم لما اعترضوا على نبينهم وألقوا بشبهاتهم رد عليهم وفند كلامهم، فأخبرهم أولاً أن القصة اصطفاء من الله الذي يجب له الطاعة والتسليم والانقياد لحكمه.
- ثم لفت نظرهم إلى أن هذا الرجل الصالح فيه من المميزات ما هو أولى من نسب الملك وسعة المال.
- ثم بين لهم أن الله أعلم بمن يصلح للملك، وأن اصطفاؤه عزَّجَلَّ لحكمة. ثم ذكر لهم من صفات الله ما يناسب الحال والمقال^(١):
- ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾؛ ذو سعة في جميع صفاته، وواسع في علمه وفضله وكرمه وقدرته، وقوته وإحاطته بكل شيء، وجميع صفاته وأفعاله^(٢). فالله تعالى ﴿عَلِيمٌ﴾ عليم بكل شيء، وعليم بأحوال خلقه، وبما يصلح لهم^(٣).

(١) تفسير الزهراوين، ص ٤٠٨.

(٢) القصص القرآني، ابن عثيمين، ص ١٨٢.

(٣) التفسير الموضوعي (١/ ٣٧٠).



ثالثاً: قال تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٨]:

تفسير الآية الكريمة:

يبدو أن القوم ظلوا على عنادهم، ولم يُذعنوا لحكم الله وشرعه، فاضطر نبيهم أن يسأل الله تعالى أن يُجري على يديه معجزة محسوسة، تجعلهم ينقادون لحكمه ويستسلمون لشرعه، فاستجاب الله له وحدثت المعجزة.

١- ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ﴾:

أي: إن علامة ملك طالوت.

٢- ﴿أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ﴾:

وهو صندوق كانوا يضعون فيه قطعاً من ألواح التوراة، التي أنزلها الله على موسى، وظلّوا يتوارثونها، ويحافظون عليها حتى انتزعها منهم أعداؤهم عندما تغلبوا عليهم، وكانت قوتهم تسكن وتطمئن ويستبشرون بالنصر عندما يكون الصندوق معهم، ولهذا قال في وصفه:



٣- ﴿فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَارُونَ﴾:

فيه بعض الأشياء المتوارثة من آثار النبيين الكريمين: موسى وهارون. وقد ذكر كثير من المفسرين أنه كان يوجد في الصندوق عصا موسى وثيابه وعمامة هارون. ولا شك أن آثار الأنبياء التي باشروها بأنفسهم مباركة، وقد صح أن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كانوا يتبركون بآثار النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كوضوئه، وبصاقه، وشعره، وقدحه الذي كان يشرب فيه. والأحاديث النبوية الدالة على هذه كثيرة وصحيحة، وقد أخبرنا تعالى في قصة يوسف عَلَيْهِ السَّلَام عن شأن قميصه، وكيف رد تعالى بصر يعقوب عَلَيْهِ السَّلَام عندما ألقى القميص على وجهه: ﴿أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَالْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [يوسف: ٩٣] (١).

- ﴿فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾؛ السكينة: هي الطمأنينة والهدوء والوقار. والراجح أن هذه السكينة أمر معنوي، وليست شيئاً مادياً محسوساً، كما قال رواة الإسرائيليات والأساطير (٢).

فوجود التابوت بينهم يحقق لهم السكينة والطمأنينة لما يرمز إليه من معنى ديني مقدس؛ فعندما يشاهدونه عندهم يطمئنون ويرتاحون ويتفاءلون بحسن العاقبة، فيندفعون للقتال ضد الأعداء.

(١) المصدر السابق، (١/ ٣٧١).

(٢) القصص القرآني (١/ ٣٨٢).

ويقال: سكن فلان إلى كذا، إذا اطمأن إليه، وسكنت نفسه عنده. والدليل على أن السكينة نفسية معنوية تتمثل بوجود التابوت عندهم، أنها لم ترد في القرآن إلا بهذا المعنى النفسي.

أنزل الله السكينة على الصحابة رضوان الله عليهم، عندما بايعوا رسول الله ﷺ بيعة الرضوان تحت الشجرة في صلح الحديبية، قال تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ١٨].

فبينما كانت قريش في الحديبية تتصرف انطلاقاً من حمية جاهلية، فيبدو تصرفها حاداً متوتراً انفعالياً عصبياً، كان الصحابة يتصرفون انطلاقاً من تلك السكينة، فيبدو تصرفهم هادئاً موضوعياً، إذ قال تعالى: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [الفتح: ٢٦].

وإن هذه السكينة التي أنزلها الله على الصحابة معنوية نفسية، وهذا يدل على أن السكينة كانت تحصل لبني إسرائيل عندما يشاهدون التابوت عندهم فيهدؤون ويطمئنون، وفي ذلك التابوت أشياء مادية ثمينة مقدسة، وكان بنو إسرائيل يحتفظون بها ويحرصون عليها^(١).

(١) القصص القرآني، الخالدي (٣/ ٣٨٣).



٤- ﴿تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ﴾:

جملة حالية في محل نصب حال؛ تبين حالة وكيفية مجيء التابوت إليهم، والملائكة عالم غيبي خلقوا من نور. والآية تدل على أن التابوت كبير^(١). ولا شك أن الذي تحمله الملائكة يكون شيئاً عظيماً، ويوجب العناية الفائقة. ونلاحظ في قوله: ﴿أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ﴾؛ سبحانه قد نسب الإتيان إلى التابوت، فهل كان من ضمن العلامة أن يأتيهم التابوت، وهم جالسون ينتظرون، ولأن التابوت تحمله الملائكة، فلن يراهم القوم لأنهم كائنات غير مرئية، فلن يراهم أحد، وإنما سيرى القوم التابوت آتياً إليهم، ولذلك أسند الحق أمر المجيء للتابوت. وهذا المشهد يخلع القلوب، ويجعل أصحاب أشد القلوب قساوة يخرون سجّداً، ويقولون (يا طالوت أنت الملك)^(٢).

٥- ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾:

إن في رجوع التابوت بهذه الطريقة المعجزة لآية لكم، دالة على صدق نبيكم فيما أخبركم به من تعيين طالوت ملكاً؛ هذا إن كنتم مؤمنين بالله ورسله. فكلما تم الإيمان كان انتفاع الإنسان بآيات الله أكثر وفهمه لها أعظم^(٣).

(١) المصدر السابق نفسه.

(٢) تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، دار أخبار اليوم، القاهرة، ٢٠١٣م، (٢/ ١٠٥٠).

(٣) قصص القرآن، محمد صالح بن عثيمين، ص ١٨٧.



ويدل السياق القرآني على أن الله عَزَّجَلَّ أقام عليهم الحجة، وبهتهم بالآية، فقبلوا بطالوت ملكاً، ونظم طالوت الحرب، فقام وقسم الجنود ورتبهم، وكل هذه التفاصيل لم تذكرها الآيات، والحق تعالى يقول بعد ذلك:

رابعاً: قال تعالى: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرَبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلْكُوا اللَّهَ كَرُمٌ مِنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةُ كَثِيرَةٍ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿البقرة: ٢٤٩﴾

تفسير الآية الكريمة:

١- ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ﴾:

هنا يتجلى لنا مصداق حكمة الله من اصطفاء هذا الرجل إنه مقدم على معركة، وكان معه جيش من أمة مغلوبة، وقد عرفت الهزيمة والذل في تاريخها مرة بعد مرة، وهو يواجه جيش أمة غالبة، فلا بد من قوة كامنة في ضمير الجيش تقف به، وأما القوة الظاهرة الغالبة لا تكون إلا في الإرادة؛ الإرادة التي تضبط الشهوات والنزوات والأهواء، وتصمد للحرمان والمشاق، وتستعلي على الضرورات والحاجات، وتؤثر الطاعة وتحتمل تكاليفها، فتجتاز الابتلاء بعد الابتلاء، فلا بد للقائد المختار إذن أن يبلوا إرادة جيشه، وصموده وصبره: أولاً؛



صموده للرجبات والشهوات، وثانيًا؛ صبره على الحرمان والمتاعب. واختار هذه التجربة - وهم كما تقول الروايات عطاش - وذلك ليعلم من يصبر معه ممن ينقلب على عقبيه، ويؤثر العافية، وقد صحت فراسته.

٢- ﴿فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾:

شربوا وارتبوا، فقد أباح لهم أن يعترف من يريد منهم غرفة بيده؛ شربة تبل الظمأ؛ ولكنها لا تنتشي بالرغبة في التخلف، وانفصلوا عنه بمجرد استسلامهم ونكوصهم. انفصلوا عنه لأنهم لا يصلحون للمهمة الملقاة على عاتقه وعاتقهم، وكان من الخير ومن الحزم أن انفصلوا عن الجيش الزاحف؛ لأنهم بذرة ضعف وخذلان وهزيمة، والجيوش ليست بالعدد الضخم، ولكن بالقلب الصامد، والإرادة الجازمة، والإيمان الثابت المستقيم على الطريق.

وقد دلت هذه التجربة على أن النية الكامنة وحدها لا تكفي، ولا بد من التجربة العملية، ومواجهة واقع الطريق إلى المعركة قبل الدخول فيها، ودل كذلك على صلابة عود القائد المختار الذي لم يهزه تخلف الأكثرية من جنده عند التجربة الأولى بل مضى في طريقه، وهنا كانت التجربة قد غربلت جيش طالوت، ولكن التجارب لم تكن قد انتهت بعد.

٣- ﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾:

هم صاروا قلة، وهم يعلمون قوة عدوهم وكثرة عدده بقيادة جالوت، وهم مؤمنون لم ينكصوا على عهدهم مع نبيهم، ولكنهم أمام الواقع الذي يرونه



بأعينهم، فيحسون أنهم أضعف من مواجهته، وإنها التجربة الحاسمة؛ تجربة الاعتزاز بقوة أخرى أكبر من قوة الواقع المنظور. وهذه لا يصمد لها إلا من اكتمل إيمانهم، فاتصلت بالله قلوبهم، وأصبحت لهم موازين جديدة يستمدونها من واقع حالهم، وهنا برزت الفئة المؤمنة، أي الفئة القليلة المختارة، والفئة ذات الموازين الربانية^(١).

٤- ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاقُوا اللَّهَ كَمِ مِّنْ فَتَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فَتَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾:

هكذا: ﴿كَمِ مِّنْ فَتَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فَتَةً كَثِيرَةً﴾، بهذا التكثير، فهذه هي القاعدة في الذين يوقنون أنهم ملاقوا الله.

القاعدة: أن تكون الفئة المؤمنة قليلة؛ لأنها هي التي ترتقي الدرج الشاقة حتى تنتهي إلى مرتبة الاصطفاء والاختيار ولكنها تكون الغالبة؛ لأنها تتصل بمصدر القوى؛ ولأنها تمثل القوة الغالبة، وقوة الله الغالب على أمره القاهر فوق عباده: محطم الجبارين، ومخزي الظالمين، وقاهر المتكبرين. وهم يقولون هذا النصر من الله، بإذن الله، ويعلمونه بعلمه الحقيقية بأن الله مع القوم الصابرين. فيدلون بهذا كله على أنهم المختارون من الله لمعركة الفصل بين الحق والباطل^(٢).

٥- حكمة التعبير عن الشرب بالطعم:

إن الماء قد يُطعم إذا كان مع شيء يمزج، ولو قال: ومن لم يشربه، لكان يقتضي أن يجوز تناول الماء الكثير إذا كان في طعام، فلم قال: ﴿وَمَنْ لَّمْ

(١) في ظلال القرآن (١/٢٦٩).

(٢) المصدر السابق (١/٢٦٩).



يَطْعَمُهُ؟ بَيْنَ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ تَنَاوُلُهُ لَا شَرْبًا وَحْدَهُ وَلَا مَعَ الطَّعَامِ، إِلَّا إِذَا كَانَ غُرْفَةً بِالْيَدِ^(١).

وإن خلاصة الكلام: بأن طالوت نهى عن شرب الماء لوحده في قوله: ﴿فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي﴾، ونهى عن شرب الماء ممزوجاً مع الطعام في قوله: ﴿وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي﴾. وهو أن الطعم قد ير دمعنى الذوق، وليس بمعنى الأكل والطعام، تقول: طعمت الأكل، أي: ذقته، وطعمت الماء: أي: ذقته أيضاً. هنا أراد طالوت أن لا يذوقوا الماء إلا غرفة يغرفها أحدهم بيده، وذلك علماً بأن الماء قد يكون مطعوماً، وقد يُغني صاحبه عن الطعام -إلى حين- إذا لم يجد إلا هذا الماء فسد الماء مسد الطعام والشراب في هذه الحالة^(٢).

٦- عدد الثابتين مع طالوت بعدد الصحابة في بدر:

روى البخاري عن البراء في قوله: ”كنا أصحاب محمد ﷺ نتحدث أن عدة أصحاب بدر على عدة أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر، ولم يجاوز معه إلا بضعة عشر وثلاث مائة“^(٣).

إن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يخبر أن عدد الصحابة في معركة بدر، كعدد جيش طالوت، أي أن عدد جيش طالوت الذين حاربوا معه كانوا ثلاث مئة وبضعة

(١) المصدر السابق نفسه.

(٢) القصص القرآني (٣/ ٣٨٧).

(٣) البخاري، رقم ٣٩٥٨.



عشر رجلاً، وهذا كلام البراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فهو موقوف عليه، وليس مرفوعاً للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لأن البراء لم يصرح برفعه^(١).

٧- أنواع الصبر:

من فوائد الآية الكريمة ﴿وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾؛ فهو الترغيب في الصبر، وهو على ثلاثة أنواع:

الأول: الصبر على طاعة الله، بأن يحبس الإنسان نفسه على الطاعة، فيقوم بها من غير ملل ولا ضجر.

الثاني: الصبر على محارم الله، بأن يحبس نفسه عما حرم الله عليه من قول أو عمل.

الثالث: الصبر على أقدار الله المؤلمة، بأن يحبس نفسه عن التسخط على ما يقدره الله من المصائب العامة والخاصة^(٢).

٨- مراحل تقصية جيش بني إسرائيل:

تمت تقصية جيشهم على أربع مرات:

الأولى: أن كثرتهم قد تولوا بمجرد أن كتب عليهم القتال استجابة لطلبهم، ولم يتبق إلا قلة مستمسكة بعهدا مع نبيها، ورجعة تابوتهم وفيه مخلفات أنبيائهم تحمله الملائكة.

(١) القصص القرآني (٣/٣٩٢).

(٢) قصص القرآن، محمد بن عثيمين، ص ١٩٤.



الثانية: سقوط كثرة هؤلاء الجند وضعفهم، من الامتحان الأول الذي أقامه لهم قائدهم.

الثالثة: استمر طالوت في السير نحو المعركة معتمداً على الله عَزَّوَجَلَّ، وأخذ معه الأقلية الصالحة وجاوز بها النهر. وهذا القليل بدوره لم يثبت كذلك إلى النهاية، فأمام كثرة الأعداء، وقوتهم وعدده، تهاوت العزائم وتزلزلت القلوب، فانقسم المؤمنون القلائل الذين عبروا النهر مع طالوت إلى قسمين: قسم نكصوا عن القتال وهابوا خوض المعركة، وهؤلاء لم يحسنوا النظر إلى حقيقة القوى وميزانها في المعركة؛ وقسم استعدوا لملقاة العدو.

الرابعة: قبل خوض المعركة الفاصلة حدث في الجيش فرز شديد، إذ ثبت أقل القليل^(١).

خامساً: قال تعالى: ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٠]:

نمضي مع القصة، فإذا الفئة القليلة الواثقة بلقاء الله تستمد صبرها كله من اليقين بهذا اللقاء، وتستمد قوتها كلها من أمر الله، وتستمد يقينها كله من الثقة في نصره الله، وأنه مع الصابرين؛ إذن هذه الفئة القليلة الواثقة الصابرة والثابتة، التي لم تزلزلها كثرة العدو وقوته، مع ضعفها وقتلها... إذن هذه الفئة هي التي تقرر مصير المعركة، بعد أن تجدد عهدها مع الله وتتجه بقلوبها إليه، وتطلب النصر منه وحده، وهي تواجه الهول الرهيب^(٢).

(١) السنن الاجتماعية في القرآن، محمد المحزون، دار طيبة، ط ١، ٢٠١٨م، (٨٢/٣).

(٢) في ظلال القرآن (١/٢٦٩).



١- ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾:

دخلوا أرض المعركة البارزة الواضحة المستوية المكشوفة؛ وذلك استعداداً لملاقاة الجيش الكافر وقتاله^(١).

٢- ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾:

تعبير يصور مشهد الصبر فيضاً من الله يفرغه عليهم فيغمرهم وينسكب عليهم سكينه وطمانينة واحتمالاً للهول والمشقة.

٣- ﴿وَتَثَبَّتْ أَقْدَامُنَا وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾:

فهي في يده - سبحانه - يثبتها فلا تتزحزح ولا تتزلزل ولا تميد ﴿وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾. فقد وضح الموقف: إيمان تجاه كفر، وحق إزاء باطل، ودعوة إلى الله لينصر أوليائه المؤمنين على أعدائه الكافرين. فلا تلجج في الضمير، ولا غش في التصور، ولا شك في سلامة القصد ووضوح الطريق^(٢). وقد قال الدكتور صلاح الدين الخالدي رَحِمَهُ اللهُ: وهناك لفظة في ترتيب جمل الدعاء الثلاثة: الصبر، وتثبتت الأقدام، والنصر على الكافرين؛ وأن هذه الجمل الثلاثة مرتبة ترتيباً مرحلياً، وكل واحدة مبنية على ما قبلها، وأول ما يحتاجه المجاهدون هو الصبر، ولهذا قال هؤلاء المجاهدون: ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾، والصبر بمفهومه الشامل، ومنه الصبر على مواجهة الأعداء

(١) القصص القرآني (٣/٣٩٣).

(٢) في ظلال القرآن (١/٢٦٩).



وقتلهم. والصبر في المعركة مقدم على ثبات الأقدام فيها، وهو سلاح معنوي نفسي ضروري للمجاهدين، وهو السلاح الإيماني المعنوي، وإنه مقدم على السلاح المادي.

وإننا نلاحظ بأن هؤلاء المجاهدين استعلوا على متاع الدنيا، وطلبوا ما عند الله، فعندما رأوا النهر- وهم في حاجة إلى الماء- اكتفى كل منهم بأن يغترف غرفة واحدة بيده، يبل بها ريقه، بينما الصبر يريدون منه الكثير، ولذلك يطلبون من الله أن يفرغه عليهم إفراغاً ويصبّه عليهم صبّاً، ليشمل كيانهم، ويستغرق ويستوعب محيطهم، وإفراغ الصبر عليهم يقود إلى ثبات أقدامهم في الميدان واستبسالهم في الجهاد وعدم الهرب من الحرب: ﴿وَتَثَبَّتْ أَقْدَامُنَا﴾، فلن تثبت إلا أقدام الصابرين، أما الجبناء الخائفون الجزعون فلن تثبت أقدامهم في الميدان، ولهذا يولّون الأدبار، وإذا ما صبر المجاهدون، وثبتت أقدامهم في الميدان؛ فإنهم يكسبون المعركة، وينتصرون على الأعداء، ولهذا طلبوا من الله النصر في آخر الأمر ﴿وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾.

إن النصر في المعركة نتيجة لما قبله، ولن يتحقق إلا إذا تحقق ما قبله، فلن ينتصر إلا الصابرون على المواجهة، الثابتون في المعركة.

وقد طلب المجاهدون من الله أن ينعم بالأمور الثلاثة: إفراغ الصبر، تثبيت الأقدام، والانتصار على الكافرين؛ ولهذا أسندت الأفعال إلى الله: ﴿أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَثَبَّتْ أَقْدَامُنَا وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾، وإن طلبهم هذه الخطوات الضرورية الثلاثة من الله، دليل على قوة إيمانهم بالله،

وقوة اعتمادهم وتوكلهم عليه. وهم في هذا الموقف الإيماني الجهادي العظيم، مقتدون بإخوانهم المجاهدين الذين قال الله تعالى عنهم: ﴿وَكَايْنٍ مِّن نَّبِيِّ قَتَلَ مَعَهُ رِيتُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا أَسْتَكَاثُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ١١٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ١١٧﴾ فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿[آل عمران: ١٤٦-١٤٨] (١).

وقد علق الشيخ الشعراوي رَحِمَهُ اللَّهُ على قول الله تعالى: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾، فقال: هذه هي الشحنة الإيمانية لمن يريد أن يواجه عدوه، فهو ينادى قائلاً: ﴿رَبَّنَا﴾، إنه لم يقل: يا الله، بل يقول ﴿رَبَّنَا﴾؛ لأن الرب هو الذي يتولى التربية والعطاء، وبينما مطلوب (الله) هو العبودية والتكاليف، ولذلك ينادي المؤمن ربه في الموقف الصعب (يا ربنا) أي: يا من خلقتنا وتولانا وتمدنا بالأسباب. وقد قال المؤمنون مع طالوت ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾، وعندما نتأمل كلمة ﴿أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾، فإنها تفيدنا أنهم طلبوا أن يملأ الله قلوبهم بالصبر، ويكون أثر الصبر تثبيت الأقدام، ويأتي نصر الله للمؤمنين على القوم الكافرين، وتأتي النتيجة للزمزيم الإيماني والقتال في قوله الحق (٢).

(١) القصص القرآني (٣/٣٩٥).

(٢) تفسير الشعراوي (٢/١٠٥٦).



سادساً: قال تعالى: ﴿فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥١]:

تفسير الآية الكريمة:

١- ﴿فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾:

لما صدقوا وصبروا ولجأوا إلى الله تعالى بالدعاء، فاستجاب الله لهم، ولما التحموا مع القوم الكافرين ﴿فَهَزَمُوهُمْ﴾ أي: كسر المؤمنون الكافرين وغلبوهم ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بأمره وإرادته وتقديره^(١)، وكانت النتيجة هي التي ترقبوها واستيقنوها: ﴿فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾.

ويؤكد النص هذه الحقيقة: ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ ليعلمها المؤمنون أو ليزدادوا بها علماً، وليتضح التصور الكامل لحقيقة ما يجري في هذا الكون، ولطبيعة القوة التي تجريه. إن المؤمنين ستار القدرة؛ يفعل الله بهم ما يريد وينفذ بهم ما يختار، بإذنه وإرادته، ليس لهم من الأمر شيء ولا حول ولا قوة ولكن الله يختارهم لتنفيذ مشيئته، فيكون منهم ما يريده بإذنه، وهي حقيقة خليقة بأن تملأ قلب المؤمن بالسلام والطمأنينة واليقين؛ إنه عبد الله، اختاره الله لدوره، وهذه منة من الله وفضل وهو يؤدي هذا الدور المختار، ويحقق قدر الله النافذ، ثم يكرمه الله - بعد كرامة الاختيار - بفضل الثواب. ولولا فضل الله ما فعل، ولولا

(١) تفسير الزهراوين، ص ٤١٣.



فضل الله ما أتيب. ثم إنه مستيقن من نبل الغاية، وطهارة القصد ونظافة الطريق، فليس له في شيء من هذا كله أرب ذاتي، إنما هو منفذ لمشئته الله الخيرة، قائم بما يريد. استحق هذا كله بالنية الطيبة والعزم على الطاعة، والتوجه إلى الله في خلوص. ويبرز السياق دور داوود^(١):

٢- ﴿وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ﴾:

كان داوود فتىً صغيراً من بني إسرائيل، وكان جالوت ملكاً قوياً وقائداً مخوفاً، ولكن الله شاء أن يرى القوم - وقتذاك - بأن الأمور لا تجري بطواهرها، وإنما تجري بحقائقها، وحقائقها بعلمه وحده، ومقاديرها في يده وحده، فليس عليهم إلا أن ينهضوا هم بواجبهم، ويفوا الله بعهدهم، ثم يكون ما يريد الله بالشكل الذي يريده.

وقد أراد أن يجعل مصرع هذا الجبار الغشوم على يد هذا الفتى الصغير، وذلك ليرى الناس بأن الجبابة الذين يرهبونهم ضعافٌ يغلبهم الفتية الصغار متى شاء الله ذلك.

وكانت هناك حكمة أخرى مغيبة يريدها الله؛ فلقد قدر أن يكون داوود هو الذي يستلم الملك بعد طالوت، ويرثه من بعده ابنه سليمان، فيكون عهده هو العهد الذهبي لبني إسرائيل في تاريخهم الطويل، جرّاء انتفاضة العقيدة في نفوسهم بعد الضلال والانتكاس والشُرور^(٢)، ويتأسس عهد الأنبياء الملوك عَلَيْهِمَا السَّلَام.

(١) في ظلال القرآن (١/ ٢٧٠).

(٢) المصدر السابق نفسه.



٣- ﴿وَأَتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ﴾:

كان داوود ملكاً نبياً، وعلمه الله صناعة الزرد، وعدة الحرب، مما يفصله القرآن في مواضعه في مواضع قرآنية أخرى. وكان أول من جمع بين الملك والنبوة هو داوود عَلَيْهِ السَّلَام^(١).

أ- معنى داوود: هو لفظ عربي قديم، هو من (الوداد) و (المودة) و (الرحمة) و (الود)؛ وهو العلاقة التي فيها أخذ وعطاء. و (داوود) بطبيعته لا يظلم، ولا يطغى، إنه مهياً من الله ليكون خليفة في الأرض ليحكم بين الناس بالحق، ويهدي إلى سواء السبيل^(٢).

ب- قال الشيخ محمد بن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: ﴿وَأَتَاهُ اللَّهُ﴾ ضمير المفعول به يعود إلى ﴿دَاوُدُ﴾ أي: أعطاه الله ﴿الْمُلْكَ﴾ فصار ملكاً وأعطاه ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ فصار رسولاً. واجتمع له ما به صلاح الدين والدنيا، والشرع والإمارة ﴿وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ﴾ أي: أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ليس عندهم من العلم إلا ما علمهم الله؛ لقوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ﴾. فالنبي نفسه لا يعلم الغيب، ولا يعلم الشرع إلا ما أتاه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ومثل ذلك قول الله تعالى لنبيه محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣].

(١) قصص الأنبياء، عمرو خالد، ص ٣٧٩.

(٢) أسماء الأنبياء ودلالاتها ومعانيها، خالد محمد، نور حوران للنشر والتوزيع، دار العرب للدراسات، ط ١، ٢٠١٦م، ص ٢١٥.



وفي ﴿وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ﴾؛ إثبات المشيئة لله، ولكن اعلم أن مشيئة الله تابعة لحكمته كما قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ۝ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الإنسان: ٢٩، ٣٠].

ج- قال الشيخ محمد أبو زهرة رَحِمَهُ اللَّهُ: وقد ذكر سبحانه العناصر التي ترشح للسلطان وحكم الناس، فكانت قوة الجسم، والحكمة، والعلم؛ ولذا قال سبحانه بعد ذكر قتله لجالوت: ﴿وَأَتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ﴾. والحكمة هي وضع الأمور في مواضعها، والتدبير المحكم على وفق العلم. فالحكمة تقتضي صفتين ذاتيتين في الشخص: عقلا مدرگا نافذا بصيرا يرى بواطن الأمور ويتغلغل في أعماقها؛ وإرادة محكمة تجعل العمل يتلاقى مع الفكر الصحيح والإدراك السليم، فلا يكون سلطان يعارض دواعي العقل، وأحكام الفكر السليم. فليس بحكيم من يبادر بالحكم على الأشياء من غير دراسة عميقة مستقصية، وليس بحكيم من يكون عمله على غير ما تقتضيه قواعد الفكر المستقيم.

وذكر سبحانه أنه علَّم داوود علما كثيرا واسعا مما شاء أن يعلمه، فقله تعالى: ﴿مِمَّا يَشَاءُ﴾ يشير إلى سعة العلم، وأنه كثير متشعب لا تحده إلا مشيئة الله وإرادته.

فعَلَّمَهُ الله سبحانه سياسة الملك، وأحوال الناس، ومنازع النفوس، وأحوال البلدان، وما تنتجه من خيرات، وغير ذلك. وكان تعليم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ له بالنبوة التي أفاضها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عليه، والتجارب التي ساقها الله إليه، والذخيرة التي بين



يديها من أحوال الحاكمين السابقين، والهداة المرشدين، وما أوتيته من علم التوراة، والأخبار الصحاح عن النبيين السابقين؛ وفي كل ذلك هداية وإرشاد إلى أقوم مناهج الحكم الصحيح.

إنها عناصر الحكم الصالح، فلا بد أن يكون الحاكم قوياً في جسمه، بحيث لا يخذل جسمه إرادته؛ فكثيراً ما يكون ضعف الإرادة من ضعف الجسم، وضعف التدبير من تخاذل القوى البدنية عن الاحتمال، ولكن قد تكون الإرادة القوية والعزيمة الماضية في جسم ضعيف، وفي هذه الحال قد يستغني عن ذلك العنصر، وذلك إن لم يوجد شخص تتوافر فيه قوة النفس وقوة الجسم معاً، فالاعتبار الأول لقوة النفس، وقوة الجسم خادمة لقوة الإرادة وليست مقصودة لذاتها. وإن العنصر الثاني هو الحكمة: وهي كما رأيت جعل العمل يسير مع العقل، فلا تتحكم الأهواء والشهوات، وآفة الحكم الصالح هوى الحاكم، فإن غلبت رغبته عقله غلب الفساد حكمه، فليختبر كل حاكم نفسه، فإن رأى أهواءه هي المسيطرة فليعلم أن الشر قد استحكم، وأنه أولى به ثم أولى أن يعتزل، وإن وجد عقله هو المسيطر فليعلم أن الله أجرى عليه التوفيق.

والعنصر الثالث: الإحاطة التامة بمصالح الناس وأحوالهم: فإن الحكم عمل للمصلحة، وليس سيطرةً وتحكماً، ومن ظنَّ سيطرةً وتحكماً فهو ممن طمس الله بصيرته، وغلبت عليه شهوته، ثم غلبت عليه شقوته.

إن الفرق ما بين الحكم الصالح وغير الصالح دقيق في معناه، وإن كان الأثر كبيراً في مبناه، فالحكم الصالح: أساسه أن يكون الحكم لمصلحة المحكوم



وإجابة لرغبته، والحكم غير الصالح: أساسه أن يكون الحكم تحكماً في المحكوم؛ فمن تحكم في الرعية ولو باسم مصلحتها، فقد سلك سبيل الفساد، لأن التحكم ينبعث من الرغبة في السيطرة، ولو لبس لبوس المصلحة. وكما أن السيطرة تسلط، والتسلط في ذاته فساد يؤدي لا محالة إلى فساد، ويؤدي إلى موت الإرادات في الجماعة، وفي ذلك إضعاف لقوتها.

وأما الحكم المنبعث من إرادة الجماعة التي يقودها لمصلحتها، فهو يؤدي إلى الصلاح لا محالة، وإن تعثر في أخطاء أحياناً؛ لأنه من الخطأ يتعلم الناس الصواب، ومن الخط المعوج يُعرف الخط المستقيم^(١).

٤- ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥١]:

عقبت الآيات على المعركة ونتيجتها، وذلك بذكر سنة من سنن الله، وهي سنة المدافعة بين الناس التي ينتج عنها ذهاب الضعيف وبقاء القوي، ومعنى هذه الجملة القرآنية المعجزة، -كما ذكر محمد رشيد رضا-: لولا أن الله تعالى يدفع أهل الباطل بأهل الحق، وأهل الفساد في الأرض بأهل الإصلاح، لغلب أهل الباطل والإفساد في الأرض وبغوا على الصالحين، وأوقعوا بهم، حتى يكون لهم السلطان وحدهم فتفسد الأرض بفسادهم، فكان من فضل الله على العالمين، وإحسانه إلى الناس أجمعين، أن أذن لأهل دينه الحق، المصلحين في الأرض بقتال المفسدين فيها من الكافرين والبلغاة المعتدين؛ فأهل الحق حرب لأهل الباطل في كل زمان والله ناصرهم، ما نصروا الحق، وأرادوا الإصلاح في الأرض^(٢).

(١) زهرة التفاسير (٢/ ٩١٠).

(٢) تفسير المنار (٢/ ٩١٣).



وقال الشيخ محمد أبو زهرة رَحِمَهُ اللهُ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾: وقد دل ذلك الختام الكريم على ثلاثة أمور:

أولها: أن ذلك التنظيم الحكيم هو من فضل الله ورحمته، وإنعامه على خلقه، وليس ذلك بواجب عليه سبحانه؛ وذلك لأنه خلق الناس، وخلق معهم عقولا يعرفون بها خيرهم وشرهم، فإن ساروا في طريق الخير والفلاح فلهم ما قصدوا إليه، وإن ساروا في طريق الشر والفساد فإلى الهاوية يسيرون، وعليهم وبال أمرهم، وعاقبة عملهم إنما هو من فضله، وقد دلّ على ذلك الاستدراك بقوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ﴾ وصف ذلك بأنه فضل من رب العالمين خالق الناس أجمعين.

الأمر الثاني: فضل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الكثير، ووصفه سبحانه بأنه ذو فضل، وقد دل على كثرة الفضل التنكير في قوله تعالى: ﴿ذُو فَضْلٍ﴾ أي ذو فضل كثير، لا يدرك الناس قدره، ولا يعرف كنهه، ولا يحد بمقدار حتى يعرف ويعين بالتعريف. الأمر الثالث: أن النعمة التي أنعم الله بها على خلقه من دفع الفساد يَنْعَمُ بها المؤمنون والمشركون، والأشرار والأبرار؛ لأن الفساد إذا عمّ لا يسلم منه أحد، والخير إذا تحقق عمّ الجميع، وقد دل على هذا المعنى قوله تعالى: ﴿عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ فلم يقل على المؤمنين أو المتقين، بل عم الخير على الناس أجمعين للإشارة إلى ذلك المعنى الجليل.

هذه قصة بني إسرائيل الذين غلبوا على أمرهم ثم بدلوا من الذلة عزة، وهي قصة تكشف عن سنن الاجتماع والحروب، وأمثلة طرق الحكم^(١).

(١) زهرة التفاسير (٢/٩١٣).



٥- ﴿تِلْكَ ءَايَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ ۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾:

وبعدما ذكرت الآيات قصة طالوت اعتبرتها دليلاً على نبوة محمد ﷺ واعتبرت في القرآن دليلاً على أن القرآن كلام الله.

أي: أخبر الله نبيه محمداً ﷺ بقصة طالوت وجالوت، وأوردها في آيات القرآن، وهذا يدل على أن القرآن كلام الله، وأن محمداً هو رسول الله ﷺ. ووجه دلالتها على ذلك أن محمداً رجل عربي أمي، لم يطلع على أخبار السابقين، ولم يتعلم عند أهل الكتاب، وإن تفاصيل قصة طالوت لا يعلمها إلا أهل الكتاب، وليس عند العرب علم بها، فلو لم يكن محمد ﷺ لما علم بها، فأيرادها في القرآن دليل على أن الله هو الذي أوحى بها؛ لأنه رسول أرسله الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وبانتهاء المعركة الفاصلة، وانتصار طالوت وأتباعه وقتل داوود لجالوت، تنتهي قصة طالوت، أو ملك ملكه الله على بني إسرائيل^(١).

وإن التعقيب على قوله تعالى: ﴿تِلْكَ ءَايَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ ۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾:

أي أن تلك الآيات العالية المقام البعيدة الغايات، ﴿نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ ۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾.

(١) القصص القرآني (٣/٣٩٨).



﴿تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ﴾، تحمل معها الحق وتتلوها من يملك حق تلاوتها وتنزيلها، وجعلها دستوراً للعباد، وليس هذا الحق لغير الله سبحانه، فكل من ذيسن للعباد منهجاً غيرها، إنما هو مقتات على حق الله ظالم لنفسه، وللعباد، مدّع ما لا يملك، مبطل لا يستحق أن يطاع؛ فإنما يطاع أمر الله أو أمر من يهتدي بهدى الله دون سواه. ومن ثم نتلو عليك هذه الآية ونزودك بتجارب البشرية كلها في جميع أعصارها، وتجارب الموكب الإيماني كله في جميع مراحلها، ونورثك ميراث المرسلين أجمعين^(١).

٦- أهم السنن في حياة الأمم والشعوب من قصة طالت:

حاول الشيخ محمد رشيد رضا رَحِمَهُ اللهُ أَنْ يتأمل في هذه القصة ويستنبط منها أهم السنن الإيمانية في حياة الأمم والمجتمعات والشعوب، وذكر منها: (السنة الأولى) أن الأمم إذا اعتدي على استقلالها وأوقع الأعداء بها فهضموا حقوقها تتنبه مشاعرها لدفع الضيم وتفكر في سبيله، فتعلم أنها الوحدة التي يمثلها الزعيم العادل والقائد الباسل، فتتوجه إلى طلبه حتى تجده، كما وقع من بني إسرائيل بعد تنكيل أهل فلسطين بهم.

(الثانية) أن شعور الأمة بوجوب حفظ حقوقها وصيانة استقلالها إنما يكون على حقيقته وكمالها في خواصها، فمتى كثر هؤلاء الخواص في أمة، فإنهم هم الذين يطلبون الرئيس الذي يملك عليهم، كما علمت من إسناد طلب الملك إلى الملأ من بني إسرائيل، وهم شيوخهم وأهل الفضل فيهم.

(١) في ظلال القرآن (١/ ٢٧١).



(الثالثة) متى عظم الشعور في نفوس خواص الأمة بوجوب حفظ استقلالها ودفع ضيم الأعداء عنها؛ فإنه لا يلبث أن يسري إلى عامتها، فيظن الناقص أن عنده من النعمة والحماية للأمة ما عند الكامل، حتى إذا خرجت من طور الفكر والشعور إلى طور العمل والظهور انكشف عجز الأدعياء المدعين، ولم ينفع إلا صدق الصادقين.

(الرابعة) أن من شأن الأمم الاختلاف في اختيار الرئيس الذي يكون له الملك عليها، والاختلاف مدعاة التفرق، فيجب أن يكون هناك مرجح يقبله الجمهور من الأمة؛ لذلك لجأ الملأ من بني إسرائيل إلى نبيهم، وطلبوا منه أن يختار لهم رجلا يكون ملكا عليهم، وقد جعل الإسلام المرجح لاختيار إمام المسلمين مبايعة أولي الأمر لمن يختارونه من أنفسهم، وهم أهل الحِلِّ والعقد والمكانة في الأمة.

(الخامسة) أن الناس لا يتفقون على التقليد أو الاتباع فيما يرونه مخالفا لمصلحتهم الاجتماعية؛ ولذلك اختلف بنو إسرائيل على نبيهم في جعل طالوت ملكا عليهم، واحتجوا على ذلك بما لا ينهض حجة إلا في ظن المنكرين. ومن عجيب أمر الناس أن كلا منهم يحسب أنه يعرف الصواب في السياسة ونظام الاجتماع في الأمم والدول.

(السادسة) أن الأمم في طور الجهل ترى أن أحق الناس بالملك والزعامة أصحاب الثروة الواسعة، كما علم من قول المنكرين على ملك طالوت في تأييد إنكارهم.



(السابعة) أن الشروط التي تعتبر في اختيار الرجل في الملك هي ما استفدناه من قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾، فيما يأتي:

- الاستعداد الفطري للشخص: ﴿إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ﴾.
- السعة في العلم الذي يكون به التدبير: ﴿وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ﴾.
- بسطة الجسم المعبر بها عن صحته، وكمال قواه المستلزم ذلك صحة الفكر ﴿وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾.
- توفيق الله تعالى بإيجاد الأسباب له وهو المعبر عنه بقوله: ﴿وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ﴾.

(الثامنة) هي ما أفاده قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ﴾ كما بيّناه معززاً بالشواهد من الكتاب العزيز، على أن مشيئته تعالى إنما تنفذ بمقتضى سننه العامة في تغيير أحوال الأمم بتغييرهم ما في أنفسهم، وفي سلب ملك الظالمين وإيراث الأرض للصالحين، وتأويل هذه الآيات وأمثالها مشاهد في كل زمان. وأين المبصرون؟

(التاسعة) أن طاعة الجنود للقائد في كل ما يأمر به وينهى عنه شرط في الظفر واستقامة الأمر؛ وقوانين الجندية في هذا الزمان مبنية على طاعة الجيش لقواده في المنشط والمكره والمعقول وغير المعقول.

(العاشر) أن الفئة القليلة قد تغلب - بالصبر والثبات وطاعة القواد - الفئة الكثيرة التي أعوزها الصبر والاتحاد، مع طاعة القواد؛ لأن نصر الله مع الصابرين. (الحادية عشرة) أن الإيمان بالله تعالى والتصديق بلقائه من أعظم أسباب الصبر والثبات في مواقف الجَلاد والقتال.

(الثانية عشرة) أن التوجه إلى الله تعالى بالدعاء مفيد في القتال، كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾؛ إذ عطفها بالفاء على آية الدعاء، وذلك معقول المعنى؛ فإن الدعاء هو آية الإيمان بالله والتصديق بقاءه.

(الثالثة عشرة) دفع الله الناس بعضهم ببعض من السنن العامة، وهو ما يعبر عنه علماء الحكمة في هذا العصر بتنازع البقاء، ويقولون: إن الحرب طبيعية في البشر؛ لأنها من فروع سنة تنازع البقاء العامة. وأنت ترى أن قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾، ليس نصاً فيما يكون بالحرب والقتال خاصة، بل هو عام لكل نوع من أنواع التنازع بين الناس، يقتضي المدافعة والمغالبة^(١).

إن السنن الربانية ثابتة في الكون، وتقع على الإنسان في كل زمان ومكان، وسنة التدافع من السنن التي تتعلق بالتمكين تعلقاً وثيقاً، ولقد شاء الله رب العالمين أن يجري أمر هذا الدين - بل أمر هذا الكون - على السنن الجارية لا على السنن الخارقة، وذلك حتى لا يأتي جيل من أجيال المسلمين فيتقاعس ويقول: لقد نُصر الأولون بالخوارق، ولم تعد الخوارق تنزل بعد ختم الرسالة وانقطاع النبوات^(٢).

إن سنة التدافع مرتبطة بالتمكين، والحكم والسلطان ارتباطاً وثيقاً، فالله تعالى يعلم أن الشر متبجح، ولا يمكن أن يكون منصفاً، ولا يمكن أن يدع الخير

(١) تفسير المنار (٢/ ٤٩٢ - ٣٩٨).

(٢) واقعنا المعاصر لمحمد قطب، مؤسسة المدينة للصحافة والطباعة، والنشر - جدة، ط ٢،

١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م، ص ٤١٤.



يعلو - مهما يسلك هذا الخير من طرق سليمة موادة - فإن مجرد نمو الخير يحمل الخطورة على الشر، ومجرد وجود الحق يحمل الحظر على الباطل، ولا بد أن يجنح الشر إلى العدوان، ولا بد أن يدافع الباطل عن نفسه بمحاولة قتل الحق وخنقه بالقوة.

فمن هنا يقع التدافع بين الحق وأهله، والباطل وأعوانه، وتلك سنة الله، ولن تجد لسنة الله تبديلاً^(١). وهي سنة فطرية جارية بين الناس حفظاً لاستقامة حال العيش واعتدالاً لميزان الحياة^(٢).

لقد ورد تقرير هذه السنة الربانية في القرآن الكريم بصفة عامة، ولكن جاء التنصيص عليها في آيتين كريمتين منه^(٣):

الأولى: قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥١].

الثانية: قوله تعالى في سورة الحج: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهْجَمَتِ صَوَامِعُ وَبِيْعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠].

وإن الملاحظ هو أن آية البقرة تأتي بعد ذكر نموذج من نماذج الصراع بين الحق والباطل، المتمثل هنا في طالوت وجنوده المؤمنين، وجالوت وأتباعه، ويذيل

(١) في ظلال القرآن (٣/ ٧٤٢).

(٢) التمكن للأمة الإسلامية في ضوء القرآن الكريم، محمد السيد حمد يوسف، دار السلام - مصر، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، ص ٢١٨.

(٣) المصدر السابق، ص ٢١٩.



الله - تعالى - الآية بقوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥١]، وعلى ذلك، فإن دفع الفساد بهذا الطريق إنعام يعمّ الناس كلّهم^(١).
وتأتى آية الحج بعد إعلان الله تعالى أن يدافع عن أوليائه المؤمنين، وبعد إذنه لهم - سبحانه - بقتال عدوهم، ويختتم الآية بتقرير الله تعالى لقاعدة أساسية: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُٓ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠].
إن من الضروري للأمة الإسلامية أن تعي سنة الله - تعالى - في دفع الناس بعضهم ببعض: "لتدرك أن سنة الله - تعالى - في تدمير الباطل بأن يقوم في الأرض حق يتمثل في أمة، ثم يقذف الله - تعالى - بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق"^(٢).

٧- بداية المملكة القوية لبني إسرائيل:

هي المملكة القوية والراشدة والغنية التي تولّى حكمها الملك طالوت، ثم النبي داوود، ثم ابنه النبي الملك سليمان عَلَيْهِمَا السَّلَام.
وقد أسسها النبي الذي ذكره الله في القصة: ﴿إِذْ قَالَ لِنَبِيِّ لَهُمْ﴾. وتذكر قصص التاريخ أن اسمه "صمويل" الذي أقام لأسباط بني إسرائيل -تلبية لطلبهم- أول ملك قادهم للقتال في سبيل الله، وكان هذا الملك هو طالوت الذي اصطفاه الله على لسان نبيه، وزاده بسطة في العلم والجسم. ثم جاء بعده النبي الملك العابد المجاهد داوود عَلَيْهِ السَّلَام^(٣).

(١) التفسير الكبير: مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، دار إحياء التراث، بيروت، لبنان، ١٥٤١ هـ - ١٩٩٥ م، (٣/ ٥١٤).

(٢) في ظلال القرآن (٢/ ١٠٩١).

(٣) كلام اليهود، علي دولت، ص ٤٤٤.



ولقد ذكرت الإسرائيليات وروايات العهد القديم، وفصلت أحداث قصة طالوت بعد المعركة، والصلة بين طالوت وداوود، وكيف انتهت بالعداوة الشديدة، والحرب الطاحنة بينهما، إلى أن تغلب داوود على طالوت وقتله، ولكننا لا نرى العودة إلى الإسرائيليات، وذكر شيء منها في تفسير كلام الله، فنكتفي بما أخبرت عنه آيات القرآن من قصة طالوت، ونقول بما قالت به، ونسكت عما سكت عنه^(١).

ومن أراد التوسع في فهم قصص العهد القديم، وما نسب من خلاف بين طالوت وداوود عَلَيْهِمَا السَّلَام، فليراجع:

- (دراسات تاريخية في القرآن، محمد بيومي).
 - (بنو إسرائيل والحضارة، محمد بيومي مهران).
 - (عجائب وأسرار داوود وسليمان، عادل حامد).
 - (داوود وسليمان عَلَيْهِمَا السَّلَام في الأسفار اليهودية، مي حسن المدهون).
 - (القصص القرآني، أحمد الكبيسي).
- وبعد أن تولي داوود عَلَيْهِمَا السَّلَام الملك عمل على توحيد مملكته، والتوسع في بنائها على أسس العدل والمساواة، وإقامة الحق بين الناس.

٨- نزع التمكين وزواله من الظالمين:

نزع الله تعالى ملك جالوت الظالم، ومكن لداوود عَلَيْهِمَا السَّلَام الصالح المصلح؛ قال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ

(١) القصص القرآني (٣/ ٣٩٨).



تَشَاءُ وَتُعْزُ مِنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مِنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾

[آل عمران: ٢٦].

وإن من أعظم ما تدل عليه الآية الكريمة من وجوه النفع العظيم = نزع الله تعالى الملك ممن آتاه إياه بعد أن ظلم وجار، وذلك حتى لا تخلد النفوس الظالمة الجائرة في وهم الأمان من هذا النزع، بعدما صاروا في غيبوبة سكر الملك أو السلطان الجائر. وكذلك في هذا بشارات للمظلومين، وأنه تعالى ناصرهم على من ظلمهم وتجبر عليهم، وأن عليهم الأخذ بأسباب دفع الظلم عنهم والصبر على هذا، والمصابرة أثناء دفع الظالم ليزول عنهم ظلمه^(١).

٩- وضع الجوائز لمن يقوم بالعمل العظيم:

قال الإمام القرطبي: وفي قول طالوت: من يبرز له -أي لجالوت- ويقتله فإني أزوجه ابنتي وأحكمه في مالي، معناه ثابت في شرعنا، وهو أن يقول الإمام: من جاء برأس -أي برأس كافر في الحرب- أو أسير فله كذا^(٢).

وعلى هذا؛ يجوز لولاة الأمور وضع الجوائز المادية والمعنوية لمن يقوم بأعمال مشروعة عظيمة تنفع المسلمين، وسواء كان ذلك في حالة السلم أو الحرب^(٣).

(١) سنن التمكن وأثرها على السياسة الشرعية، إبراهيم المبارك، دار اليسر، ط ١، ٢٠١٧م، ص ١٥٠.

(٢) الاستفادة من قصص القرآن للدعوة والدعاة، عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤١٩هـ.

- ١٩٩٨م، ص ٢٧٤.

(٣) المصدر السابق نفسه.



١٠ - اسم داود عَلَيْهِ السَّلَام في القرآن الكريم:

ورد اسم "داود" عَلَيْهِ السَّلَام في القرآن ست عشرة مرة، وذكره في القرآن على صور متعددة:

الصورة الأولى:

- أحياناً يرد اسمه فقط بدون إشارة لقصته، كما في سورة الأنعام، حيث ذكر ضمن مجموعة من الأنبياء الكرام عليهم الصلاة والسلام؛ قال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأنعام: ٨٤].

- وأحياناً يذكر مقروناً مع تفضيل الله له بإنزال الزبور عليه. قال تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ [النساء: ١٦٣]. وقال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ [الإسراء: ٥٥].

- وأحياناً يذكر اسمه في سياق بدء أمره، بعدما قتل قائد أعدائه جالوت، كما مر معنا سابقاً. قال تعالى: ﴿فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾



- وأحياناً يذكره بذكر اسمه في سياق لعن الكفار من بني إسرائيل. قال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [المائدة: ٧٨].

في السور السابقة من البقرة والنساء، والمائدة، والأنعام، والإسراء، كان يذكر داوود عَلَيْهِ السَّلَام مرة في كل سورة. وفي سورة الأنبياء ذكر مرتين:

- مرة في الإشارة إلى حكمه وقضائه في الغنم التي ألفت الزرع، واستدراك ابنه سليمان عَلَيْهِ السَّلَام: ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتِ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحَكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٨].

ومرة ثانية في الإشارة إلى تسبيح الجبال والطير معه: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٩]. وفي سورة النمل ذكر مرتين:

- مرة في الإشارة إلى ما منحه الله مع ابنه سليمان من العلم: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا﴾.

- ومرة في الإشارة إلى وراثته ابنه سليمان له: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ﴾. وفي سورة سبأ ذكر مرتين:

- مرة في الإشارة إلى فضل الله عليه في تسبيح الجبال والطير معه: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا﴾ [النمل: ١٥].

- ومرة بتكليف آل داوود بشكر الله على نعمه: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ﴾ [سبأ: ١٣].



وأكثر المرات التي ذكر فيها اسم داود كان في سورة ص، حيث ذكر اسم داود فيها خمس مرات:

- مرة في دعوة محمد ﷺ للاقتداء بدأود والثناء عليه: ﴿أَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [سورة ص: ١٧].

- ومرة في الإشارة إلى سليمان الذي وهبه الله لدأود: ﴿وَوَهَبْنَا لِداوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [سورة ص: ٣٠]. هذه مواضع ذكر داود في السورة^(١).

الصورة الثانية:

ما ذكرته كل سورة من قصته عَلَيْهِ السَّلَام، وكان كما يلي:

إشارة سريعة في كل من السور: البقرة والنساء، والمائدة، والأنعام، والإسراء.

- وفي سورة الأنبياء كلام عن تسبيح الجبال والطير مع داود عَلَيْهِ السَّلَام، وعن الدروع التي كان يصنعها وعن حكمه في الغنم التي أفسدت الزرع، واستدراك ابنه سليمان عَلَيْهِ السَّلَام عليه؛ وهذا في الآيات (٧٩-٨٠).

- وفي سورة النمل إشارة إلى ما أتى الله داود وسليمان عَلَيْهِمَا السَّلَام من العلم والفضل وشكرهما الله على هذه النعم؛ وهذا في آية (١٥).

وجعلت السورة هذه الإشارة تمهيداً لقصة سليمان عَلَيْهِ السَّلَام المطوّلة مع النملة والهدهد وملكة سبأ.

- وفي سورة سبأ كلام عن ما حبا الله به داود عَلَيْهِ السَّلَام من فضل وتسبيح الجبال وإلانة الحديد، والدروع المتينة التي كان يصنعها، وهذا في الآيتين: (١٠، ١١).

(١) القصص القرآني (٣/ ٤٠٤).

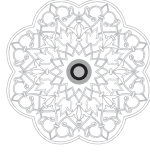


- وفي (سورة ص) أطول مشهد من مشاهد قصة داوود في القرآن؛ فقد بدأت الآيات بدعوة رسولنا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للاقتداء بـداوود عَلَيْهِ السَّلَام في الصبر، ووصفت داوود بأنه ذو الأيد، أوّاب. وأن الله سخر معه الجبال والطير يسبحن في الصباح والمساء، وآتاه الحكمة وفصل الخطاب وهذه في الآيات (١٧ - ٢٠). ثم عرضت الآيات قصة داوود مع الخصمين المتنازعين الَّذِينَ تسورا عليه المحراب، وحكمه لهما وفتنته في ذلك، وسجوده واستغفاره، وأمره بالحكم بين الناس بالعدل، وهذا في الآيات (٢١ - ٢٦).

وبعد هذا البيان الموجز لذكر داوود عَلَيْهِ السَّلَام في القرآن، نتقل للوقوف مع حديث القرآن عنه وعرض تفاصيل قصته^(١)، ونبدأ بسورة ص.



(١) القصص القرآني (٣/ ٤٠٥).



المبحث الثاني

قصة داوود وسليمان عَلَيْهِمَا السَّلَامُ في سورة ص

قال تعالى: ﴿أَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ ۖ إِنَّهُ أَوَّابٌ ۝١٧﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعُشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ۝١٨ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ ۝١٩ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ ۖ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ ۝٢٠ * وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَضِرِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ۝٢١ إِذْ دَخَلُوا عَلَىٰ دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصِمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَأَحْكَمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَىٰ سَوَاءِ الصِّرَاطِ ۝٢٢ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَجَّةً وَلِي نَجَّةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ۝٢٣ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَجَّتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ ۖ وَإِنْ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۖ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۝٢٤ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَّآبٍ ۝٢٥ يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ۝٢٦ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ۝٢٧ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ۝٢٨ كَتَبْنَا نُزْلَهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا ءَايَاتِهِ ۖ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ۝٢٩ وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ ۖ نِعْمَ الْعَبْدُ ۖ إِنَّهُ أَوَّابٌ ۝٣٠ إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعُشِيِّ الصِّفَتِ الْجِيَادُ ۝٣١



فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوَهَا عَلَيَّ فَنُفِقَ
مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْتَاقِ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ
﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ
﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَالشَّيْطَانِ كُلَّ بَنَاءٍ وَغَوَاصٍ ﴿٣٧﴾
وَعَاخِرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنْ لَهُ
عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنُ مَّآبٍ ﴿٤٠﴾ [سورة ص: ١٧-٤٠].

تفسير الآيات الكريمة:

أولاً: قال تعالى: ﴿أَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَادْخُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا
سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعِشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَالطَّيْرَ مُحْشُورَةً كُلُّ لَهُ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾
وَشَدَدْنَا مُلْكَهُمْ وَعَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ ﴿٢٠﴾﴾ [سورة ص: ١٧-٢٠]:

تفسير الآيات الكريمة:

١- ﴿أَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَادْخُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾﴾:

أ- ﴿أَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾:

يقول الله تعالى في ذكره لنبيه محمد ﷺ اصبر يا محمد على ما يقول
مشركو قومك لك مما تكره قولهم لك، فإننا ممتحنوك بالمكاره، وقد امتحنا
سائر رسلنا قبلك، ثم جاعلو العلو والرفعة والظفر لك على من كذَّبك ورفض
اتباعك^(١)، كما هو الحال في الرسل الذين أرسلناهم إلى عبادنا قبلك، فمنهم

(١) جامع البيان، محمد بن جرير الطبري (١٣٦/٢٣).



عبدنا داوود، فأمر الله عَزَّوَجَلَّ محمداً - على عظمة قدره - بأن يقتدي في الصبر على طاعة الله بـداوود عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ وذلك تشريف عظيم، وإكرام لنبي الله داود؛ حيث أمر الله أفضل الخلق محمداً بأن يقتدي به في مكارم الأخلاق، وقد أثنى عليه بالخصال الحميدة.

ب- تمام عبوديته لله عَزَّوَجَلَّ:

إذ وصفه سبحانه بقوله: ﴿عَبَدْنَا﴾؛ فإن الوصف بالعبودية لله عَزَّوَجَلَّ مشعر بتحقيق تمام العبودية بالاجتهاد في الطاعة^(١). وكان داوود عَلَيْهِ السَّلَامُ من أعبد الناس، وقد أخبرنا عن صلاته وصيامه رسولنا الكريم، فقد روى البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال لي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَحَبُّ الصَّيَامِ إِلَى اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ صِيَامُ دَاوُودَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، كَانَ يَصُومُ يَوْمًا وَيُفْطِرُ يَوْمًا، وَأَحَبُّ الصَّلَاةِ إِلَى اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ صَلَاةُ دَاوُودَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، كَانَ يَنَامُ نِصْفَ اللَّيْلِ، وَيَقُومُ ثُلُثَهُ، وَيَنَامُ سُدُسَهُ، وَلَا يَفِرُّ إِذَا لَاقِيَ»^(٢).

ولهذا الحديث الذي رواه عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما مناسبة، وضَّحها عبد الله بن عمرو نفسه في حديث آخر، نقدمها للقراء ليعرفوا دعوة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعبد الله بن عمرو للاقتداء بـداوود عَلَيْهِ السَّلَامُ في صيامه وقيامه. وقد روى البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما، قال: كنت أصوم الدهر وأقرأ القرآن كل ليلة. قال: فإما ذكرت للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإما أرسل إليّ فأتيته. فقال لي: «أَلَمْ أُخْبِرْ أَنَّكَ تَصُومُ الدَّهْرَ وَتَقْرَأُ الْقُرْآنَ كُلَّ لَيْلَةٍ؟»

(١) الشفاء في القرآن الكريم، هتون سامي عبد الرحمن فلمبان، دار ابن حزم، بيروت، ١، ط ٢٠١٦م، ص ٣٣٧.

(٢) البخاري، رقم ٣٤٢٠؛ مسلم، رقم ١١٥٩.



فقلت: بلى يا نبي الله! ولم أرد بذلك إلا الخير. قال: «فَإِنْ بِحَسْبِكَ أَنْ تَصُومَ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ»، قلت: يا نبي الله! إني أطيق أفضل من ذلك. قال «إِنَّ لِرِزْوَجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِرِزْوَرِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِحَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا»، قال: «فَصُمْ صَوْمَ دَاوُودَ نَبِيِّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَإِنَّهُ كَانَ أَعْبَدَ النَّاسِ»، قَالَ قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، وَمَا صَوْمُ دَاوُودَ؟ قَالَ: «كَانَ يَصُومُ يَوْمًا وَيُفْطِرُ يَوْمًا»، قال: «وَاقْرَأِ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ شَهْرٍ»، قال قلت: يا نبي الله! إني أطيق أفضل من ذلك. قال: «فَاقْرَأْهُ فِي كُلِّ عَشْرِينَ»، قال قلت: يا نبي الله! إني أطيق أفضل من ذلك. قال: «فَاقْرَأْهُ فِي كُلِّ عَشْرِ»، قَالَ قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: «فَاقْرَأْهُ فِي كُلِّ سَبْعٍ، وَلَا تَزِدْ عَلَى ذَلِكَ، فَإِنَّ لِرِزْوَجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِرِزْوَرِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِحَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا». قَالَ: فَشَدَّدْتُ، فَشَدَّدَ عَلَيَّ. قَالَ: وَقَالَ لِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّكَ لَا تَدْرِي لَعَلَّكَ يَطُولُ بِكَ عُمْرٌ».

قال: قَالَ: فَصِرْتُ إِلَى الَّذِي قَالَ لِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا كَبُرْتُ وَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ قَبْلْتُ رُخْصَةً نَبِيِّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(١). وفي هذا الحوار التربوي بين رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يصرح رسول الله بأن داوود كان أعبد الناس^(٢).

ج- ﴿ذَا الْآيِدِ﴾:

ذو القوة والبطش الشديد في ذات الله والصبر على طاعته^(٣). ﴿ذَا الْآيِدِ﴾؛ أي: القوة العظيمة على العبادة والطاعة في بدنه وقلبه، وقوته في العلم، والعمل

(١) رواه البخاري، رقم ٦١٩. ومسلم، رقم ١١٥٩.

(٢) القصص القرآني (٤٢١/٣).

(٣) جامع البيان، الطبري (١٣٦/٢٣).



على أداء الأمانة، والقيام بأعباء الدعوة، ومجانبة الضعف والوهن؛ وتلك قوة محمودة إذا كانت على الحق والخير ونصر دين الله^(١).
لقد كان داود عَلَيْهِ السَّلَامُ قوياً في كل هذه الأمور^(٢).
د- ﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾:

أي: كثير الرجوع إلى الله في جميع الأمور، ومنيب إليه بالحب والطاعة، والخوف والرجاء، وكثرة التضرع والدعاء، ورجّاع إليه عندما يقع منه بعض الخلل والتقصير بالإقلاع عن الذنب، والتوبة النصوح^(٣).
قال السعدي رَحِمَهُ اللهُ في قوله تعالى: ﴿الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾: مدح عظيم من الله لهذين الوصفين: قوة القلب والبدن في طاعة الله، والإنابة باطناً وظاهراً إلى الله المستلزمة لمحَبته وكمال معرفته.

وإن هذين الوصفين للأنبيا على وجه الكمال ولمن بعدهم من أتباعهم على حسب أتباعهم والثناء من الله عليهما، يقتضي الحث على جميع الأسباب التي تعين على القوة والإنابة، وأن يكون العبد رجّاعاً إلى الله في حال السراء والضراء وفي جميع الأحوال^(٤).

٢- ﴿إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعِثَى وَالْإِشْرَاقِ﴾:

وذلك من وقت العصر إلى الليل، والإشراق، وذلك بالغداة وقت الضحى، وذكر أن داود كان إذا سبّح سبّحت معه الجبال^(٥).

(١) الثناء في القرآن الكريم، ص ٢٢٧.

(٢) القصص القرآني (٣/٤٣٣).

(٣) الثناء في القرآن، ص ٣٣٧.

(٤) قصص القرآن، جمع فايز السريح، ص ٢٠٢.

(٥) جامع البيان (٢٣/١٢٧).



قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: أي: إنه تعالى سخر الجبال تسبّح معه عند إشراق الشمس وآخر النهار كما قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَجِبَالُ أَوْبِي مَعَهُ وَالطَّيْرُ وَالنَّارُ لَهُ الْحَدِيدُ﴾ [سبأ: ١٠]. وكذلك كانت الطير تسبّح بتسبيحه وترجع بترجيئه إذا مرّ به الطير وهو سابح في الهواء فسمعه وهو يترنم بقراءة الزبور لا يستطيع الذهاب بل يقف في الهواء ويسبّح معه وتجيئه الجبال الشامخات ترجع معه وتسبّح تبعاً له^(١).

قال الرازي رَحِمَهُ اللَّهُ: واحتجّوا على شرعية صلاة الضحى بهذه الآية. عن أم هانئ قالت: ”دخل علينا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فدعا بوضوء فتوضأ ثم صلى صلاة الضحى، وقال: «يا أم هانئ هذه صلاة الإشراق»“.

وعن طاووس عن ابن عباس قال: ”هل تجدون ذكر صلاة الضحى في القرآن؟ قالوا لا، فقرأ: ﴿إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعِشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾“. وقال كان يصليها داوود عَلَيْهِ السَّلَام. وقال لم يزل في نفسي شيء من صلاة الضحى حتى وجدتها في قوله: ﴿يُسَبِّحْنَ بِالْعِشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾^(٢).

قال المراغي رَحِمَهُ اللَّهُ: وتخصيصه هذين الوقتين بالذكر يدل على اختصاصهما بمزيد شرف العبادة فيهما؛ فإن لفضيلة الأزمنة والأمكنة أثراً في فضيلة ما يقع فيهما من العبادات^(٣).

قال ابن جرير الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ: وسخرنا الطير يسبحن معه محشورة، بمعنى: مجموعة له؛ ذكر أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان إذا سبّح أجابته الجبال، واجتمعت إليه

(١) تفسير ابن كثير، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م، (٥٧/٧).

(٢) مفاتيح الغيب (١٨٧/٢٦).

(٣) تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي، شركة مكتبة مصطفى البابي الحلبي، ط ١، ١٩٤٦ م، (١٠٦/٢٣).



الطير، فسبحت معه واجتماعها إليه كان حشرها. قوله ﴿كُلُّ لَهْ أَوَّابٌ﴾؛ يقول: كل ذلك له مطيع رجّاع إلى طاعته وأمره، ويعني بالكل؛ كل الطير. وقال آخرون: معنى ذلك كل ذلك كان لله مسبح^(١).

هـ- تسبيح الجبال والطير على الحقيقة:

وهب الله داود عَلَيْهِ السَّلَامُ صوتاً جميلاً، فكان يتألق ويزداد جمالاً عندما يتلو الزبور، ومن روعة جمال صوت داود وإخلاصه لله، وتفانيه في الذكر والتسبيح والحمد والثناء على الله تعالى؛ أنه كان عندما يذكر الله ويسبحه كان يتأثر به ما حوله من الجبال والطيور، فكانت تسبح معه، فقد سخر الله الجبال والطير، وأمرها أن تسبح مع داود عندما يسبح الله، وأن تشاركه هذه العبادة. والجبال خاضعة لأمر الله خضوعاً تخييرياً تنفذ أمره ولا تتمرد عليه، ولهذا قامت بالتسبيح مع داود عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وإن الطير عابدة لله تعالى بلغة خاصة، وأصوات معينة؛ تنفذ أمر ربها ولا تتمرد عليه، وقد تلقّت أمر خالقها بالقبول، وكانت تشارك داود عبادته، وتسبيحه. وللجبال لغة خاصة تسبح بها الله - رغم أنها جمادات - نحن لا نفقهها. وللطيور أصوات خاصة تسبح بها الله نحن نسمعها ولا نفقهها^(٢).

قال تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٤].

(١) جامع البيان (١٣٧/٢٣ - ١٤١).

(٢) القصص القرآني (٤٢٥/٣).

فالآية الكريمة تبين أن كل من في السماوات السبع والأرض يسبح لله؛ سواء كانت مخلوقات عاقلة أو مخلوقات غير عاقلة، أو جمادات، فما من شيء في الوجود إلا يسبح بحمد الله إلا أننا لا نفقه لغتها، أو لا نسمع صوت الجمادات ولا نفقه لغتها؛ لأننا لا نفقه إلا لغتنا نحن البشر^(١). والذي عليه أهل العلم أن الجبال والطيور كانت تسبح مع داوود عَلَيْهِ السَّلَام على الحقيقة وليس هذا على الله بعزيز، فالذي أنطق البشر ليس بعاجز أن ينطق الطير والجبال كما قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢].

وقال سبحانه: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْنَاهُ خَشَعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [الحشر: ٢١].

وكما ذكر الله تعالى الحجارة، فقال: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ [البقرة: ٧٤].

ثم مدح الحجارة في مقابلهم، فقال: ﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشْقُقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾، مع أنها حجارة، ولكن الله جَلَّ وَعَلَا يجعل فيها هذا الإحساس، فتستطيع أن تسبح؛ ولذلك كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يخبر عن حجر كان يسلم عليه^(٢). والجذع قد أن وبكى لفراق النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ له، لما وُضع له المنبر صلوات الله وسلامه عليه. وينكر الهدهد على ملكة سبأ أنها عبدت غير الله عَزَّ وَجَلَّ.

(١) المصدر السابق، (٣/٤٢٦).

(٢) رواه مسلم، رقم ٢٢٧٧.



فنحن نؤمن بهذا ونصدّقه، ونقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٠]، كيف لا وستنطق يوم القيامة أيدي الكافرين وجلودهم بما كانوا يعملون، حين يقول الكافر لجلده ويده ورجله^(١) ﴿وَقَالُوا لَجُلُودُهُمْ لِمَ شَهِدَتْهُ عَلَيْنَا﴾؛ فتردّ عليهم: ﴿أَنطَقْنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [فصلت: ٢١].

إن الله عَزَّجَلَّ أنعم على عبده ونبيه داود عَلَيْهِ السَّلَامُ بما آتاه من الفضل المبين، وجمع له بين النبوة والملك المكين، والجنود ذوي العدد والعدة، وما أعطاه ومنحه من الصوت العظيم الذي كان إذا سَبَّحَ تسبح معه الجبال الراسيات، والصم الشامخات، وتقف له الطيور السارحات والعاديات والرائحات، وتجاوبه بأنواع اللغات^(٢).

وإن اللطيف في إخبار القرآن عن تسييح الجبال والطير مع داود عَلَيْهِ السَّلَامُ، أن هذه الأخبار جاءت في ثلاث سور: الأنبياء، سبأ، ص؛ ففي سورة الأنبياء، أخبر عن تسييحها معه: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٩].

وفي سورة سبأ أخبر عن تأويلها معه: ﴿يَجِبَالُ أَوْبَى مَعَهُ وَالطَّيْرُ وَآلَتَا لَهُ الْحَدِيدُ﴾ [سبأ: ١٠]. أي أن تسييحها كان تأويلاً وترجيحاً وترديداً بعد تسييحها هو. وأما في سورة ص فقد جاءت زيادة وإضافة مفيدة، قال تعالى: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا

(١) رواه مسلم، رقم ٢٩٦٩، ٢٩٨٦.

(٢) فبهذا هم اقتدوه «قراءة تأصيلية في سير وقصص الأنبياء»، عثمان محمد الخميس، دار إيلاف الدولية، الكويت، ط ١، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م، ص ٢٩٥.



الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحُنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهِ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ ﴿٢٠﴾ [سورة ص: ١٨-٢٠].

والعشي: وقت المساء، عند غروب الشمس.

والإشراق: وقت الصباح عند شروق الشمس.

وقد سخر الله له الجبال، وجعلها مسبحة في الصباح وفي المساء، وحشر له الطير وجعلها تسبح وهي محشورة في الصباح والمساء أيضاً.

وجملة: ﴿يُسَبِّحُنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾ في محل نصب حال، وصاحب الحال، هو الجبال. أي: إنا سخرنا الجبال معه مسبحة بالعشي والإشراق.

و ﴿مَحْشُورَةً﴾ حال منصوب، وصاحب الحال هو ”الطير“، والطير مفعول به لفعل محذوف مفهوم من السياق، والتقدير: وسخرنا الطير محشورة مسبحة بالعشي والإشراق.

وكأن الجبال والطير مخلوقات عاقلة، وهي تختار أصفى أوقات للتسبيح، أي عند شروق الشمس، وعند غروبها، وتخيل منظرها وهي تسبح عند الصباح والمساء، إنه منظر جميل لطيف مؤثر، تتفاعل معه النفوس^(١).

ما من شيء في الوجود إلا هو مسبح لله، فقد أخبرنا الله بذلك^(٢)؛ قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذلك لأبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، الذي كان من أجمل الصحابة صوتاً بالقرآن: وكان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحب سماع القرآن منه، ويشبهه صوته

(١) القصص القرآني (٤٢٩/٣).

(٢) تفسير سورة الإسراء، أحمد نوفل، ط ١، ٤٣٥هـ - ٢٠١٤م، ص ٣١١.



الجميل بصوت داود عَلَيْهِ السَّلَامُ. روى البخاري ومسلم عن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لقد أُوتيتَ زمماراً من مزامير آل داود»^(١).

وروى مسلم عن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إن عبد الله بن قيس أو الأشعري أعطيَ زمماراً من مزامير آل داود»، وفي رواية أخرى عنه: أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال له: «لو رأيتني وأنا أستمع لقراءتك البارحة، لقد أُوتيتَ زمماراً من مزامير آل داود»^(٢).

وإذا كانت الأحاديث السابقة تذكر (آل داود)، والمراد بها داود نفسه عَلَيْهِ السَّلَامُ، كما قال الخطابي وابن حجر؛ فهناك رواية مرفوعة فيها التصريح بـداود وليس آل داود^(٣).

ولا يراد بالزممار في الحديث آلة العزف الموسيقية، وإنما يراد به الصوت الحسن الجميل عند القراءة، فعندما يقرأ كان يُحسن ويجمل صوته، ويجود الكلمات الخارجة من فمه؛ فكأنه يعزف على الزممار. إذن؛ كان داود عَلَيْهِ السَّلَامُ يقرأ ويتلو كلام الزبور، ويجود صوته بذلك، فكأنه يعزف على الزممار.

روى النسائي وغيره عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لقد أعطيَ أبو موسى من مزامير داود». ولا يراد آل داود أنفسهم، وإنما يراد داود نفسه.

(١) رواه البخاري، رقم ٥٠٤٨.

(٢) رواه مسلم، رقم ٧٩٣.

(٣) أخرجه النسائي، برقم ١٠٢٠، الأحاديث الصحيحة، رقم ٢٤٢.



ونسارع إلى القول: إن المزامير المنسوبة إلى داوود عَلَيْهِ السَّلَام، المذكورة في العهد القديم، ليست هي الزبور الذي أنزله الله على داوود عَلَيْهِ السَّلَام، ولا هي مما كان داوود يناجي به ربه.

والسُّفَر التاسع عشر من أسفار العهد القديم اسمه (المزامير). وقد سجل أحبار اليهود فيه مائة وخمسين مزموراً، ومعظم هذه المزامير منسوب إلى داوود، وبعضها منسوب إلى غيره. ولكننا نقول: هذه المزامير ليست الزبور، وما كان داوود يتلوها وكلماتها لا تتفق مع أدب داوود عَلَيْهِ السَّلَام مع الله تعالى، وهي من وضع أحبار اليهود فيما بعد، ونحن نعلم أن بعض أحبار اليهود حرّفوا التوراة وأسفار العهد القديم^(١).

٣- ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَءَاتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَضَّلَ الْخِطَابِ﴾:

أ- ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ﴾:

شدّ الله ملك داوود وقواه وثبّته، ومنحه كل ما يحتاجه ملكه من وسائل القوة والثبت، من المال والرجال والعتاد والسلاح والدروع والتشريع، كما قال الإمام ابن كثير: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ﴾؛ أي جعلنا له ملكاً كاملاً من جميع ما يحتاج إليه الملوك. ومن مظاهر شدّ الله لملكه ما آتاه من الحكمة وفصل الخطاب.

ب- ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ﴾:

قال بعض العلماء: الفهم والعقل والعدل والصواب، وقالوا: كتاب الله واتباع ما فيه. وقال البعض الآخر: الحكمة: التوراة.

(١) القصص القرآني (٣/٤٢٣ - ٤٢٥).



وهذه الأقوال الثلاثة متقاربة، وهي من الحكمة؛ فالنبوة من الحكمة، وكتاب الله من الحكمة، واتباع وتطبيق ما فيه من الحكمة، وأوتي داود عَلَيْهِ السَّلَامُ الزبور، وَمَنَّ الله عليه بالشرعة.

ونتج عن النبوة والشرعة وكتاب الله فهم داود عَلَيْهِ السَّلَامُ، وفطنته وحكمه بالعدل وقوله الحق والصواب^(١). وإن الحكمة هبة ومنحة من الله تعالى لبعض الناس، وخاصة الأنبياء والمرسلين، وعلى الأخص عند اجتماع النبوة والملك والقضاء، لمعرفة الحق، وإقامته، والقضاء به وتنفيذه والالتزام به، وهذا ما وهبه الله تعالى لداود عَلَيْهِ السَّلَامُ^(٢).

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾، وبما أن الله أتى داود عَلَيْهِ السَّلَامُ الحكمة، فقد كان حكيماً في نفسه، يتمتع بالفطنة والفهم والذكاء والفقه والعلم، وكان حكيماً مع قومه يقضى بينهم بالحكمة، ويحكم فيهم بالحق والصواب، وقد كان حكمه وقضاؤه يمنع الفساد، ويحقق الخير والصلاح^(٣).

ج- ﴿وَفَصَّلَ الْخُطَابَ﴾:

القطع والجزم، تقول: فصل كذا إذا منعه. والخطاب هو الكلام والجدال والخصام بين الطرفين المتخاصمين.

والفصل هو: الكلام والجدال والخصام بين الطرفين المتخاصمين.

(١) القصص القرآني (٣/ ٤٤٠).

(٢) شرعة الله للأنبياء، محمد مصطفى الزحيلي، دار ابن كثير، دمشق، ط ١، ٢٠١٨م، (٣/ ٤٤١).

(٣) القصص القرآني (٣/ ٤٤١).



وتبيّن هذه الآية الكريمة أن الله تعالى أتى داوود عَلَيْهِ السَّلَام فصل الخطاب، وكان هذا ثمرة للحكمة التي منّ الله عليه بها: ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَلَ الْخُطَابِ﴾. وهذه شهادة من الله تعالى لنبيه داوود عَلَيْهِ السَّلَام بموهبته في الحكم والقضاء، حيث كان يحكم بين الناس بشرع الله ويقضي بين المتخاصمين والمتنازعين بالحكمة التي آتاه الله إياها.

وكانت أحكام داوود عَلَيْهِ السَّلَام وأقضيته صائبة صحيحة، كيف لا وهو النبي المؤيد من الله تعالى، وهو المعصوم بعصمة الله له، وكانت أحكامه وأقضيته تؤدي إلى فصل الخطاب، وقطع الخلاف، وإنهاء النزاع^(١).

قال مجاهد والسدي: فصل الخطاب هو إصابة القضاء وفهم ذلك^(٢). وكان يساعده في أقضيته وأحكامه ابنه سليمان عَلَيْهِ السَّلَام، الذي آتاه الله الحكمة والعلم أيضاً، فأضاف حكمته إلى حكمة أبيه وعلمه إلى علمه، وإذا دعت الحاجة إلى الاستدراك على أبيه في حكمه كان يفعل، وكان أبوه يتقبل ذلك برضى، ويُمضي حكم ابنه وقضاءه^(٣).

إن هذه النتيجة: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَلَ الْخُطَابِ﴾ من أسباب تحقيق مفهوم العبودية الشامل في التسبيح والذكر والطاعة والجهاد في سبيل الله عَزَّوَجَلَّ، والحرص على تنفيذ شرعه والتصدي للموبقات والمنكرات والكبائر... إلخ.

(١) القصص القرآني (٤٤٢/٣).

(٢) تفسير ابن كثير (٣٢/٤).

(٣) القصص القرآني (٤٤٢/٣).



ثَانِيًا: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبُؤُا الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ۖ﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصِمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَأَحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ۖ﴾ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَجَّةً وَلِي نَجَّةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ۖ﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَجَّتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۖ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۖ﴾ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكْ ۖ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَّآبٍ ۖ﴾ [سورة ص: ٢١-٢٥].

تفسير الآيات الكريمة:

١- ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبُؤُا الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ۖ﴾:

أ- ﴿وَهَلْ أَتَاكَ ۖ﴾:

الخطاب من الله تعالى لرسوله محمد ﷺ، و﴿هَلْ﴾ هنا ليست للاستفهام، بل للتحقيق، بمعنى أتاك، فالله أخبره بقصة الخصمين مع داود عَلَيْهِ السَّلَامُ، وبذلك أتاه خبرهما^(١).

وهذه القصة من الأمور العجيبة الخاصة بـداود عَلَيْهِ السَّلَامُ، لا علم لدينا ﷺ بالله ﷻ وسلم بها، وأفاد الاستفهام التشويق والتعجب^(٢).

ب- ﴿نَبُؤُا الْخَصْمِ ۖ﴾:

(١) التفسير الموضوعي (٧/ ٢٠٠).

(٢) التفسير الموضوعي (٧/ ٢٠٠).

أي خبر الرجلين المتخاصمين. والمراد به الملكان الذان أتيا داوود عَلَيْهِ السَّلَام في صورة رجلين متخاصمين مختلفين.

وعبرت الآية عن الرجلين الخصمين بالمفرد، ﴿نَبَأُ الْخَصْمِ﴾؛ لأن الخصم مصدر، والمصدر يخبر به عن المفرد والمثنى والجمع^(١). (وتشية المصدر وجمعه محل تفصيل وخلاف بين النحاة).

ج- ﴿إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ﴾:

كانت بداية حادثة الخصمين مع داوود أنهما تسوّرا عليه المحراب. و﴿إِذْ﴾ ظرف للزمان الماضي في محل نصب مفعول فيه، وهي متعلقة بكلمة ﴿نَبَأُ﴾، والتقدير: قد أتاك نبأ الخصم وقت تسوّرهم المحراب. ومعنى ﴿تَسَوَّرُوا﴾ تعلقوا بالسور، وظهروا عليه، ثم نزلوا عنه، يقال: تسوّر الرجل السور: إذا علاه وتسلقه.

و﴿الْمِحْرَابَ﴾: مكان العبادة، وهو أفضل جزء من البيت لتخصيصه بذكر الله وعبادته والصلاة له^(٢).

وللإمام الراغب توجيه لطيف لتسمية مكان الصلاة محراباً، لأنه مشتق من (الحرب) وقد ربط الراغب بين الحرب والمحراب، فقال: ومحراب المسجد: قيل سمي بذلك لكون حق الإنسان فيه أن يكون حربياً متخلصاً من أشغال، ومن توزع الخواطر. وقيل: الأصل فيه أن محراب البيت صدر المجلس،

(١) القصص القرآني (٣/ ٤٥٤).

(٢) المصدر السابق نفسه.



ثم اتخذت المساجد فسمي صدر المسجد به. وقيل: بل المحراب أصله في المسجد، وهو اسم خص به صدر المجلس، فيسمى صدر البيت محراباً تشبيهاً بمحراب المسجد وكأن هذا أصبح^(١).

ومعنى: ﴿إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ﴾: عندما تسلق الخصمان الملكان سور المحراب، وظهرأ عليه، ونزلاً عنه فدخلأ من السور، ولم يدخلا من الباب. وكان داود عَلَيْهِ السَّلَامُ في هذه اللحظة في محرابه، وهو مكان عبادته وصلاته وذكره المخصص، مشغولاً بمناجاة الله وذكره.

وفاعل تسوّروا: واو الجماعة، وقد تكررت واو الجماعة في الأفعال التالية: ﴿تَسَوَّرُوا﴾، ﴿دَخَلُوا﴾، و﴿قَالُوا﴾ لأن أقل الجمع اثنان، ولهذا قال: ﴿تَسَوَّرُوا﴾ ولم يقل (تسوّرا)^(٢).

٢- ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصِمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَأَحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ﴾:

أ- ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ﴾: ﴿إِذْ﴾ ظرف زمان للماضي في محل نصب مفعول فيه، وهو متعلق بفعل ﴿تَسَوَّرُوا﴾ والتقدير: تسوروا المحراب وقت دخولهم على داود، وكان داود عَلَيْهِ السَّلَامُ في محرابه عابداً لله، مستغرقاً في مناجاته، والأبواب

(١) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط ١، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م، ص ٢٢٥.

(٢) القصص القرآني (٣/٢٥٦).



مغلقة، والحرس على الأبواب، ولا يسمحون لأحد بالوصول إلى داود في الداخل، وفجأة ينظر أمامه، فيرى رجلين داخلين عليه، نازلين من سور المحراب.

ب- ﴿فَفَزِعَ مِنْهُمْ﴾؛ خاف منهم؛ لأنهم دخلوا عليه بغير إذنه.

ج- ﴿قَالُوا لَا تَخَفْ﴾: طمأناه، وذلك لما قد ارتاع من دخولهما عليه من غير

الباب^(١).

د- ﴿خَصَمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ﴾؛ أي: بغى خصمان، تعدى وظلم بعضنا بعضاً، وجئناك لتقضي بيننا^(٢).

هـ- ﴿فَأَحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تَشْطِطْ﴾؛ أي: ولا تجر في حكمك، من الشطط: وهو مجاوزة الحد، وتخطي الحق^(٣).

و- ﴿وَلَا تَشْطِطْ﴾: لا تظلم، ولا تسرف في حكمك، ولا تمل مع أحد ضد صاحبه. ﴿تَشْطِطْ﴾؛ مضارع من الفعل الماضي الرباعي (أشطَّ) بمعنى جاز وظلم في حكمه وابتعد عن الحكم^(٤).

ز- ﴿وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ﴾؛ أرشدنا إلى وسط الطريق ومحجته. والمراد: عين الحق وصريحه^(٥).

(١) النظم القرآني في قصة داود وسليمان، أحمد خورشيد، ص ١٠١.

(٢) التفسير الموضوعي (٧/ ٢٠١).

(٣) المصدر السابق نفسه.

(٤) المصدر السابق نفسه.

(٥) القصص القرآني (٣/ ٤٥٦).



٣- ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾:

أ- ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي﴾: اعتبره أخاً له رغم خلافه معه، وهذا يدل على لباقة الخصمين، حيث لم تثر هذه الخصومة ضغيتهما، لقوله: (أَخِي) مع أنه قال في الأول: ﴿بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ﴾ لكن هذا البغي لم تذهب معه الأخوة^(١).

ب- ﴿لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ﴾: ذكر عدد النعاج التي عنده، والنعجة معروفة، فذكر الضأن يسمى خروفاً، وأنثى الضأن تسمى نعجة. أخي هذا يملك تسعاً وتسعين نعجة، وأنا لا أملك إلا نعجة واحدة، ولم يكتف بنعاجه الكثيرة، وإنما تطلعت نفسه إلى نعجتي، وطمع فيها، وأراد أخذها وضمها إلى نعاجه.

ج- ﴿فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا﴾: قال لي: ضم نعجتك إلى نعاجي، لأكون كافلاً لها. و(أَكْفَلُ) فعل أمر من الكفالة. وضمير الهاء يعود على النعجة. أي: أكفلني نعجتك واجعلها عندي^(٢).

د- ﴿وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾: غلبني في الكلام والجدال، وقهرني وظلمني. قال الإمام الراغب: وعزه: غلبه. ومعنى قوله: ﴿وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾: غلبني. وقيل معناه: صار أعزّ مني في المخاطبة والمخاصمة، وهذا اعتراف من المتكلم بأن خصمه أقوى منه، ولذلك يقهره ويظلمه وهو أقوى منه في الكلام أيضاً، ولذلك يغلبه في حجته.

(١) ليدبروا آياته، المجموعة الأولى، ص ٢٠٥.

(٢) القصص القرآني (٤٥٧/٣).



يسمع داوود عَلَيْهِ السَّلَام كلام المشتكي صاحب النعجة الواحدة، فإذا به مظلوم معتدى عليه، وإذا بخصمه ظالم متعدي فكيف يريد أخذ نعجته الوحيدة، ولماذا لا يكتفي بالنعاج التي عنده؟

لم يطلب داوود عَلَيْهِ السَّلَام من المشتكى عليه الحجة، ولم يترك له فرصة للكلام، وظن داوود أن الأمر قد انتهى وأنه لا يحتاج إلى سماع كلام الظالم المعتدي، ولذلك سارع داوود عَلَيْهِ السَّلَام بإصدار حكمه قائلاً:

٤- ﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعَجِكَ إِلَىٰ نَعَاجِهِ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۖ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ ۖ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۖ﴾:

أ- ﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعَجِكَ إِلَىٰ نَعَاجِهِ ۖ﴾:

أي: ظلمك خصمك عندما طلب منك ضم نعجتك إلى نعاجه، وهو إنسان ظالم لهذا السبب.

و(سؤال) بمعنى طلب: والمعنى: عندما سألك وطلب منك أن تضم نعجتك إلى نعاجه كان ظالماً لك، وتابع داوود عَلَيْهِ السَّلَام قائلاً:

ب- ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ﴾:

وإن الخلفاء هم الشركاء، وكأن داوود عَلَيْهِ السَّلَام يقرر قاعدة عامة في موضوع الشراكة ويواسي المشتكي المظلوم، ولذلك قال له: ليس صاحبك هو أول من بغى وظلم، فكثير من الخلفاء والشركاء يبغى بعضهم على بعض، ويظلم بعضهم بعضاً، ويأكل بعضهم مال بعض^(١).

(١) القصص القرآني (٤٥٨/٣).



ج- ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾:

استثنى الشركاء الذين آمنوا وعملوا الصالحات، فهؤلاء شركاء صادقون، تقوم شراكتهم على العدل والأمانة والإحسان، ويردعهم عن الغي والعدوان ولكن هؤلاء الشركاء المؤمنين قلائل بالقياس إلى الأكثرية الظالمة، والراجح أن (ما) من قوله: ﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾، اسم موصول بمعنى (الذين)، والتقدير: وقليل الذين هم. أي: وقليل الذين هم آمنوا وعملوا الصالحات، وقليل هم الذين لا ينبغي بعضهم على بعض^(١).

وكلام داود عَلَيْهِ السَّلَامُ عن ظلم الشركاء بعضهم لبعض حق وصواب، ويصدقه التاريخ والواقع، فكثير من الشركاء يظلم بعضهم بعضاً، ويأكل بعضهم مال بعض، ويبغي بعضهم على بعض، ولا يوجد شركاء أمناء عدول إلا إذا كانوا مؤمنين صالحين.

وبعدما أنهى داود عَلَيْهِ السَّلَامُ كلامه، فكَرَّ، فعرف حكمة هذه الحادثة، وأنه مقصود بها:

د- ﴿وَلَقَدْ ءَاوَدُ أَمَّا فَتَنَّهُ فَأَسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾:

ومعنى (ظن) هنا: أيقن وأدرك وعلم. ومعنى (فتناه): ابتليناه وامتحناه واختبرناه. أيقن داود عَلَيْهِ السَّلَامُ أن الله فتنه وامتحنه بهذين الرجلين الواقفين أمامه، وأنهما ليسا رجلين حقيقيين، بل ملكان متحولان إلى رجلين، وأنه ليس بينهما شراكة حقيقية، وإنما ذكرا له قصة رمزية تمثيلية، كما علم أنه تعجل في حكمه

(١) القصص القرآني (٤٥٩/٣).



على المشتكى عليه قبل أن يسمع من كلامه، وبعدما عرف داوود عَلَيْهِ السَّلَام هدف الحادثة كلها وأنه هو المقصود بها، لجأ إلى الله مباشرة واستغفره وسجد له.

- ﴿فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ﴾؛ طلب من ربه أن يغفر له.

- ﴿وَخَرَّ رَاكِعًا﴾؛ سجد لله، فلا يراد هنا الركوع المعروف في صلاتنا بدليل كلمة (خر) لأنها لا تستعمل إلا في السجود.

قال الإمام الراغب: معنى خرّ: سقط سقوطاً يسمع منه خرير. والخرير يقال لصوت الماء والريّح وغير ذلك ممّا يسقط من علوّ.

وقوله تعالى: ﴿خَرُّوا سُجَّدًا﴾، فاستعمال الخرّ تنبيه على اجتماع أمرين: السقوط، وحصول الصّوت منهم بالتّسبيح، وقوله من بعده: ﴿وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾، فتنبيه أنّ ذلك الخرير كان تسبيحاً بحمد الله لا بشيء آخر^(١).

- ﴿وَأَنَابَ﴾؛ استسلم داوود إلى ربه، ورجع إليه. والإنابة إلى الله: الرجوع إليه بالتوبة بإخلاص العمل. وهذه الحركة العملية التي قام بها داوود مباشرة: ﴿فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾؛ دليل على حرصه على رجوعه إلى الله، وإحسان ذكره وشكره وعبادته، وهي تطبيق عملي لشهادة الله له بأنه أوّاب رجّاع إلى ربه؛ ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾^(٢).

(١) المفردات، ص ٢٧٧.

(٢) التفسير الموضوعي (٢٠٣/٧).



٥- ﴿فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَّآبٍ﴾:

- ﴿فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ﴾؛ أي: فغفرنا له ما استغفر منه وحتى لا يسيء أحد الظن بنبي كريم، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَّآبٍ﴾؛ أي: إن له عندنا مكانة عالية وحسن مرجع ومصير وهو الجنة^(١).

جعل الله لداود عَلَيْهِ السَّلَامُ زُلْفَى وحظوة عنده، وأعلى منزلته عنده، كما جعل له حسن مآب ومرجع ومصير ومنقلب. وهذا ثناء من الله على داود عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهذا دليل على أنه لم يكن مذنباً في الحقيقة، واستغفاره لم يكن عن ذنب وقع منه، وإنما هو ذكر منه لربه^(٢).

٦- رفض الإسرائيليات الواردة في تفسير القصة:

ذكرت الإسرائيليات المكذوبة، وروايات العهد القديم الباطلة، قصة مزيفة عن سبب قدوم الخصمين لداود عَلَيْهِ السَّلَامُ، وفيها اتهامات لداود بالنساء، والنظر إليهن، والافتتان بهن، وأنه تزوج بإحداهن بعدما أعجب بجمالها، وهي تغتسل عارية، وعمل على قتل زوجها، في إحدى المعارك، فنزل ملكان في صورة خصمين يعاتبانه بشأنها، فعرف جريمته، فسجد باكية نادماً، وبقي ساجداً عشرات السنين.

وقد أعجب بعض المفسرين بهذه التفاصيل الإسرائيلية المكذوبة فسجلوها في تفاسيرهم!! وفسروا بها آيات القصة، ونسوا أنهم يتحدثون عن نبي رسول

(١) المصدر السابق (٧/٢٠٣).

(٢) القصص القرآني (٣/٤٥٣).

كريم عصمه وحفظه، فكان أتقى وأفضل الناس في زمانه، ولا يتحدثون عن رجل شهواني (زير نساء) يرتكب المحرمات، ويقتل الآخرين ليحقق مصلحته، ويشبع شهواته. وداوود عَلَيْهِ السَّلَامُ منزه عن كل هذه الأكاذيب^(١).

أما المفسرون والمؤرخون المنهجيون، فقد رفضوا تلك الإسرائيليات، ثم تهيؤوا الخوض، في أحداث القصة واكتفوا بذكر المعنى الإجمالي لآياتها^(٢).

من هؤلاء الإمام ابن كثير، حيث قال في (قصص الأنبياء)، الذي هو جزء من تاريخه البداية والنهاية: وقد ذكر كثير من المفسرين من السلف والخلف، هاهنا قصصاً وأخباراً أكثرها إسرائيليّات، ومنها ما هو مكذوب لا محالة، تركنا إيرادها في كتابنا قصداً، اكتفاء واقتصاراً على مجرد تلاوة القصة من القرآن الكريم، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم^(٣).

وقد توسّعت بعض الكتب في الردّ على هذه الأكاذيب والروايات التي اتهم بها نبي الله داوود عَلَيْهِ السَّلَامُ، منها:

- (تنزيه نبي الله داوود عَلَيْهِ السَّلَامُ عن مطاعن وأكاذيب اليهود في العهد القديم، والإسرائيليات، للدكتور فتحي محمد الزغبى).

- (التوبة في ضوء القرآن الكريم، د. آمال بنت صالح نصير).

- (فتنة داوود عَلَيْهِ السَّلَامُ، للأستاذة نوال بنت عبد السلام).

إنّ داوود عَلَيْهِ السَّلَامُ أكثر أنبياء بني إسرائيل وروداً في القرآن بعد موسى وعيسى عليهما وعلى نبينا أفضل الصلاة والتسليم، وقد صرح الله بتفضيله

(١) المصدر السابق نفسه.

(٢) المصدر السابق نفسه.

(٣) قصص الأنبياء، ابن كثير، ص ٤٣٢.



وميز كتابه الزبور بالذكر في أكثر من موضع، الأمر الذي يدل على أنه من أفضل الأنبياء بعد أولي العزم من الرسل^(١).

لقد خاضت بعض كتب التفاسير في هذه الحادثة بسبب التأثير بالإسرائيليات -مع الأسف- ونسبوا لداود ما يتنافى مع عصمة الأنبياء. إن علماء أهل السنة يجمعون على أن الأنبياء معصومون من الكبائر^(٢).

٧- داود عَلَيْهِ السَّلَامُ لم يخطئ في تخصيص الليل لعبادة الله تعالى:

بقي أن نقول: هل أخطأ داود فيما فعل؟ هل أخطأ في احتجاجه عن الناس في الليل، وذهابه إلى المحراب ليناجي ربه؟ الجواب بالنفي. لقد جعل النهار للحكم والقضاء بين الناس، وجعل الليل لعبادة الله ومناجاته، ولذلك منع دخول أحد من الناس عليه.

وهذا الفعل منه صواب ولا خطأ فيه، ولكن كان الأولى والأفضل والأكمل ألا يغلق بابه أمام أحد، في أي ساعة من ساعات الليل والنهار، وعليه أن يسمع شكوى أيّ مشتك، أو متظلم حتى ولو كان عابداً في محرابه.

وأرسل الله الملكين في صورة رجلين، وتسوّرا عليه المحراب، وعرضاً عليه قضية مثيرة، وذلك لإرشاده إلى أنه ترك الأولى والأفضل والأكمل، ودعوته إلى عدم الاحتجاج عن أحد.

(١) فتنة داود عَلَيْهِ السَّلَامُ، نوال عبد السلام، مجلة الدراسات الإسلامية، المجلد ٣، العدد ٤، ص ٣١٩.

(٢) فقه النصر والتمكين في القرآن الكريم، علي محمد الصلابي، بيروت، دار المعرفة، ط ٥، ٢٠٠٩، ص ١٢٥.



إذن؛ ففعله صواب وصحيح، ولا خطأ فيه، ولكن الله أرشده إلى ما هو أولى وأفضل، وقد وعى هذا التوجيه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام^(١).

- قال السعدي رَحِمَهُ اللهُ: في قوله تعالى: ﴿فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ﴾ الذي صدر منه، وأكرمه الله بأنواع الكرامات، فقال: ﴿وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى﴾ أي: منزلة عالية، وقربة منا، ﴿وَحُسْنَ مَآبٍ﴾ أي: مرجع.

وهذا الذنب الذي صدر من داوود عَلَيْهِ السَّلَام، لم يذكره الله لعدم الحاجة إلى ذكره، فالتعرض له من باب التكلف، وإنما الفائدة ما قصه الله علينا من لطفه به وتوبته وإنابته، وأنه ارتفع محله، فكان بعد التوبة أحسن منه قبلها^(٢).

- وقال الدكتور عبد الكريم زيدان رَحِمَهُ اللهُ في قصة الخصمين: واختلف المفسرون في الذي استغفر داوود عَلَيْهِ السَّلَام منه؛ على أقوال، أرجح منها قول من قال: إنه عَلَيْهِ السَّلَام حكم لأحد الخصمين في الدعوى التي دفعها إليه قبل أن يستمع إلى حجة الخصم الآخر، وإنما اكتفى باستماع ادّعاء المتظلم المدعي فقط^(٣).

وقال: ويُستفاد من قصة الخصمين مع داوود: أن على الدعاة أن يعرفوا ما يريدون عرضه من أمور الدعوة على الناس بشكل مشوق إلى استماعه، فعلى الداعي عند عرضه موضوعاً ما في خطبته أو في درسه على الناس أن يبدأ بما يشد السامعين إليه ويجلب انتباههم ويشوقهم إلى سماع تفاصيل هذا الموضوع،

(١) القصص القرآني (٣/٤٦٥).

(٢) تفسير السعدي: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، الدمام: دار ابن الجوزي، ط٤، ١٤٣٥هـ، ص ٩٥٥.

(٣) المستفاد من القصص القرآني، ص ٢٨٢.



وقد يكون التشويق بذكر مثل، أو بطرح سؤال جوابه معروف وطرحه يثير اهتمام السامعين عما عسى أن يكون الجواب غير الذي يعرفونه، وألا تتعجل في إصدار الأحكام في القضايا التي ترفع - إلى أصحاب الشأن من القضاة - لبتّ فيها وإنما على القضاء الوقوف على جميع جوانب القضية واستماع من له علاقة بها، وإذا آل الأمر في نظر قضية ما إلى تحديد المسؤولية لمحاسبة الشخص المسؤول عن هذه القضية أو من يمثلها أن تسمع حجته ودفاعه عن نفسه، فإنّ من قواعد الإسلام (البينة على من ادعى واليمين على من أنكر)^(١).

٨ - حكم سجدة التلاوة في سورة ص:

روى البخاري عن العوّام قال: سألت مجاهدًا عن سجدة سورة (ص) فقال: سألت ابن عباس: من أين سجدت - أي ما الدليل على السجود فيها -؟ قال ابن عباس أو ما تقرأ قول الله عَزَّجَلَّ: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ﴾ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿[الأنعام: ٨٤]. وقول الله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدْهُمْ أَقْتَدَ﴾ [الأنعام: ٩٠]، فكان داود ممن أمر نبيكم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يقتدي به، فسجدها داود عَلَيْهِ السَّلَامُ، فسجدها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(٢).

وهذه السجدة سنة، وليست واجبة كباقي سجّدات التلاوة الأربع عشرة في القرآن، فمن سجدها نال الأجر والثواب، ومن لم يسجدها فلا شيء

(١) المستفاد من القصص القرآني، ص ٢٨٢.

(٢) رواه البخاري، رقم ٣٤٢١، الأحاديث الصحيحة، رقم ٢٤٤.



عليه؛ ودليل ذلك ما رواه أبو داوود عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قرأ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو على المنبر سورة (ص) فلما بلغ السجدة نزل فسجد، وسجد معه الناس، فلما كان يوم آخر قرأها، فلما بلغها تَشَرَّنَ الناس للِسجود، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « إِنَّمَا هِيَ تَوْبَةٌ نَبِيٍّ وَلَكِنِّي رَأَيْتُكُمْ تَشَرَّنْتُمْ لِلْسُّجُودِ، فَنَزَلَ فَسَجَدَ »^(١). ومعنى (تَشَرَّنَ) الناس للِسجود: تهيأوا واستعدوا للِسجود. فالرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يخبرهم أن سجود التلاوة سنة، وأن من لم يسجد فلا شيء عليه، وأنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان لا يريد أن يسجد، وأنه لم يسجد إلا بعدما رأهم مستعدين للِسجود.

وقد اختلف العلماء في سجدة (ص) في اعتبارها من عزائم السجود: فمذهب الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ أنها ليست من عزائم سجود التلاوة، قال: لأنها توبة نبي فلا توجب سجدة التلاوة. وقال أبو حنيفة: هي من عزائم سجود التلاوة. وعن أحمد روايتان، وقد ثبت أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سجد فيها^(٢). وفي الحديث الشريف: عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: ليست (ص) من عزائم السجود، ورأيت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يسجد فيها^(٣).

وبعد قصة الخصمين أخبرت الآيات في تعقيبها الأول على قصة ابتلاء داوود عَلَيْهِ السَّلَامُ بالنداء الذي أوحاه الله إليه وخاطبه به^(٤):

(١) سنن أبي داود، رقم ١٤١٠، الأحاديث الصحيحة، رقم ٢٤٦.

(٢) تفسير الخازن المسمى: لباب التأول في معاني التنزيل. تأليف: علاء علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي (الشهير بالخازن) (ت ٧٢٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد علي شاهين، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١، ٢٠٠٤م، (٥/ ٢٧٤).

(٣) رواه البخاري، رقم ٣٤٢٢.

(٤) التفسير الموضوعي (٣/ ٣٠١٨).



ثالثاً: قوله تعالى: ﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ [سورة ص: ٢٦].

والغرض من هذا الاستخلاف الخاص أن يقضي بين الناس بالعدل، ويحكم بينهم بالحق، ولا يتبع الهوى في قضائه، وحكمه بل يترث ويتبث، ولا يستعجل في إصدار الحكم قبيل السماع من الخصوم جميعاً، ولا يتعجل فيأخذ بظاهر قول واحد قبل أن يمنح الخصم فرصة للإدلاء بحجته، فقد يتغير وجه المسألة كله أو بعضه، وينكشف أن ذلك الظاهر كان خداعاً أو كذباً مشوّهاً^(١).

وإن الخلافة المقصودة هنا هي الخلافة بالمعنى الخاص، وليس بالمعنى العام الذي تحقق لآدم وذريته في الأرض. إنه خليفة بالمعنى الشرعي المتمثل في إيجاد نظام حكم على هدي الشرع، والحكم بين الناس بأحكام شريعته، وهذا ما صرحت به الآية الكريمة^(٢): ﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾. ولكن لماذا التركيز على تحكيم الشرع بين الناس في جميع شؤون حياتهم الخاصة والعامة؟

إنّ شريعة الله تعالى للناس طرف من سننه في خلق الكون، وإن كتابه المنزل بيان للحق الذي يقوم عليه نظام السنن، وإن العدل في الحكم وفي تسيير شؤون الحياة قاطبة الذي يطالب به الخلفاء في الأرض، والحكام بين الناس؛ إنما هو

(١) في ظلال القرآن (٣٠/١٨).

(٢) القصص القرآني، صلاح الخالدي، (٤٠٨/٣).



طرف من الحق الكلي، لا يستقيم أمر الناس إلا حين يتناسق مع بقية الأطراف، وإن الانحراف في الحكم إنما هو انحراف عن نظام السنن الذي قامت عليه السماء والأرض، وهو أمر عظيم إذن وشر كبير^(١)، ينتج عنه مشكلات وأزمات لا حصر لها في حياة الناس، هي في النهاية تعيق عجلة التقدم والارتقاء بالحياة إلى الكمال المقدر لها على سطح هذه الأرض، بل إن الانحراف عن منهج الله الذي ارتضاه للعالمين، والاستخلاف الخاص؛ هو آلية تطبيقية يؤدي في النهاية إلى اصطدام الظالمين الطغاة مع سنن الله والفطرة الإنسانية، فيتحطم كيانهم ويتلاشى وجودهم. وبما أن الخلافة بالمعنى الشرعي لا بد لها من شروط وأدوات حتى تحقق الأهداف المنوطة بها، فإن الله تعالى زود داوود عَلَيْهِ السَّلَام بالصفات والوسائل التي تساعد على القيام بأعباء الاستخلاف^(٢).

- فَآتَاهُ الْمَلِكُ: ﴿وَأَتَيْنَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ﴾.

- وآتاه العلم: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا﴾.

- وآتاه الحكمة: ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ﴾.

- وآتاه الفضل: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا﴾.

- وآتاه الزبور: ﴿وَأَتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾.

- وألأن له الحديد: ﴿وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ﴾.

وإن من الملاحظ أن الآيات الكريمة قد حرصت على التعبير عن الإنعام على داوود بصفات العلم والحكم، وإغداق المنح الإلهية عليه من الفضل، وإعطائه

(١) في ظلال القرآن (٣٠/١٩/٥).

(٢) السنن الاجتماعية، المخزون، (٣/١٢٧)؛ والقصص القرآني، الخالدي، (٣/٤٠٨ - ٤٠٩).



الملك المتمكن، والقدرة على قتل الحديد بيده مثل الخيوط، وتكريمه بالنبوة؛ وذلك باستعمال فعل (آتى) خمس مرات، وآتى في اللغة معناه أعطى، وعطاء الله عَزَّجَلَّ مطلق متدفق غير محظور: ﴿وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ [الإسراء: ٢٠] (١). لكن لماذا داود عَلَيْهِ السَّلَامُ أول نبي خليفة بالمعنى الشرعي؟ ذلك لأنه أول نبي رسول يجمع بين النبوة والملك، فالأنبياء قبله لم يكن أحد منهم ملكا، ولم يحكم أحد منهم قومه بالمعنى الخاص للحكم، ولم ينشأ أحد منهم دولة مدنية منظمة. وينطبق هذا المعنى على نوح، وهود، وصالح، وإبراهيم، وإسماعيل -صلوات الله وسلامه عليهم- بل ينطبق على موسى، وهارون عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، ولهذا فإن داود عَلَيْهِ السَّلَامُ هو مؤسس (المملكة الإسلامية الإيمانية)، ولعله أول خليفة مسلم في التاريخ بالمعنى الشرعي الخاص، أي: أول خليفة بنى دولة، وأنشأ مملكة، وأوجد نظام الخلافة على أساس شرعي (٢).

١ - قواعد الحكم:

خاطب الله تعالى داود عَلَيْهِ السَّلَامُ بأن جعله حاكماً بين الناس في الأرض، فله الحكم والسلطة، وعليهم السمع والطاعة، ثم بيّن الله تعالى له قواعد الحكم تعليمًا لغيره من الناس:

أ- ﴿فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾؛ أي: فاقض بين الناس بالعدل، الذي قامت به السماوات والأرض. وهذه أولى وأهم قواعد الحكم.

(١) القصص القرآني (٣/ ٤٠٨ - ٤٠٩).

(٢) المصدر السابق، (٣/ ٤٠٩).

ب- ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ﴾ أي: لا تقتد بهواك المخالف لأمر الله^(١).

ويلاحظ في قوله تعالى لنبيه عَلَيْهِ السَّلَام: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ﴾ ملاحظتان:

الملاحظة الأولى: أن النهي انصب على اتباع الهوى وليس على وجوده في النفس، وهذا يشعر بأن المطلوب من المسلم مخالفة هوى النفس، وليس المطلوب منه محو الهوى، وإزالته من النفس، فإنَّ هذا قد يكون من قبيل تكليف ما لا يطاق، وتكليف ما لا يطاق ممنوع وغير وارد في الشرع.

الملاحظة الثانية: أن النهي عن اتباع الهوى جاء مطلقاً عن تقييد الهوى بكونه مخالفاً للشرع، وهذا يعني أن الغالب في هوى النفس مخالفته للشرع، فيكون إطلاق الهوى والنهي عن اتباعه يعني النهي عن هوى النفس المخالف للشرع. والدليل على الملاحظتين المذكورتين أن آيات الكتاب العزيز المتعلقة بالهوى أنها جاءت تنهى عن اتباعه وليس عن وجوده، كما أنها نهت عن الهوى مطلقاً دون تقييده بكونه مخالفاً للشرع، وذلك لغلبة مخالفته للشرع، وبالتالي ذمّه وحرّم اتباعه، فإطلاقه يعني أن المراد به هو الهوى المخالف للشرع، وهو المطلوب عدم اتباعه. ومن هذه الآيات التي تنهى عن اتباع الهوى لا عن وجوده ودون تقييده بالمخالفة للشرع، وذم من يتبع هوى نفسه، أو هوى غيره، الآيات الآتية:

- ﴿فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا﴾ [النساء: ١٣٥].

- ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ

الْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠، ٤١].



- ﴿وَلَا تَطْعَمَنْ أَغْفَلًا قَلْبُهُ عَنِ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا﴾ [الكهف: ٢٨].
- ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾

[المائدة: ٧٧].

- ﴿وَلَيْنِ اتَّبَعَتْ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: ١٢٠].
- ﴿وَأَنْ أَحْكَمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ [المائدة: ٤٩].

٢- ما يترتب عن اتباع الهوى:

إنما اتباع الهوى مزلة ومدعاة إلى النار، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [سورة ص: ٢٦].

أي إن اتباع الهوى سبب في الوقوع في الضلال والانحراف عن جادة الحق، وعاقبته الخذلان، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا الْحِسَابَ﴾.

أي إن الذين يتنكبون طريق الحق والعدل، لهم عقاب شديد يوم القيامة والحساب الأخروي، بسبب نسيانهم أهوال ذلك اليوم، وما فيه من حساب شديد دقيق لكل إنسان، وبسبب تركهم العمل لذلك اليوم، ومنه القضاء بالعدل. والعبرة من هذا الموضوع: الوصية من الله عَزَّوَجَلَّ لولاة الأمور أن يحكموا بين الناس بالحق، ولا يحددوا عنه، فيضلوا عن سبيل الله، وقد توعَّد الله مَنْ ضل عن سبيله وتناسى يوم الحساب بالوعيد الأكيد والحساب الشديد^(١).

(١) التفسير المنير، الزحيلي، (١٨٨ / ٢٣).

إن الآية الكريمة تبين أن الحكم بين الناس، مرتبة دينية، تولاهها رسل الله، وخواص خلقه، وأن وظيفة القائم بها الحكم بالحق، ومجانبة الهوى، فالحكم بالحق يقتضي العلم بالأمر الشرعية، والعلم بصورة القضية المحكوم بها، وكيفية إدخالها في الحكم الشرعي، فالجاهل بأحد الأمرين لا يصلح للحكم، ولا يحل له الإقدام عليه، وتبين كذلك أن الحاكم ينبغي له أن يحذر الهوى، ويجعله منه على بال، فإن النفوس لا تخلو منه؛ بل يجاهد نفسه، بأن يكون الحق مقصوده^(١). ولا شك أن إخبار الآيات بالخطاب الذي وجهه الحق إلى داود عَلَيْهِ السَّلَام، وأمره فيه أمراً لازماً صريحاً بأن المؤدي إلى الجور والظلم، لا شك أنه موجه في الحقيقة إلى جميع القضاة والحكام، وما أخبر الله به إلا ليعتبر أمثالهم فهم محتاجون إليه أكثر من نبي الله داود الذي أكرمه الله بعصمة النبوة من الزلل والخطأ، ولا ضمانه للقضاة والحكام من الجور والظلم، إلا إن التزموا بأحكام دين الله وشريعته المستمدة من الكتاب المنزل على خاتم أنبيائه ورسله، مع الشعور برقابة الله عليهم، ومسؤوليتهم عن أعمالهم يوم الحساب والجزاء، فهذا الخبر ضماناً لإقامة العدل، وعدم الجور والظلم؛ ولهذا قاله تعالى في تعقيبه الثاني على قصة ابتلاء داود عَلَيْهِ السَّلَام ليقدر هذه الحقيقة ويؤكد^(٢).

٣- دولة داود عَلَيْهِ السَّلَام ومدى اتساعها:

لا ريب في أن داود عَلَيْهِ السَّلَام قد كُتب له نجاحٌ بعيد المدى في أن يُخلص قومه الإسرائيليين من جالوت وجنوده، وفي أن يحقق لهم الاستقلال التام، وأن يوجد لنفسه نفوذاً في بلاد الشام.

(١) تفسير السعدي الذي جمع في مجلد واحد، ص ٦٦٠.

(٢) التفسير الموضوعي (٢٠٧/٧).



وتذكر كتب التاريخ المختصة بأنه تم تتويج داوود عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهو من سبط يهوذا، وذلك في عام ١٠١٠ ق.م، قام ملكه على بني إسرائيل، واعتمدت كثيراً من كتب التاريخ على روايات العهد القديم، وقد ظلت (حبرون - الخليل) عاصمة له لأكثر من سبع سنين حتى فتح القدس حوالي عام ١٠٠٣ ق.م، وسميت مدينة (داوود).

وقد استولى داوود عَلَيْهِ السَّلَامُ خلال حكمه على أراضي الفلسطينيين (الموآبيين) و(الآراميين)^(١).

وبذلك فإن مملكته عَلَيْهِ السَّلَامُ قد بلغت أقصى اتساعها كما روى بعض المؤرخين، فامتدت من جبل الكرمل وتل القاضي إلى جبل الشيخ شمالاً، وإلى حدود مصر ونهر الموجب جنوباً، وإلى الصحراء شرقاً^(٢). وعلى الرغم من كل هذا، لم يستطع الإسرائيليون أن يفتحوا فلسطين كلها، إذ ظل الفلسطينيون محتفظين بالمناطق الساحلية الخصبة^(٣).

وقد قال بعض المؤرخين: إن داوود وسليمان عَلَيْهِمَا السَّلَامُ قد أقاما دولة تشمل الشام كله، والجزيرة العربية كلها^(٤). وقد تضاربت الأقوال في حدود مملكة داوود وسليمان، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، ولا شك أنها كانت مملكة عظيمة في الاتساع والنفوذ والرسالة والاقتصاد والأهداف والمؤسسات.

(١) العنصرية اليهودية، د. أحمد الزعبي، مكتبة العبيكان، ط ١، ٢٠١٠، (١/١٩٨).

(٢) تاريخ فلسطين الحديث، د. عبد الوهاب الكيالي، ص ١٥.

(٣) العنصرية اليهودية (١/١٩٨).

(٤) دراسات تاريخية من القرآن الكريم، محمد بيومي مهران، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط ٢، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، (٣/٦٥).

وكيفما كان الأمر، فإن حكم داوود وابنه سليمان عَلَيْهِمَا السَّلَام، إنما يمثلان فترة رخاء وازدهار على المستوى الإنساني في الأرض، وقد سادت قيم الحق والعدل والرحمة والإحسان في حكم هذين النبیین الکریمین عَلَيْهِمَا السَّلَام.

رابعاً: قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا ۚ ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبْرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا ءَايَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [سورة ص: ٢٧-٢٩]:

وعند تقرير مبدأ الحق في خلافة الأرض، وفي الحكم بين الناس، وقبل أن تمضي قصة داوود إلى نهايتها في السياق يرد هذا الحق إلى أصله الكبير، أصله الذي تقوم عليه السماء والأرض وما بينهما. أصله العريق في كيان هذا الكون كله، وهو أشمل من خلافة الأرض، ومن الحكم بين الناس، وهو أكبر من هذه الأرض كما أنه أبعد مدى عن الحياة الدنيا؛ إذ يتناول صميم الكون، كما يتناول الحياة الآخرة، ومنه وعليه جاءت الرسالة الأخيرة، وجاء الكتاب المفسر لذلك الحق الشامل الكبير. وهكذا: في هذه الآيات الثلاثة، تتقرر تلك الحقيقة الضخمة الهائلة الشاملة الدقيقة العميقة بكل جوانبها وفروعها وحلقاتها.

إنَّ خلق السماء والأرض وما بينهما لم يكن باطلاً، ولم يقيم على الباطل، وإنما كان حقاً، وقام على الحق، ومن هذا الحق الكبير تتفرع سائر الحقوق:

- الحق في خلافة الأرض.

- والحق في الحكم بين الخلق.



- والحق في تقويم مشاعر الناس وأعمالهم.

فلا يكون الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض؛ ولا يكون وزن المتقين كوزن الفجار. والحق الذي جاء به الكتاب المبارك الذي أنزله الله ليتدبروا آياته وليتذكر أصحاب العقول ما ينبغي أن يتذكروه من هذه الحقائق الأصلية، التي لا يتصورها الكافرون؛ لأن فطرتهم لا تتصل بالحق الأصيل في بناء هذا الكون، ومن ثم يسوء ظنهم بربهم ولا يذكرون من أصالة الحق شيئاً ﴿ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾.

إن شريعة الله للناس طرف من ناموسه في خلق الكون، وإن كتابه المنزل بيان للحق الذي يقوم عليه الناموس، وإن العدل الذي يطالب به الخلفاء في الأرض والحكم بين الناس إنما هو طرف من الحق الكلي، لا ينتظم أمر الناس إلا حين يتناسق مع بقية الأطراف. وإن الانحراف عن شريعة الله والحق في الخلافة والعدل في الحكم إنما هو انحراف عن الناموس الكوني الذي قامت عليه السماء والأرض، وهو أمر عظيم إذن وشر كبير، واصطدام مع القوى الكونية الهائلة لا بد أن يتحطم في النهاية ويزهق. فما يمكن أن يصمد ظالم باغٍ منحرف عن سنة الله وناموس الكون وطبيعة الوجود. ما يمكن أن يصمد بقوته الهزيلة الضئيلة لتلك القوى الساحقة الهائلة، ولعجلة الكون الجبارة الطاحنة، وهذا ما ينبغي أن يتدبره المتدبرون وأن يتذكره أولو الأبواب^(١).

(١) في ظلال القرآن (٢٠١٩/٥).



تفسير الآيات الكريمة:

١- ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا﴾:

أي: ما خلقناهما خلقاً باطلاً لا حكمة فيه، أو ما خلقناهما للباطل الذي هو اتباع الهوى والميل إلى اللعب والشهوات، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعَيْنٍ﴾ (٣٨) مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿

[الدخان: ٣٨ - ٣٩].

- ﴿ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾؛ أي: ذلك ظن الذين ينكرون يوم القيامة، فإن إنكارهم إنكار لحكمة الخالق جَلَّ وَعَلَا، وأما المؤمنون المتفكرون في قدرة الله تعالى، وباهر حكمته في خلقه فإنهم يؤمنون بها، وقد قال تعالى فيهم: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَنَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾.

- ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾؛ أي: فهلاك لهم من دون الناس بسبب إنكارهم يوم الحساب والجزاء.

- (وَيْلٌ): ومن قال هو وادٍ في جهنم لم يرد أنه في اللغة موضوع لذلك، وإنما أراد أن من قال الله تعالى فيه ذلك فقد استحق مقراً من النار وثبت له ذلك^(١).
كما بينت الآيات بأن يوم الحساب ضروري للتمييز بين المصلحين والمفسدين في المصير والجزاء^(٢).

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤١٠هـ، (١٠/٥٥٣).

(٢) التفسير الموضوعي (٧/٢٠٧).



٢- ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ [سورة ص: ٢٨]:

- ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ﴾؛ أي: إن عدم البعث للحساب والجزاء يقتضي التسوية بين الفريقين المتفاضلين، بين المؤمنين والكفرة والمفسدين، وهو محال. والاستفهام للإنكار يقتضي نفي التسوية بين الفريقين لتقرير البعث والجزاء وتأكيد.

- ﴿أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾: وهو انتقال وإضراب إلى إثبات يوم البعث، لإنكار محال آخر أظهر من الأول، وهو استحالة التسوية بين أتقياء المؤمنين وأشقياء الكفرة، فلا يعقل أن يكون مصيرهما واحد وهو الموت؛ لا بد إذن من بعث بعد الموت، وحساب وجزاء يثاب فيه المطيع ويعاقب فيه الفاجر. وقد أكد سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هذا المعنى في مواضع كثيرة، منها:

قوله تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾ ٣٥ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿[القلم: ٣٥-٣٦]، وقوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الجاثية: ٢١].

٣- ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [سورة ص: ٢٩]:

- ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ﴾؛ أي: هو كتاب أنزلناه إليك يا محمد، وهو القرآن الكريم، الذي أقسم به تعالى في أول السورة: ﴿صَّ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾. وهو كتاب مبارك كثير المنافع والفوائد في الدين والدنيا.



- ﴿لَيْدَبَّرُواْ آيَاتِهِۦ وَلَيَتَذَكَّرْ أُولُوْاْ الْأَلْبَابِ﴾؛ إن هذا القرآن كتاب أنزلناه إليك كثير الخير والنفع، ليتدبر الناس آياته ويتفكروا في معانيها، وليتعض به أصحاب العقول الراجحة النيرة، وهي العقول الزاكية الطيبة المريدة للحق. وما زيادة الظلم والجور والإجرام في المجتمعات البشرية المعاصرة إلا نتيجة ابتعادها عن شريعة الله، وانسلاخها عن الشعور برقابته والمسؤولية أمامه يوم الحساب والجزاء. فالتفكر في آيات التنزيل الحكيم أمر مطلوب، وقد أكدّه سبحانه في قوله في سورة محمد: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤].

وما أكدّه سبحانه وحثّ عليه إلا ليتبين الناس صدقه، وأنه كلام الله يدل على صحة نبوة رسول الله، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [يونس: ٣٧]. فالتدبر في آيات الكتاب يدل على أنه كلام الله وما فيه من أخبار عن مغيبات ما كان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعلمها، دليل على أنه وحي من الله، وليس للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيه إلا التبليغ. وأكد سبحانه أيضاً، وحثّ على تدبر آياته، والتفكر فيها لمعرفة ما بها من تكاليف وأحكام وشرائع، لتطبيقها. قال الحسن البصري، رَحِمَهُ اللَّهُ: ”وما تدبر آياته إلا اتباعه، والله يعلم. أما والله، ما هو بحفظ حروفه وإضاعة حدوده، حتى إن أحدهم ليقول: قرأت القرآن كله، وما يرى له القرآن من خلق ولا عمل“^(١). ثم ذكرت الآيات بعدما ما ذكرت من أخبار داوود عَلَيْهِ السَّلَام بعض أخبار ابنه سليمان عَلَيْهِ السَّلَام، وهو أيضاً نبي كريم، جمع الله له النبوة والملك^(٢).

(١) مختصر تفسير ابن كثير، محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت، ط ٧، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨١ م، (٢٠٢/٣).

(٢) التفسير الموضوعي (٢٠٨/٧).



خامساً: قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ (٣٠) إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّفِينَتُ الْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَيَّ فطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾ [سورة ص: ٣٠-٣٣]:

تفسير الآيات الكريمة:

١- ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾:

أ- ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ﴾

لقد وهب الله عزَّ وجلَّ لداود عليه السَّلَامُ سليمان وهباً دون مقابل ورحمة منه تعالى، لأنه هو الوهاب الذي يعطي الهبة بلا عوض، ولا مقابل، ولا منٍّ، ويعطي ما يشاء لمن يشاء. وهبات الله ونعمه وعطاياه كثيرة، لا يدونها قلم، ويحصيها حساب، قال تعالى: ﴿وَأَنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٤].

إن الهبة من الوهاب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهو الذي يكثر العطاء بلا عوض، ويهب لمن يشاء ما يشاء، بلا عوض، ويعطي الحاجة بغير سؤال، فقد وهب سبحانه داود ولده سليمان عَلَيْهِمَا السَّلَامُ تفضلاً وكرماً وجوداً وأثراً من أثر اسمه الوهاب^(١). إن الله الوهاب سبحانه يهب شفاء لسقيم، وولداً لعقيم، وهدىً لضال، وعافية لذي بلاء، وقد وسع الخلق جوده، ودامت مواهبه، واتصلت مننه وعوائده^(٢).

(١) صفات الأنبياء من قصص القرآن «إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ولوط»، عقيل حسين عقيل، سما للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ٢٠١١، ص ٢٣٢.

(٢) والله الأسماء الحسنی، عبد العزيز ناصر الجليل، دار طبية، الرياض، ط ٣، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩، ص ٦٨٤.

قال ابن القيم في قصيدته النونية الكافية الشافية:

وَكَذَلِكَ الْوَهَّابُ مِنْ أَسْمَائِهِ فَانْظُرْ مَوَاهِبَهُ مَدَى الْأَزْمَانِ
أَهْلُ السَّمَاوَاتِ الْعُلَى وَالْأَرْضِ عَنْ تِلْكَ الْمَوَاهِبِ لَيْسَ يَنْفَكَّانِ^(١).

وإن التعبير بالهبة في قوله: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ﴾: إشارة إلى أنها عطاء خالص من الله تعالى، وإضافة الهبة إلى ضمير العظمة (نا) يدل على كمالها^(٢).

وهنا نسأل عن السر في تخصيص سليمان عَلَيْهِ السَّلَام بالذكر، على الرغم من أن داوود عَلَيْهِ السَّلَام رزق بأولاد آخرين. والجواب: لأن هذه الهبة مع كونه ولدًا صالحًا لكن الله اختصه بمقام النبوة، أي أن الله عَزَّوَجَلَّ وهب لداوود سليمان، أي نبيًا، كما قال: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَنُ دَاوُدَ﴾؛ أي: في النبوة، وإلا فقد كان له بنون غيره^(٣). وإن معنى (سليمان) هو الكامل المكمّل التام في جميع المجالات؛ الخلق والخلق، والرأي والرؤية، وهو سليم الطوية، وهو للحق لا يتغير، فلقد آتاه الله تعالى الحكمة. وتقول العرب: سليمان الحكيم^(٤). و(سليمان): تعني السليم؛ أي السالم من الآفات.

ب- ﴿نِعَمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾:

إن داوود عَلَيْهِ السَّلَام كان له كثير من الأبناء والأولاد إلا أن الله خصه عَلَيْهِ السَّلَام بالابن الصالح النبي الملك سليمان عَلَيْهِ السَّلَام، وأثنى الله عليه في كتابه بكونه أَوَّابًا

(١) المصدر نفسه، ص ٦٨٤.

(٢) تأملات في سورة مريم، د. عادل أحمد الرويني، ط ١، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، ص ٢١٠.

(٣) تفسير ابن كثير (٧/ ٦٤).

(٤) أسماء الأنبياء ودلالاتها ومعانيها، ص ٢٢٣.



إلى الله كثير الطاعة والعبادة، والإنابة إلى الله سبحانه في أكثر الأوقات، ومن مزيد فضل الله على عبده داود أن وهبه سليمان الذي ورث عن أبيه الملك والنبوة والحكمة، إذ أكرم الله تعالى سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ بالملك والنبوة^(١)، وأعطاه الفهم الثاقب، والرأي السديد، ورجاحة العقل.

- ﴿نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾: نعم: يقال للمدح، والمدح هنا بالصفة العقدية، وهي العبودية لله تعالى^(٢)، فقد اتصف بما يوجب المدح، وهو ﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾؛ أي: رجع إلى الله في جميع أحوال بالتأله، والإنابة، والمحبة، والذكر، والدعاء، والتضرع، والاجتهاد في مرضاة الله، وتقديمها على كل شيء^(٣).
وقد سار سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ على طريق أبيه، وتمسك بطاعة الله وأقام الحق والعدل بين الناس^(٤).

٢- ﴿إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعِشِيِّ الصَّفِيفَتِ الْجِيَادُ﴾:

- ﴿إِذْ﴾ ظرف للزمان الماضي في محل نصب مفعول فيه لفعل محذوف تقديره: اذكر.
والخطاب موجه لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو يشمل كل مسلم من بعده، والتقدير: اذكر وقت عرض الصافيات الجياد على سليمان^(٥).

(١) فقه النصر والتمكين، ص ١٢٧.

(٢) تفسير الشعراوي (١٢٩٢٩/٢١).

(٣) تفسير السعدي، ص ٩٥٦.

(٤) التفسير الموضوعي (٧٢٠٨).

(٥) القصص القرآني (٤٨٣/٣).



- ﴿عُرِضَ﴾ عليه بمعنى: أبرزت حتى نظر إليها، من عرض يعرض عرضاً أي ظهرَ يظهر ظهوراً، والفعل في الآية الكريمة مبني للمجهول^(١).

- ﴿بِالْعِشِيِّ﴾: من العصر إلى آخر النهار^(٢).

- ﴿الصَّفِيفَتُ الْجَيَادُ﴾: الخيل الجيدة، ولم ترد هذه الكلمة: ﴿الصَّفِيفَتُ الْجَيَادُ﴾ في غير هذا الموضع في القرآن. والصفافنات جمع صافن، والجياذ جمع: جواد.

قال الإمام الراغب معناها: الصَّفِيفُ: الجمعُ بين الشيئين ضامّاً بعضهما إلى بعض. ويقال: صَفَنَ الفرسُ قوائمه. قال تعالى: ﴿الصَّفِيفَتُ الْجَيَادُ﴾. ورد في المعجم الوسيط: (صفن الفرس): يصفن صفوناً: قام على ثلاث قوائم، وطرف حافر الرابعة. وصفن الرجل: صف قدميه.

قال الراغب: الجياذ مشتقة من الجود: والجود: بذل المقتنيات، مالا كان أو علماً، يقال: رجل جواد، ويقال: فرس جواد، يجود بمدخر عدوه، والجمع جياذ، قال تعالى: ﴿بِالْعِشِيِّ الصَّفِيفَتُ الْجَيَادُ﴾^(٣). وورد في المعجم الوسيط: يُقال: جاد الفرس: صار جواداً، ويقال: جاد الفرس في عدوه إذا أسرع. والجواد: النجيب من الخيل. والجمع: جياذ، قال تعالى: ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعِشِيِّ الصَّفِيفَتُ الْجَيَادُ﴾.

(١) من آيات الإعجاز الإنبائي والتاريخي، د. زغلول النجار، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠١٣م، (٢/٧٦٥).

(٢) سليمان عَلَيْهِ السَّلَام في القرآن الكريم، همام حسن سلوم، ص ١٩٩.

(٣) القصص القرآني (٣/٤٨٤).



والصنف حركة لطيفة للفرس عند وقوفها، حيث تقف على ثلاث من قوائمها الأربع، أما الرابعة من قوائمها فإنها ترفعها وتثنيها، وتجعل طرف حافرها على الأرض، وهي بهذا تجمع بين رفعها وبين الوقوف عليها، فلا هي رفعتها على الأرض، ولا هي وقفت عليها وهذه حركة لطيفة جميلة، يدرك جمالها من استمتع بمنظر الفرس وهي صافنة.

والخيل الجياد: هي الخيل النجبية التي تجود في سيرها وعدوها، فهي تبذل جهدها وطاقاتها في عدوها وتجود بذلك، ولا تضنّ منه بشيء، فيأتي عدوها سريعاً. ومنظر الخيل الجياد التي تجود بطاقاتها في عدوها جميل لطيف مؤثر. وهنا الواصفان يدلان على حركتين لطيفتين.

فهي جميلة في صفنها عند وقوفها، وجميلة في جودها عند عدوها. ولهذا هي خير جزيل جميل، وكان سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ يدرك ما فيها من خير، عندما قال:

﴿إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي﴾.

وأخبرنا رسولنا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن هذا الخير الجميل الملازم لها، فقد قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الخيْلُ معقودٌ في نواصيها الخيرُ والنَّيْلُ إلى يومِ القيامةِ»^(١).

٣- ﴿فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾ (٣٢) رُدُّوْهَا عَلَيَّ فَطَرِيقَ مَسْحًا بِالسَّوْقِ وَالْأَعْنَاقِ:

ولما عرضت الصافنات الجياد بحيويتها وجمالها وسرعتها، وقت العشي على

﴿إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي﴾.

﴿عَنْ ذِكْرِ رَبِّي﴾ بِمَعْنَى أَنَّ هَذِهِ الْمَحَبَّةَ الشَّدِيدَةَ إِنَّمَا حَصَلَتْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَأَمْرِهِ لَا عَنِ الشَّهْوَةِ وَالْهَوَى، وَهَذَا الْوَجْهُ أَظْهَرُ الْوُجُوهِ ^(١).

فكَأَنَّهُ ذَاكِرُ لَرَبِهِ عِنْدَمَا يَحِبُّ الْخَيْلَ، وَحُبُّهُ لَهَا ذَكَرٌ مِنْهُ لِلَّهِ، إِذْ يَحْمَدُ اللَّهَ وَيُشْكِرُهُ عَلَى إِعْنَامِهِ عَلَيْهِ بِهَا، فَكَلِمَا يَرَاهَا يَشْكُرُ رَبَّهُ وَيَذْكُرُهُ، كَمَا أَنَّ إِعْدَادَهُ لَهَا وَإِشْرَافَهُ عَلَيْهَا صُورَةٌ مِنْ صُورِ عِبَادَتِهِ وَذِكْرِهِ لَرَبِّهِ.

- ﴿حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾: الْكَلَامُ عَنِ الْخَيْلِ الَّتِي أَحْبَبَهَا، وَمَعْنَى ﴿تَوَارَتْ﴾ اخْتَفَتْ. وَالْحِجَابُ: هُوَ شَيْءٌ كَانَ يَحْجُبُهَا عَنْ سُلَيْمَانَ، كَأَنَّ يَكُونُ جَبَلًا أَوْ تَلًّا. وَتَدُلُّ الْجُمْلَةُ عَلَى أَنَّ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَرِاقِبُ خَيْلًا وَيُشْرِفُ عَلَيْهَا، وَيَمُرُّهَا عَلَى الْجَرِيِّ وَالْعَدُوِّ، لِتَكُونَ دَائِمًا جَاهِزَةً لِلْجِهَادِ.

وَيَبْدُو أَنَّهُ أَمَرَ بِرُكُضِ الْخَيْلِ وَعَدُوِّهَا، فَلَمَّا رَأَاهَا تَجْرِي وَتَسْبَحُ فِي الْمِيدَانِ حَمْدُ اللَّهِ عَلَى ذَلِكَ وَاعْتَبَرُ حُبُّهُ لِلْخَيْلِ صُورَةٌ مِنْ صُورِ ذِكْرِهِ وَشُكْرِهِ لِلَّهِ، وَقَالَ: ﴿إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي﴾:

وَبَقِيَ يَنْظُرُ إِلَى الْخَيْرِ السَّابِحَةِ فِي الْمِيدَانِ مُعْجَبًا، حَتَّى تَوَارَتْ وَاخْتَفَتْ وَرَاءَ الْجَبَلِ الَّذِي حَجَبَهَا. وَلَمَّا تَوَارَتْ وَغَابَتْ عَنْ نَازِرِيهِ، قَالَ: ﴿رُدُّوْهَا عَلَيَّ﴾، وَمَعْنَى ذَلِكَ: أَعِيدُوْهَا إِلَيَّ، فَأَعَادُوْهَا لَهُ، وَلَمَّا رَأَاهَا أَمَامَهُ صَارَ يَمْسَحُ عَلَيْهَا: ﴿فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾.

وَإِنَّ السُّوقَ جَمْعُ سَاقٍ، وَالْمُرَادُ بِهَا سَيْقَانُ الْخَيْلِ، وَالْأَعْنَاقُ جَمْعُ عُنُقٍ. وَالْمَعْنَى أَنَّ سُلَيْمَانَ صَارَ يَمْسَحُ عَلَى سَيْقَانِ وَأَعْنَاقِ الْخَيْلِ، وَيَمُرُّ بِأَصَابِعِهِ عَلَيْهَا

(١) تفسير مفاتيح الغيب، للرازي، (١٣/١٨٨).



برقة. ملاعبة منه للخيل وتكريماً لها، وإظهاراً لاهتمامه بها ومحبتها لها. ومعلوم أن الخيل تحب هذه الحركة اللطيفة من صاحبها، وتأنس به عندما يمسح على سوقها وأعناقها وأعرافها وجسمها، فتزداد وفاءً له وتعلقاً به، كما تزداد إقداماً في الجهاد.

هذه حادثة سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ مع الخيل الصافنات الجياد، وهذا فهم الحادثة كما عرضتها آيات القرآن عندما نستبعد الإسرائيليات التي سجلت الاتهام لسليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ، بانشغاله بالخيل عن ذكر الله، ثم ندمه بعد ذلك وقتله لتلك الخيل^(١)!

أ- ﴿حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾: هناك من العلماء من يقول إن الخيل هي التي توارت بالحجاب، وهناك من يقول إن التي توارت بالحجاب هي الشمس.

- القول الأول: اختاره ابن جرير والرازي وغيرهما وهو أنه: ما فاتته صلاة ولا شيء أبداً، وإنما عرضت عليه الخيل وسلامه عليه، وتوارت أي: الخيل. وتبقى هنا إشكالية ﴿عَنْ ذِكْرِ رَبِّي﴾ قالوا: عن بمعنى من، فهي من ذكر ربي، واستدلوا على هذه بأدلة منها.

أولاً: قالوا: الخيل مذكورة: ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ﴾. والصفان الجياد هي الخيل، ﴿فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي﴾ أي: الخيل ﴿حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾ أيضاً الخيل. ﴿رُدُّوْهَا عَلَيَّ﴾ أيضاً الخيل، فأين ذكرت الشمس، لا ذكر للشمس في الآيات أبداً فمن أين أتيت بقصة الشمس؟

(١) القصص القرآني (٤٨٧/٣).

ثانياً: لا يليق بالأنبياء أن يؤخروا الصلاة، وتشغلهم الدنيا أو النظر في الخيل عن أداء الواجبات.

ثالثاً: الأصل بأن يعود الضمير إلى أقرب مذكور: ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّفِنتُ الْجِيَادُ﴾ الخيل ﴿فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ﴾ الخيل ﴿عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ﴾ المفروض: الخيل. ﴿رُدُّوَهَا عَلَيَّ﴾ الخيل.

رابعاً: إذا فاتته الصلاة فلماذا يعاقب الخيل ويقتلها؟ وما ذنب الخيل؟ لأنه هو الذي فاتته الصلاة، بل كان عليه أن يتوب إلى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

خامساً: وأما مسحه عليها تشريفاً لها، وتكريماً، أو أنه مسح صلوات الله وسلامه عليه لتواضعه مع أنه الملك، أو أنه كان عليماً بأحوال الخيل، فكان ينظر إليها ويتفقد ما هل هي مريضة حتى يطمئن عليها^(١).

القول الثاني: قالوا: ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّفِنتُ الْجِيَادُ﴾ الخيل، ﴿فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ﴾ الخيل، ﴿حَتَّى تَوَارَتْ﴾ أي الشمس، ﴿بِالْحِجَابِ﴾ رُدُّوَهَا عَلَيَّ أي: الخيل، ﴿فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾ فقتل الخيل. واستدلوا بقول الله تعالى: ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّفِنتُ الْجِيَادُ﴾؛ ذكر العشي له معنى، والعشي وقت الزوال، فلما ذكر العشي ثم تورات بالحجاب إذن هي الشمس، لارتباط الشمس بالعشي، ثم كذلك قوله: ﴿إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ﴾ (عن) على ظاهرها، والأصل أنها عن ذكر ربي وليس من ذكر ربي، فهي شغلته عن ذكر ربه تَبَارَكَ وَتَعَالَى، قالوا: ويحتمل أنها صلاة العصر، ويحتمل أي ورد من الذكر كان له، وليس شرطاً أن يكون ترك واجباً، لكن ممكن أن يكون ترك أمراً مستحباً.

(١) فبهذا اقتده، عثمان الخميس، ص ٣١٣.



وإن الأصل بأن تؤخذ الآية على ظاهرها: ﴿عَنْ ذِكْرِ رَبِّي﴾ ولماذا قتلها إذن؟ قالوا: قتلها وأمر الناس أن يأكلوها، ولماذا فعل ذلك؟ قالوا: لئلا تشغله مرة ثانية. ولذلك جاء عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه لما تأخر عن الصلاة تبرع ببستانه لئلا يشغله مرة ثانية عن الصلاة، قالوا: وقد يكون هذا سائغاً في شريعتهم، لأن الشرائع تختلف، بل قد جاء في شريعتنا ما يؤيد ذلك، وذلك لما ذهب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى تبوك ومروا بمدائن صالح طبخوا في القدور فأمر بكسر القدور وإراقة الطعام صلوات الله وسلامه عليه، حتى قالوا له: أو نغسلها ولا نكسرها؟ فقال: اغسلوها لكن أمر بإراقة الطعام، لأنهم لا يجوز لهم أكله، ومع هذا أمر بكسر تلك القدور^(١).

ودليل على ذلك بأن من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه، ولذلك جاءت الآية التي بعدها أن الله عوضه بالريح: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ﴾. فلما ترك الخيل لله عَزَّ وَجَلَّ عوضه الله بالريح وهي أقوى من الخيل وأسرع، ولا تحتاج مؤونة ولا كلفة ولا عناية ولا شيء، فعوضه الله خيراً من الخيل لما تركها لله جَلَّ وَعَلَا. وقد قال الشيخ عثمان الخميس: فالقصد أن كلا الأمرين محتمل، يحتمل أنه أرادته حتى توارت بالحجاب الشمس، ويحتمل حتى توارت بالحجاب الخيل، والعلم عند الله عَزَّ وَجَلَّ^(٢).

(١) مسند أحمد، رقم ٥٩٤٨.

(٢) فبهذا هم اقتداه، عثمان الخميس، ص ٣١٣.



وذهب الدكتور صلاح الخالدي إلى ترجيح بأن الخيل هي التي توارت بالحجاب، فقال: إننا نعلم أن سليمان عَلَيْهِ السَّلَام كان رجل جهاد، وأنه خاض معارك إيمانية ضد الكفار، وكانت الخيل من أسلحة الحرب، المعروفة. ولذلك كان سليمان محباً للخيل، لهذا الهدف الجهادي العظيم، الذي يحقق له الخير، وكان يعتبر حبه للخيل وإعدادها للجهاد صورة من صور ذكره لربه^(١).

٤- القول الراجح في المسح بالسوق والأعناق:

إنّ ما ورد عن نبي الله سليمان عَلَيْهِ السَّلَام من روايات تنسب إليه أنه قطع أعناق الخيل وأرجلها، لا يثبت منها شيء بالدليل من الكتاب والسنة. ويقول صاحب كتاب محاسن التأويل: إن الإمام ابن حزم سبق الإمام الرازي في هذا الرأي؛ يقول ابن حزم: تأويل الآية على أنه قتل الخيل إذ اشتغل بها عن الصلاة، خرافة موضوعة مكذوبة سخيفة باردة. قد جمعت أفانين من القول؛ لأن فيها معاقبة خيل لا ذنب لها، والتمثيل بها، وإتلاف مال منتفع به بلا معنى، ونسبة تضييع الصلاة إلى نبيّ مرسل، ثم يعاقب الخيل على ذنبه لا على ذنبها. وإنما معنى الآية أنه أخبر أنه أحب حب الخير، وذلك من أجل ذكر ربه حتى توارت الشمس أو تلك الصافنات بحجابها، ثم أمر بردها، فطفق مسحاً بسوقها وأعناقها بيده، برّاً بها وإكراماً لها، وإن هذا هو ظاهر الآية الذي لا يحتمل غيره. وليس فيها إشارة أصلاً إلى ما ذكره من قتل الخيل وتعطيل الصلاة. وكل هذا قد قاله ثقات المسلمين. فكيف ولا حجة في قول أحد دون رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟^(٢)

(١) القصص القرآني (٤٨٧/٣).

(٢) الفصل في الملل، والنحل والأهواء، لابن حزم، مكتبة السلام العالمية، ط١، ٢٠١٠م، (٤/٢٠).



إن المسح بالسوق والأعناق يجب صرفه على الحقيقة لا المجاز، فالمسح كان باليد حباً لها وتكريماً؛ لأنه الأليق بأنه يعد لأعدائه ما استطاع من قوة ومن رباط الخيل ليحمي دين الله ويهرب عدوه. وهذا القول فيه بعد، عن نسبة الظلم إلى سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ، بذبح الخيل بدون ذنبٍ جَتَّتْهُ، كما أننا لا نجد فيما ورد من كتب التفسير حديثاً مسنداً إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو أثراً معتمداً عن بعض أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ^(١).

وقد تحدث الإمام الرازي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن هذه المسألة، فقال: ... أن نقول إن رباط الخيل كان مندوباً إليه في دينهم كما أنه كذلك في دين محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. ثم إن سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ احتاج إلى الغزو، فجلس وأمر بإحضار الخيل وأمر بإجرائها وذكر أنني لا أحبها لأجل الدنيا ونصيب النفس، وإنما أحبها لأمر الله وطلب تقوية دينه وهو المراد من قوله (عن ذكر ربي)، ثم إنه عَلَيْهِ السَّلَامُ أمر بإعدادها وتسييرها حتى توارت بالحجاب أي غابت عن بصره، ثم أمر الراضين بأن يردوا تلك الخيل إليه، فلما عادت إليه طفق يمسح سوقها وأعناقها، والغرض من ذلك المسح أمور؛ الأول: تشريقاً لها وإبانةً لعزتها لكونها من أعظم الأعوان في دفع العدو. والثاني: أنه أراد أن يظهر أنه في ضبط السياسة والملك يتضع إلى حيث يياشر أكثر الأمور بنفسه. والثالث: أنه كان أعلم بأحوال الخيل وأمراضها وعيوبها، فكان يمتحنها ويمسح سوقها وأعناقها حتى يعلم هل فيها ما يدل على

(١) داود وسليمان عَلَيْهِمَا السَّلَامُ في الأسفار اليهودية، ص ٣٦٩.

المرض. فهذا التفسير الذي ذكرناه ينطبق عليه لفظ القرآن انطباقاً مطابقاً موافقاً، ولا يلزمنا نسبة شيء من تلك المنكرات والمحذورات^(١).
وأرى تبرئة سليمان عَلَيْهِ السَّلَام من الغفلة عن ذكر الله أو الصلاة كما قال بعض المفسرين، وكذلك تبرئته من قتل الخيل لعدم صحة الحكايات الواردة سنداً، وكذلك بطلانها متنّاً؛ لتنافيها مع عظمة الأنبياء. والله أعلم^(٢).

٥- خيل سليمان والأجنحة:

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: "قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ أَوْ خَيْبَرَ، وَفِي سَهْوَتِهَا^(٣) سِتْرٌ، فَهَبَّتْ رِيحٌ، فَكَشَفَتْ نَاحِيَةَ السِّتْرِ عَنْ بَنَاتٍ لِعَائِشَةَ لَعِبٍ، فَقَالَ: «مَا هَذَا يَا عَائِشَةُ؟» قَالَتْ: بَنَاتِي، وَرَأَى بَيْنَهُنَّ فَرْسًا لَهُ جَنَاحَانِ مِنْ رِقَاعٍ، فَقَالَ: «مَا هَذَا الَّذِي أَرَى وَسَطَهُنَّ؟» قَالَتْ: فَرَسٌ، قَالَ: «وَمَا هَذَا الَّذِي عَلَيْهِ؟» قَالَتْ: جَنَاحَانِ، قَالَ: «فَرَسٌ لَهُ جَنَاحَانِ؟» قَالَتْ: أَمَّا سَمِعْتَ أَنَّ لِسُلَيْمَانَ خَيْلًا لَهَا أَجْنَحَةٌ؟ قَالَتْ: فَضَحِكْتُ حَتَّى رَأَيْتُ نَوَاجِذَهُ^(٤).

٦- تجارة الخيول في عهد سليمان عَلَيْهِ السَّلَام:

يقول الدكتور عبد التواب السيد: ولعلّ مما سهل لسليمان أن يكون وسيطاً في تجارة الخيول والمركبات هو علاقته الوطيدة بمصر عن طريق زوجته المصرية،

(١) تفسير الرازي (٢٣/٢٠٤).

(٢) داود وسليمان عَلَيْهِمَا السَّلَام في الأسفار اليهودية، ص ٣٧٠.

(٣) السَّهْوَةُ هي المكان الذي أمام البيت، أو جُزءٌ مَحْفُورٌ في الجدارِ يُوَضَعُ فِيهِ الْأَشْيَاءُ.

(٤) سنن أبي داود، رقم ٤٩٣٢، وصححه ابن حبان.



وكان المصدر الثاني للخيول هي دولة سلسيا في جنوب آسيا الصغرى بين جبل طوروس والبحر المتوسط، وتشتهر أيضاً بخيولها.

وقد أقام سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ حظائر للخيول في مناطق متعددة من مملكته في بيت شآن، وحاصور، ومجدو، وتغنك، وأورشليم، وغيرها من المدن التي بها الحاميات المسيطر على طرق التجارة. وقد كشفت بعثات التنقيب الأمريكية في مجدو عن حظائر ترجع إلى عهد سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ، ووجدوا بقايا من إسطبلات الخيول، والتي كانت تنظم حول فناء دائري مبلّط ببلاط من الحيري، وممر عرضه عشرة أقدام، وقد رصف بصخور خشبية ليحول دون انزلاق الخيل، وخارج الممر مرابط فسيحة عرض كل منها عشرة أقدام، ووجدوا بعض معالف طعام الخيول، ومعدات السقي، وخارج الحظائر تجد مساحات واسعة للمركبات. وقدّر أن كل إسطبل كان يحوي ٤٥٠ حصاناً، ولكل حظيرة ١٥٠ عربة، فإذا افترضنا عرض المربط، ٥ أمتار لكي يتحرك فيه الحصان بحرية، كان محيط الفناء الدائري ١١٥ متراً، وبذلك تبلغ مساحة الإسطبل الواحد بفنائه الخارجي الذي توضع فيه المركبات حوالي ١٣ فدّاناً، وهذا يثير الدهشة من اتّساع هذه الإسطبلات والعناية غير العادية التي بذلت بوفرة في المباني، والخدمات، وهو ما يدل على أن الخيل في عهد سليمان كانت تلقى أحسن رعاية؛ الأمر الذي استحق أن يسجّل في القرآن الكريم^(١).

(١) الجوانب الاقتصادية في حياة سيدنا سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ، عبد التواب سيد محمد إبراهيم، ص ١٦.



سادساً: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ﴾

[سورة ص: ٣٤]

- ﴿فَتَنَّا﴾: معناه: بلونا واختبرنا، وامتحنا. والفتنة في ذاتها ليست مكروهة، وإنما المكروه أن تخفق فيها، وتفشل في خوضها. وقد فتن الله سليمان عَلَيْهِ السَّلَام كما فتن من قبله أباه داود عَلَيْهِ السَّلَام في مسألة المحراب^(١).

- ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ﴾:

الكرسي هو العرش الذي يجلس عليه الملك. ﴿جَسَداً﴾: الجسد هو قالب الكائن الحي، ويقال لهذا القالب: (جسد) إذا كان خالياً من الروح^(٢).

- ﴿ثُمَّ أَنَابَ﴾: يعني رجع إلى ما كان عليه قبل التجربة التي مرَّ بها^(٣).

وقد تحدث الكثير من العلماء عن شرح هذه الآية الكريمة وردوا الروايات المكذوبة في حق سليمان عَلَيْهِ السَّلَام، بعدل وإنصاف. ومن هذه الدراسات المهمة: - "الإسرائيليات والموضوعات في قصة سيدنا سليمان عَلَيْهِ السَّلَام، كائنات محمود عدوان".

- "تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ﴾، للعلامة عبد الرحمن المعلمي".

- "فتنة سليمان عَلَيْهِ السَّلَام في القرآن الكريم، همام حسين يوسف سلوم".

(١) تفسير عبد الرحمن بن يحيى المعلمي، ص ١٢١.

(٢) تفسير الشعراوي (١١/ ١٢٩٣٤).

(٣) المصدر السابق نفسه.



وهذه من أهم المراجع التي اعتمدت عليها بعد الله في مناقشة الإسرائيليات، ومن أراد التوسع فليرجع إليها.

١ - سبب هذه الفتنة:

كثرت الأقوال في سبب هذه الفتنة، وحكيت في كتب التفسير أقوال لا تتوافق مع عصمة الأنبياء، ولا يمكن أن تكون قد حصلت من سليمان عَلَيْهِ السَّلَام. ومن هذه الأقوال:

- قال كثير من المفسرين: إن سليمان تزوج بامرأة من بنات الملوك، فعبدت الصنم في داره ولم يعلم بذلك فامتحن بسبب غفلته في ذلك.
- وقيل إنه تزوج بامرأة مصرية اسمها جرادة، وكان يحبها حباً شديداً، فاختصم إليه فريقان، أحدهما من أهل جرادة، فأحب أن يكون القضاء لهم، ثم قضى بينهم في الحق.
- وقيل إنه احتجب على الناس ثلاثة أيام لا يقضى بين أحد.
- وقيل إنه تزوج جرادة وهي مشركة، لأنه عرض عليها الإسلام فقالت اقتلني ولا أسلم.

- وقيل: لما ظلم الخيل بالقتل سلب ملكه.
 - وقيل: إنه قارب بعض نساءه في شيء من حيض وغيره.
 - وقيل: إنه أمر ألا يتزوج امرأة إلا من بني إسرائيل، فتزوج من غيرهم.
- وكل هذه الأقوال مردودة؛ إذ ليس فيها دليل موثوق به، وإن كثيراً منها يتعارض مع عصمة الأنبياء والمكانة السامية التي اختصهم الله بها^(١).

(١) سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ في القرآن والسنة، ص ٢١٣ - ٢١٤.



٢- أقوال العلماء في هذه الفتنة:

أ- قال صلاح الدين الخالدي رَحِمَهُ اللهُ: ننبه ونحذّر أولاً من الإسرائيليات المكدوبة الباطلة التي تحدثت طويلاً عن فتنة سليمان، وعن الجسد الملقى على كرسيه، فهي تتهم النبي سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ تُهَمًّا باطلة فاجرة.

وخلاصتها: أن سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ وافق امرأته الكافرة على الكفر بالله، ووضع لهما صنماً في قصره، لتعبده من دون الله، فعاقبه الله على ذلك، وكان يحكم الجن والشياطين بخاتمه السحري، فأذن الله للشيطان المارد أن... يتزيّا بزِيّه، فأخذ الخاتم منه، واستلم الحكم من بعده، وكأنه عمل (انقلاباً عسكرياً عليه)، وبقي على هذا عدة أسابيع مفتوناً منزوعاً حكمه، ثم عاد له حكمه بعد أن استخرج الخاتم من بطن سمكة، ثم وضع المارد في صندوق وألقاه في قعر البحر. هذه الإسرائيليات مكدوبة باطلة واردة في أسفار العهد القديم المحرفة، وقد استهوت هذه الإسرائيليات بعض المفسرين والمؤرخين من المسلمين -مع الأسف الشديد- فأوردوها في كتبهم، وفسروا بها كلام الله تعالى. ونحن لا نجيز تفسير كتاب الله بهذه الأكاذيب والافتراءات، ونقرّر وجوب تبرئة سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ منها^(١).

ب- قال الشنقيطي رَحِمَهُ اللهُ: وما روي عن السلف من جملة تلك الروايات بأن الشيطان أخذ خاتم سليمان وجلس على كرسيه، وطرّد سليمان... إلى آخره، يوضح بطلانه، قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ [الحجر: ٤٢].

(١) القصص القرآني (٣/ ٤٨٩).



واعترف الشيطان بذلك في قوله تعالى: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ﴾ [الحجر: ٤٠] ^(١).

ج- قال ابن كثير بعدما ذكر قصة رويت عن ابن عباس عند هذه الآية: الظاهر أنه إنما تلقاه ابن عباس -إن صح عنه- من أهل الكتاب، وفيهم طائفة لا يعتقدون نبوة سليمان عَلَيْهِ السَّلَام، فالظاهر أنهم يكذبون عليه ولهذا كان في السياق منكرات من أشدها ذكر النساء؛ فإن المشهور أن ذلك الجنّي لم يسلط على نساء سليمان، بل عصمهن الله تعالى منه تشريفاً وتكريماً لنبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد رويت هذه القصة مطولة عن جماعة من السلف، كسعيد بن المسيب، وزيد بن أسلم، وجماعة آخرين وكلها متلقاة من قصص أهل الكتاب. والله أعلم بالصواب ^(٢).

د- قال النسفي رَحِمَهُ اللَّهُ: وأما ما يروى من حديث الخاتم والشيطان، وعبادة الوثن في بيت سليمان عَلَيْهِ السَّلَام فمن أباطيل اليهود ^(٣).

هـ- قال القاضي عياض رَحِمَهُ اللَّهُ: ولا يصح ما نقله الإخباريون من تشبه الشيطان به، وتسلطه على محلّه، وتصرفه في أمته بالجور في حكمه؛ لأن الشياطين لا سلطان لها على مثل هذا، وقد عُصِمَ الأنبياء من مثله ^(٤).

و- قال الشيخ عثمان الخميس: الكلام الصحيح في فتنة سليمان، ما جاء في رواية أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ

(١) أضواء البيان (٦/٣٤٧).

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٦٩/٧).

(٣) تفسير النسفي (٤/٤٢).

(٤) الشفا، القاضي عياض، (٢/٣٨١).

عَلَيْهِمَا السَّلَام: لَا تُطَوِّفَنَّ اللَّيْلَةَ عَلَى مِئَةِ امْرَأَةٍ، أَوْ تَسْعَ وَتَسْعِينَ، كُلُّهُنَّ يَأْتِي بِفَارِسٍ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ: إِنْ شَاءَ اللَّهُ، فَلَمْ يَقُلْ: إِنْ شَاءَ اللَّهُ، فَلَمْ يَحْمِلْ مِنْهُنَّ إِلَّا امْرَأَةً وَاحِدَةً، جَاءَتْ بِشِقِّ رَجُلٍ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْ قَالَ: إِنْ شَاءَ اللَّهُ، لَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فُرْسَانًا أَجْمَعُونَ»^(١). وهذا الخبر الصحيح، وبأن الذي ألقى على كرسي سليمان هو هذا الصبي الذي هو نصف آدمي. ﴿ثُمَّ أَنَابَ﴾: أَي رَجَعَ إِلَى اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ، لِأَنَّهُ نَسِيَ أَنْ يَقُولَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ^(٢).

ز- وقال الأستاذ همام حسن يوسف سلّوم: وخلاصة القول في هذا الأمر: أن الفتنة هي نسيان قول سليمان (إِنْ شَاءَ اللَّهُ)، وعدم تحقق رغبته في إنجاب مائة فارس يجاهدون في سبيل الله، وابتلاؤه بابن مشوّه ناقص الخلق نزل من بطن أمه ميتاً، ويبدو أنه ولد ميتاً، وحملوه ووضعوه على كرسي سليمان ليرى ما وضعت امرأته، وعرف سليمان أنه امتحان من الله وابتلاء، فأناوب إلى الله، ورضي بقدره، واستسلم لقضائه، وذكر الله واستغفره ودعاه وتضرع إليه؛ وبذلك نجح في الامتحان واستفاد من الابتلاء.

وهذا التأويل هو الذي نراه منسجماً مع النص القرآني، ولا ينكره العقل، ويليق بمقام النبوة، وبالتالي نراه الراجح في المسألة. والله أعلم^(٣). وهذا القول اختاره جمع من المحققين من العلماء المفسرين، قدامى ومعاصرين، منهم:

(١) صحيح البخاري، الرقم ٢٨١٩.

(٢) فبهذا هم اقتدوه، عثمان الخميس، ص ٣١٥.

(٣) سليمان في القرآن الكريم، ص ٢٢٣.



البيضاوي^(١)، والآلوسي^(٢). قال الزمخشري: لا بأس به، واعتبره الرازي^(٣) وجهاً لأهل التحقيق^(٤)، واختاره أيضاً الخازن^(٥)، وأبو حيان^(٦)، واعتبره ابن عاشور أظهر الأقوال، وإن لم يرتضه^(٧).

واختاره من المعاصرين: الزحيلي^(٨)، والصابوني^(٩)، وعبد الرحمن حبنكة الميداني^(١٠)، والشنقيطي^(١١)، والخالدي^(١٢)، والجزائري^(١٣)، وآخرون.

وذهب بعض العلماء إلى تأويل آخر للفتنة ينزه سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ عن أباطيل الإسرائيليات، فقالوا: إن الفتنة هي فتنة سليمان في جسده حيث ابتلى بمرض شديد نحل منه وضعف حتى صار من شدة المرض كأن جسده ملقى على الكرسي. ﴿ثُمَّ أَنَابَ﴾: أي رجع إلى حالة الصحة. واستدلوا لهذا القول بأنه شاع في اللغة وصف الضعيف بأنه لحم على عظم وجسد بلا روح. واختار

(١) تفسير البيضاوي (٤٦/٥).

(٢) روح المعاني، الآلوسي، (٤٦/٢٣).

(٣) الكشاف، الزمخشري، (٩٠/٤).

(٤) التفسير الكبير، الرازي، (٣٩٢/٩).

(٥) لباب التأويل في معاني التنزيل (٤٩/٦).

(٦) البحر المحيط، أبو حيان، (٣٧٩/٧).

(٧) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (٥١٠/٩).

(٨) التفسير المنير، الزحيلي، (٢٠١/٢٣).

(٩) صفوة التفاسير، علي الصابوني، (٥٤/٣).

(١٠) العقيدة الإسلامية وأساسها، عبد الرحمن حبنكة الميداني، ص ٤١٧.

(١١) أضواء البيان، الشنقيطي، (٣٧٣/٢).

(١٢) موقف الأنبياء في القرآن تحليل وتوجيه، ص ٣١٣.

(١٣) أيسر التفاسير (٣٥٧/٤).



هذا القول: الشيخ المراغي رَحِمَهُ اللهُ^(١). وأميل إلى قول الخالدي، والشنقيطي والجزائري، والزحيلي وغيرهم، والله أعلم.

سابعاً: قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ۝٣٥ فَسَخَرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ۝٣٦ وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ ۝٣٧ وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ۝٣٨ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝٣٩ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَّآبٍ ۝﴾ [سورة ص: ٣٥-٤٠]:

١- ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي﴾:

هذا أدب الأنبياء والصالحين، من طلب المغفرة من الله، هضماً للنفس، وإظهاراً للذلة والخشوع، وطلباً للترقي في المقامات. وفي الحديث: «إني لأستغفر الله في اليوم واللييلة سبعين مرة»^(٢).

والاستغفار مقدمة بين يدي ما يطلب المستغفر بطلب الأهم في دينه، فيترتب عليه أمر دنياه، كقول نوح في ما حكى الله عنه: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ۝﴾ [نوح: ١٠-١١].

٢- ﴿وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي﴾:

قال الطاهر بن عاشور في تفسير هذه الآية: وإردافه طلب المغفرة باستيهاب ملك لا ينبغي لأحد من بعده، لأنه توقع من غضب الله أمرين:

(١) تفسير المراغي (٢٣/ ١٢٠ - ١٢١)؛ سليمان عَلَيْهِ السَّلَام في القرآن، ص ٢٢٣.

(٢) البخاري، رقم ٦٣٠٧. النسائي في الكبرى، رقم ١٠٢٦٩.



- العقاب في الآخرة، وسلب النعمة في الدنيا، إذ قَصَّرَ في شكرها. وكان سليمان يومئذٍ في ملك عظيم، فسؤال موهبة الملك مراد به استدامة ذلك الملك، وصيغة الطلب ترد لطلب الدوام، مثل: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [النساء: ١٣٦].

وتنكير ﴿مُلْكًا﴾ للتعظيم. وارتقى سليمان في تدرج سؤال إلى أن وصف ملكًا لا ينبغي لأحد من بعده، أي: لا يتأتى لأحد من بعده، أي: لا يعطيه الله أحدًا يبتغيه من بعده، فكنى بـ: ﴿لَا يَنْبَغِي﴾ عن معنى لا يعطى لأحد أي: لا تعطيه أحدًا من بعدي.

وسأل الله ألا يقيم له منازعًا في ملكه، وأن يبقى له ذلك الملك إلى موته، فاستجاب الله له^(١).

- وقد تَضَمَّنَتْ دعوته شيئين: هما أن يعطي ملكًا عظيمًا وألا يعطي غيره مثله في عظمته. وقد حكى الله دعاء سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهو سرٌّ بينه وبين ربه إشعاراً بأنه ألهمه إيَّاه، وأنه استجاب له دعوته تعريفاً برضاه عنه، وبأنه جعل استجابته مكرمة توبته. ومعنى ذلك أنه لا يأتي ملك بعده له من السلطان جميع ما لسليمان، فإن ملكه عمَّ التصرف في الجن وتسخير الريح والطير؛ ومجموع ذلك لم يحصل لأحد من بعده^(٢).

وفي الصحيح عن أبي هريرة أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إِنَّ عِفْرِيَّتًا مِنَ الْجِنِّ تَفَلَّتَ الْبَارِحَةَ لِيَقْطَعَ عَلَيَّ صَلَاتِي، فَأُمَكِّنِي اللَّهُ مِنْهُ فَأَخْذُتُهُ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَرْبُطَهُ

(١) تفسير التحرير والتنوير (٩/ ٥١٢).

(٢) المصدر السابق، (٩/ ٥١٣).

عَلَى سَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ حَتَّى تَنْظُرُوا إِلَيْهِ كُلُّكُمْ، فَذَكَرْتُ دَعْوَةَ أَخِي
سُلَيْمَانَ: رَبِّ هَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي، فَرَدَّدْتُه خَاسِتًا^(١).

إن سليمان عَلَيْهِ السَّلَام لم يطلب الملك للظلم أو البغي، وإنما طلبه للتقوى به
على تنفيذ شريعة الله تعالى في الأرض، وإقامة حدوده، وتعظيم شعائره، وظهور
عبادته، ولزوم طاعته جل في علاه^(٢). وليكون معجزة له في نبوته ورسالته،
وَيُسَخِّرْهُ فِي الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَإِشْعَارِ النَّاسِ بِالْدُخُولِ فِي دِينِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ،
وليتخذها وسيلة لذكر الله وشكره وحسن عبادته، فالملك الخاص الذي يريده
ليس غاية مقصودة، ولكنه وسيلة لتحقيق تلك الغايات الإيمانية العظيمة.
ولذلك استجاب الله له، ومنحه ما طلب، وخصه بملك لم يهبه لغيره^(٣).

٣- ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾:

ورد اسم الله تعالى (الْوَهَّابُ) ثلاث مرات في القرآن الكريم، وذلك في
قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ
الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨]، وقوله سبحانه: ﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ﴾
[سورة ص: ٩]، وقوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي
إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [سورة ص: ٣٥].

قال الخطابي رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿الْوَهَّابُ﴾: هو الذي يجود بالعطاء عن ظهر يد من
غير استثابة... فكل ما وهب شيئاً من عرض الدنيا لصاحبه فهو واهب، ولا

(١) رواه البخاري، رقم ٣٤٢٣.

(٢) التفسير الوسيط، محمد الطنطاوي، (١/ ١٦٤)، والقيم التربوية، ص ٤٥.

(٣) القصص القرآني (٣/ ٤٩٧).



يستحق أن يسمى وهاباً إلا من تصرف مواهبه في أنواع العطايا، فكثرت نوائله، ودامت، والمخلوقون إنما يملكون أن يهبوا مالا ونوالا في حال دون حال، ولا يملكون أن يهبوا شفاء السقيم، ولا والداء للعقيم، ولا هدى لضال، ولا عافية لذي بلاء؛ والله الوهاب سبحانه يملك جميع ذلك، وسع الخلق جوده، فدامت مواهبه، وكثرت مننه وعوائده^(١).

إنَّ سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ عاش مع الله، وفهم أسماء الحسنى، وآمن بصفاته العلا، ونراه يدعو الله باسمه الوهاب، فقد كان مستغرقاً في هبات الله منذ طفولته، ورأى ذلك في ملك أبيه، فأحب الله عَزَّجَلَّ، وأخلص العبادة له، وطرق أبوابه، التي لا تعد ولا تحصى بجميع أصنافها، وأنواعها، فهو سبحانه واهب الحياة، وواهب القوة، وواهب الرزق. وقد حافظ سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ على نعم الله، وهباته، ولا سيما هبة الهداية إلى الحق والإيمان، وسؤال الله عَزَّجَلَّ والتضرع بين يديه بالثبات على الهداية، وعدم الزيغ عنها. وكان سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ يسأل الله عَزَّجَلَّ، بهذا الاسم الكريم كل ما يحتاجه العبد من خيرَي الدنيا والآخرة؛ لأنه لا واهب إلا الله^(٢).

ثامناً: قال تعالى: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ۖ وَالشَّيْطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ ۖ ۝ ٣٧ ۖ وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ۖ ۝ ٣٨ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۖ ۝ ٣٩ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ ۖ﴾ [سورة ص: ٣٦-٤٠]:

(١) والله الأسماء الحسنى، ص ٩٨٤.

(٢) والله الأسماء الحسنى، ص ٦٨٦.



تفسير الآيات الكريمة:

١- ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ﴾:

وكان تسخير الريح لسليمان أول نعمة أضيفت إلى ملكه، لم تكن موجودة من قبل. ومعنى: ﴿رُخَاءً﴾؛ أي: لينة ناعمة كالملطية التي تمشي براكبها مشياً هادئاً لا تزعجه، ولا توقعه. إلا أن بعض المفسرين قال: إن كلمة (رخاء) تتعارض مع قوله تعالى في نفس القصة: ﴿الرِّيحَ عَاصِفَةً﴾، وهذا صحيح، ولكن جاء ذلك في موقف آخر؛ لأن الريح في القصة لها عدة استعمالات، فالريح إن كانت تحمله للنزهة، فهي رخاء لينة، وإن كانت لحمل الأشياء فهي عاصفة، إذن: فالجهة في الوصف منفكة^(١).

- ﴿حَيْثُ أَصَابَ﴾: حيث قصد وأنى ذهب. وهذا يعني أن سليمان خاطب الريح التي لا لغة لها لكن فهمه الله، فكأنه أصبح آمراً والريح مأمورة، إذن: فهمت عنه الريح. فالحق سبحانه جعل لكل جنس من الأجناس لغته التي يتخاطب بها في بني جنسه، فإذا فهم الله إنساناً هذه اللغة، فهمها وتخاطب بها مع هذه الأجناس^(٢).

٢- ﴿وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ ۖ وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾ [سورة ص: ٣٧، ٣٨]:

سخرنا له الشياطين، وكان منهم البنّاء، وهو الذي يعمل ويجهد طاقته في يابسة الأرض ويعمرها. والغواص: من يجهد طاقته في البحر ليخرج نفائسه.

(١) تفسير الشعراوي (٢١/١٢٩٤٥).

(٢) المصدر السابق، (٢١/١٢٩٤٦).



- ﴿وَأَخْرَيْنَ﴾؛ أي: من الشياطين: ﴿مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾: أي: مقيدين ومكبّلين بالسلاسل. والأصفاد جمع صَفَد، وهو السلسلة. فهو لاء مقيدون، ليسوا مطلقين كالبنّاء والغوّاص، لكن لماذا قيّد الله هؤلاء، وأطلق هؤلاء؟ قالوا: لأنّ منهم الصالحين الطّاعين، ومنهم العصاة الذين تأبّوا على منهج الله. ومن الممكن أن يتأبّى أيضاً على رسول الله، وهؤلاء هم الذين يقيّدون بالسلاسل، فكأن الصالحين يخدمونه بتوجيه الإيمان، وغير الصالحين يخدمونه بتوجيه القيود والسلاسل، يعني هؤلاء بالرغبة وهؤلاء بالرهبة^(١).

٣- ﴿هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾:

إنّ العطاء مناسب لطلب سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ حين طلب ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده، قال: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾، فرد الله عليه: ﴿هَذَا عَطَاؤُنَا﴾ وما دمت قد وهبت فسوف أجعلك تتصرف فيما وهبته لك لأنني أمّنتك، ﴿فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾؛ يعني أنت حر في أن تعطي أو تمسك وتمنع.

وإنّ الحق سبحانه لم يجعل لسليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ طلاقة التصرف، إلاّ لأنه ضمن منه عدالة التصرف؛ لأنّ سليمان حين طلب الملك الواسع تعهد الله تعالى بهذه العدالة. إنّ سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ لم يطلب الملك الواسع ليتنعم به، أو يتباهى به، إنّما طلبه ليسخره في خدمة الدعوة إلى الله، ولأنّ سيّجابه قوّة كانت أعظم القوة في هذا الوقت، ويكفي أن الله تعالى وصف هذه القوة بقوله: ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾؛ أي: بليّس.

(١) المصدر السابق، (٢١/١٢٩٤٨).

وهنا في هذه المواجهة سيظهر أثر الملك وقيمته؛ قال عندما أرسلت بلقيس هديتها: ﴿أَتَمْدُونَنِي بِمَالٍ فَمَا أَتَنِي اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا أَتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾ [النمل: ٣٦]. وهنا تظهر الحكمة في أن سليمان حين طلب ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده، طلبه حتى لا يتميز عليه أحد ولا يحاول أحد أن يغريه، أو يرشيه، أو يستميله بالمال، كما حاولت بلقيس بملكها الواسع في اليمن السعيد في ذلك الوقت^(١). أ- قال أبو حيان في قوله تعالى: ﴿هَذَا عَطَاؤُنَا﴾: إشارة لما أعطاه الله تعالى من الملك الضخم، وتسخير الرياح والإنس والجن والطير، وأمره بأن يمنّ على من يشاء ويمسك عن من يشاء، وقفه على قدر النعمة، ثم أباح له التصرف فيها بمشيئته، وهو تعالى قد علم أنه لا يتصرف إلا بطاعة الله^(٢).

ب- قال ابن كثير: هذا الذي أعطيناك من الملك التام، والسلطان الكامل كما سألتنا فأعط من شئت واحرم من شئت، فلا حساب عليك، أي: مهما فعلت، فهو جائز لك، احكم بما شئت فهو صواب. وقد ثبت في الصحيحين بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خيّر بين أن يكون عبداً رسولاً -وهو الذي يفعل ما يؤمر به وإنما هو قاسم يقسم بين الناس ما أمره الله به- وبين أن يكون ملكاً نبياً، يُعطي من يشاء ويمنع من يشاء بلا حساب ولا جناح، اختار المنزلة الأولى بعد ما استشار جبريل، فقال له: تواضع؛ فاختر المنزلة الأولى، لأنها أرفع قدراً عند الله، وأعلى منزلة في المعاد، وإن كانت المنزلة الثانية وهي النبوة مع الملك عظيمة أيضاً في

(١) المصدر السابق، (٢١/١٢٩٤٩).

(٢) البحر المحيط (٧/٣٨٢).



الدنيا والآخرة. ولهذا لما ذكر تَبَارَكَ وَتَعَالَى ما أعطى سليمان في الدنيا نَبَّه على أنه ذو حظ عظيم عند الله يوم القيامة أيضاً^(١).

٤- ﴿وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَّآبٍ﴾:

- ﴿لَزُلْفَىٰ﴾: يعني قربي، ودل على هذه القربى أن الله تعالى أعطاه ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده، وأعطاه حرية التصرف في هذا الملك؛ يعطي من يشاء، ويمنع من يشاء. وقد أعطاه الله هذا العطاء مقابل أنه علم أنه لن يصرفه في طغيان ولا في جبروت، ولا في إذلال الناس لكن يستعمله في موضعه الذي يريده الله، فأصبح مأموناً على عطاء الله تعالى.

ومعنى: ﴿وَحُسْنَ مَّآبٍ﴾ أي: حسن مرجع ومرد إلى الله يوم القيامة^(٢).

تاسعاً: فوائد وعبر في قصة داود وسليمان عَلَيْهِمَا السَّلَامُ:

١- داود وسليمان عَلَيْهِمَا السَّلَامُ في موكب الأنبياء والمرسلين:

عرض القرآن الكريم موكب الإيمان يقوده ذلك الرهط من الرسل من نوح إلى إبراهيم إلى خاتم النبيين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، يعرض السياق هذا الموكب ممتداً موصولاً، وبخاصة منذ إبراهيم وبنيه من النبيين، ولا يراعي التسلسل التاريخي في هذا العرض، كما يلاحظ في مواضع أخرى؛ لأن المقصود هنا هو الموكب بجملته، لا تسلسله التاريخي.

(١) تفسير ابن كثير، ت السلامة، (٧/ ٧٤).

(٢) المصدر السابق، (١/ ١٢٩٥٢).

ومن جملة من ذكر في هذا الموكب من الأنبياء والمرسلين: داوود وسليمان

عَلَيْهِمَا السَّلَام.

أ- قال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأنعام: ٨٤].

ب- وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالْتَّيِّبِينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ [النساء: ١٦٣].

وإن هذا السياق القرآني يتحدث عن موكب واحد، يترأى عبر التاريخ البشري الموصول، ورسالة واحدة، وبهدي واحد للإنذار والتبشير، وموكب واحد يضم هذه الصفوة المختارة من البشر: نوح وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق، ويعقوب، والأسباط، وعيسى، وأيوب، ويونس، وهارون، وسليمان، وداوود، وموسى، وغيرهم ممن قصّهم الله على نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في القرآن الكريم، وممن لم يقصص عليه، موكب من شتى الأقوام، والأجناس، وشتى البقاع والأرضين، في شتى الأزمان، لا يفرقهم نسب ولا جنس، ولا أرض، ولا وطن، ولا زمن، ولا بيئة، كلهم آت من ذلك المصدر الكريم، وكلهم يحمل ذلك النور الهادي، وكلهم يؤدي الإنذار والتبشير، وكلهم يحاول أن يأخذ بزمام القافلة إلى ذلك النور، سواء منهم من جاء لعشيرة، ومن جاء لقوم، ومن جاء لمدينة، ومن جاء لقطر، ثم من جاء للناس أجمعين محمد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خاتم النبيين كلهم، تُلقَى الوحي من الله على رسوله فما جاء بشيء من عنده، أولئك الرسل



-من قص الله على رسوله منهم ومن لم يقصص- اقتضت عدالة الله ورحمته أن يبعث بهم إلى عباده يبشرونهم بما أعدّه الله للمؤمنين الطائعين من نعيم ورضوان، وينذرونهم ما أعدّه الله للكافرين العصاة من جحيم وغضب؛ كل ذلك ﴿لئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾، والله الحجة البالغة في الأنفس والآفاق. وقد أعطى الله البشر من العقل ما يتدبرون به دلائل الإيمان في الأنفس والآفاق، ولكنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، رحمة منه بعباده، وتقديراً لغلبة الشهوات على تلك الأداة العظيمة التي أعطاها لهم -أداة العقل- اقتضت رحمته وحكمته أن يرسل إليهم الرسل مبشرين ومنذرين، يذكرونهم، ويبصرونهم، ويحاولون استنقاذ فطرتهم وتحرير عقولهم من ركام الشهوات التي تحجب عنها أو تحجبها عن دلائل الهدى وموجبات الإيمان في الأنفس والآفاق ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ عزيزاً: قادراً على أخذ العباد بما كسبوا. وحكيماً: يُدبّر الأمر كله بالحكمة، ويضع كل أمر في نصابه^(١).

ونقف أمام عظمة العدل الذي يرتب للناس حجة على الله -سبحانه- لو لم يرسل إليهم الرسل مبشرين ومنذرين. هذا ما احتشاد كتاب الكون المفتوح، وكتاب النفس المكنون بالآيات والشواهد على الخالق ووحدانيته، وتدبيره وتقديره وقدرته وعلمه.

ومع امتلاء الفطرة بالأشواق والهواتف إلى الاتصال ببارئها والإذعان له، والتناسق والتجاوب والتجاذب بينه وبين دلائل وجود الخالق في الكون

(١) في ظلال القرآن (٢/ ٨٠٥ - ٨٠٦).



والنفس، ومع هبة العقل الذي يملك أن يحصي الشواهد ويستنبط النتائج، ولكن الله - سبحانه - بما يعلم من عوامل الضعف التي تطرأ على هذه القوى كلها، فتعطّلها، أو تفسدها، أو تطمسها، أو تدخل في حكمها الخطأ والشطط، قد أعفى الناس من حجية الكون وحجية الفطرة، وحجية العقل، ما لم يرسل إليهم الرسل، ليستنقذوا هذه الأجهزة كلها، مما قد يرين عليها. وليضبطوا بموازين الحق الإلهي الممثل في الرسالة، هذه الأجهزة؛ فتصح أحكامها حين تستقيم على ضوابط المنهج الإلهي؛ وعندئذ فقط يلزمها الإقرار والطاعة والاتباع، أو تسقط حجتها وتستحق العقاب^(١).

إنّ القرآن الكريم يثبت نبوة داوود وسليمان عَلَيْهِمَا السَّلَام، وخص الله تعالى سيدنا داوود عَلَيْهِ السَّلَام في الآيات من سورة النساء بذكر خاص: ﴿وَأَتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ لمكانته عَلَيْهِ السَّلَام، وإثبات نبوته بإتيانه الحكمة المفسرة بالنبوة، في قوله تعالى: ﴿وَأَتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ﴾، وذكر الله تعالى تفضيل سيدنا داوود عَلَيْهِ السَّلَام على بعض النبيين إجمالاً: ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ [الإسراء: ٥٥]؛ وبتنكير (زبوراً) في الآية دلالة على عظمته وتشريفه وتأثيره في النفوس؛ فإنه قد ورد أن داوود عَلَيْهِ السَّلَام كان إذا جلس يقرأ الزبور للوعظ والتذكير بآياته بكى واستبكى واجتمع الجن والإنس والطير والدواب والوحوش حوله^(٢).

(١) في ظلال القرآن (٢/ ٥/ ٨٠٥ - ٨٠٦).

(٢) البداية والنهاية (١١/ ٢).



٢- النبي والرسول:

- أ- النبي في الاصطلاح: هو من بُعث لتقرير شرع من قبله.
 ب- والرسول في الاصطلاح: هو من بُعث بشرع جديد^(١). ويقول الشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ:

- فالرسول: من بُعث بشرع وأمر بتبليغه.
 - والنبي: من أمر أن يدعو إلى شريعة من قبله، ولم ينزل عليه كتاب، ولا بدّ لهما جميعاً من المعجزة الظاهرة^(٢).

وقد استدل بعضهم على الرسل والأنبياء بالحديث المروي عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في ذكر عدد الأنبياء والرسل، ونصّه: "قلت: يا رسول الله، كم الأنبياء؟ قال: «مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً. قلت: يا رسول الله، كم الرسل من ذلك؟ قال: ثلاثمائة وثلاثة عشر جمّاً غفيراً»"^(٣). ولكن الحديث ضعيف في إسناده؛ فيه إبراهيم بن هشام الغساني. قال الذهبي عنه: متروك، بل قال أبو حاتم: كذاب، ومن هنا فقد حكم ابنُ الجوزي على الحديث بأنه موضوع مكذوب.

والصحيح أن عدد الرسل والأنبياء لا يعلمه إلا الله لقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾

[غافر: ٧٨].

(١) روح المعاني، الألوسي، (١٧/١٧٣).

(٢) فتح القدير (٣/٣٦١).

(٣) صحيح ابن حبان، رقم ٣٦١.



٣- حقيقة النبوة:

إن النبوة اتصال بين الخالق والمخلوق في تبليغ شرعه، وسفارة بين الملك والمالك الواحد الأحد وعبيده، ودعوة من الرحمن الرحيم تَبَارَكَ وَتَعَالَى لخالقه، ليخرجهم من الظلمات إلى النور، وينقلهم من ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، فهي نعمة مهداة من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى إلى عبيده، وفضل إلهي يتفضل به عليهم، وهذا في حق المرسل إليهم. أما في حق المرسل نفسه، فهي امتنان من الله يمنّ بها عليه، واصطفاء من الرب له من بين سائر الناس، وهبة ربانية يختصه الله بها من بين الخلق كلهم. ولا تنال النبوة بعلم، ولا رياضة، ولا تدرك بكثرة طاعة وعبادة، ولا تأتي بتجويد النفس، أو بإظمائها، كما يظنّ من في عقله بلادة، وإنما هي محض فضل إلهي واصطفاء رباني، فهو جَلَّ وَعَلَا كما أخبر عن نفسه: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [البقرة: ١٠٥].

إن النبوة لا تأتي باختيار النبي، ولا تنال بطلبه، ولذلك كما قال المشركون: ﴿لَوْلَا نَزَلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ فأجابهم الرب تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾.

فالله تعالى هو الذي يقسم ذلك، ويتفضل به على من يشاء من الناس، ويصطفي من يشاء من عباده، ويختار من يشاء من خلقه، ما كانت الخيرة لأحد غيره، وما كان الاجتباء لأحد سواه^(١).

(١) كتاب النبوات، ابن تيمية، (١/ ٢٠).



وإنَّ الإيمان بالنبوة هو الطريق المؤدي إلى معرفة الله عَزَّوَجَلَّ ومحَبَّته، والسلم المفضي إلى رضوان الله وجنته، والسبيل المؤدي إلى النجاة من عذاب الله، والفوز بمغفرته^(١).

أ- وإن الحكمة من بعث الرسل والأنبياء منها:

- حاجة الخلق إليهم.
- دعوة الناس إلى عبادة الله.
- إقامة الحجة على البشر بإرسال الرسل.
- الأنبياء هم الطريق لمعرفة العقائد الغيبية.
- حاجة الخلق للقدوة الحسنة.
- إصلاح النفوس وتركيتها.
- تحقيق غايات عظمية ووظائف كبرى.
- الاستفادة من سنن الله في الأفراد والشعوب والأمم والدول.
- تعليق القلوب والأرواح بالله تعالى، والسير في موكب الأنبياء والمرسلين المبارك^(٢).

ب- خصائص الأنبياء والمرسلين:

- ويمكن إجمال هذه الخصائص التي تفرّدوا بها عن سائر البشر فيما يلي:
- اصطفاؤهم بالوحي والرسالة.
- العصمة.

(١) المصدر السابق نفسه.

(٢) إبراهيم خليل الله، علي الصلابي، ص ٨٨ - ٩٨.

- تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم.
- تخييرهم عند الموت.
- يدفن النبي حيث يموت.
- لا تأكل الأرض أجسادهم.
- أحياء في قبورهم.
- لا يورثون بعد موتهم.
- إعداد الله لهم وتهيتهم لرسالاته. وقد تم تفصيل كل هذه الخصائص بأدلتها الشرعية في كتابي عن نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، عَلَيْهِمُ السَّلَام.

٤- الإيمان بالأنبياء والمرسلين أحد أركان الإيمان:

يُعدّ الإيمان بأنبياء الله ورسله ركناً عظيماً من أركان الإيمان، فلا يتحقق إيمان العبد حتى يؤمن بجميع الأنبياء، ويصدق بأن الله تعالى أرسلهم لهداية البشر، وإرشادهم، وإخراج الناس من الظلمات إلى النور، وأنهم بلّغوا ما أنزل إليهم من ربهم البلاغ المبين، فبلّغوا الرسالة، وأدّوا الأمانة ونصحوا الأمة، وجاهدوا في الله حق جهاده، قال تعالى: ﴿ءَاَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ۚ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَاَمَنَ بِاللّٰهِ وَمَلَكَاتِهِ ۖ وَكُتُبِهِ ۖ وَرُسُلِهِ ۚ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ۚ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ غُفْرَانِكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

ومن السنة قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه بلقائه ورسله وتؤمن بالبعث»^(١).

(١) صحيح البخاري، رقم (٤٨).



وَلَا يَتِمُّ الْإِيمَانُ بِأَنْبِيَاءِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ حَتَّى يُؤْمِنَ الْعَبْدُ بِجَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ غَيْرِ حَصَرٍ،
أَيُّ مَنْ قَصَّهَهُمُ اللَّهُ عَلَيْنَا وَمَنْ لَمْ يَقْصِصْهُمْ، أَيُّ مَنْ عَرَفْنَاهُمْ وَمَنْ لَمْ نَعْرِفْهُمْ،
فَقَدْ أَخْبَرَنَا اللَّهُ جَلَّوَعَلَا أَنَّ هُنَاكَ أَنْبِيَاءَ لَمْ يَقْصِصْهُمْ عَلَيْنَا: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا
مِّن قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ
لِرُسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَاكَ
الْمُبْطِلُونَ﴾ [غافر: ٧٨].

قال ابن تيمية: فتؤمن بما سمي الله في كتابه من رسله، وتؤمن بأن الله رسلاً
وأنبيا سواهم لا يعلم أسمائهم إلا الذي أرسلهم، وتؤمن بمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،
وإيمانك به غير إيمانك بسائر الرسل، وإقرارك به وتصديقك إياه دائماً على ما
جاء به، فإذا اتبعت ما جاء به أدت الفرائض، وأحللت الحلال وحرمت الحرام،
ووقفت عند الشبهات، وسارعت في الخيرات^(١).

وقال -أيضاً- من أطاع رسولاً واحداً فقط، فقد أطاع جميع الرسل، ومن
آمن بواحد منهم فقد آمن بالجميع، ومن عصى واحداً منهم فقد عصى الجميع،
ومن كذب واحداً منهم فقد كذب الجميع، لأن كل رسول يصدق الآخر، ويقول
إنه رسول صادق، ويأمر بطاعته، فمن كذب رسولاً فقد كذب الذي صدّقه، ومن
عصاه، فقد عصى من أمر بطاعته^(٢).

٥- الإسلام هو دين الأنبياء جميعاً:

منذ أن أهبط آدم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ودينه الإسلام، ودعوته إلى الإسلام الذي هو
استسلام لله عَزَّوَجَلَّ وتوحيده وعبادته وحده لا شريك له، ومن ثم استمر الإسلام

(١) مجموع الفتاوى، (٣١٣/٧).

(٢) المصدر السابق، (١٨٠/١٩).

في ذريته عشرة قرون حتى ظهر الشرك أول ما ظهر في قوم نوح، فبعث الله نبيه نوحاً عَلَيْهِ السَّلَام. وبعث بعده الأنبياء بالإسلام إلى أقوامهم، كلما ظهر الشرك وانطفأت أنوار الإسلام^(١).

قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [آل عمران: ١٩].

إذن، فإن دين الإسلام (توحيد الله)، وتاريخ الإسلام ومعناه العام، وجد مع وجود الإنسان على هذه الأرض، وهو دين الأنبياء جميعاً. أما الإسلام بمعناه الخاص، فهو الذي بعث به محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جامعاً فيه الإسلام العام - الذي هو التوحيد ونبذ الشرك - وبين الأحكام الشرعية لهذه الأمة، حيث أحلّ لها الحلال، وحرم عليها الحرام، ووضع عنها الإصر والأغلال التي كانت على من قبلها، فجاءت شريعة كاملة ميسرة، خاتمة للشرائع، صالحة لكل زمان ومكان، وهذا معنى قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَا أَوَّلَى النَّاسِ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ قَالُوا: كَيْفَ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: الْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ مِنْ عِلَاتٍ، وَأُمَمَاتُهُمْ شَتَّى، وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ»^(٢). حيث يوضح الحديث أن الأنبياء، كالأبناء لأمهات شتى وأب واحد، وذلك لاتفاقهم في التوحيد والإسلام وأصول الإيمان، والأخلاق واختلافهم في الشرائع^(٣).

(١) وقفات تربوية في ضوء القرآن الكريم، عبد العزيز ناصر الجليل، (٣/ ٤١).

(٢) البخاري، رقم ٣٤٤٣.

(٣) وقفات تربوية في ضوء القرآن الكريم، عبد العزيز الجليل، (٣/ ٤٢).



إن الإسلام هو دين الله الخالد الذي لا يقبل الله سواه، وهو الذي فرضه الله على البشر، منذ خلقهم، جاء به آدم، ونوح، وإبراهيم، وآل إبراهيم، وآل عمران، وأنه تم برسالة خاتم النبيين محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهو الدين الوحيد الذي يدعو إلى الوحدةانية الخالصة التي لا يشوبها أدنى شك.

وهو الدين الذي يشمل العقائد الصحيحة والأحكام العامة التي لا تتغير بتغير الزمان أو المكان، أو بتغير أحوال الناس في سلسلة حياتهم الإنسانية على وجه الأرض، مهما اختلفت ألوانهم وأجناسهم، ولغاتهم، ومهما تغيرت مهمتهم وحرفهم وثقافتهم في الحياة الدينا. إن جميع الأنبياء والمرسلين قد بعثهم الله بعقيدة الإسلام التي كانت تتلاءم مع البشرية والإنسانية على مرّ القرون والعصور مع اختلاف البيئات، وبالرغم من تقلبات الزمان وتغير عقليات الناس قرنا بعد قرن وجيلا بعد جيل.

ولم يشأ الله تعالى بفضله ورحمته وكرمه أن يترك خلقه في ظلمات الجهل تعبت بهم الأهواء وتأخذهم الأغراض، فأرسل إليهم الأنبياء والمرسلين، على توالي القرون والعصور، يبينون لهم سبيل الرشاد، ويمدونهم بالتعاليم التي تقوي عزيمتهم، ويزودونهم بالأفكار الصالحة التي يستطيعون أن يهتدوا بها، والتي تساعد على التمييز بين الظلام والنور، وبين الهداية والضلال، وبين الطريق المستقيم والطريق المعوج الذي يؤدي إلى الهلاك والقتل والدمار^(١).

أ- نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ والرسول:

(١) الارتباط الزمني والعقائدي بين الأنبياء والرسول، ص ٣١٨.

قال تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَامِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٧٢]:

وإن في قول نوح: ﴿وَامِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾، دليل على أن الإسلام كان دين من كان قبله، وأن ما قاله نوح هو عين ما قاله محمد ﷺ خاتم النبيين إذ قال: ﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أَشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَقَابِ﴾ [الرعد: ٣٦] فقد أمر خاتم النبيين أن يكون من المسلمين، كالذين سبقوه من المؤمنين برسالة الدين الإسلامي، كنوح والنبيين من قبل نوح، والنبيين من بعد نوح، كما سنبيّن بإذن الله.

ب- إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَام كان ممن حمل رسالة الإسلام بعد نوح:
قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [البقرة: ١٣٠].

ج- إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَام يحمل رسالة الإسلام مع إبراهيم:
قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧].

د- دين لوط عَلَيْهِ السَّلَام هو الإسلام:
ذكر الله تعالى أن لوطاً عَلَيْهِ السَّلَام آمن بالإسلام الذي آمن به إبراهيم، قال تعالى: ﴿فَأَمِنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾



وصرح الله تعالى بأن دين لوط هو الإسلام في قوله تعالى في مناسبة إهلاك قريته: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٣٥].

هـ- إسحاق ويعقوب والأسباط مسلمون:

قال تعالى: ﴿وَوَصَّي بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ يَبْنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١٣٥) أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢ - ١٣٣].

و- يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ كان مسلماً:

كان يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ مسلماً يدعو ربه أن يميته على الإسلام، قال تعالى: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١].

ز- موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ يدعو قومه إلى الإسلام:

وكان موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ يعتنق الإسلام ويدعو قومه إليه، قال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَى يَقَوْمِ إِن كُنْتُمْ ءَامَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٨٤]. ولقد بين الله أن سحرة فرعون آمنوا برسالة الإسلام التي جاء بها موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، إذ قالوا لفرعون حين هددهم بالقتل: ﴿قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾ (١٢٥) وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ ءَامَنَّا بِءَايَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَقَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٥ - ١٢٦].

ح- أنبياء بني إسرائيل يدعون إلى الإسلام:

ذكر الله أن أنبياء بني إسرائيل يدينون بالإسلام، وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسَامُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبِّيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِي وَلَا تَشْتَرُوا بِإِيتِي تَمَنَّا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]. وتبين الآية الكريمة أن الربانيين والأحبار كانوا كذلك مسلمين.

ط - داوود وسليمان يدعوان إلى الإسلام:

قال تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَنُ دَاوُدَ وَقَالَ يَأَيُّهَا النَّاسُ عَلِمْتُ أَنْطَرِ وَأُوتِنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾ [النمل: ١٦]. ثم ذكر الله سبحانه وتعالى أن سليمان عَلَيْهِ السَّلَام بعث إلى أهل اليمن يدعوهم إلى الإسلام، دين التوحيد الخالص، وذلك في رسالة أرسلها إلى ملكتهم: ملكة سبأ، إذ كانت هي وقومها ﴿يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ [النمل: ٢٤]. وأخبر الله تعالى أن بلقيس ملكة سبأ تلت هذه الدعوة على قومها، قال تعالى: ﴿قَالَتْ يَأَيُّهَا الْمَلَكُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾ (٢٦) إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَنَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [النمل: ٢٩، ٣٠].

وذكر الله تعالى أن ملكة سبأ اعتنقت الإسلام، قال تعالى: ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسَأَمْتُ مَعَ سُلَيْمَنَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [النمل: ٤٤].

أي: المسيح عيسى ابن مريم يدعو إلى اعتناق الإسلام:

أرسل الله تعالى المسيح عيسى ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَام برسالة الإسلام، فكان يدعو قومه إلى اعتناق هذا الدين المؤسس على الاعتراف بالخالق ووحدانيته،



قال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ^ط قَالَ الْحَوَارِيُّونَ فَنَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ [آل عمران: ٥٢]. وذكر الله تعالى أنه هو الذي أوحى إلى الحواريين باعتماد الإسلام، وهو قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَن ءَامِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا ءَامَنَّا وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾ [المائدة: ١١١].

وطبيعي بأن الحواريين ظلوا يدعون الناس إلى الإسلام بعد المسيح، فأمن منهم من آمن، وكفر منهم من كفر، وظل المؤمنون منهم معتنقين الإسلام مؤمنين بالله الذي لا إله إلا هو، لا يحيدون عن دين التوحيد الحقيقي، يتوارثون هذه العقيدة الصحيحة جيلا بعد جيل، حتى أدركوا زمن خاتم النبيين^(١).

ك- استمرار الإسلام حتى نزول القرآن الكريم:

إن استمرار الإسلام حتى نزول القرآن الكريم، وبقاء قوم يؤمنون بالدين الذي اعتنقه المسيح من قبل والحواريون ودعوا إليه، واستمرار ذلك حتى الزمن الذي بدأت دعوة خاتم النبيين، يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾ الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا ءَامَنَّا بِهِ ءَ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ [الفصل: ٥١-٥٣].

ل- محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعو إلى الإسلام:

نزل القرآن الكريم على الرسول الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حامل رسالة الإسلام، فكان هو أول من آمن به؛ قال تعالى: ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ

(١) الارتباط الزمني والعقائدي بين الأنبياء والرسل، ص ٣٢٣.

وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ [البقرة: ٢٨٥].

ومن الطبيعي أن يؤمن الرسول بما أنزل إليه من ربه، قبل أن يدعو الناس إلى الإيمان به، ولهذا أمره الله تعالى أن يؤمن بالإسلام أولاً، ثم يدعو الناس بعد ذلك أن يسلموا؛ قال تعالى: ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وقال تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ اتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعَمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأَنْعَام: ١٤].

لقد كان الرسول الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أول المسلمين بالنسبة للوقت الذي كلف فيه بحمل رسالة الإسلام، وإلا فهو بالنسبة لاعتناق الإسلام على وجه عام ليس سابق للنبيين والمرسلين في اعتناقه، فقد نطق بنفس اللفظ الذي نطق به نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ، من قبل كما قدمنا، وقال: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [النمل: ٩١]. والرسول الكريم محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع أنه أول المسلمين في قوله إلا أنه بالنسبة للعلاقة الدينية بينه وبين جده إبراهيم كان معتقاً للدين الذي كان يعتنقه - كذلك - إبراهيم من قبل؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٠].



وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتَنِي رَبِّيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِثْلَ آبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَتْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ١٦١]؛ فالإسلام هو دين الله الذي فرضه على الجنس البشري في سلسلة حياته الإنسانية، منذ خلق الإنسان على وجه الأرض إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ولهذا يقول الله جل شأنه لخاتم النبيين: ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ آبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٨٤].

ولفظ الإسلام هو اللفظ الذي يضم بين طياته جميع العقائد التي أتى بها المرسلون والنبيون عبر التاريخ، ومن نعم الله على البشر أن أرسل إليهم الرسل عبر تاريخ الإنسان متعاقبين ومتواترين، يحملون رسالة الإسلام، ويذكرونهم بدينهم قرناً بعد قرن، وجيلاً بعد جيل؛ قال تعالى: ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٦٥].

إن داود وسليمان عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ينتمون إلى موكب الأنبياء والمرسلين، وأن القرآن الكريم يقصُّ على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه اختلفوا.

إن ديانة موسى وهارون ومن سبقهم من الأنبياء والمرسلين ومن جاء بعدهم هي الإسلام ديانة التوحيد ومحاربة الشرك، وإفراد العبادة لله وحده.

إن ما جاء في القرآن عن داود وسليمان وآلهم، يبين لنا بأنهم من الأنبياء الملوك العظماء، ويوضح لنا الأكاذيب التي نسجت حولهم في الكتب المزورة، والتي نسبت إليهم البهتان والافتراء والاختلاف. وأما الرؤية القرآنية الصادقة

التي حفظها الله تعالى لقصة هذين النبيين تُفند الأكاذيب، وتذهب كالزبد، ويبقى ما ينفع الناس، من سيرتهم الجليلة.

إن القرآن الكريم هو المرجعية الحقيقية لقصة داوود وسليمان، وممالكهم العظيمة التي حكمت بشرع الله، وقيم العدل والحق والإنصاف، والتمكين لدين الله تعالى في الأرض، ومساعدة الناس على ما ينفعهم في دينهم ودنياهم.

٦- الزبور الذي أنزل على داوود عَلَيْهِ السَّلَام:

الزبور: هو كتاب داوود عَلَيْهِ السَّلَام، أوحاه الله تعالى إليه^(١) علّمه إياه، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك في مواضع:

الموضع الأول: قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ [النساء: ١٦٣].

وقد تأخر ذكر داوود عَلَيْهِ السَّلَام، وذلك لتشريفه بذكر كتابه، وإبرازه من جملة مستقلة له بالذكر ولكتابه فما فاته من التقديم اللفظي حصل به التضعيف من التشريف المعنوي^(٢).

وذكر بهذا اللفظ: ﴿وَآتَيْنَا﴾ ولم يعطف على ما قبله، فيفيد مطلق الوحي؛ لأن لزبور داوود شأنًا خاصًا في كتب الوحي وعند أهل الكتاب، وهو مع هذه الفائدة موافق لنسق الفواصل، فأتلف له اللفظ مع المعنى فصاحة وبلاغة وحسنًا^(٣).

(١) البحر المحيط (١٣٧/٤)؛ تفسير ابن كثير (٤٦٩/٢).

(٢) البحر المحيط (١٣٧/٤).

(٣) تفسير المنار (٤٧/٦).



والموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ ۖ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ [الإسراء: ٥٥].

والمعنى: وآتيناه داود عَلَيْهِ السَّلَامُ الكتاب المسمى (زبوراً)، أي: على أنه اسم الكتاب الذي أوتيته داود، كما سمي الكتاب الذي أوتيته موسى (التوراة)، والذي أوتيته عيسى (الإنجيل)، والذي أوتيته محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (الفرقان)؛ لأن ذلك هو الاسم المعروف؛ وإنما تقول العرب: زبور داود، وبذلك تعرف كتابه سائر الأمم^(١).

- ﴿وَأَتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ تنبيها على أن التفضيل الذي ذكره قبل ذلك هو التفضيل بالعلم والدين، لا بالملك والمال، حيث كان لداود عَلَيْهِ السَّلَامُ مُلكان عظيمان^(٢).

الموضع الثالث: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥].

تبين الآية الكريمة أن الله يمنح الأرض لقوم باعتبارهم مؤمنين صالحين عابدين، فإذا تخلوا عن الإيمان والصلاح والعبادة، فإن الله ينزع منهم الأرض ويمنحها لغيرهم من العابدين، وهذه سنة ربانية تاريخية مطردة حول تملك الأرض ووراثتها والاستخلاف فيها، وقد انطبقت هذه السنة الربانية على اليهود لما كانوا إسرائيليين مؤمنين، فكانت خلافتهم إيمانية على يد داود ثم سليمان عليهما الصلاة والسلام.

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٩/ ٤٠٢).

(٢) الزبور في المصادر الإسلامية، د. صلاح الباجوري، ص ٣٦٠.

ولما تخلوا عن الإيمان بعد ذلك، وكفروا وطغوا، وظلموا وبغوا، وقتلوا الأنبياء، وكذبوا بالحق؛ انتزع الله الأرض المقدسة منهم، وفقدوا وراثتهم الإيمانية لها، لفقدانهم شرط الوراثة، وأخرجهم الله من الأرض المقدسة، ومزقهم كل ممزق، وأوقع بهم لعنته وغضبه. وأخبرنا الله عن هذا العقاب في القرآن، قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ١٦٧﴾ وَقَطَعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِّنْهُمْ الصَّالِحِينَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿[الأعراف: ١٦٧، ١٦٨]:

أ- الزبور بين التوراة والإنجيل:

الزبور هو الكتاب التالي المنزل على (بنى إسرائيل):

ضمن ثلاثة كتب مقدسة وهي:

- التوراة: أنزلها الله على موسى عَلَيْهِ السَّلَام، قال تعالى: ﴿وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾.

- الزبور: أنزله الله على داوود عَلَيْهِ السَّلَام، قال تعالى: ﴿وَأَتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾.

- الإنجيل: أنزله الله على عيسى عَلَيْهِ السَّلَام، قال تعالى: ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ﴾.

ب- سبب التسمية:

ورد في سبب تسمية الزبور أقوال، فتناقلها أهل العلم، يمكن إجمالها:

- سُمي الزبور زبوراً لغلط كتابته.

- لكثرة ما فيه من الزواجر والمواعظ.



- لاقتصاره على الحكم.
- لأنه نزل من السماء مسطوراً، أي: مكتوباً^(١).
- ج- محتوى الزبور:
- يقول البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ: الزبور كتاب علّمه الله داود عَلَيْهِ السَّلَامُ، ويشتمل على مائة وخمسين سورة: كلها دعاء، وتمجيد وثناء على الله، وليس فيها حرام، ولا حلال، ولا فرائض ولا حدود^(٢).
- ويقول الرازي رَحِمَهُ اللَّهُ: الزبور ليس فيه شيء من الشرائع والأحكام، بل ليس فيه إلا المواعظ^(٣).
- وقد ذكر ذلك الإمام القرطبي، وأبو حيان الأندلسي، والشوكاني، والسيوطي، والبدر العيني، والطاهر بن عاشور رَحِمَهُمُ اللَّهُ وغيرهم.
- فهذه النقول مجمل ما ذكره العلماء حول محتوى الزبور، وهي تكاد تجمع على خلوّه من الشرائع والأحكام، وربما كان السبب وراء هذا التصور: أن شريعة داود عَلَيْهِ السَّلَامُ هي بعينها شريعة التوراة. يقول ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: وأما الزبور، فإن داود لم يأت بغير شريعة التوراة. ويرى بعض العلماء أن خلو الزبور -تماماً- من الشرائع والأحكام، مسألة تحتاج إلى نظر، ذلك أن نصوص الزبور، التي وقف عليه علماء المسلمين في زمنهم ووثقوا بما فيها تشتمل على آيات صريحة من الأمر والنهي، وآيات أخرى يفهم منها الأمر والنهي، وإن جاءت في صورة

(١) الزبور في المصادر الإسلامية، ص ٣٧١ - ٣٧٣.

(٢) تفسير البغوي (٣/ ١٣٩).

(٣) الزبور في المصادر الإسلامية، ص ٣٨١ - ٣٨٥.

توجيهات ومواعظ. وممن فطن إلى هذا من المتأخرين: الألوسي؛ فقد نقل عن قتادة قوله: كنا نتحدث أن الزبور دعاء علمه داوود عَلَيْهِ السَّلَام، وتمجيد لله عَزَّوَجَلَّ، وليس فيه حلال ولا حرام، ولا فرائض، ولا حدود، ثم قال: والذي تدل عليه بعض الآثار اشتماله على بعض النواهي والأوامر^(١).

د- الزبور في المصادر الإسلامية جمعاً ودراسة:

هذا العنوان (الزبور في المصادر الإسلامية) للدكتور صلاح محمود الباجوري، من أفضل ما كتب في هذا الباب على حسب اطلاعي، وقد خرج الباحث بنتائج مهمة منها:

-نزل الزبور -كما نزلت الكتب السماوية قبله- جملة واحدة، واختص القرآن الكريم فنزل منجماً مفرقاً.

-نزل الزبور -كما نزلت جميع الكتب السماوية المعروفة لنا- في شهر رمضان.
-الغالب على الزبور، اشتماله على الحكم والمواعظ ودعاء الله تعالى، والثناء عليه، مع اشتماله -أيضاً- على الأوامر، والنواهي والأحكام التي تأتي أحياناً صراحة، وأحياناً أخرى ضمناً وفي سياق وعظي.

-تناولت نصوص الزبور، التي وصلت إلى علماء المسلمين، ودونوها في مصادرهم موضوعات، منها: البشارة بالنبي محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وذكر أسمائه، وصفاته، الخُلُقِيَّة، والخَلْقِيَّة، وشمائله، ومكانته بين الأنبياء وشريعته، وتأيد الله له، ووصف أمته، وخصائصها، وتفضيلها على الأمم، والدعوة إلى التحلي بالمكارم، والتخلي عن الرذائل، وأوامر، ونواهي، وحكم، وأمثال، ومواعظ.

(١) روح المعاني، (٨/ ٩٢)، والزبور في المصادر الإسلامية، ص ٣٨٦.



- لم يأت داود عَلَيْهِ السَّلَامُ بشريعة تخالف التوراة.
- لا توجد نسخة كاملة للزبور (بين المصادر الإسلامية المعروفة لنا)، والموجود منه فقرات متناثرة تتفاوت طولاً وقصراً.
- هناك تباين واضح بين نصوص (المزامير) التي يتداولها أهل الكتاب، ونصوص (الزبور) التي وقف عليها علماء المسلمين، ولعل هذا الاختلاف راجع إلى تفاوت الترجمات، أو بسبب تحريف أهل الكتاب، لأسفارهم، كمحاولة منهم لطمس الحق الوارد بالبشارة بالنبي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
- جمع الله تعالى للنبي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في القرآن الكريم، محاسن ما في الكتب السابقة عليه^(١).

هـ- متى أنزل الزبور على داود عَلَيْهِ السَّلَامُ؟

- من حديث واثلة بن الأسقع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أُنْزِلَتْ صُحُفُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَوَّلَ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ، وَأُنْزِلَتِ التَّوْرَةُ لِسِتِّ مَضْيَنَ مِنْ رَمَضَانَ، وَأُنْزِلَ الْإِنْجِيلُ لثَلَاثَ عَشْرَةَ خَلَتْ مِنْ رَمَضَانَ، وَأُنْزِلَ الزَّبُورُ لثَمَانَ عَشْرَةَ خَلَتْ مِنْ رَمَضَانَ، وَالْقُرْآنُ لِأَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ خَلَتْ مِنْ رَمَضَانَ»^(٢).
- و- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

كانت دولة داود عَلَيْهِ السَّلَامُ من أهدافها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكان ينهج مع الظلمة والفسقة والعصاة منهجاً شديداً يظهر فيه معالم القوة والردع^(٣). قال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ

(١) الزبور في المصادر الإسلامية، ص ٤٤٦ - ٤٤٨.

(٢) الأحاديث الصحيحة، إبراهيم صالح العلي، ص ١٧٧.

(٣) شخصية الحاكم في ضوء القصص القرآني، ص ١٠٤.



دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ [المائدة: ٧٨].
وكانت هذه سياسة من سياسات الحكم عند داوود عَلَيْهِ السَّلَام: لين ومواساة وحنان مع المظلومين، وشدة وقوة، وبأس مع الفسقة والعصاة^(١).

- ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ [المائدة: ٧٨] أي: طردوا وأبعدوا من رحمة الله.

- ﴿عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾؛ أي: بشهادتهما وإقرارهما بأن الحجة قد قامت عليهم وعاندوها.

- ﴿ذَلِكَ﴾: أي: الكفر واللعن.

- ﴿بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾؛ أي: بعضيائهم لله ولرسله، وظلمهم لعباد الله صار سببا لكفرهم، وبعدهم عن رحمة الله، فإن للذنوب والظلم عقوبات^(٢).

٧- فوائد السعدي من قصة داوود وسليمان عَلَيْهِمَا السَّلَام في سورة ص:

فصل فيما تبين لنا من الفوائد والحكم في قصة داوود وسليمان عَلَيْهِمَا السَّلَام:
فمنها: أن الله تعالى يقص على نبيه محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخبار من قبله، ليثبت فؤاده وتطمئن نفسه، ويذكر له من عباداتهم وشدة صبرهم وإنابتهم، ما يشوقه إلى منافستهم، والتقرب إلى الله الذي تقربوا له، والصبر على أذى قومه، ولهذا -في هذا الموضع- لما ذكر الله ما ذكر من أذية قومه وكلامهم فيه وفيما جاء به، أمره بالصبر، وأن يذكر عبده داوود فيتسلى به.

(١) المصدر السابق، ص ١٤٠.

(٢) تفسير السعدي، ص ٢٨٣.



ومنها: أن الله تعالى يمدح ويحب القوة في طاعته، قوة القلب والبدن، فإنه يحصل منها من آثار الطاعة وحسنها وكثرتها، ما لا يحصل مع الوهن وعدم القوة، وأن العبد ينبغي له تعاطي أسبابها، وعدم الركون إلى الكسل والبطالة المخلة بالقوى المضعفة للنفس.

ومنها: أن الرجوع إلى الله في جميع الأمور، من أوصاف أنبياء الله وخوارج خلقه، كما أثنى الله على داود وسليمان بذلك، فليقتد بهما المقتدون، وليهتد بهداهم السالكون ﴿وَأُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّاهُمْ أَقْتَدَهُ﴾.

ومنها: ما أكرم الله به نبيه داود عَلَيْهِ السَّلَامُ، من حسن الصوت العظيم، الذي جعل الله بسببه الجبال الصم، والطيور البهم، يجاوبنه إذا رجّع صوته بالتسبيح، ويسبحن معه بالعشي والإشراق.

ومنها: أن من أكبر نعم الله على عبده، أن يرزقه العلم النافع، ويعرف الحكم والفصل بين الناس، كما امتنَّ الله به على عبده داود عَلَيْهِ السَّلَامُ.

ومنها: اعتناء الله تعالى بأنبيائه وأصفياه عندما يقع منهم بعض الخلل بفتنته إياهم وابتلائهم بما به يزول عنهم المحذور، ويعودون إلى أكمل من حالتهم الأولى، كما جرى لداود وسليمان، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ.

ومنها: أن الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم معصومون من الخطأ فيما يبلغون عن الله تعالى، لأن مقصود الرسالة لا يحصل إلا بذلك، وأنه قد يجري منهم بعض مقتضيات الطبيعة من المعاصي، ولكن الله يتداركهم ويبادرهم بلطفه.

ومنها: أن داود عَلَيْهِ السَّلَامُ، [كان] في أغلب أحواله ملازماً محرابه لخدمة ربه، ولهذا تسوّر الخصمان عليه المحراب، لأنه كان إذا خلا في محرابه لا يأتيه أحد،

فلم يجعل كل وقته للناس، مع كثرة ما يرد عليه من الأحكام، بل جعل له وقتا يخلو فيه بربه، وتقر عينه بعبادته، وتعينه على الإخلاص في جميع أموره.

ومنها: أنه ينبغي استعمال الأدب في الدخول على الحكام وغيرهم، فإن الخصمين لما دخلا على داوود في حالة غير معتادة ومن غير الباب المعهود، فزع منهم، واشتد عليه ذلك، ورآه غير لائق بالحال.

ومنها: أنه لا يمنع الحاكم من الحكم بالحق سوء أدب الخصم وفعله ما لا ينبغي.

ومنها: كمال حلم داوود عَلَيْهِ السَّلَام، فإنه ما غضب عليهما حين جاءاه بغير استئذان، وهو الملك، ولا انتهرهما، ولا وبّخهما.

ومنها: جواز قول المظلوم لمن ظلمه "أنت ظلمتني" أو "يا ظالم" ونحو ذلك، أو باغٍ عليّ لقولهما: ﴿خَصَمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ﴾.

ومنها: أن الموعوظ والمنصوح -ولو كان كبير القدر، جليل العلم، إذا نصحه أحد، أو وعظه- لا يغضب، ولا يشمتز، بل يبادره بالقبول والشكر، فإن الخصمين نصحا داوود فلم يشمتز ولم يغضب ولم يثنه ذلك عن الحق، بل حكم بالحق الصرف.

ومنها: أن المخالطة بين الأقارب والأصحاب، وكثرة التعلقات الدنيوية والمالية، موجبة للتعادي بينهم، وبغْي بعضهم على بعض، وأنه لا يرد عن ذلك إلا استعمال تقوى الله، والصبر على الأمور، بالإيمان والعمل الصالح، وأن هذا من أقل شيء في الناس.



ومنها: أن الاستغفار والعبادة، خصوصا الصلاة، من مكفّرات الذنوب، فإن الله، رتب مغفرة ذنب داود على استغفاره وسجوده.

ومنها: إكرام الله لعبده داود وسليمان، بالقرب منه، وحسن الثواب، وأن لا يظن أن ما جرى لهما منقّص لدرجتهما عند الله تعالى، وهذا من تمام لطفه بعباده المخلصين، أنه إذا غفر لهم وأزال أثر ذنوبهم، أزال الآثار المترتبة عليهم كلها، حتى ما يقع في قلوب الخلق، فإنهم إذا علموا ببعض ذنوبهم، وقع في قلوبهم نزولهم عن درجتهم الأولى، فأزال الله تعالى هذه الآثار، وما ذاك بعزيز على الكريم الغفار.

ومنها: أن الحكم بين الناس مرتبة دينية، تولاها رسل الله وخواص خلقه، وأن وظيفة القائم بها الحكم بالحق ومجانبة الهوى، فالحكم بالحق يقتضي العلم بالأمر الشرعية، والعلم بصورة القضية المحكوم بها، وكيفية إدخالها في الحكم الشرعي، فالجاهل بأحد الأمرين لا يصلح للحكم، ولا يحل له الإقدام عليه. ومنها: أنه ينبغي للحاكم أن يحذر الهوى، ويجعله منه على بال، فإن النفوس لا تخلو منه، بل يجاهد نفسه بأن يكون الحق مقصوده، وأن يلقي عنه وقت الحكم كل محبة أو بغض لأحد الخصمين.

ومنها: أن سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ من فضائل داود، ومن منن الله عليه حيث وهبه له، وأن من أكبر نعم الله على عبده، أن يهب له ولدا صالحا، فإن كان عالما، كان نورا على نور. ومنها: ثناء الله تعالى على سليمان ومدحه في قوله ﴿نِعَمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾. ومنها: كثرة خير الله وبره بعبده، أن يمن عليهم بصالح الأعمال ومكارم الأخلاق، ثم يثني عليهم بها، وهو المتفضل الوهاب.



ومنها: تقديم سليمان محبة الله تعالى على محبة كل شيء.

ومنها: أن كل ما أشغل العبد عن الله، فإنه مشئوم مذموم، فليفارقه وليقبل على ما هو أنفع له.

ومنها: القاعدة المشهورة "من ترك شيئاً لله عوّضه الله خيراً منه"، فسليمان عَلَيْهِ السَّلَام عقر الجياد الصافنات المحبوبة للنفوس! تقديماً لمحبة الله، فعوّضه الله خيراً من ذلك، بأن سخر له الريح الرخاء اللينة، التي تجري بأمره إلى حيث أراد وقصد، غدوّها شهر، ورواحها شهر، وسخر له الشياطين، أهل الاقتدار على الأعمال التي لا يقدر عليها الآدميون.

ومنها: أن تسخير الشياطين لا يكون لأحد بعد سليمان عَلَيْهِ السَّلَام.

ومنها: أن سليمان عَلَيْهِ السَّلَام، كان ملكاً نبياً، يفعل ما أراد، ولكنه لا يريد إلا العدل، بخلاف النبي العبد، فإنه تكون إرادته تابعة لأمر الله، فلا يفعل ولا يترك إلا بالأمر، كحال نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذه الحال أكمل^(١).

٨- الرد على الأخطاء التي نسبت إلى داود عَلَيْهِ السَّلَام في الأسفار اليهودية:

بالقراءة المتأنية للأسفار اليهودية نجدها مليئة بالكذب والافتراء على الأنبياء عَلَيْهِم السَّلَام ووصفهم بأقبح الشرور والآثام. ومن الأنبياء المفترى عليهم سيدنا داود عَلَيْهِ السَّلَام؛ فقد وصف بالقتل، والزنا في أسفارهم^(٢). ويظهر أن واضعي أسفار العهد القديم مصممون على تلطيخ شرف داود عَلَيْهِ السَّلَام الذي جمع الله له

(١) تفسير السعدي، ص ٩٥٨.

(٢) داود وسليمان عَلَيْهِمَا السَّلَام في الأسفار اليهودية، ص ٢٧٩.



النبوة والملك معاً، ذلك أنهم وصموه بأحط الأوصاف؛ حيث لم يكتفوا باتهامه بأنه سليل زنا، بل صوّروا على أن بيته بيت زنا وفسوق، ودعارة، وفجور، لا على أنه بيت نبوة وحكم وملك^(١).

وردّ على ذلك منصور بن راشد التميمي رَحِمَهُ اللهُ وغيره من العلماء وبيّنوا تناقص التوراة المحرفة نفسها، ففي حين وصفت داوود عَلَيْهِ السَّلَامُ بأبشع الجرائم نراها تتحدث عن إخلاصه لربه واتباعه الكامل له، وهكذا تظهر المتناقضات في كتبهم^(٢). إننا بيّنا مقام النبوة وبأن داوود عَلَيْهِ السَّلَامُ من أنبياء الله المعصومين، وبأن ما نسب إليه من الكبائر أكاذيب وأباطيل، وأن من وضع تلك السموم في العهد القديم حاول رسم صورة مشوهة لنبي الله داوود وغيره من الأنبياء حتى ينعدم الإحساس بالذنب لدى الناس ويشجّعوهم على اقتراف المنكرات والفواحش والذنوب والمعاصي.

إن القرآن الكريم وصف داوود عَلَيْهِ السَّلَامُ بالإيمان بالله وشرّفه الله عَزَّجَلَّ بالعبادة، واتصف بالصبر والشجاعة والحكمة والحكم بالحق والاستغراق الكبير في تسبيح الله وحمده والثناء عليه وذكره في موكب الأنبياء والمرسلين، وآتاه الله الزبور، وشد الله ملكه الذي كان في طاعة الله، واشتهر بالصيام والقيام والشكر لله عَزَّجَلَّ بالجوارح واللسان والقلب إلى غير ذلك من الصفات النبيلة والأخلاق الكريمة والمثل الحميدة.

(١) العصمة في ضوء عقيدة أهل السنة، ص ٢٧٣.

(٢) المصدر السابق نفسه.



٩ - وفاة داوود عَلَيْهِ السَّلَام:

كان داوود عَلَيْهِ السَّلَام هو المقتدى به في ذلك الزمان في العدل وكثرة العبادة وأنواع القربات، وصدرت عنه حكم، ذكرها الحافظ ابن عساكر في ترجمته^(١). وكان عمر داوود ستين سنة، وزاده آدم من عمره أربعين، فبلغ عمره مئة سنة، ففي الحديث، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ مَسَحَ عَلَى ظَهْرِهِ فَسَقَطَ مِنْ ظَهْرِهِ كُلُّ نَسَمَةٍ هُوَ خَالِقُهَا مِنْ ذُرِّيَّتِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَجَعَلَ بَيْنَ عَيْنَيَّ كُلِّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ وَبَيَضًا مِنْ نُورٍ ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى آدَمَ فَقَالَ: أَيُّ رَبِّ مِنْ هَؤُلَاءِ؟ قَالَ هَؤُلَاءِ ذُرِّيَّتُكَ فَرَأَى رَجُلًا مِنْهُمْ فَأَعْجَبَهُ وَبَيَضُ مَا بَيْنَ عَيْنَيْهِ، فَقَالَ: أَيُّ رَبِّ مِنْ هَذَا؟ فَقَالَ: رَجُلٌ آخِرُ الْأُمَمِ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ يُقَالُ لَهُ دَاوُدُ، قَالَ: أَيُّ رَبِّ كَمْ جَعَلْتَ عَمْرَهُ؟ قَالَ: سِتِّينَ سَنَةً، قَالَ: أَيُّ رَبِّ زِدْهُ مِنْ عَمْرِي أَرْبَعِينَ سَنَةً، فَلَمَّا انْقَضَى عَمْرُ آدَمَ جَاءَ مَلَكُ الْمَوْتِ فَقَالَ آدَمُ أَوْلَمْ يَبْقَ مِنْ عَمْرِي أَرْبَعُونَ سَنَةً؟ قَالَ: أَوْلَمْ تُعْطِهَا ابْنُكَ دَاوُدَ؟ قَالَ: فَجَحَدَ وَجَحَدَتْ ذُرِّيَّتُهُ، وَنَسِيَ فَنَسِيتَ ذُرِّيَّتُهُ، وَخَطِئِي فَخَطِئْتُ ذُرِّيَّتُهُ»^(٢). وقد أنكر آدم ذلك؛ لأنه كان في عالم الذر فلم يستحضره حالة مجيء ملك الموت له، فأنكرت ذريته، ونسي آدم فنسيت ذريته، وعصى آدم بأكله من الشجرة فعصت ذريته، لأن الولد يشبه أباه. وقد اجتمع لداوود النبوة والملك، وحباه الله من النعم أشرفها، ومن الفضل والتوفيق الشيء الكثير، وقد تحدث القرآن في ذلك في آيات عدة^(٣).

(١) صحيح قصص الأنبياء، ص ٣٩٣.

(٢) سنن الترمذي، رقم ٣٠٧٦، وقال عنه: حسن صحيح.

(٣) مقارنة الأديان، أحمد شلبي (١/ ١٥٥).



وقد دفن بالقدس - عند المؤرخين - حيث مات. وقد حدث أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه سمع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «ما قبض نبي إلا دفن حيث قبض»، وفي رواية: «ما مات نبي إلا دفن حيث قبض»^(١).

وقد بين رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كيفية وفاة داود عَلَيْهِ السَّلَامُ فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «كَانَ دَاوُدُ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، فِيهِ غَيْرَةُ شَدِيدَةٌ، فَكَانَ إِذَا خَرَجَ أَغْلَقَتِ الْأَبْوَابُ، فَلَمْ يَدْخُلْ عَلَى أَهْلِهِ أَحَدٌ حَتَّى يَرْجِعَ»، قال: «فَخَرَجَ ذَاتَ يَوْمٍ وَأَغْلَقَتِ الْأَبْوَابُ، فَأَقْبَلَتْ امْرَأَتُهُ تَطْلُعُ إِلَى الدَّارِ، فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ وَسَطَ الدَّارِ، فَقَالَتْ لِمَنْ فِي الْبَيْتِ: مَنْ أَيْنَ دَخَلَ هَذَا الرَّجُلُ، وَالدَّارُ مُغْلَقَةٌ؟ وَاللَّهِ لَنَمْتَضِحَنَّ بِدَاوُدَ، فَجَاءَ دَاوُدُ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَإِذَا الرَّجُلُ قَائِمٌ وَسَطَ الدَّارِ، فَقَالَ لَهُ دَاوُدُ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: الَّذِي لَا يَهَابُ الْمُلُوكَ، وَلَا يَمْتَنِعُ مِنَ الْحُجَابِ. فَقَالَ دَاوُدُ: أَنْتَ وَاللَّهِ إِذَا مَلَكَ الْمَوْتُ. مَرْحَبًا بِأَمْرِ اللَّهِ، فَتَزَمَّلَ دَاوُدُ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، مَكَانَهُ حَتَّى قُبِضَتْ نَفْسُهُ، حَتَّى فُرِغَ مِنْ شَأْنِهِ وَطَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ، فَقَالَ سُلَيْمَانُ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، لِلطَّيْرِ: أَظِلِّي عَلَى دَاوُدَ، فَأَظَلَّتْ عَلَيْهِ الطَّيْرُ حَتَّى أَظْلَمَتْ عَلَيْهِمَا الْأَرْضُ، فَقَالَ لَهَا سُلَيْمَانُ: اقْبِضِي جَنَاحًا جَنَاحًا قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ فَعَلَتِ الطَّيْرُ؟ فَقَبَضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَهُ، وَغَلَبَتْ عَلَيْهِ يَوْمئِذٍ الْمَضْرَحِيَّةُ^(٢). والمضرحية: وهي الصقور الطوال الأجنبية. واحدها المضرحي. قال الجوهري: وهو الصقر طويل الجناح.

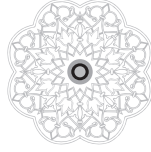
(١) دراسات تاريخية من القرآن الكريم، (٣/ ٧٩).

(٢) مسند أحمد (٢/ ٤١٩)، الأحاديث الصحيحة، رقم ٢٥٦. والبداية والنهاية لابن كثير (٢/ ٣١٩).



يؤكد هذا الحديث حقيقة تَخْيِير الأنبياء عند قبضهم وعندما يَخِيرُون يَخْتَارُون لقاء الله، فيقبض الله أرواحهم. ومر معنا من قبل في كتابي: ”موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ كَلِيم الله.. عدو المستكبرين وقائد المستضعفين“ تَخْيِير الله لموسى عند موته وهذا الحديث يبين لنا رسول الله قصة تَخْيِير داوود عَلَيْهِ السَّلَامُ عند موته، وقد جاءت قصة داوود عَلَيْهِ السَّلَامُ مفصلة أكثر من غيرها في سورة ص.





المبحث الثالث

قصة داود وسليمان عليهما السلام في سورة النمل:

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ١٥ ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَأَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنَاطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾ ١٦ ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ ١٧ ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَأَيُّهَا النَّملُ ادْخُلُوا مَسَكِنَكُمْ لَا يَحْطُمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ١٨ ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَن أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَادِيَ وَلَايَ وَأَن أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ ١٩ ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهَدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾ ٢٠ ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ ٢١ ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ نَحْطُ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ﴾ ٢٢ ﴿إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ ٢٣ ﴿وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فُصْدَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ ٢٤ ﴿أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ ٢٥ ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ ٢٦ ﴿قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ ٢٧ ﴿أَذْهَبَ بِكُنْيَةٍ هَذَا فَالَقَهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ

تَوَلَّ عَنْهُمْ فَأَنْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتْ يَأْتِيهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَى كِتَابٍ كَرِيمٍ ﴿٢٩﴾
 إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلَمُو عَلَى وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾
 قَالَتْ يَأْتِيهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونَ ﴿٣٢﴾ قَالُوا نَحْنُ
 أَوْلُوا قُوَّةً وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا
 دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ
 إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَ بِمَالٍ
 فَمَا آتَيْنَاهُ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدْيَتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ
 بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٣٧﴾ قَالَ يَأْتِيهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ
 يَأْتِيَنِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ
 تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ
 بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي
 أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ قَالَ
 نَسْكُرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ
 أَهَلْ كَذَا عَرْشُكَ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأَوْتَيْنَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ
 تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ
 لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا قَالَتْ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي
 وَأَسَأَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٤﴾ [النمل: ١٥-٤٤]

ذكر سليمان عَلَيْهِ السَّلَام في القرآن الكريم سبع عشرة مرة:

- في سورة البقرة مرتان.

- وفي سورة النساء مرة.

- وفي سورة الأنعام مرة.



- وفي سورة الأنبياء ثلاث مرات.

- وفي سورة النمل سبع مرات.

- وفي سورة سبأ مرة.

- وفي سورة ص مرتان.

أشارت سورة البقرة إلى افتراءات اليهود على سليمان عَلَيْهِ السَّلَام بعد وفاته، ومزاعمهم حول السحر والسحرة، والشياطين، وذكرت قصة الملكين هاروت وماروت.

أما سورة النساء فقد ذكرت اسم سليمان عَلَيْهِ السَّلَام ضمن مجموعة من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالتَّيِّمِينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ [النساء: ١٦٣].

وكذلك سورة الأنعام، قال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأنعام: ٨٤].

وفي سورة الأنبياء وردت إشارة إلى سليمان في تفهيم الله له الحكم، واستدراكه على حكم أبيه داود عَلَيْهِ السَّلَام، إشارة إلى بعض ما أنعم الله به على سليمان من تسخير الريح والشياطين، يأتي شرحها بالتفصيل لاحقاً بإذن الله تعالى. وقد تحدثت سورة سبأ عن سليمان عَلَيْهِ السَّلَام بعد حديثها عن أبيه داود عَلَيْهِمَا السَّلَام، حيث أشارت إلى الريح التي سخرها الله له، وإلى النحاس الذي أساله الله له، وإلى الجن الذي بين يديه، وإلى بعض المصنوعات النحاسية العظيمة



التي يصنعها الجن له، ثم أشارت الآيات إلى وفاة سليمان عَلَيْهِ السَّلَام بطريقة عجيبة، جعلها الله عبرة للجن؛ سيأتي الحديث عنها بإذن الله تعالى.

وأما سورة ص فقد تحدثنا عنها بالتفصيل بفضل الله وتوفيقه.

ووردت أطول مشاهد قصة سليمان في سورة النمل^(١).

- لماذا سميت سورة النمل؟

سميت سورة النمل لإيراد قصة وادي النمل فيها، ونصيحة نملة منها بقية النمل بدخول جحورهن، حتى لا يتعرض للدهس من قبل سليمان عَلَيْهِ السَّلَام دون قصد، ففهم سليمان الذي تعلم منطق الطير والدواب كلامها، وتبسم ضاحكاً من قولها، ودعا ربه أن يلهمه شكره على ما أنعم به عليه^(٢).

- مغزى دقيق لأصحاب الجاه والسلطان والعظماء والملوك:

في هذه القصة مغزى دقيق لأصحاب الجاه والسلطان والعظماء، فقد اتخذ سليمان الملك وسيلة للدعوة إلى الله، فلم يترك حكماً جائراً ولا ملكاً كافراً إلا دعاه إلى الله، وهكذا كان شأنه مع بلقيس حتى تركت عبادة الأوثان، وأتت مع جندها خاضعة مسلمة مستجيبة لدعوة الرحمن^(٣).

تضمنت قصة سليمان عَلَيْهِ السَّلَام في القرآن الكريم، وفي هذه السورة الكثير من معجزاته، كما حوت الكثير من أسس الحكم والقضاء والحسبة والتربية والأخلاق. وإلى جانب هذا وذاك اشتملت على مناهج الدعوة وأساليبها، وأهدافها، وكل هذا يرد في إطار السمات العامة للسور المكية، ويقف المتأمل

(١) القصص القرآني (٤٧٨/٣).

(٢) الموجهات الدعوية والإعلامية في سورة النمل، ص ١٧٤.

(٣) صفوة التفاسير، الصابوني، (٣٠٣/٢).



في قصة سليمان على الملك الوطيد، والجاه العريض وقبلهما النبوة والحكمة، ويرى الشخصية المؤمنة، المطمئنة بذكر الله المنية إليه الشاكرة لآلائه ونعمائه التي تسخر الملك والسلطان لإبلاغ دين الله، وإقامة الحجة على العالمين. ومن أبرز السمات في هذا النبي الكريم، الشر بمعناه الواسع، وبأنواعه المختلفة، يتضلع به كلما سعد بنعمة وأحس بفضل^(١).

وإن قصة سليمان مع النملة، ومع الهدهد، ومع ملكة سبأ وقومها، تظهر فيها نعمة الله على داود وسليمان وقيامهما بشكر هذه النعمة وهي نعمة العلم، والملك، والنبوة مع تسخير الجن والطير لسليمان، وفيها تظهر كذلك أصول العقيدة التي يدعو إليها كل رسول، ويبرز بصفة خاصة استقبال ملكة سبأ وقومها لكتاب سليمان - وهو عبد من عباد الله - والله هو الذي وهب سليمان ما وهب، وسخر له ما سخر، وهو الذي يملك كل شيء، وهو الذي يعلم كل شيء، وما مُلك سليمان، وما علمه إلا قطرة من ذلك الفيض الذي لا يغيض.

والتركيز في هذه السورة على العلم، علم الله المطلق الظاهر والباطن، وعلمه بالغيب خاصة، والعلم الذي وهبه لداود وسليمان، وتعليم سليمان منطق الطير وتنويهه بهذا التعليم. فعندما يريد سليمان استحضار عرش الملكة، لا يقدر على إحضاره في غمضة عين عفريت من الجن، إنما يقدر على هذا ﴿الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمُ مِّنَ الْكِتَابِ﴾.

(١) الدعوة إلى الله، عبد الرب نواب الدين، ص ٢٠٣.



وهكذا تبرز صفة العلم في جو السورة تظللها بشتى الظلال في سياقها كله من المطلع إلى الختام، ويمضي سياق السورة كله في هذا الظل^(١).

أولاً: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(١٥) وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَأَيُّهَا النَّاسُ عَلِمْنَا مَنَظِقَ الظُّلَمِ وَأَوْتَيْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ^ط إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴿[النمل: ١٥-١٦].

تفسير الآيات الكريمة:

١- ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النمل: ١٥]:

وفي الآية دليل على شرف العلم وأناقته محله، وتقدم حملته وأهله، وأن نعمة العلم من أجل النعم، وأجزل القسم، وأن من أوتيته فقد أوتي فضلاً على كثير من عباد الله، كما قال تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة: ١١].

وما سماهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ورثة الأنبياء إلا لمداناتهم لهم في الشرف والمنزلة. وجاءت هذه الآية لتبين لنا سر امتنان الله بذكر نعمة العلم على داوود وسليمان دون سائر النعم، فنعم الله الظاهرة على داوود كثيرة، وأما نبي الله سليمان عَلَيْهِ السَّلَام فقد رزقه الله ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده^(٢).

(١) في ظلال القرآن (٥/ ٢٦٢٤).

(٢) سلطان العلم في سورة النمل، د. نبيل محمد، ص ١٥.



قال الإمام السبكي: فإن الله تعالى أتى داود وسليمان عَلَيْهِمَا السَّلَامُ من نعم الدنيا والآخرة ما لم ينحصر. ولم يذكر في ذلك في صدر هذه الآية إلا العلم؛ ليبين أن الأصل في النعم كلها، فقد كان داود من أعبد البشر كما صح في صحيح مسلم^(١). وذلك من آثار علمه، وجمع الله له ولابنه سليمان ما لم يجمعه لأحد، وجعل العلم أصلاً لذلك كله^(٢).

وقال ابن باديس رَحِمَهُ اللهُ: قد ابتدأ الحديث عن الملك العظيم بذكر العلم، وقدمت النعمة به على سائر النعم، تنويها بشأن العلم، وتنبيها على أنه هو الأصل الذي تبنى عليه سعادة الدنيا والآخرة، وأنه هو الأساس لكل أمر من أمور الدين والدنيا، وأن الممالك إنما تبنى عليه وتشاد، وأن الملك إنما ينظم به ويساس، وأن كل ما لم يبن عليه فهو على شفا جرف هار، وأنه هو سياج المملكة ودرعها، وهو سلاحها الحقيقي، وبه دفاعها، وأن كل مملكة لم تحتم به فهي عرضة للانقراض والانقضا^(٣).

قال السعدي رَحِمَهُ اللهُ: ولا شك أن المؤمنين أربع درجات: الصالحون، ثم فوقهم الشهداء، ثم فوقهم الصديقون ثم فوقهم الأنبياء، وداود وسليمان من خواص الرسل، وإن كانوا دون درجة أولي العزم [نوح، وإبراهيم، وعيسى، وموسى، وخاتم النبيين والمرسلين محمد، عليهم الصلاة والسلام]، لكنهم من جملة الرسل الفضلاء الكرام الذين نوه الله بذكرهم ومدحهم في كتابه

(١) رواه مسلم، رقم ٢٧٣١.

(٢) فتاوى السبكي، لأبي الحسن تقي الدين السبكي، (١/٧٣).

(٣) تفسير ابن باديس، ص ٢٥٤.



مدحاً عظيماً؛ فحمدوا الله على بلوغ هذه المنزلة، وهذا عنوان سعادة العبد: أن يكون شاكرًا لله على نعمه الدينية والدنيوية، وأن يرى جميع النعم من ربه، فلا يفخر بها ولا يعجب بها، بل يرى أنها تستحق منه شكرًا كثيرًا^(١). وقال الرازي: وأما قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النمل: ١٥] ففيها أبحاث:

أحدها: أن الكثير المفضل عليه هو من لم يؤت علما، أو من لم يؤت مثل علمهما، وفيه أنهما فضلا على كثير وفضل عليهما كثير. وثانيها: في الآية دليل على علو مرتبة العلم؛ لأنهما أوتيا من الملك ما لم يؤت غيرهما، فلم يكن شكرهما على الملك كشكرهما على العلم. وثالثها: أنهم لم يفضلوا أنفسهم على الكل؛ وذلك يدل على حسن التواضع. ورابعها: أن الظاهر يقتضي أن تلك الفضيلة ليست إلا ذلك العلم، ثم العلم بالله وبصفاته أشرف من غيره، فوجب أن يكون هذا الشكر ليس إلا على هذا العلم، ثم إن هذا العلم حاصل لجميع المؤمنين، فيستحيل أن يكون ذلك سببا لفضيلتهم على المؤمنين؛ فإذا الفضيلة هو أن يصير العلم بالله وبصفاته جليا بحيث يصير المرء مستغرقا فيه، بحيث لا يخطر بباله شيء من الشبهات ولا يغفل القلب عنه في حين من الأحيان، ولا ساعة من الساعات^(٢).

إن الحمد أفضل ما نشكر به النعم، وأن نبي الله داود ونبي الله سليمان حمدا لله على نعمة التفضيل على كثير من المؤمنين، وقد جاء في السنة ما يدل عليه؛

(١) تفسير السعدي، ص ٨٠١.

(٢) التفسير الكبير (٢٤/ ١٨٦ - ١٨٧).



فقد قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «ما أنعم الله على عبدٍ نعمةً فقال الحمد لله إلا كان الذي أعطاه أفضل مما أخذ»^(١).

ومن سعادة العبد شكر النعم وعدم الفخر والعجب بها، فقد أخبر الله عن نبيه الكريمين داود وسليمان عَلَيْهِمَا السَّلَام بأنهما حمدا الله على تفضيله لهما على كثير من المؤمنين، وهذا منهما شكر لنعمه عليهما، واعتراف منهما بمحض فضل الله. وقد أمر الله بشكره في كتابه، فقال: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢].

وقال تعالى: ﴿وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٢]، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [ابراهيم: ٧].

وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من لم يشكر النَّاسَ لم يشكرِ اللَّهَ»^(٢).

وقال السعدي: في تفسير هذه الآية: وهذا عنوان سعادة العبد أن يكون شاكراً لله على نعمه الدينية والدنيوية، وأن يرى جميع النعم من ربه، فلا يفخر بها، ولا يعجب بها، بل يرى أنها تستحق شكراً كثيراً^(٣).

ونلمس التواضع في حمد النبيين الكريمين، فحينما جاءهما العلم قالوا: الحمد لله، وهذا الشكر للنعمة تجاه المنعم يشعر بمصدر النعمة الحقيقي، وأنه أهل للثناء والحمد. وفي قوله: ﴿فَضَّلْنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾: أي أن

(١) فوائد قصص نبي الله سليمان، عبد الفتاح محمود، ص ٤٩.

(٢) المصدر السابق نفسه.

(٣) تفسير السعدي، ص ٨٠١.



هناك من الناس من هو أفضل منا، وهذا تواضع الأنبياء، والعلماء، فلم يقولوا: (فضلنا على عباده المؤمنين)، وإنما قالوا: فضلنا على كثير من عباده المؤمنين^(١). - وفي قوله: ﴿عَلَّمَنَا﴾ جاءت بالمبني للمجهول، وهي تفيد أن هناك من علمه وهده، فلم ينسب هذا العلم لكسبهم، ومجهودهم وذكائهم، بل لمن علمهم وهو ربهم. وقال الدكتور محمد راتب النابلسي، في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا﴾: وكلمة ﴿عِلْمًا﴾ جاءت نكرة، فلم يقل: (ولقد آتينا داوود وسليمان العلم)؛ لأن (العلم) - إذا كان معرفة هنا - فقد يشير على علم معين، وأما التنكير عن علماء البلاغة، فيفيد التعظيم، ويفيد التعميم^(٢). فجاءت كلمة ﴿عِلْمًا﴾ مطلقة عامة، ومعنى ذلك أن العلم على إطلاقه ثمين؛ لقول الله عز وجل: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٩]. والعلم نور يكشف لك الطريق، فيكشف لك الحلال من الحرام، ويكشف لك الحق من الباطل، ويكشف لك الخير من الشر، ويكشف لك النافع من الضار، ويكشف لك الثمين من البخس، ويكشف لك النفيس من الخسيس. والعلم هو القيمة المرجحة التي اعتمدها القرآن الكريم، فالشيء الذي يرفعك هو العلم، والشيء الذي يخفضك هو الجهل، وأي شيء آخر عرض زائل يأتي، ويذهب، ولا قيمة له، لا يرفع صاحبه، ولا يخفضه، قد يكون الإنسان عند الله في أعلى عليين وهو فقير، أو مريض، أو نسبه غير معروف، أو غير جميل الصورة. ولكن يبقى العلم وحده هو الذي يرفعك عند الله في الدنيا والآخرة^(٣).

(١) وقفات في حياة الأنبياء، خالد عبد العليم، ص ٢٤٨.

(٢) تفسير النابلسي (٨/ ٤٧٥).

(٣) تفسير النابلسي (٨/ ٤٧٥).



لَا يَسْتَوِي الَّذِينَ لَهُمْ عِلْمٌ فَهُمْ يُدْرِكُونَ حَقَائِقَ الْأَشْيَاءِ عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ
وَتَجْرِي أَعْمَالُهُمْ عَلَى حَسَبِ عِلْمِهِمْ، مَعَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ فَلَا يُدْرِكُونَ الْأَشْيَاءَ
عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ بَلْ تَخْتَلِطُ عَلَيْهِمُ الْحَقَائِقُ وَتَجْرِي أَعْمَالُهُمْ عَلَى غَيْرِ انْتِظَامٍ،
كَحَالِ الَّذِينَ تَوَهَّمُوا الْحِجَارَةَ آلِهَةً وَوَضَعُوا الْكُفْرَ مَوْضِعَ الشُّكْرِ^(١).

٢- ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَنُ دَاوُدَ﴾:

وورث سليمان داود عَلَيْهِمَا السَّلَام في النبوة والرسالة فهو نبي رسول مثله عليهما
الصلاة والسلام.

وورثه في الملك والخلافة حيث ولي أمر بني إسرائيل من بعده ولم يرثه في
الأموال والممتلكات، لأن من سنة الله في حق الأنبياء أنهم لا يورثون عَلَيْهِمَا السَّلَامُ
فلا يأخذ أولادهم وورثتهم شيئاً مما خلفوه وراءهم، فإن تركوا أموالاً أو
ممتلكات فهي صدقة ينفقها ورثتهم، أو أولو الأمر من بعدهم في سبيل الله^(٢).

دليل ذلك ما رواه البخاري ومسلم عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ تَوَفَّى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُرْدُنَ أَنْ يَبْعَثَ عَثْمَانَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ
يَسْأَلُهُنَّ مِيرَاثَهُنَّ. فَقَالَتْ لَهْنَ عَائِشَةُ: أَلَيْسَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا نُورِثُ،
مَا تَرَكَنَا صَدَقَةً»^(٣).

قال الإمام ابن كثير عن وراثة سليمان لداود عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وعن هذه السنة في
شأن الأنبياء: قال الله تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَنُ دَاوُدَ﴾ وَقَالَ يَتَأَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا

(١) تفسير التحرير والتنوير، لابن عاشور، (آية ٩ / سورة الزمر).

(٢) القصص القرآني (٣ / ٤٨١).

(٣) البخاري، رقم ٦٧٣٠.



مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأَوْتَيْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ۖ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴿١٦﴾ [النمل: ١٦]. أي: ورثه في النبوة والملك. وليس المراد وراثة المال؛ لأنه قد كان له بنون غيره، فما كان ليخص بالمال دونهم. ولأنه قد ثبت في "الصحيح" من غير وجه، عن جماعة من الصحابة، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: «لَا نُورَثُ، ما تركنا فهو صدقة» وفي لفظ: «إنا معاشر الأنبياء لا نُورَثُ». فأخبر الصادق المصدوق أن الأنبياء لا تورث أموالهم عنهم كما يورث غيرهم، بل تكون أموالهم صدقة من بعدهم على الفقراء والمحاويج، لا يخصصون بها أقرباءهم؛ لأن الدنيا كانت أهون عليهم وأحقر عندهم من ذلك، كما هي عند الذي أرسلهم واصطفاهم وفضلهم^(١).
لقد ورث سليمان عن داود عَلَيْهِمَا السَّلَام خلافة إيمانية ودولة قوية، ومملكة متقدمة متكاملة، فحافظ عليها وقواها ووسع رقعتها، وضم لها بقاعاً أخرى، وطبق فيها شرع الله، وأسعد الناس، وسار بهم في طريق مرضاة الله.
وبلغت المملكة الإسرائيلية في عهد داود ثم سليمان عَلَيْهِمَا السَّلَام الذروة والأوج والقمة^(٢).

٣- ﴿وَقَالَ يَأَيُّهَا النَّاسُ عَلِمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأَوْتَيْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ۖ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾:

أعلنها سليمان عَلَيْهِ السَّلَام في الناس تحدثاً بنعمة الله، وإظهاراً لفضله ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾: فضل الله الكاشف عن مصدره، الدال على صاحبه، فما

(١) قصص الأنبياء، ص ٤٤٠.

(٢) القصص القرآني (٣/ ٤٨٢).



يملك تعليم منطق الطير لبشر إلا الله، وكذلك لا يؤتى أحدٌ من كل شيء - بهذا التعميم - إلا من الله^(١).

﴿وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ مما يحتاج إليه الملك^(٢). وللطيور والحيوانات والحشرات وسائل للتفاهم، - هي لغاتها ومنطقها - فيما بينها. والله سبحانه خالق هذه العوالم يقول: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام: ٣٨]. ولا تكون أمما حتى تكون لها روابط معينة تحيا بها، ووسائل للتفاهم فيما بينها، وذلك ملحوظ في حياة أنواع كثيرة من الطيور والحيوانات والحشرات، وبجهد علماء هذه الأنواع في إدراك شيء من لغاتها ووسائل التفاهم بينها عن طريق الحدس والظن لا عن طريق الجزم واليقين، فأما ما وهبه الله لسليمان عَلَيْهِ السَّلَام، فكان شأنا خاصاً به عن طريق الخارقة التي تخالف مألوف البشر، لا عن طريق المحاولة منه والاجتهاد لتفهم وسائل الطير وغيره في التفاهم على طريق الظن والحدس، كما هو حال علماء اليوم. أحب أن يتأكد هذا المعنى ويتضح؛ لأن بعض المفسرين المحدثين، ممن يبهرهم انتصارات العلم الحديث، يحاولون تفسير ما قصه القرآن عن سليمان عَلَيْهِ السَّلَام في هذا الشأن بأنه نوع من إدراك لغات الطير والحيوان، والحشرات على طريقة المحاولات العلمية الحديثة، وهذا إخراج للخارقة عن طبيعتها وأثر من آثار الهزيمة والانبهار بالعلم البشري القليل، وإنه لا يسر شيء وأهون على الله أن يعلم عبداً من عباده لغات الطير

(١) في ظلال القرآن (٥/٣٦٣٤).

(٢) تفسير ابن كثير (٦/١٩٣).



والحيوان والحشرات، هبة لدنية منه، بلا محاولة ولا اجتهاد، وإن هي إلا إزاحة لحواجز النوع التي أقامها الله بين الأنواع، وهو خالق هذه الأنواع. على أن هذا كله لم يكن إلا شقاً واحداً للخارقة التي أتاحتها الله لعبده سليمان... وحقيقة. إن سنة الله في الخلق جرت على أن يكون للطير إدراك خاص يتفاوت فيما بينه، ولكنه لا يصل إلى مستوى إدراك الإنسان. وإن خلقه الطير على هذا النحو حلقة في سلسلة التناسق الكوني العام، وإنها خاضعة - كحلقة مفردة - للناموس العام، الذي يقتضي وجودها على النحو الذي وجدت به.

وفي الحقيقة، فإن الهدهد الذي يولد اليوم هو نسخة من الهدهد الذي وجد منذ ألوف السنين، من أن وجدت الهداهد، وإن هناك عوامل وراثية خاصة تجعل منه نسخة تكاد تكون طبق الأصل من الهدهد الأول، ومهما بلغ التحوير فيه، فهو لا يخرج من نوعه، ليرتقي إلى نوع آخر وإن هذا - كما يبدو - طرف من سنة الله في الخلق، ومن الناموس العام المنسق للكون. ولكن هاتين الحقيقتين الثابتتين لا تمنعان أن تقع الخارقة عندما يريد الله خالق السنن والنواميس، وقد تكون الخارقة ذاتها جزءاً من الناموس العام، الذي لا نعرف أطرافه جزءاً يظهر في موعده الذي لا يعلمه إلا الله، يخرق المألوف المعهود للبشر، ويكمل ناموس الله في الخلق والتناسق العام، وهكذا وجد هدده سليمان وربما كل الطائفة من الطير التي سخرت له في ذلك الزمان^(١).

- ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُمِينُ﴾؛ أي: الظاهر المبين لله علينا^(٢). فقد أعطانا فضلاً محيطاً بكل الفضائل^(٣).

(١) في ظلال القرآن (٥/ ٢٦٣٥).

(٢) تفسير ابن كثير (٦/ ١٩٣).

(٣) تفسير الشعراوي (١٧/ ١٠٧٥٦).



علقت الدكتور زهراء البرقاوي عن علم منطق الطير لسليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ فقالت: لقد أشار القرآن الكريم إلى هذه المعجزة الخارقة في معرض تعداد نعم الله على سليمان، ولذلك فإن المعجزة، ولكونها خارجة عن مألوف البشر وقدرتهم، تحقق إعلامية في النص القرآني لترسيخ البعد التواصل في القرآن الكريم. إن سليمان قال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلِّمْنَا مَنَظِقَ الطَّيْرِ﴾، ولم يقل يا أيها الذين آمنوا، وذلك دلالة على عظمة الشهادة. فأراد أن يشهد الناس جميعاً مؤمنهم وكافرهم بنعمة الله عليه، اعترافاً منه بفضلها وعظمتها ومكانتها؛ إذ قال هذه المقالة في جمع عظيم من الناس الحاضرين في مجلسه من الخاصة والسامعين من العامة^(١).

قال ﴿عَلِّمْنَا﴾ بالجمع ولم يقل علمت بالمفرد؛ لأنه يتكلم عن نفسه وعن أبيه داوود، أي عن آل داوود، فناسب المقام بالجمع. وقال: ﴿مَنَظِقَ﴾ على اعتبار أن الكلام صفة لائحة بمنطق البشر من المخلوقات. والاقتصار على منطق الطير إيجاز؛ لأنه إذا علم منطق الطير وهي أبعد الحيوانات من الركون إلى الإنسان وأسرعها نفوراً منه، علم أن منطق ما هو أكثر اختلاطاً بالإنسان حاصل بالأحرى^(٢).

وعلى كل حال فإدراك منطق الطير لم يكن إلا معجزة من الله تعالى لسليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ الذي يعطي الملك والعلم لمن يشاء. إنه على كل شيء قدير^(٣).

(١) الإعلامية في الخطاب القرآني، ص ١٦٢.

(٢) الإعلامية في الخطاب القرآني، ص ١٦٢.

(٣) خصائص ومعجزات سليمان، زينب محمد سوار، ص ٦٣.



ثَانِيًا: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ١٧﴾ حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمَلَةٌ يَتَأَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَتِي وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴿[النمل: ١٧-١٩]:

تفسير الآيات الكريمة:

١- ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾:

فهذا هو موكب سليمان محشود محشور، يتألف من الجن والإنس والطير. والإنس معروفون. أما الجن فهم خلق لا نعرف عنهم إلا ما قصه الله علينا من أمرهم في القرآن، وهو أنه خلقهم من مارج من نار، أي من لهيب متموج من الناس، وأنهم يرون البشر والبشر لا يرونهم: ﴿إِنَّهُمْ يَرَأَوْكُمْ هُوَ وَقِيلُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ [الأعراف: ٢٧].

[الكلام عن إبليس أو الشيطان، وإبليس من الجن] وأنهم قادرون على الوسوسة في صدور الناس بالشر عادة والإيحاء لهم بالمعصية -ولا ندرى كيف- وأن منهم طائفة آمنت برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولم يرههم هو أو يعرف منهم إيمانهم ولكن أخبره الله بذلك إخبارا: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ وَنَعَرُوا أَنَّهُ سَخَر طَائِفَةٌ مِنْهُمْ لِسُلَيْمَانَ بَيْنُونَ لَهُ الْمَحَارِيبَ وَالتَّمَاثِيلَ وَالْجِفَانِ الْكَبِيرَةَ لِلطَّعَامِ وَيَغوصون له في البحر، ويأتمرون بأمره بإذن الله، ومنهم هؤلاء



الذين يظهرون هنا في موكبه مع إخوانهم من الإنس والطيور. ونقول: إن الله سخر لسليمان طائفة من الجن وطائفة من الطير، كما سخر له طائفة من الإنس، وكما أنه لم يكن كل أهل الأرض من الإنس جنداً لسليمان - إذ أن ملكه لم يتجاوز ما يعرف الآن بفلسطين ولبنان وسوريا والعراق إلى ضفة الفرات - على قول بعض المؤرخين - فكذلك لم يكن جميع الجن ولا جميع الطير مسخرين له، إنما كانت طائفة من كل أمة على السواء^(١).

ونستند في مسألة الجن بأن إبليس وذريته من الجن، كما قال القرآن: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ [الكهف: ٥٠].

وقال في سورة الناس: ﴿الَّذِي يُوسِّسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ [الناس: ٦، ٥]، وهؤلاء كانوا يزالون الإغواء. والشر والوسوسة للبشر في عهد سليمان، وما كانوا ليزاولوا هذا وهم مسخرون له مقتدون بأمره وهو نبي يدعو إلى الهدى. فالمفهوم إذن أن طائفة من الجن هي التي كانت مسخرة له.

ونستند في مسألة الطير إلى أن سليمان عَلَيْهِ السَّلَام حين تفقد الطير علم بغية الهدهد. ولو كانت جميع الطيور مسخرة له، ومحشورة في موكبه، ومنها جميع الهداهد، ما استطاع أن يتبين غيبة هدهد واحد من ملايين الهداهد فضلاً على بلايين الطير. ولما قال: ﴿مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهَدَ﴾. فهو إذن هدهد خاص بشخصه وذاته، وقد يكون هو الذي سخر لسليمان من أمة الهداهد، أو يكون

(١) في ظلال القرآن (٥/ ٢٦٣٥).



صاحب النوبة في ذلك الموكب من المجموعة المحددة العدد من جنسه. ويعين على هذا ما ظهر من أن ذلك الهدهد موهوب إدراكاً خاصاً ليس من نوع إدراك الهداهد ولا الطير بصفة عامة. ولا بد أن هذه الهبة كانت للطائفة الخاصة التي سخرت لسليمان، لا لجميع الهداهد وجميع الطيور؛ فإن نوع الإدراك الذي ظهر من ذلك الهدهد الخاص في مستوى يعادل مستوى العقلاء الأذكياء والأتقياء من الناس!

حشر لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير، وهو موكب عظيم، وحشد كبير، يجمع أوله على آخره. ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾: حتى لا يتفرقوا وتشيع فيهم الفوضى، فهو حشد عسكري منظم، ففيها إشارة إلى الحشد والتنظيم^(١).

أ- قال عبد الحميد بن باديس رَحِمَهُ اللهُ: تفيد الآية صورة تامة لنظام الجندية في ملك سليمان، فقد كان الجنود يسرحون في الخدمة ويجمعون عند الحاجة، وكانت أعيانهم معروفة مضبوطة، وكانت لهم هيئة تعرفهم وتضبطهم وتجمعهم عند الحاجة، وكان لهم ضباط يتولون تنظيمهم، وكان النظام محكماً لضبط تلك الكثرة، ومنها الاضطراب والاختلال والفوضى، وتعرض علينا الآية هذه الصورة التاريخية والواقعية تعليماً لنا وتربية على الجندية المضبوطة المنظمة. ولا شك أن الخلفاء الأولين قد عملوا على ذلك في تنظيم جيوشهم، إن مثل هذه الآية كان له الأثر البالغ السريع في نفوس العرب لما أسلموا، فسرعان ما تحولوا إلى جنود منظمة مما لم يكن معروفاً عندهم في الجاهلية.

(١) في ظلال القرآن (٥/٢٦٣٦).



وبقيت الآية على الدهر مذكرة بآيات النظام أساس كل مجمع واجتماع، وأن القوة والكثرة وحدها لا تغنيان بدون نظام، وأن النظام لا بد له من رجال أكفأ يقومون ويحملون الجموع عليه، وأولئك هم الوازعون^(١).

ب- قال صلاح الدين الخالدي رَحِمَهُ اللهُ: كان جيشه مكوناً من فرق متناسقة. وأخبرنا الله عن ثلاث من هذه الفرق:

فرقة الإنس، وفرقة الجن، وفرقة الطير، وكان الجنود من هذه الفرق يسيرون بنظام دقيق محكم، وأشار إلى هذا التنظيم قوله: ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾.

قال ابن كثير: أي: وجمع لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير يعني: ركب فيهم في أبهة وعظمة كبيرة في الإنس، وكانوا هم الذين يلونه، والجن وهم بعدهم [يكونون] في المنزلة، والطير ومنزلتها فوق رأسه، فإن كان حراً أظلمته منه بأجنحتها. وقوله: ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ أي: يكف أولهم على آخرهم؛ لئلا يتقدم أحد عن منزلته التي هي مرتبة له. وقال مجاهد: جعل على كل صنف وزعة، يردون أولاهها على أخراها، لئلا يتقدموا في المسير، كما يفعل الملوك اليوم^(٢).

ج- قال الدكتور محمد رائق رأفت المصري: إن العسكرية في دولة سليمان تشكل منظومة إدارية هائلة يجدر بنا ونحن نتكلم عن سياسات الحكم وطرائقه أن نقف أمامها ونتأملها، وننعم فيها الفكر والنظر، إدراكاً منا لأهمية الجانب الحربي الجهادي في حياة الدولة المسلمة، فلنقف مع الآيات نستشف منها الفوائد والدروس والإشارات. يقول الله جل شأنه: ﴿وَحِشْرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودَهُ﴾

(١) تفسير ابن باديس، ص ٢٦٠.

(٢) القصص القرآني (٥١٦/٣).

مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٢٢٤﴾ تأمل في قوله: ﴿جُنُودُهُ﴾ مضافاً إلى ضمير المفرد الغائب العائد على سليمان؛ ليدلنا على أن هناك جيشاً نظامياً ينتمي إلى هذه الدولة، يوجد عند الطلب، ويقوم باستعراضات عسكرية منظمة مرتبة، كما تشير الآية.

ثم إن هذا الجيش الضخم من الجن والإنس والطير هو جيش في غاية الترتيب والتنظيم، على الرغم من عدده الهائل وأجناسه المختلفة. انتبه إلى قوله سبحانه: ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾.

وهذا يوحي أن هذا الجيش مقسم إلى كتائب منفصلة، على رأس كل كتيبة منها رئيس أو عريف أو أمير أو ضابط صف، يقوم على توزيع أفراد كتيبته، وهذا يشبه في عصرنا ما يسمى بنظام شرطة الجيش^(١).

٢- ﴿حَقَّ إِذَا اتَّوَّا عَلَىٰ وَادِ التَّمَلِّ قَالَتْ نَمَلَةٌ يَأَيُّهَا التَّمَلُّ ادْخُلُوا مَسَكِنَكُمْ لَا يَخْطَمَنَّكُمْ سُلَيْمَنُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾:

سار سليمان بجيشه المنظم المرتب في طريقهم، تتلاءم خطاهم وتناسب حركاتهم، وفي طريقهم مروا على واد النمل. وهذا يدلنا على أن جيش سليمان كان يسير على الأرض. ويبدو أن الجيش دخل الوادي من جهته العلوية، يدلنا على ذلك أنه عُدِيَ فعل (أتى) بحرف الجر (على) وهو يتعدى بنفسه أو بـ(إلى)^(٢).

(١) شخصية الحاكم في ضوء القصص القرآني، ص ١٧٧.

(٢) سليمان في القرآن الكريم، همام حسن، ص ١٣٩.



حتى إذا أتوا على واد كثير النمل، حتى لقد أضافه التعبير إلى النمل فسماه وادي النمل، قالت نملة، لها صفة الإشراف والتنظيم على النمل السارح في الوادي، ومملكة النمل كمملكة النحل دقيقة التنظيم، تتنوع فيها الوظائف وتؤدي كلها بنظام عجيب، يعجز البشر غالباً على اتباع مثله على ما أوتوا من عقل راق وإدراك عال، قالت هذه النملة للنمل، بالوسيلة التي تتفاهم بها أمة النمل، وباللغة المتعارفة بينها: ﴿أَدْخُلُوا مَسَكِنَكُمْ﴾ كي لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون بكم^(١).

هذه النملة جمعت في كلامها في هذه الآية أحد عشر جنساً من الكلام: نادت، وكنت، ونبّهت، وسمّيت، وأمرت، وقصّت، وحذرت، وخصّت، وعمت، وأشارت، وعذرت، فالنداء: (يا). والكناية: (أي). والتنبيه: (ها). والتسمية: (النمل). والأمر: (ادخلوا). والقصص: (مساكنكم). والتحذير: (لا يحطمنكم). والتخصيص: (سليمان). والتعميم: (وجنوده). والإشارة: (وهم). والعذر: (لا يشعرون). فأدّت خمسة حقوق: حق الله، وحق رسوله، وحقها، وحق رعيّتها، وحق جنود سليمان^(٢).

وفي هذه الآية دلالات على علم النمل، منها ما يأتي:

- ما ذكره الإمام السيوطي أعلاه، فإنّ هذه اللفظة التي جمعت بها أحد عشر جنساً من الكلام، ما كانت لتخرج من النملة إلا لأنها كانت صاحبة علم.
- تسمية النملة لسليمان عَلَيْهِ السَّلَام، دلالة كذلك على أن الله قد رزقها علماً علمت به أن هذا صاحب ملك وجند، واسمه: سليمان.

(١) في ظلال القرآن (٥/٢٦٣٦).

(٢) الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي، (٣/١٨٤).



- قولها: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾: وصف لسليمان عَلَيْهِ السَّلَام وجنده بالخير والرحمة، وأنهم لا يظلمون ولا يقتلون إلا خطأ. وهذا الوصف لا يمكن أن يخرج منها إلا لعلمها بأنه نبي رحمة، ولأنها تخشى من إساءة ظن قومها بسليمان عَلَيْهِ السَّلَام وجنده، فاعتذرت له وبيّنت براءته وجنده من أي أذى يصيبهم، كونهم لا يشعرون. ولك أن تتأمل في قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام: ٣٨]؛ إن النمل أمة من الأمم في الأرض، فهو يعلم كما نعلم، وله ممالك أدهشت العلماء والبرامج الوثائقية لحياة النمل ومساكنها يجد فيها المرء ما يذهل العقول، وهو يتابع حركتها في البحث عن عيشها، والتعاون مع قومها، والاتصال الدائم بين أفرادها^(١).

أ- قال الرازي رَحِمَهُ اللَّهُ:

وفي هذه الآية تنبيه على أمور: أحدها: أن من يسير في الطريق لا يلزمه التحرز، وإنما يلزم من في الطريق التحرز وثانيها: أن النملة قالت: وهم لا يشعرون كأنها عرفت أن النبي معصوم فلا يقع منه قتل هذه الحيوانات إلا على سبيل السهو، وهذا تنبيه عظيم على وجوب الجزم بعصمة الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَام^(٢).

ب- قال المراغي:

وفي هذه الآية تنبيه إلى هذا لإيقاظ العقول إلى ما أعطيته من الدقة وحسن النظم والسياسة، فإن نداءها لمن تحت أمرها وجمعها لهم ليشير إلى كيفية

(١) سلطان العلم في سورة النمل، ص ١٧. ومن أراد التوسع في الآية فليراجع إعجاز القرآن الكريم في العمارة وال عمران، د. يحيى وزيري. والبناء السردي في القصة القرآنية، منيرة الزهراني.

(٢) التفسير الكبير (٢٤/ ١٨٨).



سياستها، وحكمتها وتدبيرها لأموورها، وأنها تفعل ما يفعل الملوك، وتدبر وتسوس كما يسوس الحكام. ولم يذكره الكتاب الكريم إلا ليكون أمثالا تضرب للعقلاء، فيفهموا حال هذه الكائنات، وكيف أن النمل أجمعت أمرها على الفرار خوفا من الهلاك، كما تجتمع على طلب المنافع، وإن أمة لا تصل في تدبيرها إلى مثل ما يفعل هذا الحيوان الأعجم تكون أمة حمقاء تائهة في أودية الضلال، وهي أدنى حالا من الحشرات والديدان: ﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٣٥].

ج- قال الشيخ همام حسن سلوم:

إن كلام النملة يدل على حرصها على أمتها من النمل، وإشفاقها عليهم، واهتمامها بهم، وتفكيرهم في تخليصهم من الخطر، وإيصالهم إلى بر الأمان، فإذا كانت نملة صغيرة بهذا الاهتمام بالنمل، وهي حشرة زاحفة صغيرة لا تكاد ترى، فلماذا لا يكون البشر -ذوو العقول والأفهام- حريصين على نصحتهم وإبعاد الخطر عنهم^(١).

إن أصحاب المسؤوليات حريٌّ بهم أن يهتموا لما أوكل إليهم من مهمات، وأن يعدّوها أمانة يسألون عنها يوم القيامة، والتقصير فيها يورث غضب الرب وعذاب النار^(٢).

(١) تفسير المراغي (١٩/١٢٩).

(٢) سليمان عَلَيْهِ السَّلَام في القرآن الكريم، ص ١٤١.

(٣) المصدر السابق نفسه.



قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللَّهُ رَعِيَّةً، يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ، وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ، إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ»^(١).

٣- ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَلَدِي وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾:

أدرك سليمان عَلَيْهِ السَّلَام ما قالت النملة، وانشرح صدره بإدراك ما قالت، وبمضمون ما قالت، وهش له كما يهش الكبير للصغير الذي يحاول النجاة من أذاه وهو لا يضمّر أذاه. وانشرح صدره، لإدراكه، فهي نعمة الله عليه تصله بهذه العوالم المحجوبة المعزولة عن الناس، لاستغلاق التفاهم بينها وقيام الحواجز، وانشرح صدره له لأنه عجيبة من العجائب أن يكون للنملة هذا الإدراك وأن يفهم عنها.^(٢)

أ- ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا﴾:

والتبسم: هو أول الضحك وابتدأؤه من غير صوت جاء في المعجم الوسيط: بسم يبسم بسمًا: انفرجت شفتاه عن ثناياه ضاحكًا بدون صوت، وهو أخف الضحك وأحسنه فهو باسم وبسّام^(٣). وكما أن الضحك انبساط الوجه حتى تظهر الأسنان من السرور مع صوت خفي، فإن كان فيه صوت يسمع من بعيد فهو القهقهة^(٤).

(١) صحيح مسلم، رقم ١٤٢.

(٢) في ظلال القرآن (٥/٢٦٣٦).

(٣) المعجم الوسيط (١/٥٩).

(٤) روح المعاني (١٩/١٧٩)؛ ولغة الجوارح ودلالاتها في القرآن الكريم، د. علي الجواري، ص ٢٦٢؛ والقيم الإدارية المستخلصة من قصة النبي سليمان، ص ٦٥ - ٦٦؛ وأخلاق الأنبياء، محمد الدرويش، ص ٣٣٦.



لقد سرَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ لكلام النملة، وانفرجت شفتاه ضاحكاً متأثراً، ومر تأثره من كلامها بمرحلتين:

الأولى: مرحلة التبسم، حيث انفرجت شفتاه متأثرة مستحسناً وكان هذا بدون صوت.

الثانية: مرحلة الضحك حيث زاد فرحه وسروره وانبساطه، وانشرحه، فلم يصل حد الفقهقة، ولم يخرجه عن وقاره^(١). وبدهيَّ بأن هاتين المرحلتين متداخلتان، ولا يفصلهما إلا جزء يسير من الوقت.

ولما كان التبسم يكون للاستهزاء وللغضب، كما يكون للسرور وللفرح، أتى بقوله: ﴿ضَاحِكًا﴾ وهي حال، وذلك لبيان أن التبسم لم يكن استهزاء ولا غضباً، وإنما فرحاً وسروراً^(٢).

ب- ﴿وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَلَدِي وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ﴾:

وسرعان ما هزت سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ هذه المشاهدة، وردت قلبه إلى ربه الذي أنعم عليه بنعمة المعرفة الخارقة، وفتح بينه وبين تلك العوالم المحجوبة والمعزولة من خلقه، واتجه إلى ربه في إنابة يتوسل إليه.

- ﴿وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَلَدِي﴾:

- ﴿رَبِّ﴾: بهذا النداء القريب المباشر، المتصل.

- ﴿أَوْزِعْنِي﴾: اجمعني كلي، اجمع جوارحي ومشاعري ولساني وجناني

وخواطري، وخلجاتي، كلماتي وعباراتي، وأعمالي وتوجهاتي، اجمعني كلي،

(١) القصص القرآني (٣/ ٥٢١).

(٢) البحر المحيط (٧/ ٦٢).



اجمع طاقاتي كلها، أولها على آخرها، وآخرها على أولها، وهو المدلول اللغوي لكلمة أوزعني. لتكون كلها في شكر نعمتك عليّ، وعلى والديّ، وهذا التعبير بنعمة الله التي مست قلب سليمان عَلَيْهِ السَّلَام في تلك اللحظة، ويصوّر نوع تأثيره وقوة توجهه وارتعاشه وجدانه، وهو يستشعر فضل الله الجزيل^(١).

ويظهر بر الوالدين في دعاء سليمان عَلَيْهِ السَّلَام لربه فلم ينسى فضل والديه عليه بعد الله في كونهما سبب في تربيته تربية حسنة وتوجهه الوجهة الصالحة، فحب الإنسان لوالديه والدعاء لهما من الأمور التي تؤدي إلى نشوء مجتمع مسلم متماسك ومتربط^(٢).

- ﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ﴾؛ فالعمل الصالح هو كذلك فضل من الله يوفق إليه من يشكر نعمته، وسليمان الشاكر الذي يستعين ربه ليعينه... على شكر نعمته، يستعين ربه كذلك ليوفقه إلى عمل صالح يرضاه، وهو يشعر أن العمل الصالح توفيق ونعمة أخرى من الله^(٣).

ج- ﴿وَأَدْخَلَنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾:

أدخلني برحمتك.. فهو يعلم أن الدخول في عباد الله الصالحين، رحمة من الله تتدارك العبد فتوفقه إلى العمل الصالح، فيكون في عداد الصالحين، يعلم هذا فيتضرع إلى ربه أن يكون من المرحومين الموفقين السالكين في هذا الرعي، يتضرع إلى ربه وهو النبي الذي أنعم الله عليه وسخر له الجن والإنس

(١) في ظلال القرآن (٥/٢٦٣٧).

(٢) منهجيات الإصلاح والتغيير في سورتي النمل والقصص، ص ٩٠.

(٣) في ظلال القرآن (٥/٢٦٣٧).



والطير، غير آمن مكر الله حتى بعد أن اصطفاه، خائفاً أن يقصر به عمله، وأن يقصر به شكره^(١).

وقد ورد عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الطمع في رحمة الله فقد قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَنْ يُنَجِّيَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ»، قالوا ولا أنت يا رسول الله قال: «ولا أنا إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ مِنْهُ بِرَحْمَةٍ فَسَدَّدُوا وَقَارِبُوا وَاعْدُوا وَرَوْحُوا وَشَيْءٌ مِنَ الدُّلْجَةِ. وَالْقَصْدَ الْقَصْدَ تَبْلُغُوا»^(٢).

وقد لاحظنا أن سليمان عَلَيْهِ السَّلَام كان متشوقاً إلى رضا الله ورحمته مع خشية وتقوى لله عَزَّوَجَلَّ، وخصوصاً في اللحظات التي تتجلى فيها نعائم الله عليه، فالنملة تشهد بعدله، وسليمان يدرك عنها ما تقول بتعليم الله له وفضله عليه^(٣). ونقف هنا أمام خارقتين لا خارقة واحدة، خارقة إدراك سليمان لتحذير النملة، وخارقة إدراك النملة أن هذا سليمان وجنوده، فأما الأولى، فهي مما علّمه الله لسليمان. وسليمان إنسان ونبي، فالأمر بالقياس إليه أقرب من الخارقة الأخرى البادية في مقالة النملة، فقد تُدْرِك النملة أن هؤلاء خلق أكبر، وأنهم يحطّمون النمل إذا داسوه، وقد يهرب النمل من الخطر بحكم ما أودع الله فيه من القوى الحافظة للحياة، أم أن تدرك النملة أن هذه الشخص هو سليمان وجنوده، فتلك هي الخارقة الخاصة التي تخرج عن المألوف، وتحسب في عداد الخوارق في مثل هذه الحال^(٤).

(١) المصدر السابق نفسه.

(٢) مسلم، رقم ٢٨١٦.

(٣) في ظلال القرآن (٥/٢٦٣٧).

(٤) في ظلال القرآن (٥/٢٦٤٧).



ثالثاً: قوله تعالى: ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهَدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٢٦﴾ * قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٧﴾ أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقَاهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [النمل: ٢٠-٢٨]:

تفسير الآيات الكريمة:

١- ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهَدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٢١﴾﴾:

تبدأ الآيات الكريمة في قصة سليمان عَلَيْهِ السَّلَام مع الهدهد وملكة سبأ وهي مقطعة إلى ستة مشاهد، بينها فجوات فنية، تدرك من المشاهد المعروضة، وتكمل جمال الغرض الفني في القصة، وتدخلها تعقيبات على بعض المشاهد تحمل التوجه الوجداني المقصود بعرضها في السورة، وتحقق العبرة التي من أجلها يساق القصص في القرآن الكريم، وتتناسق التعقيبات مع المشاهد والفجوات تنسيقاً بديعاً، من الناحيتين: الفنية الجمالية، والدينية الوجدانية.



ولما كان افتتاح الحديث عن سليمان قد تضمن الإشارة إلى الجن والإنس والطير، كما تضمن الإشارة إلى نعمة العلم؛ فإن القصة تحتوي دور الكل من الجن والإنس والطير. ويبرز فيها دور العلم كذلك. وكأنما كانت تلك المقدمة إشارة إلى أصحاب الأدوار الرئيسية في القصة وهذه سمة فنية دقيقة في القصص القرآني. كذلك تتضح السمات الشخصية والمعالم المميزة لشخصيات القصة: شخصية سليمان، وشخصية الملك، وشخصية الهدهد، وشخصية حاشية الملكة. كما تعرض الانفعالات النفسية لهذه الشخصيات في شتى مشاهد القصة ومواقفها.

يبدأ المشهد الأول في مشهد العرض العسكري العام لسليمان وجنوده، بعدما أتوا على وادي النمل، وبعد مقالة النملة، وتوجه سليمان إلى ربه بالشكر والدعاء والإنابة:

وتفقد الطير فقال: مالي لا أرى الهدهد؟ أم كان من الغائبين؟ لأعذبه عذاباً شديداً أو لأذبحه، أو ليأتينني بسلطان مبين.

فها هو ذا الملك النبي سليمان في موكبه الفخم الضخم. ها هو ذا يتفقد الطير فلا يجد الهدهد. ونفهم من هذا أنه هدهد خاص، معين في نوبته في هذا العرض. وليس هدهداً مّا من تلك الألوف أو الملايين التي تحويها الأرض من أمة الهداهد، كما ندرك من افتقاد سليمان لهذا الهدهد سمةً من سمات شخصيته: سمة اليقظة والدقة والحزم، فهو لم يغفل عن غيبة جندي من هذا الحشر الضخم من الجن والإنس والطير، الذي يجمع آخره على أوله كي لا يتفرق ويتكث.

وهو يسأل عنه في صيغة مترفعة مرنة جامعة: ﴿مَا لِي لَا أَرَى الْهَدَّهْدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾، ويتضح أنه غائب، ويعلم الجميع من سؤال الملك عنه أنه غائب بغير إذن! وحينئذ يتعين أن يؤخذ الأمر بالحزم، كي لا تكون فوضى. فالأمر بعد سؤال الملك هذا السؤال لم يعد سرّاً. وإذا لم يؤخذ بالحزم كان سابقة سيئة لبقية الجند. ومن ثم نجد سليمان الملك الحازم يتهدّد الجندي الغائب المخالف: (لأعذبه عذاباً شديداً أو لأذبحه). ولكن سليمان ليس ملكاً جباراً في الأرض، إنما هو نبي وهو لم يسمع بعدُ حجة الهدهد الغائب، فلا ينبغي أن يقضي في شأنه قضاء نهائياً قبل أن يسمع منه، ويتبين عذره. ومن ثم تبرز سمة النبي العادل: أو ليأتيني بسلطان مبين؛ أي حجة قوية توضح عذره، وتنفي المؤاخذه عنه^(١).

قال السعدي رَحِمَهُ اللهُ: في قوله ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ﴾: دل هذا على كمال عزمه وحزمه وحسن تنظيمه لجنوده وتدبيره بنفسه للأمور الصغار والكبار، حتى إنه لم يهمل هذا الأمر وهو تفقّد الطيور والنظر: هل هي موجودة كلها أم مفقود منها شيء؟ وهذا هو المعنى للآية. ولم يصنع شيئاً من قال: إنه تفقّد الطير لينظر أين الهدهد منها ليدله على بعد الماء وقربه، كما زعموا عن الهدهد أنه يبصر الماء تحت الأرض الكثيفة، فإن هذا القول لا يدل عليه دليل، بل الدليل العقلي واللفظي دال على بطلانه، أما العقلي فإنه قد عرف بالعادة والتجارب والمشاهدات أن هذه الحيوانات كلها، ليس منها شيء يبصر هذا البصر الخارق للعادة، ينظر الماء تحت الأرض الكثيفة، ولو كان كذلك لذكره الله لأنه من أكبر الآيات^(٢).

(١) في ظلال القرآن (٥/٢٦٣٨).

(٢) تفسير السعدي، ص ٨٠٢.



وأما الدليل اللفظي فلو أريد هذا المعنى لقال: ”وطلب الهدهد لينظر له الماء فلما فقده قال ما قال“ أو ”فتش عن الهدهد“، أو: ”بحث عنه“، ونحو ذلك من العبارات، وإنما تفقد الطير لينظر الحاضر منها والغائب ولزومها للمراكز والمواضع التي عيّنها لها. وأيضاً فإن سليمان عَلَيْهِ السَّلَام لا يحتاج ولا يضطر إلى الماء بحيث يحتاج لهندسة الهدهد، فإن عنده من الشياطين والعفاريت ما يحفرون له الماء، ولو بلغ في العمق ما بلغ. وسخر الله له الريح غدوُّها شهر ورواحها شهر، فكيف -مع ذلك- يحتاج إلى الهدهد؟

وهذه التفاسير التي توجد وتشتهر بها أقوال لا يعرف غيرها، تنقل هذه الأقوال عن بني إسرائيل مجردة ويغفل الناقل عن مناقضتها للمعاني الصحيحة وتطبيقها على الأقوال، ثم لا تزال تتناقل وينقلها المتأخر مسلماً للمتقدم حتى يظن أنها الحق، فيقع من الأقوال الردية في التفاسير ما يقع، واللييب الفطن يعرف أن هذا القرآن الكريم العربي المبين الذي خاطب الله به الخلق كلهم عالمهم وجاهلهم وأمرهم بالتفكر في معانيه، وتطبيقها على ألفاظه العربية المعروفة المعاني التي لا تجهلها العرب العرباء، وإذا وجد أقوالاً منقولة عن غير رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ردها إلى هذا الأصل، فإن وافقته قبلها لكون اللفظ دالاً عليها، وإن خالفته لفظاً ومعنى أو لفظاً أو معنى ردها وجزم بطلانها، لأن عنده أصلاً معلوماً مناقضاً لها، وهو ما يعرفه من معنى الكلام ودلالاته.

والشاهد أن تفقد سليمان عَلَيْهِ السَّلَام للطير، وفقده الهدهد يدل على كمال حزمه وتدبيره للملك بنفسه وكمال فطنته، حتى فقد هذا الطائر الصغير ﴿فَقَالَ مَا لِي



لَا أَرَى الْهَدَّهْدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴿١﴾ أي: هل عدم رؤيتي إياه لقلة فطنتي به لكونه خفيا بين هذه الأمم الكثيرة؟ أم على بابها بأن كان غائبا من غير إذني ولا أمري؟ فحينئذ تغيط عليه وتوعده فقال: ﴿لَا عُدْبَتَهُ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ دون القتل، ﴿أَوْ لَا أَذْبَحْنَهُ أَوْ لِيَأْتِنِي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ أي: حجة واضحة على تخلفه، وهذا من كمال ورعه وإنصافه أنه لم يقسم على مجرد عقوبته بالعذاب أو القتل؛ لأن ذلك لا يكون إلا من ذنب، وغيبته قد تحتمل أنها لعذر واضح، فلذلك استثناء لورعه وفطنته^(١).

قال الشيخ عبد الحميد بن باديس رَحِمَهُ اللَّهُ في قوله تعالى: ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَدَّهْدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾: ﴿تَفَقَّدَ﴾ التفقد تطلُّبُك ما فقدته وغاب عنك، وتعرَّفك أحواله. ﴿لَا أَرَى﴾ لا أبصر.

﴿الْهَدَّهْدَ﴾، هو (تبيب) وهو طائر صغير الجرم منتن الريح ليس من كرام الطير، ولا من سباعها.

﴿مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَدَّهْدَ﴾؛ استفهم عما حصل له فمنعه من الرؤية، حيث ظن أولاً أن الهدهد كان حاضراً، وإنما هو لم يره.

﴿أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾؛ استفهم عن غيبته حيث ظن ثانياً أنه غائب فاستفهم عن صحة ما ظن، فكلمة أم فيها إضراب، وفيها استفهام، فأضرب إضراب انتقال من ظن إلى ظن.

(١) تفسير السعدي، ص ٨٠٢.



﴿كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾؛ تعريض بقبح فعله، لما انحط عن شرف الحضور، وكان من الغائبين. وهنا المعنى:

تطلب سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ معرفة ما غاب عنه من أحوال الطير فلم ير الهدهد، وأخذ يتساءل فظن أن شيئاً ستره عنه فلم يره، ولما لم يكن شيء من ذلك، ظن أنه كان غائباً غير حاضر، وذلك هو الظن الأخير الذي حصل به اليقين.

تعليم وقدوة:

من حق الرعية على راعيها أن يتفقدوها، ويتعرف أحوالها؛ إذ هو مسؤول عن الجليل والدقيق منها. فهو يباشر بنفسه ما استطاع مباشرته منها، ويضع الوسائل التي تطلعه على ما غاب عليه منها. كما ينيط بأهل الخبرة والمقدرة والأمانة تفقد أحوالها حتى تكون أحوال كل ناحية معروفة مباشرة لمن كلف بها.

فهذا سليمان على عظمة ملكه، واتساع جيشه، وكثرة أتباعه، قد تولى التفقد بنفسه، ولم يهمل أمر الهدهد على صغره وصغر مكانه. وقد كان عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: "لو أن سخلة بشاطئ الفرات يأخذها الذئب ليسأل عنها عمر". وإن هذا التفقد والتعرف هو على كل راع في الأمم والجماعات والأسر والرفاق، وكل من كانت له رعية.

تعليل وتحريم:

تفقد سليمان جنس ما معه من الطير للتعرف كما ذكرنا، وذَكَرُ الطير هو الذي تعلقت به القصة، وليس في السكوت عن غير الطير ما يدل على أنه لم يتفقد.

فالتفقد لم يكن للهدهد بخصوصه، وإنما لما تفقد جنس الطير فقداه ولم يجده، فقال ما قال. فلا وجه لسؤال من سأل: كيف تفقد الهدهد من بين سائر الطير.

تدقيق لغوي وغوص علمي:

سأل سليمان عن حال نفسه، فقال: ما لي لا أرى الهدهد؟ ولم يسأل عن حال الهدهد فيقول: ما للهدهد لا أراه؛ فأنكر حال نفسه قبل أن ينكر حال غيره.

وقد نقل الحافظ الإمام ابن العربي عن الإمام عبد الكريم بن هوازن القشيري شيخ الصوفية في زمانه رَحِمَهُمَا اللَّهُ، فقد قال: ”إنما قال ما لي لا أرى، لأنه اعتبر حال نفسه إذ علم أنه أوتي الملك العظيم، وسخر له الخلق، فقد لزمه حق الشكر بإقامة الطاعة وإدامة العمل، فلما فقد نعمة الهدهد توقع أن يكون قصر في حق الشكر فلاجله سلبها؛ فجعل يتفقد نفسه، فقال: ما لي“.

وكذلك تفعل شيوخ الصوفية إذا فقدوا آمالهم تفقدوا أعمالهم. هذا في الآداب، فكيف بنا اليوم ونحن نقصر في الفرائض؟! (١).

وفي قوله تعالى: ﴿لَا تُعَذِّبْنَاهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَا أَذْبَحْنَاهُ أَوْ لِيَأْتِنِي سُلْطَانٌ مُبِينٌ﴾ [النمل: ٢١].

- ﴿عَذَابًا شَدِيدًا﴾ بنترف ريشه، هكذا فسرهُ ابن عباس وجماعة من التابعين.

- ﴿سُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ بحجة قاطعة توضح عذره في غيبته. سميت الحجة سلطاناً لما لها من السلطة على العقل في إخضاعه.

(١) ابن باديس حياته وآثاره (٣٣/٢ - ٣٥)؛ وكفاح الشعب الجزائري، للصلابي، (٢/٢٩٩).



أفادت (أو) أن المحلوف على حصوله هو أحد الثلاثة، فإذا حصلت الحجة فلا تعذيب ولا ذبح، ولو لم تحصل لفعل أحدهما. وقد قدم التعذيب لأنه أشد من القتل، وحالة الغضب تقتضي تقديم الأشد.

المعنى:

يُقَسِّمُ نبي الله سليمان عَلَيْهِ السَّلَام على معاينة الهدهد -وقد تحقق غيبته- بالتعذيب أو بالذبح، إذا لم يأت به بالحجة التي تبين عذره في تلك الغيبة، ولا يستثني للعفو، ولا يجعل سبباً لسلامته من العقوبة إلا الحجة.

توجيه واستنباط:

ليس في الآية ما يفهم خصوص نتف الريش من لفظ العذاب الشديد، وإنما فهم ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأئمة من التابعين ذلك بالنظر العقلي والاعتبار؛ فإن نتف ريشه يعطل خاصية الطيران فيه، فيتحول من حياة الطير إلى حياة دواب الأرض، وذلك نوع من المسخ، وقد علم أن المسخ في القرآن أشنع عقوبة في الدنيا، فلهذا فسروا العذاب الشديد بنتف الريش.

والإنسان خاصيته التفكير في أفق العلم الواسع الرحيب، فمن حرم إنساناً -فرداً أو جماعة- من العلم فقد حرمه من خصوصية الإنسانية، وحوله إلى عيشة العجماوات، وذلك نوع من المسخ، فهو عذاب شديد، وأي عذاب شديد؟! كان هذا الهدهد من جنود سليمان التي حشرت له، وقد كان في مكانه الذي عين له وأقيم فيه، فلما فارق وترك الفرجة في صفه وأوقع الخلل في جنسه استحق العقاب الصارم الذي لا هوادة فيه.



وهذا أصل في صرامة أحكام الجنديّة وشدتها؛ لعظم المسؤولية التي تحملتها وتوقف سلامة الجميع على قيامها بها، وعظم الخطر الذي يعم الجميع إذا أخلَّت بها^(١).

تقدير العقوبة:

جرم الهدهد صغير، وما كُلف إلا بما يستطيعه من الوقوف في مكانه والبقاء في مركزه، ولكن جرمه بإخلاله بهذا الواجب كان جرماً كبيراً؛ فإن الخلل الصغير مجلبة للخلل الكبير، فقدّرت عقوبته على حسب كبر ذنبه لا على حسب صغر ذاته.

تنبيه وإرشاد:

كل واحد في قومه أو في جماعته هو المسؤول عنهم من ناحيته، مما يقوم به من عمل حسب كفاءته واستطاعته، فعليه أن يحفظ مركزه ولا يدع الخطر يدخل، ولا الخلل يقع من جهته؛ فإنه إذا قصر في ذلك وترك مكانه فتح ثغرة الفساد على قومه وجماعته، وأوجد السبيل لتسرّب الهلاك إليهم. وزوال حجر صغير من السد المقام لصد السيل يفضي إلى خراب السد بتمامه. فإخلال أيّ أحد بمركزه - ولو كان أصغر المراكز - مؤدّ إلى الضرر العام. وثبات كل واحد في مركزه وقيامه بحراسته هو مظهر النظام والتضامن وهما أساس القوة^(٢).

(١) ابن باديس حياته وآثاره (٣٧/٢).

(٢) كفاح الشعب الجزائري، علي الصلابي، (٣٠١/٢).



الحق فوق كل أحد:

لقد أغضب سليمان غياب الهدهد، فلذا توعدّه هذا الوعيد، وأكّده هذا التأكيد، ولكن سلطان سليمان في قوته وملكه ومكانته يجب أن يخضع لسلطان آخر هو أعظم من سلطانه: هو سلطان الحق، والحق فوق كل أحد، وملك سليمان ملك حق، فلا بد له من الخضوع لسلطان الحق، ليقيم ميزان العدل، والعدل أساس الملك، وسياج العمران^(١).

قال ابن العربي المالكي: هذا يدل - من سليمان - على تفقده أحوال الرعية، والمحافظة عليهم، فانظروا إلى الهدهد وإلى صغره فإنه لم يغب عنه حاله، فكيف بعظائم الملك؟ ويرحم الله عمر، فإنه كان على سيرته قال: "لو أن سخلة^(٢) بشاطئ الفرات أخذها الذئب لُيسأل عنها عمر"، فما ظنك بوالٍ تذهب على يديه البلدان، وتضيع الرعية، وتضيع الرعيان^(٣).

وقال أيضاً: كان الهدهد صغير الجرم، ووُعد بالعذاب الشديد لعظيم الجرم. قال علماؤنا: وهذا يدل على أن الحد على قدر الذنب، لا على قدر الجسد^(٤). إن قادة البناء الحضاري لا بد لهم من صفة اليقظة، والمتابعة، والقوانين الضابطة لحركة الجيوش، ومؤسسات الدول^(٥).

(١) ابن باديس حياته وآثاره، (٣٧/٢).

(٢) سخلة: ولد الغنم الضأن.

(٣) أحكام القرآن، (١٤٥٥/٣).

(٤) المصدر السابق نفسه.

(٥) مقومات بناء الحضارة في سورة النمل، سعيد أحمد، ص ٤٠.



كما أن الثاني في الأمر وإبقاء مجال للعذر من صفات القيادة الربانية: ﴿أَوْ لِيَأْتِيَنَّ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾؛ فالسلطان المبين: هو العذر البين الواضح المقبول، وهذا الاستدراك من سليمان عَلَيْهِ السَّلَام يدل على حزمه وضبطه وعدله وتثبتته؛ فقد أعطى المتهم فرصة لبيان حجته والدفاع عن نفسه؛ لأن المتهم بريء حتى تثبت إدانته، أما إذا قدم عذراً أو حجة فلا بد أن تقبل منه^(١).

٢- ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَا يُقِينُ﴾:

أ- ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾: لم يقل: فلبث؛ لأن المكث يعبر به ويستعمل للمدة القصيرة؛ على حين أن اللبث يكون للمدد الطويلة، والمكوث هو التوقف والانتظار، فهو يحمل معنى ملازمة المكان، والبقاء فيه مدة ما^(٢).

- ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾: مدة يسيرة، فلم يتأخر كثيراً؛ لأنه يعلم أنه تخلف عن مجلس سليمان، وذهب بدون إذنه؛ لذلك تعجل العودة^(٣).

والضمير في ﴿مُكِّثٍ﴾ يحتمل أن يكون لسليمان، ويحتمل أن يكون للهدهد، والأولى حملة على الهدهد، لأن الكلام السابق عنه، والكلام التالي له^(٤).

فالهدهد أقام زماناً غير بعيد، وغاب غيبة قصيرة ثم حضر، فهل كان الهدهد قريباً من هدفه؟ وسليمان وجيشه كانوا على مقربة من اليمن - كما تقول بعض

(١) أخلاق الأنبياء، ص ٢١٦؛ والقصص القرآني، للخالدي، (٣/ ٥٢٧).

(٢) الإعلامية في الخطاب القرآني، ص ١٩٢؛ والمعجم الوسيط (٣/ ٩١٦).

(٣) تفسير الشعراوي (١٧/ ١٠٧٦٨).

(٤) سليمان عَلَيْهِ السَّلَام في القرآن الكريم، ص ١٠٥.



الروايات-؟ أم أن قطع الهدهد هذه المسافة البعيدة، بين اليمن وفلسطين في مدة قصيرة يعتبر أحد المعجزات؟ والنصوص تسكت عن هذا. وقد رجح الدكتور صلاح الخالدي رَحِمَهُ اللهُ: أن يكون ذلك معجزة؛ فقال: كيف مكث الهدهد غير بعيد؟ مع أن المسافة بين اليمن وفلسطين بعيدة تزيد على الألفي كيلو متر، وبينهما بقاع عديدة؟ لقد كان قطع الهدهد للمسافة الطويلة في وقت قصير، معجزة ربانية؛ فالله طوى له الطريق الطويلة، وجعله يجتازها في فترة قصيرة ويعود في مدة يسيرة. ولا ننسى أن الله سخر الريح لسليمان عَلَيْهِ السَّلَام، غدوها شهر ورواحها شهر. وقد يكون لهذه الريح دور في حمل الهدهد إلى اليمن وعودته إلى فلسطين^(١).

ب- ﴿فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ﴾:

- ﴿فَقَالَ﴾ بالفاء الدالة على التعقيب؛ لأنه رأى سليمان غاضباً متحفظاً لمعاقبته؛ لذلك بادره قبل أن ينطق، وقبل أن ينهره: ﴿أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ﴾ [النمل: ٢٢].

الإحاطة: إدراك المعلوم من كل جوانبه، ومنه البحر المحيط لاتساعه. ويقول سبحانه: ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا﴾ [النساء: ١٢٦] ومنه: الحائط يجعلونه حول البستان ليحميه ويُحدِّده، ومنه: يحتاط للأمر^(٢).

لقد جاء الهدهد بسلطان العلم فقال: ﴿أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ﴾ وهي كلمة في غاية الجمال، إنني أنا الهدهد الضعيف الذي لا يكاد يكون شيئاً بجوار النبي الملك سليمان العظيم، قد أحطت -من العلم- بما لم يحط به نبي الله؛ وذلك

(١) مواقف الأنبياء في القرآن تحليل وتوجيه، ص ١٥١.

(٢) تفسير الشعراوي (١٧/ ١٠٧٧٠).



أن العلم لا نهاية له، وأن الإحاطة به مستحيلة والناس يتقاسمون بعضه، يحيط فريق منهم بما لم يحيط به الآخر، وهم جميعاً لا يحيطون إلا بالبعض الضئيل من العلم: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(١).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: وهذا الخطاب إنما جراه عليه العلم؛ وإلا فالهدم مع ضعفه لا يتمكن من خطابه لسليمان مع قوته بمثل هذا الخطاب؛ لولا سلطان العلم^(٢). إنه سلطان العلم الذي يشفع لحامله تقصيره تجاه مسؤوله، فالهدم تغيب دون إذن، ولكنه عاد مخاطباً سليمان عَلَيْهِ السَّلَام بعلم لم يسبقه إليه أحد، حتى نبي الله سليمان عَلَيْهِ السَّلَام، فقال له: ﴿بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ﴾^(٣).

وقال ابن العربي رَحِمَهُ اللَّهُ: وهذا دليل على أن الصغير يقول للكبير، والمتعلم للعالم: عندي ما ليس عندك، إذا تحقق ذلك وتيقنه^(٤). وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: وفي هذا رد على من قال: إن الأنبياء تعلم الغيب^(٥).

وقال الزمخشري رَحِمَهُ اللَّهُ: ألهم الله الهدم فكافح سليمان بهذا الكلام على ما أوتي من فضل النبوة والحكمة والعلوم الجمة والإحاطة بالمعلومات الكثيرة، ابتلاء له في علمه، وتنبيهها على أن في أدنى خلقه وأضعفه من أحاط علماً بما لم يحيط به، لتتحاقر إليه نفسه ويتصاغر إليه علمه، ويكون لطفاً له في ترك الإعجاب الذي هو فتنة العلماء وأعظم بها فتنة^(٦).

(١) قصص الأنبياء في رحاب الكون، د. عبد الحليم محمود، ص ٢٦٥.

(٢) مفتاح دار السعادة، ابن القيم، (١/١٧٣).

(٣) سلطان العلم في سورة النمل، ص ١٨.

(٤) أحكام القرآن (٣/١٤٥٦).

(٥) جامع أحكام القرآن (١٢/١٨١).

(٦) الكشف (٣/١٤٣).



ج- ﴿وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾: ونقف عند جمال التعبير في سبأ ونبا، فبينهما جناس ناقص، وهو من المحسنات البديعية في لغتنا، ويعطي للعبارة نغمة جميلة تتوافق مع المعنى المراد، والجناس أن تتفق الكلمتان في الحروف، وتختلفا في المعنى، كما في قول الشاعر:

رَحَلْتُ عَنِ الدِّيَارِ لَكُمْ أَسِيرُ وَقَلْبِي فِي مُحِبَّتِكُمْ أَسِيرُ
وقول الآخر:

لَمْ يَقْضِ مِنْ حَقِّكُمْ عَلَيَّ بَعْضَ الَّذِي يَجِبُ
قَلْبٌ مَتَى مَا جَرَتْ ذِكْرَاكُمُ يَجِبُ
وإن من الجناس التام في القرآن الكريم: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ [الروم: ٥٥].

فالتعبير القرآني ﴿وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ﴾ [النمل: ٢٢] تعبير جميل لفظاً، دقيق معنى، ألا تراه لو قال (وجئتك من سبأ بخبر) لاختل اللفظ والمعنى معاً؛ لأن الخبر يُراد به مُطلق الخبر، أما النبأ فلا تُقال إلا للخبر العجيب الهام اللافت للنظر، كما في قوله تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ ١ عَنِ النَّبَاِ الْعَظِيمِ [النبا: ١، ٢].

والجناس لا يكون جميلاً مؤثراً إلا إذا جاء طبيعياً غير مُتكلف، ومثال ذلك هذا الجناس الناقص في قوله تعالى: ﴿وَيَلِّ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٌ﴾ [الهمزة: ١] فقد ورد اللفظ المناسب مُعبراً عن المعنى المراد دون تكلف، فالهُمَزَةُ هو الذي يعيب بالقول. واللمزة: الذي يعيب بالفعل، فالقرآن لا يتصيد لفظاً ليُحدث جناساً، إنما يأتي الجناس فيه طبيعياً يقتضيه المعنى^(١).

(١) تفسير الشعراوي (٣/١٤٣).



ومن ذلك في الحديث الشريف: «الخیل معقود في نواصيها الخير»^(١). فبین الخير والخير جناس ناقص، جاء محسناً للفظ، مؤدياً للمعنى^(٢).
ونلاحظ أن الهدهد لم يعرف سباً ما هي، وهذا دليل على أن سليمان عَلَيْهِ السَّلَام يعرف ما فيها من ملك، إنما لا يعرف أنه بهذه الفخامة وهذه العظمة^(٣).

- و﴿سَبَّأً﴾ هم: حمير وهم ملوك من اليمن^(٤). وهي أرض باليمن، مدينتها مأرب بينها وبين صنعاء مسيرة ثلاثة أيام، وسميت هذه الأرض بهذا الاسم؛ لأنها كانت منازل ولد سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان^(٥). عن فروة بن مسيك المرادي، قال: أتيت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقلت: يا رسول الله ألا أقاتل من أدبر من قومي بمن أقبل منهم؟ فأذن لي في قتالهم وأمرني، فلما خرجت من عنده سأل عني، «ما فعل الغطيفي؟» فأخبرني قد سرت، قال: فأرسل في أثري فردني فأتيته وهو في نفر من أصحابه، فقال: «ادع القوم فمن أسلم منهم فاقبل منه، ومن لم يسلم فلا تعجل حتى أحدث إليك» قال: وأنزل في سبأ ما أنزل، فقال رجل: يا رسول الله، وما سبأ، أرض أو امرأة؟ قال: «ليس بأرض ولا امرأة، ولكنه رجل ولد عشرة من العرب فتيا من^(٦) منهم ستة، وتشاء^(٧) منهم أربعة. فأما الذين تشاءموا فلخم، وجدام، وغسان»، وعاملة، وأما الذين تيامنوا: فالأزد،

(١) رواه البخاري، رقم ٢٨٤٩.

(٢) تفسير الشعراوي (١٧/ ١٠٧٧٠).

(٣) تفسير الشعراوي (١٧/ ١٠٧٧١).

(٤) سليمان عَلَيْهِ السَّلَام في القرآن الكريم، ص ١٥٢.

(٥) المصدر السابق نفسه.

(٦) تيامن: أي أخذوا ناحية اليمن وسكنوا بها.

(٧) تشاءم: قصدوا ناحية الشام.



والأشعريون، وحمير، ومذحج، وأنمار، وكندة. فقال رجل: يا رسول الله، وما أنمار؟ قال: «الذين منهم خثعم، وبجيلة»^(١).

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: «كان رجلاً من العرب» يعني: العرب العاربة الذين كانوا قبل الخليل، عَلَيْهِ السَّلَام، من سلالة سام بن نوح. وعلى القول الثالث: كان من سلالة الخليل، عَلَيْهِ السَّلَام، وليس هذا بالمشهور عندهم، والله أعلم. ولكن في صحيح البخاري: أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مر بنفر من «أسلم» ينتضلون^(٢)، فقال: «ارموا بني إسماعيل، فإن أباكم كان رامياً». فأسلم قبيلة من الأنصار، والأنصار أوسها وخزرجها من غسان من عرب اليمن من سبأ، نزلوا يثرب لما تفرقت سبأ في البلاد، حين بعث الله عليهم سيل العرم، ونزلت طائفة منهم بالشام، وإنما قيل لهم: غسان بماء نزلوا عليه قيل: باليمن. وقيل: إنه قريب من المشلل، كما قال حسان بن ثابت:

إِمَّا سَأَلْتَ فَإِنَّا مَعْشَرٌ نَجِبٌ الْأَزْدُ نَسَبُتْنَا، وَالْمَاءُ غَسَّانُ

ومعنى قوله: «ولد له عشرة من العرب» أي: كان من نسله هؤلاء العشرة الذين يرجع إليهم أصول القبائل من عرب اليمن، لا أنهم ولدوا من صلبه، بل منهم من بينه وبينه الأبوان والثلاثة والأقل والأكثر، كما هو مقرر مبين في مواضعه من كتب النسب.

ومعنى قوله: «فتيامن منهم ستة، وتشاءم منهم أربعة» أي: بعد ما أرسل الله عليهم سيل العرم، منهم من أقام ببلادهم، ومنهم من نزع عنها إلى غيرها^(٣).

(١) سنن الترمذي، رقم ٣٢٢٢، حديث حسن غريب.

(٢) ينتضلون: يرتمون بالسهام.

(٣) تفسير ابن كثير (٦/٤٩٤).



٣- ﴿إِنِّي وَجَدْتُ أَمْرَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾:

وبعدما أخبر الهدهد سليمان عَلَيْهِ السَّلَام سبب غيابه، قدم له تقريراً عن (سبأ) أرضاً وشعباً وملكة وعرشاً وديانة، وقد أخبرنا الله عند هذا التقرير في الآيات السابقة، وتقرير الهدهد منظم منسق متكامل، عرض فيه خلاصة واقع سبأ، ثم عقب عليه تعقيباً، يرفض ما هم عليه من ضلال^(١).

- ﴿إِنِّي وَجَدْتُ أَمْرَةً تَمْلِكُهُمْ﴾: كان نظام دولة سبأ ملكياً، وفي ذلك الوقت كانت ملكتهم امرأة، وشاهد الهدهد تلك الملكة المرأة.

- وكلمة: ﴿أَمْرَةً﴾ في الآية نكرة وهذا التنكير للإيهام حيث لم يذكر القرآن اسم هذه الملكة، كما لم يرد اسمهما في حديث وقد ذهب المؤرخون والإخباريون إلى تحديد اسم الملكة^(٢). وقالوا إنها بلقيس؛ وكانت ملكة سبأ حكيمة عاقلة، حسيمة هادئة كما سنرى من أحداث القصة^(٣).

- ﴿وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾: ما يؤتاه الملوك من الأموال والسلاح والجنود والحصون وقلاع ونحو ذلك^(٤). وقد كانت مملكة سبأ قوية غنية مزدهرة في ذلك الوقت تتمتع بكثير من مظاهر الخير والرفاه، فها هي ملكتهم أوتيت من كل شيء من أنواع المتاع الدنيوي^(٥).

(١) القصص القرآني (٣/ ٥٣١).

(٢) المصدر السابق نفسه.

(٣) القصص القرآني (٣/ ٥٣١).

(٤) تفسير السعدي، ص ٨٠٣.

(٥) القصص القرآني (٣/ ٥٣١).



- ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾: أي: كرسي ملكها الذي تجلس عليه عرش هائل، وعظم العروش تدل على عظمة المملكة، وقوة السلطان، وكثرة رجال الشورى^(١).
وبعدما لخص الهدهد واقع المملكة بحكمة -مملكة تحكمها امرأة والمملكة قوية غنية، وملكوته لها عرش عظيم- انتقل للحديث عن دين سكانها^(٢).

- قال: ﴿وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: الضمير يعود على الملكة، أي: وجدت ملكة سبأ وقومها يسجدون للشمس من دون الله، فالقوم كانوا كفاراً مشركين بالله، يتخذون الشمس إلهاً، يؤلهونها ويعبدونها ويسجدون لها، ولا يؤلهون الله ولا يسجدون له. والتفات طائر الهدهد إلى معرفة دين القوم، دليل آخر على حكمته ولباقته، وعلى اهتمامه بالدين الحق وبغضه للباطل^(٣).

فالهدهد -إذن- مؤمن عارف بقضية العقيدة والإيمان بالله، يغار عليها، ويستنكر مخالفتها، فهو يعرف أن الله هو المعبود بحق، بل يعلم أيضاً قضية الشيطان، وأنه سبب الانصراف عن عبادة الله^(٤).

﴿وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾: فالقضية عنده كاملة بكل تفاصيلها. ولا تتعجب من مقالة الهدهد، وقرأ: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَنْبِئُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٤].

(١) تفسير السعدي، ص ٨٠٣.

(٢) القصص القرآني (٣/ ٥٣٢).

(٣) المصدر السابق نفسه.

(٤) تفسير الشعراوي (١٧/ ١٠٧٧٣).

إنها موعظة بليغة من واعظ متمكن يفهم عن الله، ويعلم منهجه، ويدعو إليه، بل يعز عليه، ويعز في نفسه أن ينصرف العباد عن الله المنعم^(١). ولم يكن الهدهد مجرد جامع معلومات دقيقة، ومقدم تقارير صحيحة - رغم أهمية ذلك - إلا أنه كان صاحب فكر ورأي، وموقف وقرار، ودعوة وقضية، مع أنه هدهد طائر؛ ولذلك شفع تقريره بتعليقه وتعقبه على الحادثة وسجل تفاعله وتأثره بما رأى وغيرته على الحق الذي تركوه، وإنكاره للباطل الذي اتبعوه^(٢)، فقال:

- ﴿وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾: إنه من الحقائق النفسية الثابتة أن أول الشر استحسانه، فالشيطان يزِين أعمالَ السوء للفاعل ويحسنها له، ويظن أنها الخير وحدها، وأن ما عداها باطل، وفرق بين المهتدي وغير المهتدي، أن من هداه الله يميز الخبيث من الطيب، فلا يتردى في باطل، وإن تردى فيه سرعان ما يعود إلى الحق، ولا يقبل وسوسة الشيطان بالشر، وليس قلبه موضع لتزيينه.

- ثم قال: ﴿فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ﴾: أي أنهم بسبب تزيين الشيطان لهم قد مكنوه من أنفسهم، فصدهم عن السبيل، أي لعلهم يعرضون عن الطريق المستقيم في ابتدائه، ومن ضل في أول الطريق سار في ضلال إلى آخره، ولذا قال مرتبا على ذلك: فهم لا يهتدون، أي فهم يسرون في ضلال غير مهتدين إلى الحق إلى النهاية، حتى يكون الحساب والعقاب:

﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ (٥٠) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ [النمل: ٢٥، ٢٦].

(١) تفسير الشعراوي (١٧/١٠٧٧٣).

(٢) القصص القرآني (٣/٥٣٢).

(٣) زهرة التفاسير (١٠/٥٤٤٨).



- ﴿أَلَا﴾: مكوّنة من أن، لا، وعند إدغامهما تُقَلِّبُ النون لآماً فتصير: ألا، فالمعنى: وزين لهم الشيطان أعمالهم، لماذا؟ لألاً يسجدوا، فهنا حرف جر محذوف كما تقول: عجبْتُ من أن يَقدِّم علينا فلان، أو عجبت أن يقدم علينا فلان. وفي قراءة أخرى: (أَلَا) للحثِّ والحضِّ^(١). فالله وحده المعبود وينبغي أن يكون له وحده السجود لأنه الخالق الرازق العالم العظيم، وغيره ليس كذلك، فكيف يكون إلها معبوداً؟

- الله هو ﴿الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: والخبء هو: المخبوء في السموات والأرض.

قال ابن عباس وعكرمة ومجاهد وقتادة وسعيد بن جبير: ﴿الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: يعلم كل خبيئة في السموات والأرض.

وقال عبد الرحمن بن زيد: خبء السموات والأرض: ما جعل فيها من أرزاق؛ المطر من السماء، والنبات في الأرض^(٢).

ومن التناسق في التعبير القرآني أنه في معرض الاستدلال على وحدانية الله في هذه الآية، ذكر من كلام الهدهد ما يتفق مع اهتمامه وفهمه وحياته؛ فالهدهد عرف الله من خلال معرفته علم الله بالخبء في السموات والأرض، وإخراج الله للمخبوء في السموات والأرض، وهذا يتفق مع عمل الهدهد وسعيه في الرزق، فالهدهد يقوم بالبحث عن المخبوء في الأرض من الحبوب وغيرها، ويفتش بمنقاره عن ذلك المخبوء المدفون ثم يخرج ويأكله.

(١) تفسير الشعراوي (١٧/١٠٧٧٣).

(٢) القصص القرآني (٣/٥٣٣)؛ تفسير ابن كثير (٣/٣٤٩).

وبعدما أبرز التعبير القرآني اهتمام الهدهد بمخبوء الأرض، انتقل للحديث عن دليل الوحداية في حياة البشر: ﴿وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾؛ فالله وحده يعلم ما يخفيه الناس، وما يعلنونه، والمعبودون من دونه لا يعلمون ذلك، فكيف يكونون آلهة؟

واجتماع الدليلين: إخراج الله الخبء وعلمه بما يخفيه الناس ويعلنونه، يدل على أنه وحده الإله المعبود: الله لا إله إلا هو.

ولما ذكر الهدهد عرش ملكة سبأ العظيم، ناسب أن يذكر عرش الله العظيم: ﴿رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾. فأين عرش ملكة سبأ الذي تحويه غرفة صغيرة من عرش الله الذي لا يعلم صفاته ومقاماته إلا الله؟ وأين عظمة عرشها وهو صغير من عظمة عرش الله؟ ملكة سبأ ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ هو منحة من الله لها، وهو صغير محدود محصور، وستسلب من هذا العرش عندما يزول ملكها عنه، وسوف يبید هذا العرش وينتهي ويتلاشى^(١).

أما عرش الله العظيم فهو عظيم فعلاً بملكه الله مالك الملك، وهو قائم مستمر في الدنيا والآخرة^(٢).

- ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾؛ أي: لا ينبغي العبادة والإنابة والذل والحب إلا له؛ لأنه المألوه، لما له من الصفات الكاملة، والنعم الموجبة لذلك^(٣).

- ﴿رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾: عرش الرحمن هو أعظم المخلوقات حجماً وكيفيةً وأعلاها مكاناً، فهو سقف الكون، وعليه ذو الجلال والإكرام، ولا يدانيه

(١) القصص القرآني (٣/ ٥٣٤).

(٢) المصدر السابق نفسه.

(٣) تفسير السعدي، ص ٨٠٣.



في عظمته شيء من خلق الله، وقد أضافه إلى نفسه إضافةً تشريفٍ وتعظيمٍ؛ فيقال: ”عرش الرحمن“، ونسبه إلى نفسه كما نسب عظام مخلوقاته، فقال سبحانه: ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ﴾ [غافر: ١٥]، وقال سبحانه: ﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ [التكوير: ٢٠]، وقال تعالى: ﴿سُبْحَنَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الزخرف: ٨٢]، وقال تعالى: ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ﴾ [البروج: ١٥]، وصفه بالكريم في قوله تعالى: ﴿فَتَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون: ١١٦]، كما وصفه بالعظيم في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [النمل: ٢٦].

والعرش: قال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، وقال تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الحديد: ٤] في غير ما آية من القرآن، وقال تعالى: ﴿وَالْمَلِكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَّةٌ﴾ [الحاقة: ١٧]، وقال تعالى: ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الزمر: ٧٥].

والعرش، كما قال القرطبي: لفظ مشترك يطلق على أكثر من واحد؛ قال الجوهري وغيره: العرش سرير الملك، وفي التنزيل: ﴿قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا﴾ [النمل: ٤١]، وقال تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [يوسف: ١٠٠]. والعرش سقف البيت. وعرش القدم: ما نتأ في ظهرها وفيه الأصابع، والجمع عروش. والعرش: الملك والسلطان، يقال: ثلَّ عرش فلان: إذا ذهب ملكه وسلطانه وعُزَّه^(١).

(١) قصة الخلق، الخرغان، مرجع سابق، ص ٦٠.



ولا مجال للخوض في كيفية العرش وحجمه وخلقه إلا عن طريق الوحي المعصوم، مما ثبت عن الله عَزَّوَجَلَّ في كتابه، وثبت عن رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سُنَّتِهِ، إذ هو من الأمور الغيبية التي لا مجال للحس والعقل بالخوض فيها، ولذا فالمعول عليه النص الثابت^(١).

وقد أخرج الدارمي وأبو الشيخ واللالكائي بسند صحيح على شرط مسلم^(٢). وكذلك ثبت عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ذلك قوله: «إِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَسَلُّوهُ الْفَرْدُوسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ»^(٣).

ففي هذا الحديث إثبات علو العرش على جميع المخلوقات، وأن الله عز وعلا وجل فوقه مستوٍ عليه، على الوجه الذي يليق به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، بعيداً عن خوض الخائضين، وإفك الأفاكين، وتخَرَّصات الظانين. كما صح عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن للعرش قوائم، فقد جاء عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «... فَإِنَّ النَّاسَ يَصْعَقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا أُنَا بِمُوسَى أَخَذَ بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ الْعَرْشِ»^(٤).

وعن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «يَا أَبَا ذَرٍّ، مَا السَّمَاوَاتُ عِنْدَ الْكَرْسِيِّ إِلَّا كَحُلْقَةٍ مَلْقَاةٍ بِأَرْضِ فَلَائَةٍ، وَفَضْلُ الْعَرْشِ عَلَى الْكَرْسِيِّ كَفَضْلِ الْفَلَائَةِ

(١) المرجع السابق، ص ٦٠.

(٢) المرجع السابق، ص ٦١.

(٣) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب: ﴿وَكَاثَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾، ﴿وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾، رقم (٧٤٢٣). ابن حجر، فتح الباري، ١٣/٤١٥.

(٤) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب: ﴿وَكَاثَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾، ﴿وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾، رقم (٧٤٢٧). ابن حجر، فتح الباري، ١٣/٤١٦.



على الحلقة». وفي رواية: «كحلقة من حديد». وقال الضحاك عن ابن عباس: لو أن السماوات السبع والأرضين السبع بُسطن، ثم وصلن بعضهن إلى بعض، ما كنَّ في سعة الكرسي إلا بمنزلة الحلقة في المفازة. فيا سبحان الله ماذا تساوي حلقة من حديد لا تتجاوز ثلاث بوصات بالنسبة لفلاة مثل الربع الخالي، أو مثل الصحراء الكبرى؟!^(١).

٤- ﴿قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ ﴿٧﴾ أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقَاهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾:

سمع سليمان من الهدهد أخباراً عجيبة عن بلاد جديدة لم يكن له علم بها وعن نظام الحكم فيها، وعن دين أهلها، وتعامل سليمان عَلَيْهِ السَّلَام مع أخبار الهدهد بحكمته المعروفة فلم يسارع إلى تصديقه وقبول أخباره ولا إلى تكذيبه ورفض أخباره، قال: ﴿سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾؛ أي: سنختبر كلامك لنرى أصدق هو أم كذب، ويدل هذا الموقف من سليمان عَلَيْهِ السَّلَام على الموضوعية والمنهجية التي يجب أن ينظر بها الإنسان إلى الأخبار الجديدة التي يسمعها، فالمسارعة بقبولها سذاجة، والمسارعة بتكذيبها جهل وعناد، فلا بد للإنسان أن يتمهل وأن يتثبت ويتبين من تلك الأخبار، وأن يفحصها، ويتأكد منها، وبعد ذلك يأخذها إن ظهر له صدقها، أو يرفضها إن ظهر له كذبها، ولا يلام على موقفه. تثبت سليمان من كلام الهدهد فظهر له صدقه^(٢). وهذا درس بليغ

(١) قصة بدء الخلق وخلق آدم، الصلابي، ص ١٣٩.

(٢) القصص القرآني (٣/ ٥٣٥).



للذين يتولّون أمر الناس، كمعلّم مدرسة أو مدير مستشفى، أو مدير معمل أو أب في بيت فلا تتعجل، ولا تحكم قبل أن تحقق ولا تصدر حكماً قبل أن تستقصي المعلومات والحقائق ولا تصدر أحكامك بسرعة، بل عليك أن تتروى وتتبصر وترى رأيك ثم تصدر حكمك أو أمرك فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، والمظلوم ليس بينه وبين الله حجاب^(١).

إن الثبوت من الأخبار هي شرعة الله تعالى لسليمان عَلَيْهِ السَّلَام، وهي شرعة الله للناس جميعاً في جميع العصور؛ لأن الإنسان ينقل الخبر ويحتمل أن يكون صدقاً، أو كذباً، ولا يصح شرعاً وعقلاً أن يبنى الإنسان قراراً على مجرد خبر قبل التأكد من صحته والثبوت من مضمونه قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهْلَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦]. وهذا المنهج الشرعي والعقلي في الثبوت من الأخبار والروايات والوقائع هو ما تطبقه جميع الأنظمة والدول اليوم إن أرادت تطبيق العدالة. حتى قرروا أن المتهم بريء حتى تثبت إدانته، وأوجدوا بجانب القضاء إدارات التحقيق وقضاة التحقيق، وإجراءات المحاكمات أمام القاضي، ليتأكد من صحة الأفعال والأقوال والدعاوى، ليحكم بما يتوصل إليه من الحق والصواب، وفي المثل: وهل آفة الأخبار إلا رواياتها؟^(٢)

وبعد أن تأكد سليمان من معلومات الهدهد كتب كتاباً إلى قوم سبأ ضمّنه دعوتهم للدخول في الإسلام، وطلب من الهدهد أن يحمله إليهم، قال تعالى: ﴿أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْفَهٗ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّىٰ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾.

(١) تفسير النابلسي (٨/ ٤٩١).

(٢) شرعة الله للأنبياء، الزحيلي، ص ٥٠٥.



وتكليف سليمان عَلَيْهِ السَّلَام للهدهد واضح والخطوات المطلوبة منه، فقد أمره بأربعة أوامر.

الأول: ﴿أَذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا﴾ أمره بحمل كتابه الموجّه إلى سبأ، والتوجه إلى فلسطين إلى اليمن. وحمل الهدهد الكتاب وسار إلى اليمن وقطع المسافة الطويلة بوقت قصير، وكان هذا بأمر من الله، وآية من آياته، ومعجزة من معجزاته^(١).
 الثاني: ﴿فَالْقَهْ إِلَيْهِمْ﴾: ولم يقل: (إليها)؛ لأن الهدهد قال له: ﴿وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾، فأمره أن يلقيه إلى الذين هذا دينهم، اهتماماً منه بأمر الدين، واشتغالاً عن غيره، وبنى الخطاب في الكتاب على لفظ الجمع لذلك^(٢).

الثالث: ﴿ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ﴾: أمره بعد أن يلقي الكتاب أن يتعد عنهم قليلاً، بحيث يرى أثر الكتاب على الملكة ومستشاريها. و﴿تَوَلَّ﴾ فعل أمر مبني على حذف حرف العلة، ماضيه: (تولّى).

الرابع: ﴿فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾: أمره أن يحسن مراقبته الأمر وتسلسل الأحداث، وأن يعرف أثر الكتاب فيهم، وأن يقف على جوابهم وردّهم عليه. وهذه الأوامر الأربعة للهدهد توحى بالمهمة الدعوية الموكلة إليه.

إن الهدهد مأمور بالتصرف في هذه المهمة بمنتهى الموضوعية، وكأنه إنسان عاقل واع حكيم^(٣).

(١) القصص القرآني (٣/٥٣٦).

(٢) شريعة الله للأنبياء، ص ٥٠٥.

(٣) القصص القرآني (٣/٥٣٧).



حمل الهدهد كتاب سليمان، ووصل قصر ملكة سبأ، وألقى الكتاب إليها، وصار يراقب التطورات، رأت الملكة الكتاب، وفتحته وقرأته، إنه موجه من سليمان عَلَيْهِ السَّلَام إليها، وإلى قومها، يدعوهم فيه إلى التخلي عن الكفر، والدخول في الإسلام^(١).

وكان كتاب سليمان عَلَيْهِ السَّلَام وجيزاً؛ لأن ذلك أنسب بمخاطبة من لا يحسن لغة المخاطب، فيقتصر له على المقصود لإمكان ترجمته وحصول فهمه^(٢). قال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ: في هذه الآية دليل على إرسال الكتب إلى المشركين وتبليغهم الدعوة، ودعائهم إلى الإسلام وقد كتب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى كسرى وقيصر وإلى كل جبار^(٣).

وقد استخدم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الكتابة في أمور عدة: منها الكتابة إلى أحد عشر ملكاً وأميراً وحاكماً يدعوهم فيها إلى الإسلام، واستمر الأمر في دولة الإسلام بالمدينة وزمن الخلفاء الراشدين، ومن ثم في أيام الخلافة الإسلامية، وتعرف بالوثائق والكتابة. وإن المراسلات بين الملوك والرؤساء والدول قائمة اليوم على قدم وساق، ويتعامل بها الجميع امتداداً لشرع الله تعالى ودينه، خاصة بعد انتشار الكتابة والتوسع بها، وتطور وسائلها في الأجهزة المعاصرة في الفاكس والحاسوب والجوال، ووسائل الاتصال الاجتماعي وغيرها^(٤).

(١) المصدر السابق نفسه.

(٢) تفسير القرطبي (١٦/١٤٨).

(٣) شرعة الله للأنبياء، ص ٥٠٦.

(٤) شرعة الله للأنبياء، ص ٥٧.



رابعاً: قوله تعالى: ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلَمُوا عَلَيَّ وَأُتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ [النمل: ٢٩-٣٥].

تفسير الآيات الكريمة:

١- ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلَمُوا عَلَيَّ وَأُتُونِي مُسْلِمِينَ﴾:

امثل الهدهد (الجندي) لأمر سليمان (القائد)، فحمل الكتاب، وطار في مهمة خطيرة تقطع الجبال والصحاري والوديان، حتى وصل أرض سبأ ومنها إلى قصة الملكة، ونفذ الأوامر بدقة، فألقى الكتاب ثم تنحى ليراقب التطورات وما ستؤول إليه الأحداث.

ولا نخوض في الإسرائيليات التي فصلت كيفية الإلقاء، ونبقى مع آيات القرآن الكريم فقط.

رأت الملكة بلقيس الكتاب، فأخذته، وفتحته لتعلم ما فيه، فإذا به كتاب موجه من سليمان عَلَيْهِ السَّلَام، يدعوها وقومها إلى نبذ عبادة الشمس، والدخول في عبادة الله وتوحيده^(١). وكانت ملكة سبأ امرأة عاقلة حصيفة، فعلمت أن الأمر خطير

(١) سليمان عَلَيْهِ السَّلَام في القرآن الكريم، ص ١٥٢.



جداً، فلم تشأ أن تنفرد في اتخاذ القرار، بل دعت إلى عقد اجتماع طارئ لمجلس شورى المملكة، فحضرُوا وانعقد المجلس، وهم لا يعرفون سبب هذا الاجتماع.

أ- ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾:

- والملا: هم عليّة القوم وأشرافهم والمستشارون منهم سُمّوا بذلك؛ لأن رؤيتهم تملأ العيون. قال الراغب: الملا: جماعة يجتمعون على رأي فيملؤون العيون رواء ومنظراً، والنفوس بهاء وجلالاً، يقال: فلان ملاً العيون؛ أي: معظّم عند من رآه كأنه ملاً عينه من رؤيته^(١).

- ﴿أُلْقِيَ﴾ جاء بصيغة المجهول وهذا يدل على أنها لا تعلم من ألقى الكتاب ولا كيف ألقاه، ولو كانت تعرف أن الهدهد هو الذي جاء به كما تقول التفاسير لأعلنت هذه العجبية التي لا تقع كل يوم^(٢).

- ﴿كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾: لا بد أن الملكة سمعت عن سليمان عَلَيْهِ السَّلَام، وعظمة ملكه، وعلوّ شأنه فوصفت كتابه بالكرم، وقد يكون الكتاب، خط على ورق فاخر وبخط جميل^(٣).

قال صاحب التحرير: ووصف الكتاب بالكريم ينصرف إلى نفاسته في جنسه بأن كان نفيس الصحيفة، نفيس التخطيط، بهيج الشكل، مستوفياً كل ما جرى على أمثالهم بالتأنق فيه، ومن ذلك أن يكون مختوماً^(٤).

(١) معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص ٥٢٦.

(٢) في ظلال القرآن (٥/ ٢٦٣٩).

(٣) سليمان عَلَيْهِ السَّلَام في القرآن الكريم، ص ١٦٣.

(٤) التحرير والتنوير (٨/ ٥٤١).



ووصفت ملكة سبأ الكتاب بأنه كريم وهذا من لباقتها وكياستها^(١). كما أنه يدل على التزام جانب الأدب الإسلامية: لين القول، والموعظة في الدعاء إلى عبادة الله عَزَّوَجَلَّ، وحسن الاستلطاف والاستعطاف من غير أن يتضمن سباً ولا لعناً ولا ما يغيّر النفس، ولا من كلام نازل ولا مستغلق، وذلك على عادة الرسل في الدعاء إلى الله عَزَّوَجَلَّ^(٢).

إن الدبلوماسية في العلاقات الخارجية في دولة سليمان عَلَيْهِ السَّلَام، اهتمت بالشكل والمضمون في خطابه إلى ملكة سبأ؛ فالشكليات وإن هانت في أعين بعض الناس، إلا أنها قد تحمل من الدلالات عند الملوك والعظماء ما لا يحمله موضوعها، وفي حديث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه لما أراد أن يكتب إلى الروم قالوا: إنهم لا يقرؤون كتاباً إلا مختوماً، فاتخذ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خاتماً من فضة كأني أنظر إلى وبيصه^(٣)، ونقشه محمد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ب- ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾: وهذا الكتاب مختصر اختصاراً مفيداً، وهو أشبه ما يكون ببرقية موجزة، على قوم سبأ في كلمات وافية جامعة فصيحة وواضحة^(٤).

وقد بدأ سليمان كتابه بالبسملة، وهذا يدل على أن البسملة كانت معروفة في عهد سليمان النبي الرسول عَلَيْهِ السَّلَام، وهي معروفة عندهم بلغتهم، وكتبها سليمان عَلَيْهِ السَّلَام، ربّما بلغتهم، أو بلغته ثم ترجمت.

(١) القصص القرآني (٣/ ٥٤١).

(٢) تفسير القرطبي (١٣/ ١٩٢).

(٣) الوبيص: البريق.

(٤) المضامين التربوية المستنبطة من قصة سليمان، فؤاد سالم، ص ٦٥.



ويحتمل أن تكون عارفة بالعبرانية، ويحتمل أن يكون الكتاب مكتوباً بالعربية القحطانية، فإن عظمة ملك سليمان لا تخلو من كتاب عارفين بلغات الأمم المجاورة لمملكته، وكونه بلغته أظهر وأنسب بشعار الملوك، وقد كتب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ باللغة العربية. وأما الكلام المذكور في هذه الآية فهو ترجمة الكتاب في اللغة العربية الفصحى يتضمن دقائقه وخصوصيات اللغة التي أنشئ بها^(١).

إن من القيم التي تضمنتها البسملة في قصة نبي الله سليمان عَلَيْهِ السَّلَام قيمة الإيمان بوجود الله عَزَّجَلَّ، وإثبات بعض صفاته، وبيان قيمة تعظيم الله بمقتضى صفاته وأسمائه الحسنى، بأنه عَزَّجَلَّ رحمن رحيم، وتحرير الإنسان من العبودية لغير الله أو الخضوع لسواه، كما تظهر محبة الله تعالى وتعظيمه بمقتضى أسمائه الحسنى وصفاته العلى، وتخليص النفس من سيطرة الغير والخوف منه، فلا نافع إلا الله، ولا ضرر إلا بإرادة الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى^(٢).

ومما يلاحظ في خطاب نبي الله سليمان لملكة سبأ أنه عَلَيْهِ السَّلَام قدم اسمه على اسم الله عَزَّجَلَّ: ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.

ويدل ذلك على قيمة الذكاء وأن سليمان عَلَيْهِ السَّلَام كان ذكياً، صاحب حكمة فعرف أنها لا تعرف الله تعالى، وتعرف سليمان، فخاف أن تستخف باسم الله تعالى إذا ما وقع نظرها عليه، فجعل اسمه وقاية لاسم الله، تعظيماً لله عَزَّجَلَّ^(٣).

- وفيها أيضاً إشارة إلى أن أفضل أنواع البسملة وأفضله ما ذكره الله تعالى في كتابه: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.

(١) التحرير والتنوي (٤٦٦/٨).

(٢) القيم التربوية في قصة نبي الله سليمان، سمر محمد، ص ٣٨.

(٣) المصدر السابق نفسه.



في كل أمر له أهمية، وكل مؤلف له أهمية وله قيمة، وكل رسالة. وعلى هذا فالذين لا يبدؤون مؤلفاتهم ورسائلهم بـ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ هؤلاء تركوا السنة النبوية والاقتداء بكتاب الله عَزَّوَجَلَّ، وربما سبب ذلك أن كتبهم هذه ورسائلهم ليس فيها بركة، وليس فيها فائدة، لأنها خلت من: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ فإنها منزوعة الفائدة^(١).

إن سليمان كتب كتاباً موجزاً جامعاً قاطعاً حازماً جاء في مقدمته: (بسم الله الرحمن الرحيم)؛ لتبقى رسالة خالدة على مر العصور، ليبين لهم من الوهلة الأولى أن إله سليمان هو الواحد الأحد الرحمن الرحيم^(٢).

جـ- ﴿أَلَا تَعْلَوْنَ عَلَيَّ وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ﴾:

و﴿أَلَا﴾ أصلها (أَنْ لَا) وَأَنْ فِي (أَنْ لَا تَعْلَوْنَ عَلَيَّ) هي (أَنْ) التفسيرية، وما بعدها تفسير للمطلوب، وبيان لهدف سليمان من كتابه.

- (لَا) حرف نهى وجزم.

- ﴿تَعْلَوْنَ﴾؛ مضارع مجزوم بحرف النهي، وعلامة جزمه حذف النون، لأنه من الأفعال الخمسة. و﴿تَعْلَوْنَ﴾؛ بمعنى: تتكبروا. تقول: علا، يعلو، بمعنى: ارتفع، وهو وارد في القرآن بمعنى التكبر، وهو (علو) نفسي في نفس المتكبر^(٣).

(١) شرح الأصول الثلاثة، صالح الفوزان، ص ١١.

(٢) القيم التربوية في قصة نبي الله سليمان، ص ٤٠.

(٣) القصص القرآني (٣/ ٥٣٨).



العلو هنا بمعنى الغطرسة والزَّهو الذي يعتاده الملوك خاصة، وهي مثله، ملكة لها عَرْشٌ عظيم، وأُوتيتُ من كل شيء وكونه يخاطبها بهذه اللهجة المختصرة البعيدة عن النقاش والجدال، هذا أمر يحتاج منها إلى نظر وإلى أناة. ولذلك؛ بعد أن أُخبرتُ مستشاريها بأمر الكتاب، وما ورد فيه طلبتُ منهم الرأي والمشورة^(١). كما سيأتي بيانه فيما بعد إن شاء الله.

ينهى سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ قوم سبأ عن التكبر عليه أو رفض دعوته، ثم يأمرهم بالدخول في دينه، وهو الإسلام، وهذه الدعوة صريحة في قوله: ﴿وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ واللطيف في دعوة سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ أن يدعوهم إلى الإسلام.

ولا يستغربنَّ أحد هذه الدعوة؛ فقد يشكل الأمر ويلتبس على بعضهم؛ لأن سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ، إسرائيلي يحكم بني إسرائيل بالتوراة والزبور، وقد عاش ومات قبل الإسلام الذي جاء به محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فكيف تصرح الآية بأنه يدعوهم إلى الإسلام؟ إن الإسلام هو دين كل نبي من الأنبياء، وخلاصة دعوة كل رسول، فكل نبي جاء بالإسلام، الإسلام بمعناه العام. وإن الإسلام له ثلاثة معانٍ في القرآن:

الأول: الإسلام بالمعنى العام، وهو دين كل المخلوقات الحية وغير الحية، فكل ما في الوجود (مسلم) أي مستسلم خاضع منقاد إلى الله.

وعلى هذا المعنى قوله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [آل عمران: ٨٣].

(١) تفسير الشعراوي (١٧/١٠٧٧٧).



ومعنى ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: كل مخلوق في السموات والأرض أسلم واستسلم وخضع وانقاد على الله^(١).

الثاني: الإسلام بالمعنى التاريخي، وهو دين كل نبي ورسول، فكل نبي مسلم وجاء الإسلام، ودعا الناس إلى الإسلام، وأتباعه يسمون (مسلمين).

وهو عنوان كل دين ورسالة؛ لأن هدف كل رسول خضوع الناس لله، وخلاصة كل دين هي استسلام الناس لله، وهذا هو روح الإسلام، وعلى هذا، قوله: ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مِنْ سَفِهَةِ نَفْسِهِ وَلَقَدْ أَصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (١٣) إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿[البقرة: ١٣٠، ١٣١].

الثالث: الإسلام بمعناه الخاص: وهو دين الإسلام وشريعته الذي جاء به محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خاتم الأنبياء والمرسلين، والذي انتهت إليه رسالات كل الرسل، والذي نسخ الله به الأديان السابقة وطالب الناس جميعاً أن يعتنقوه، وأخبر أنه هو الدين الوحيد المقبول عند الله^(٢).

وعلى هذا قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]. بعد هذا التلخيص الموجز لمعنى (الإسلام) في السياق القرآني، نعرف أن سليمان عَلَيْهِ السَّلَام، جاء بالإسلام بمعناه التاريخي العام، وأن دينه هو الإسلام، وأن دعوته هي دعوة الإسلام، وأن هدفه هو استسلام الناس وخضوعهم وانقيادهم لله؛ ولهذا طلب منهم في كتابه الموجز إلى قوم

(١) القصص القرآني (٣/ ٥٣٩).

(٢) المصدر السابق، (٣/ ٥٤٠).



سبأ الدخول في الإسلام، وقال لهم: ﴿وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ﴾. واللطف أن سليمان عَلَيْهِ السَّلَام جمع في كتابه بين النهي والأمر، حيث نهاهم عن الاستكبار والاستعلاء والعناد: ﴿أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ﴾، ثم أمرهم بالدخول في الإسلام: ﴿وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ﴾^(١).

٢- ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ﴾:

في هذا تبدو سمة الملكة الأريية؛ فواضح منذ اللحظة الأولى أنها أخذت بهذا الكتاب الذي ألقى إليها من حيث لا تعلم، والذي يبدو فيه الحزم والاستعلاء وقد نقلت هذا الأثر إلى نفوس الملاء من قومها وهي تصف الكتاب بأنه (كريم)، وواضح أنها لا تريد المقاومة والخصومة، ولكنها لا تقول هذا صراحة، إنما تمهد له بذلك الوصف، ثم تطلب الرأي بعد ذلك والمشورة^(٢).

أ- ﴿أَفْتُونِي فِي أَمْرِي﴾؛ أي: أشيروا عليّ، وقدّروا لي التصرف المناسب في هذا الأمر المفاجئ، فماذا تنصرف؟ وماذا نفعل؟

ب- ﴿مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ﴾؛ وتابعت طلب الفتوى والمشورة، وقالت بأنها لا تقوم بتصرف ولا إصدار حكم، ولا تضع أمراً ولا تخطوا خطوة، إلا بعد أن تضع أشرف قومها في الصورة، وتطلعهم على القضية، وتسمع آراءهم وفتاويهم، وتستفيد من أصحاب التحليل الدقيق، والخبرة العميقة.

(١) المصدر السابق نفسه.

(٢) في ظلال القرآن (٥/ ٢٦٤٠). ومن أراد التوسع، فليراجع القيم الإدارية المستخلصة من قصة النبي سليمان، سعاد الصوافة، ص ٦٧؛ وخصائص ومعجزات سليمان، زينب محمد سوار، ص ١٢٠؛ والبرلمان في الدولة الحديثة المسلمة، د. علي الصلابي، ص ٢٨٧؛ والتفسير الاقتصادي للقرآن، د. رفيق يونس المصري، ص ١٩٢.



إنَّ هذا الموقف من الملكة، وإخبارها لقومها بتفاصيل حادثة رسالة سليمان عَلَيْهِ السَّلَام يدل على طبيعة نظام الحكم في سبأ، والتي كانت تمارسه تلك الملكة الحكيمة، وهو أشبه بما يسمى بنظام الحكم الديمقراطي في العصر الحديث. وإن هذه مزية تسجل لنظام الحكم في سبأ في ذلك الزمان البعيد، باعتبار سبأ مملكة عربية أقيمت في بلاد اليمن، ونشأ نظام حكمها على مشاركة الملاء والوجهاء للملكة، ولهم سبق زمني في هذا النوع من الحكم^(١). وعلى عادة رجال الحاشية أبدوا استعدادهم للعمل؛ ولكنهم فوضوا الرأي^(٢).

٣- ﴿قَالُوا نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةً وَأَوْلُوا بِأَسِ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾:

أجابوا بثلاثة أمور مطمئنة ملقية في نفسها روح الاطمئنان على حكمها وسلطانها.

- أول هذه الأمور الثلاثة: ﴿أَوْلُوا قُوَّةً﴾ أي: أصحاب قوة في استعدادنا من حيث العدد والذخيرة، وكل ما يحتاج إليه الجندي القوي المستعد.

- الأمر الثاني: أنهم ﴿وَأَوْلُوا بِأَسِ شَدِيدٍ﴾؛ أي: أهل همة ونجدة وشجاعة، لا نفرط في الدفاع أو الجهاد إذا دعاه داعيه. وإن بأسنا شديد، لا نتخاذل في حرب.

- الأمر الثالث: أن القيادة كلها (الأمر إليها) ولذا قالوا: ﴿وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ﴾ أي: نحن نتعاون طائعون والأمر إليك ﴿فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾؛ الفاء لترتيب ما بعدها

(١) القصص القرآني (٣/٥٤٢).

(٢) في ظلال القرآن (٥/٢٦٤٠).



على ما قبلها، أي؛ إذا كان الأمر إليك فانظري ماذا تأمرين، أي انظري في نفسك الذي تأمرين به، لأن الاستعداد كامل لتنفيذ الذي تأمرين به كاملاً غير منقوص^(١). قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: أي: إن رددت عليه قوله ولم تدخل في طاعته فإننا أقوىاء على القتال، فكأنهم مالوا إلى هذا الرأي الذي لو تم لكان فيه دمارهم، ولكنهم أيضاً لم يستقروا عليه بل قالوا: ﴿وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ﴾ أي: الرأي ما رأيت لعلمهم بعقلها وحزمها ونصحها لهم ﴿فَانْظُرِي﴾ نَظَرَ فَكَّرٍ وتدبر ﴿مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾^(٢).

فأجابت:

٤ - ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾:

حين أشاروا عليها لم تجارهم في ذلك وحذرتهم من المساس بمصالحهم ليعيدوا التفكير في ضوء ذلك، ولكن البطانة الواثقة، مما لديها لمواجهة العدو، والتي عززت الثقة بالملكة حين أعادت الأمر إليها، لم تقنع الملكة برأيها الذي يبدو أنها كانت تتوقعه منهم؛ فبحثت بدورها عن أساليب أكثر عقلانية في التعامل مع المعضلة الكبيرة، وهذا يشير إلى عمق معرفتها واتساع هذه المعرفة، ورجاحة عقلها في العمل بما تعلم: ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾؛ وبذلك حذرت عليه القوم من أنهم سيكونون أول الخاسرين من حدوث الحرب، إن كانت الغلبة للعدو،

(١) زهرة التفاسير (١٠/٥٤٥٢).

(٢) تفسير السعدي، ص ٨٠٤.



وإن لم تقدر الأمور مسبقاً تقديرًا سليمًا. وفي ذلك إشارة تحذيرية واضحة لمستشاريها وعلية قومها من حيث إنَّ الحروب لا تحمد عقباه ولا تضمن نتائجها، فقد كانت تدرك وتعلم قبل التثبت من قدرة العدو ومقاصده الحقيقية، لهذا استبعدت الملكة المواجهة، وجعلته خياراً متأخراً يقتضي قبله معرفة العدو واختباره، علاوة على ما يحمل الموقف من راحة العقل والتفكير، من حيث إن خيار المواجهة فيه غرور، فتعاملت معه بوصفه وجهة نظر تحتل الحكم عليها بالخطأ أو الصواب.

لقد كانت الملكة أكثر عقلانية من مستشاريها في التعامل مع الموقف، وهي تبعاً لذلك يصعب خداعها أو تضليلها، بسبب ما تتمتع به من بصيرة وعلم وحكمة وذكاء^(١).

- جملة ﴿وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾: يحتمل أن تكون من كلام الملكة كأنه تذييل وتأكيد على كلامها السابق بحق الملوك بحكم تجارب التاريخ، ويحتمل أن تكون من كلام الله تعالى تصديقاً لقولها عن الملوك. ورجح الشيخ محمد متولي الشعراوي رَحِمَهُ اللَّهُ أن هذه العبارة من الحق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فقال: فالرأي الصواب أن هذه العبارة من الحق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِيُصَدَّقَ على كلامها، وأنها أصابت في رأيها، فكَذَلِكَ يفعل الملوك إذا دخلوا قرية، مما يدل على أن الحق سبحانه رب الخلق أجمعين، إذا سمع من عبد من عبيده كلمة حق يؤيده فيها، لا يتعصب ضده، ولا يهضمه حقه^(٢).

(١) صورة المرأة الحاكمة، ريم المرايات، ص ٤٧٨.

(٢) تفسير الشعراوي (١٧/ ١٠٧٨٠).

والملوك نوعان: صالحون عاملون بشرع الله عادلون في أحكامهم وما وُلّوا. وملوك فاسدون مفسدون متجبرون يحكمون الناس بالظلم والعدوان. وقول ملكة سبأ ينطبق على الملوك الذين يحكمون بشرائع الضلال والجاهلية، والشرائع القائمة على الظلم والشر والباطل والتي تسوّل للسياسة والأمراء والملوك الطغاة أن يفعلوا الآثام والمنكرات ويسعوا في الأرض فساداً^(١).

أ- قال المكي الناصري رَحِمَهُ اللهُ تَعْلِيْقاً عَلَى الآيَةِ الْكَرِيمَةِ:
هذا ما ينبغي أن يكون عليه الراعي من حصافة الرأي وتقليب وجوه النظر، والجنوح إلى الوسائل السليمة في معالجة المشاكل السياسية، بدلا من الوسائل الحربية، وهذا المعنى هو الذي تشير إليه ملكة سبأ صراحة وضمناً^(٢).

ب. قال الشنقيطي رَحِمَهُ اللهُ فِي مقدمة الأضواء:
ألا ترى أن ملكة سبأ في حال كونها تسجد للشمس من دون الله هي وقومها، لما قالت كلاماً حقاً صدقها الله فيه، ولم يكن كفرها مانعاً من تصديقها في الحق الذي قالته^(٣).

هذا؛ وقد ظهر تميز ملكة سبأ حين عرضت عليهم رأيها بعد أن أخذت الثقة منهم والموافقة على ما تنوي فعله بوصفه أكثر حصافة وعقلية، خاصة أنها تسعى من خلاله للحفاظ على مصالحهم وامتيازاتهم. وحين أعلنت عن إرسال الهدية لم تخبرهم بالخطوة اللاحقة، وإنما أشارت إلى أنها ستبني موقفها بناء على الموقف الذي سيظهره سليمان عَلَيْهِمَا السَّلَام، وبما سيعود به الرسل من معلومات^(٤).

(١) سليمان عَلَيْهِمَا السَّلَام في القرآن الكريم، ص ١٦٧.

(٢) التيسير في أحاديث التفسير (٤/٤٢٨).

(٣) أضواء البيان (٦/١).

(٤) صورة المرأة الحاكمة في سورة النمل، ص ٤٧٨.



٥- ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾:

ولم تقل: (إليه) رغم أنه خاطبها بصيغة المفرد (عليّ) و (اتوني) وفي تقديرها أن المرسل ما كان ليكون وحيداً في تدبيره، إذ من الواضح أنه قد استعد بصورة كافية ليرسل مثل هذا الخطاب، وهو على علم بأنها لا تحكم منفردة، ولهذا خاطبهم بصيغة الجمع، وما دام كذلك فهو يعلم مدى استعداد أهل مملكتها للمواجهة والحرب، ومدى ثقتهم بأنفسهم، وبقدراتهم مما قد يدفعهم للعلو عليه، ولهذا نجدها تستخدم في خطابها أمام قومها مفردات مماثلة: (إليهم) ليدرك قومها جلال الموقف أيضاً، وهي ترغب بمزيد من الوقت والمعرفة لتدقيق النظر، وإمعان التفكير بما يجري حولها، وما يحدث معها وبمصير ملكها ومستقبل شعبها.

إن إرسال الهدية إلى سليمان عَلَيْهِ السَّلَام تمثل المناورة السياسية، وإظهار الميل إلى السلم وحسن النية، والرغبة في كسب الوقت، ومحاولة كشف الآخر وفهمه، ومعرفة دوافعه، ونقاط ضعفه، بالإضافة إلى التعامل على أساس الندية، فقد أرسل الملك كتاباً، وهي ترد كملكة لها مكانتها فترسل هدية، فتكون أقرب إلى تحقيق غايتها، بمعنى أنها لم تكتف بالرد على كتاب، مهما كان نوع هذا الرد، وإنما تجاوزت ذلك بإرسال هدية بغية دفع الأمور باتجاه آخر، غير الذي كان يخطط له المرسل، وذلك من وجهة نظرها كملكة لديها خطة، فهي لا تقف متفرجة ولا تستلم، وإنما تصنع الحدث وتؤثر فيه، وتسعى في الوقت نفسه إلى احتواء الآخر وتسييره نحو الهدف الذي يشغلها كملكة عاقلة في طلب السلام، وتحقيق



شروطه؛ إذ أكثر ما تكشف الهدية نوايا الملكة، فلقد أرادت أن تقدم نفسها للملك الغاضب في صورة الوديع المسالم، وهي بالتأكيد الصورة التي أرادت تقديمها عن شعبها، وإن كانوا في الحقيقة أولو قوة وأولو بأس شديد، ولكنها أرادت أن توصل إليه رغبتها وشعبها في السلام، وإقامة أواصر المحبة بين الشعيين، وإن كانت في الأصل ترغب بمعرفة المزيد عن الملك الغريب الذي يهدد عرشها، وتختبر قوته ومواطن ضعفه وحقيقة دعوته، خاصة أن النبوة لم تكن في عقيدتها^(١).
إن الهدية ما يعطى بقصد التقرب والتحب^(٢).

أرادت الملكة أن تمتحن سليمان عَلَيْهِ السَّلَام، وتختبر نفسه، وتبلي أخلاقه، لتعرف أهو جاد في كتابه؟ أم أنه صاحب أطماع مادية، يسكته بريق الذهب والمال؟ فقررت أن ترسل إليه هدية، هي في واقع الحال رشوة تحت ستار هدية. روي عن ابن عباس أنه قال: قالت لقومها: إن قبل الهدية، فهو ملك فقاتلوه، وإن لم يقبلها فهو نبي فاتبعوه^(٣).

وهذا من رجاحة عقلها وفطنتها، فقد علمت أن للهدية تأثيراً بالغاً في النفوس^(٤).

قال صاحب الظلال: والهداية تلين القلب، وتعلن الود، وقد تفلح في دفع القتال. وهي تجربة. فإن قبلها سليمان فهو إذن أمر الدنيا، ووسائل الدنيا إذن

(١) صورة المرأة الحاكمة في سورة النمل، ص ٤٧٩.

(٢) سليمان عَلَيْهِ السَّلَام في القرآن الكريم، ص ١٦٨.

(٣) تفسير الطبري (١٩/ ١٥٥).

(٤) سليمان عَلَيْهِ السَّلَام في القرآن الكريم، ص ١٦٨.



تجدي. وإن لم يقبلها فهو إذن أمر العقيدة، الذي لا يصرفه عنه مال، ولا عرض من أعراض هذه الأرض^(١).

والهدية تُزيل حزازات النفوس، وتبني جسور الود والحب والتقدير، وهي لعلها أرادت عن طريقها بناء علاقات طيبة مع سليمان عَلَيْهِ السَّلَام^(٢).

- وفي قوله: ﴿فَنَاطِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾: دلالة على أنها لم تثق بالقبول وجوزت الرد وأرادت بذلك أن ينكشف لها غرض سليمان^(٣). ويبدو أن الملاء وافقوها على رأيها، واستحسنوا خطتها^(٤).

هكذا أرجأت الملكة القرار النهائي في الأمر حتى يرجع المرسلون، أي لا قرار قبل الاستيضاح والفهم بدوافع الطرق الآخر، ويكشف الموقف أيضاً عن كونها ليست متعجلة أو متسرعة، فهي تمعن النظر، وتديم التفكير، وتبني مواقفها على حقائق وبراهين ثابتة، وليس على التوقع والظن^(٥).

أعدت الملكة هديتها وأرسلت بها مع وفد رفيع كعادة الملوك، والقرآن الكريم سكت عن هذه الهدية ما هي، وما حجمها؟ وما نوعها؟ وبالغت الإسرائيليات في وصفها مبالغة كبيرة لا يصدقها عقل، وهي أقرب إلى الأساطير منها إلى الحقيقة^(٦).

(١) في ظلال القرآن (٥/ ٢٦٤٠).

(٢) سليمان عَلَيْهِ السَّلَام في القرآن الكريم، ص ١٦٨.

(٣) تفسير الرازي (٨/ ٥٥٥).

(٤) سليمان عَلَيْهِ السَّلَام في القرآن الكريم، ص ١٦٨.

(٥) صورة الملكة الحاكمة في سورة النمل، ص ٤٨٠.

(٦) سليمان عَلَيْهِ السَّلَام في القرآن الكريم، ص ١٦٩.

قال ابن عطية عن هذه الهدية: أكثر بعضُ الناس في تفصيلها، فرأيت اختصار ذلك لعدم صحته^(١).

وقال الألويسي في التعليق على ما ورد من شأن هذه الهدية: وكل ذلك أخبار لا ندري صحتها ولا كذبها، ولعل في بعضها ما يميل القلب إلى القول بكذبه^(٢). وكل ما نستجير قوله هنا: أنها هدية ثمينة تليق بالملوك، فملكة سبأ تريد استرضاء سليمان حتى يكف بأسه عن قومها.

رجع الهدهد وأخبر سليمان عَلَيْهِ السَّلَام بخطة الملكة وما انعقد عليه رأي القوم، ووصل الوفد الرفيع الذي يحمل الهدية إلى سليمان عَلَيْهِ السَّلَام، فكان موقف سليمان عَلَيْهِ السَّلَام ما قصّه علينا القرآن الكريم^(٣).

خامساً: قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَنَ قَالَ أَسْمُدُونَ بِمَالٍ فَمَا آتَيْنَهُ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ۝٣٦ أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ۝٣٧ قَالَ يَأْتِيَنَّهَا أَلْمَلُؤُاُ أَيْكُمُ يَأْتِيَنِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ۝٣٨ قَالَ عَفَرْتُ مِنَ الْخَلْقِ أَنَا وَأَنْتِكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ۝٣٩ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقَرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ۝٤٠ قَالَ نَسِكُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ۝﴾ [النمل: ٣٦-٤١]:

(١) المحرر الوجيز (٤/٢٥٩).

(٢) روح المعاني (١٩/٢٠٠).

(٣) سليمان عَلَيْهِ السَّلَام في القرآن الكريم، ص ١٦٩.



تفسير الآيات الكريمة:

١- ﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَنَ قَالَ أَتُمِدُّونَ بِمَالٍ فَمَا آتَيْنَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾:

- ﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَنَ﴾ أي: وصل الوفد إلى بيت المقدس ودخلوا على سليمان عَلَيْهِ السَّلَام وقدموا له الهدية ووضعوها أمامه، ورفض قبولها، واستعلى عليها وأنكر عليهم تقديمها، وعرف غرض الملكة، واكتشف فعلتهم في محاولة رشوته بالمال، وشراء ذمته بالهدايا، فقال: ﴿أَتُمِدُّونَ بِمَالٍ﴾ والاستفهام هناك: استنكاري توبيخي، أي: أترشونني بهذا المال؟ اعلموا أنني لست بحاجة إلى مالكم وهديتكم ورشوتكم:

- ﴿فَمَا آتَيْنَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُمْ﴾: اعترف أمامهم بأن فضل الله عليه كبير، أنعم الله عليه بالنعم الكثيرة والخير الكثير الجزيل الجميل، والعطايا الروحية والمادية من العلم والنبوة والحكمة والملك، لا ينبغي لأحد من بعده وتسخير الرياح والجن والإنس ومواد الصناعات وغير ذلك، وكأنه يقول لهم: أنا لست ممن تقدم له الرشوة باسم الهدية؛ لأن الله أغناني عنها بما آتاني ومنحني. أنتم تأخذون الرشوى والهدايا^(١).

- ﴿بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾: بل للإضراب الانتقالي، وهو انتقال من إنكاره عليهم إمداده بمال إلى رد ذلك المال وإرجاعه إليهم^(٢).

(١) القصص القرآني (٣/ ٥٤٧).

(٢) التحرير والتنوير (١/ ٤٧٤).



قال السعدي رَحْمَةُ اللَّهِ: لحبكم للدنيا وقلة ما بأيديكم بالنسبة لما أعطاني الله^(١).
قال الشيخ محمد أبوزهرة: بل للإضرار بالانتقالي، لا تفرحون إلا بالمادة، وما
يتصل بها من أمثالها، وتقديم الجار والمجرور. بهديتكم للقصر والاختصاص،
أي لا تفرحون إلا بها^(٢).

وقال المهندس عبد الستار كريم المرسومي: رفض الرشوة: وهنا ينبغي
للقائد أن يميز جيدا بين الرشوة وبين الهدية، ويتدخل في هذا التمييز مجموعة
من العوامل، فمنها العلم، ومنها التقوى، ومنها نقاء السريرة، ومنها صدق النية،
فالهديّة والرشوة في العطاء والأخذ متشابهان، ولكن الفرق في النيات والنتائج،
ومن هنا ميّز نبي الله سليمان عَلَيْهِ السَّلَام أن ما أرسلته الملكة بلقيس إنما كانت بمثابة
الرشوة لعله يرجع عن قراره حين دعاهم للإسلام؛ لذلك فإنه رفضها.

ويحل للقائد أن يقبل الهدية سواء كانت شخصية أو لمصلحة الجماعة؛ ولا
يحق له أن يأخذ الرشوة. وللتمييز بين الهدية والرشوة:

- الهداية تكون من غير مقابل؛ ولهذا اعتبر النبي سليمان عَلَيْهِ السَّلَام هدية بلقيس
رشوة حين قالت: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾. فما
دامت الملكة بلقيس تنتظر أن يرجع من أرسلته بالهدية بالنتيجة، فقد كانت تنتظر
المقابل لتلك الهدية فستكون رشوة وليست هدية.

- أن لا يكون توقيتها في وقت اتخاذ قرار بشأن معين، فيؤثر وجودها في ذلك
القرار بشكل كلي أو جزئي.

(١) تفسير السعدي، ص ٨٠٤.

(٢) زهرة التفاسير (١٠/٥٤٥٣).



وعلى العموم، فإن الرشوة هي ما يتوصل به إلى إحقاق باطل، أو إلى إبطال حق^(١).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: قال العلماء: إن من أهدي هدية لولي الأمر، ليفعل معه ما لا يجوز كان حراما المهدي والمُهدى إليه، وهي من الرشوة التي قال فيها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لعن الله الراشي والمرتشي والرائشين»^(٢). وقد اتفق الفقهاء على أن الرشوة حرام بما أن عقوبتها لم تحددها الشريعة، فتكون عقوبة تعزيرية تعود إلى اجتهاد الإمام، أو من ينوب عنه، وهي ترتبط شدة أو خفة أو تغليظاً أو تخفيفاً بحجم الرشوة، وآثارها وظروفها وملابساتها المحيطة بها^(٣).

ولا مانع شرعاً من إصدار تقنين خاص بالرشوة تحدد فيها العقوبات، وحدها الأدنى والأقصى، معتمدة على آراء أهل الشرع، والقانون والخبرة^(٤).

إن سليمان عَلَيْهِ السَّلَام يقدم للإنسانية درساً في صمود العقيدة أمام إغراء المال، وقد كانت فتنة المال قديمة في الإنسان كما في وقتنا الحاضر؛ إذ فطنت بلقيس أن سليمان كغيره من الناس تؤثر فيه إغراءات المال، ولذلك أرسلت إليه بهدية تمتحن جوهره لترى آثارها في نفسه، وهل تكون هذه الهدية مدعاة لسكوته وترك دعوته لله، والغزو الذي هددها به، ولكن لم تجد بلقيس رداً من سليمان

(١) القائد دراسة تحليلية، ص ٩٨.

(٢) التنمية الشاملة، د. علي القره داغي، ص ٧٩.

(٣) المصدر السابق نفسه.

(٤) المصدر السابق نفسه.



عَلَيْهِمَا السَّلَامُ سَوَى قَوْلِهِ: ﴿فَمَا أَتَيْنِ اللَّهَ خَيْرٌ مِّمَّا أَتَدْكُمُ﴾ كَلِمَةً قَالَهَا وَأَطْلَقَهَا لِتَكُونَ دَسْتُورًا لِمَنْ بَعْدَهُ، وَلِيَقُولَهَا بَعْدَهُ كُلُّ دَاعِيَةٍ مُخْلِصٍ فِي دَعْوَتِهِ إِلَى اللَّهِ، وَكُلِّ زَعِيمٍ، وَكُلِّ قَاضٍ، عِنْدَمَا تَعْرُضُ عَلَيْهِ أَهْلُ الْبَاطِلِ رِشْوَةَ لِلسَّكُوتِ عَنْ فِسَادِهِمْ، وَمَجَارَاتِهِمْ فِي بَاطِلِهِمْ^(١).

وَبَعْدَ أَنْ بَيَّنَّا خَطُورَةَ الرِّشْوَةِ وَالْفَرْقَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْهَدِيَّةِ، حَانَ الْوَقْتُ لِبَيَانِ مَا وَرَدَ فِي السَّنَةِ فِي النُّصُوصِ الصَّحِيحَةِ فِي فَضْلِ الْهَدِيَّةِ، وَالْحَثِّ عَلَيْهَا وَقَبُولِهَا، حَتَّى إِنْ قُلْتُ.

- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَا نِسَاءَ الْمُسْلِمَاتِ، لَا تَحْقِرَنَّ جَارَةً لِبَجَارَتِهَا، وَلَوْ فَرَسَنَ شَاةٍ»^(٢).

- وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقْبَلُ الْهَدِيَّةَ، وَيُثِيبُ عَلَيْهَا^(٣).

- وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَهَادُّوا تَحَابُّوا».

- وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّ لِي جَارَيْنِ فَإِلَى أَيِّهِمَا أُهْدِي؟ قَالَ: «إِلَى أَقْرَبِهِمَا مِنْكَ بَابًا».

- وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَيْسَ لَنَا مَثَلُ السَّوْءِ، الَّذِي يَعُودُ فِي هَبَّتِهِ كَالْكَلْبِ يَرْجِعُ فِي قَيْئِهِ»^(٤).

(١) دعوة سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ، ص ٧١.

(٢) رواه البخار، رقم ١٩٥٣.

(٣) سنن الترمذي، رقم ١٩٥٣.

(٤) سنن النسائي، رقم ٣٦٩٧.



هذه بعض الأحاديث التي تحض على التهادي، ولو باليسير، لما فيه من استجلاب المودة، وإذهاب الشحناء واصطفاء الجيرة^(١). ونرجع إلى سليمان عَلَيْهِ السَّلَام، فبعد أن رفض رشوتهم أطلق عَلَيْهِ السَّلَام تهديده القوي الصاعق وإنذاره الأخير الماحق، وحملهم رسالة مع وفد الهدية.

٢- ﴿أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾:

والمعنى: أن سليمان عَلَيْهِ السَّلَام قال لمن جاؤوا بالهدية موجهًا تهديده إلى رئيسهم: ﴿أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ﴾؛ أي: ارجع بهديتكم.
 - ﴿فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا﴾؛ أي: لا طاقة لهم بقتالهم.
 - ﴿وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً﴾؛ أي: ولنخرجهم: أي بلقيس وقومها من بلدتهم أو من أرضهم أذلة.
 - ﴿وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾؛ أي: مهانون مدحورون. وهذا الذي سيصيبهم إذا لم يسلموا وظلوا مقيمين على كفرهم^(٢).

أ- قال محمد أبو زهرة في تفسيره للآية:

كان الخطاب بالمفرد؛ لأنه الوفد الذي يخبرهم بأمر سليمان، وما استعداد به لهم، (فلنأتينهم) الفاء: عاطفة دالة على الترتيب والتعقيب أي فور رجوعهم لنأتينهم، وقد أكد غزو الشرك بالقسم، ولام القسم، ونون التوكيد الثقيلة، وقد أكد إرسال الجيش، وأكد نتيجته، بقوله: (لنُخْرِجَنَّهُمْ). والإخراج يصح أن

(١) التدبر والبيان في تفسير القرآن بصحيح السنن، (٢٥/٦٦ - ٧٧).

(٢) الكشف (٣/٢٦٦ - ٣٦٧).



يكون المعنى إبعادهم عن سلطان الحكم، فلا يكون لهم رأي ولا إرادة، وكأنَّهم المخرجون، وأذلة أي كونهم أذلاء صاغرين أي منحطين إلى المنزل الدون راضين بذلك؛ لأنه لا قدرة عندهم على تغيير حالهم، والتفكير في أمرهم، كان هذا رد الملك النبي، وما كان ليسكت عن قوم يعبدون الشمس ومشركين، فهو ملك نبي ونبوته لا تتأخر، بل هي العامل الأول المسير لملكه دائماً^(١).

ب- وقال الدكتور عبد الكريم زيدان:

ويفهم من هذا: أن سليمان أظهر عزمه على قتال بلقيس وقومها، وإزالة حكمهم بالقوة إذا لم يسلموا ويتركوا كفرهم وشركهم. ومعنى ذلك -على ما يبدو لنا- أن ما عزم عليه سليمان عَلَيْهِ السَّلَام، هو من باب إزالة المنكر. ونظراً لوجود القوة اللازمة لإزالته تحرك سليمان عَلَيْهِ السَّلَام، إلى اليمن طالباً من بلقيس التنحي عن السلطة والحكم، إذا لم تسلم وقومها وإذا رفضت ذلك، فإنه سيجازيها ويزيل حكمها بالقوة، لأن بقاءه منكر عظيم تجب إزالته، ومعنى ذلك كله: أن من شريعة سليمان إزالة الحكم الطاغوتي من الأرض كلما كان ذلك ممكناً، وقد أمكنه بالنسبة لمملكة سبأ من اليمن، فقد كتب إلى بلقيس كتابه قبل أن يخطو الخطوة الثانية، وهي إخضاعهم بالقوة، وإزالة حكمهم الكافر^(٢).

إن فلسفة الفتوحات الإسلامية في العصر الراشدي، استمدت تعاليمها من هدايات القرآن الكريم، وتوجيهات النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وساهمت تلك الفتوحات في إزالة أكبر الامبراطوريات الاستبدادية الشمولية، وخصوصاً الإمبراطوريتين الكبيرتين في ذلك الزمان، وهما الفارسية والبيزنطية، وتركت الشعوب تختار العقيدة التي تراها مناسبة لها.

(١) زهرة التفاسير (١٠/٥٤٥٤).

(٢) الاستفادة من قصص القرآن، ص ٢٩٦.



لما رجع رسل بلقيس بهديتها وأخبروها بما قال سليمان وما هدّدهم وتوعّدهم به، عازمت على الاستجابة لدعوته، وأعلمته بالقدوم عليه مع رؤساء قومها للتعرف على دينه والدخول فيه، فقد كانت لا تريد العداء، ولا الحرب ومن خلال جميعها للمعلومات وقدرات سليمان عَلَيْهِ السَّلَام القتالية والحضارية، علمت أنها لا طاقة لهم به. فقد قالت لقومها: قد والله عرفت ما هذا بملك وما لنا به طاقة، وبعثت إليه أني قادمة عليك بملوك قومي، لأنظر ما أمرك، وما تدعو إليه من ذلك^(١).

ولما علم سليمان عَلَيْهِ السَّلَام بتوجه ومسيرة بلقيس ومن معها إليه، سرّه ذلك، وقال عَلَيْهِ السَّلَام: للملأ من حوله من الجن والإنس ما أخبرنا الله به.

٣- ﴿قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾:

أراد سليمان أن يفاجئ الملكة بآية باهرة ومعجزة قاهرة تكون دليلاً على أنه نبي مرسل معه العون والمدد والنصرة من الله، فجمع أهل الحل والعقد في مملكته وعرض عليهم خطته.

إن سليمان عَلَيْهِ السَّلَام أراد من إحضاره العرش أن يكون ذلك دليلاً على نبوته وليربها عظمة قدرة الله وقوة سلطان الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وليختبر رجاحة عقلها عند مواجهة الصدمات^(٢).

يقول الدكتور الخالدي رَحِمَهُ اللهُ: هدف سليمان عَلَيْهِ السَّلَام من ذلك أن يُري الملكة ووفدها مظهراً من مظاهر قوته واتساع نفوذه، وضخامة سلطانه، وقوة إمكاناته،

(١) تفسير ابن كثير (٣/٣٦٣).

(٢) سليمان عَلَيْهِ السَّلَام في القرآن الكريم، ص ١٧٣.



وذلك ليقضي على أي وسواس في نفوس الوفد بالمواجهة أو المقاومة، وليزيل أي شك في نفوسهم عن الإيمان بالله، ويزدادوا يقيناً بأنه لا إله إلا الله^(١).

وعلى ما يبدو كان لدى سليمان عَلَيْهِ السَّلَام مع كونه نبياً مقرباً قوياً، مجلس استشاري يضم الإنس والجن، وهم يساعدونه في تدبير أمور الحكم، ويشيرون عليه بالخير فجمعهم، وقال: ﴿قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشَهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾: وقد عرف سليمان - من الهدهد - أن للملكة عرشاً عظيماً، ومن المؤكد أن الملكة - قبل خروجها - وضعت عليه حراسة مشددة؛ فمن عادة الملوك إذا خرجوا في سفر أو زيارة شددوا الحراسات وضاعفوا إجراءات الحماية على مؤسسات الحكم العامة، وخاصة القصر الملكي أو الجمهوري الذي يمثل رمز استقرار النظام، ومنه يخرج القرار. ومع ذلك، فسليمان يريد ذلك العرش قبل أن تصل الملكة ووفدها مسلمين^(٢)، أي: مدعين منقادين خاضعين وقد قدم لسليمان عرضان لإحضار العرش: الأول من عفريت من الجن، والثاني من شخص عنده علم الكتاب^(٣).

٤- ﴿قَالَ عَفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ﴾:

ورد لفظ الجن في القرآن الكريم في آيات كثيرة، وسميت باسمهم سورة هي سورة الجن، وورد في السنة المطهرة كذلك ذكر الجن في مواضع متعددة؛ وكل

(١) القصص القرآني (٥٤٩/٣).

(٢) سليمان عَلَيْهِ السَّلَام في القرآن، ص ١٧٣.

(٣) القصص القرآني (٥٥٠/٣).



ذلك، إنما يدل على أهمية هذا المخلوق؛ إذ أنه يشاطر الإنس في التكلف، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

ويستخلص من التعريفات المتعددة للجن، بأنهم نوع من الأرواح العاقلة المريدة المكلفة على نحو ما عليه الإنسان، وهم مجردون من المادة، مستترون عن الحواس، لا يُرون على طبيعتهم ولا بصورتهم الحقيقية، ولهم القدرة على التشكل، ويأكلون ويشربون، ويتناكحون، ولهم ذرية، وهم محاسبون على أعمالهم في الآخرة^(١).

صرح القرآن الكريم والسنة النبوية بذكر المادة التي خلق منها الجن، فقد ورد في القرآن قوله تعالى: ﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ﴾ [الحجر: ٢٧]، وذلك مقابل الحديث عن خلق الإنسان من طين، كما في قوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَّارٍ﴾ [الرحمن: ١٥].

وغير ذلك من الآيات التي تتحدث عن إباء إبليس للسجود لآدم عَلَيْهِ السَّلَام، كقوله تعالى: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۚ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِمَّنْ خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢].

وأما في السنة النبوية، فقد ورد في صحيح مسلم من حديث عروة عن عائشة قالت: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ»^(٢).

(١) العقائد الإسلامية، سيد سابق، ص ١٣٣.

(٢) مسلم، كتاب الزهد والرقائق، ٤/ ٢٩٤.

وهكذا نلاحظ بأن القرآن الكريم والسنة النبوية، قد حددا ماهية المادة التي خلق منها الجن، حيث عبر القرآن عنها مرة بنار السموم، ومرة بأنها من مارج من نار، فما هي هذه المادة وطبيعتها؟

قال الطبري في تفسير المارج: هو ما اختلط بعضه ببعض من بين أحمر وأصفر وأخضر، من قولهم: مَرَجَ أمر القوم: إذا اختلط، ومن قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعبد الله بن عمرو بن العاص: «كَيْفَ بَكَ إِذَا بَقِيَتْ فِي حُثَالَةٍ مِنَ النَّاسِ قَدْ مَرَجَتْ أَمَانَتُهُمْ وَعَهْدُهُمْ»^(١). وذلك هو لهب النار ولسانه^(٢).

ومما يؤيد هذا القول ما ورد عن ابن عباس في تفسير المارج قال: المارج: اللهب، وقال: خلق الله الجان من خالص النار، وعنه أيضاً: من لسانها الذي يكون في طرفها إذا التهبت، وفي رواية أخرى عن ابن عباس أنه اللهب الذي يعلو النار، فيختلط بعضه ببعض: أحمر وأصفر وأخضر. وقال الليث: المارج الشعلة الساطعة ذات اللهب الشديد. وقال المبرد: المارج: النار المرسلة التي لا تمنع^(٣). وفي واقع الأمر أن هذه الروايات كلها متقاربة المعنى وتؤدي معنى واحداً، فخالص النار أو ما كان في طرفها إذا التهبت واختلطت، تعطي ألواناً من الحمرة والصفرة والاختضار، وهو الذي خلق منه الجن.

وأما بالنسبة للسموم في الآية الأخرى، فقد قال ابن عباس في تفسير ذلك: السموم الريح الحارة التي تقتل. وعنه: أنها نار لا دخان فيها، وقال ابن مسعود: نار السموم التي خلق منها الجان جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم^(٤).

(١) أحمد، ١٦٢/٢. وانظر: سنن أبي داود، ٥١٣/٤.

(٢) تفسير الطبري نقلاً عن عالم الجن في القرآن، ص ١٤.

(٣) تفسير القرطبي نقلاً عن عالم الجن في القرآن ص ١٤.

(٤) عالم الجن في ضوء الكتاب والسنة، عبد الكريم نوفان عبيدات، ص ١٤.



وقال الإمام النسفي: من نار السموم: من نار الحر الشديد النافذ في المسام^(١). وهذا التفسير لنار السموم لا يخالف تفسير المارج - كما تقدم - إذ إن الشعلة الزرقاء الملتهبة التي تكون في طرف النار، تمتاز بقوة الحرارة ولها خاصية النفاذ من كل المسام^(٢).

أ- معنى العفريت:

قال الإمام السمين الحلبي في عمدة الحفاظ عن معنى العفريت: هو المتمرد من الجن الخبيث منها، وقيل: هو من الجن النافذ القوي مع خبيث، ويستعار ذلك للآدميين استعارة الشيطان لهم. قال ابن قتيبة: هو من قولهم: رجل عفريت، وهو الموثق الخلق. وأصله من العفر وهو التراب. ومنه: عافره: صارعه فألقاه في العفر. وعلى هذا فنسبة هذه الصفة إلى الإنس أولى من الجن، لأن الإنس خلقوا من التراب، والجن من النار. ويقال: رجل عفر نفر، عفريت نفر، وعفارية نفارية: إذا كان خبيثاً^(٣).

والعفريت هو الجنى القوي المتين المسيطر، كثير الحركة، واشتقاقه من العفر وهو التراب، فكأنه بحركته الكثيرة المستمرة يثير التراب والغبار. ولم ترد كلمة (عفريت) إلا في هذا الموضع من القرآن، وقيدت الآية كلمة العفريت، بأنه من الجن، ولا ينطبق على الإنسان إلا من باب الاستعارة^(٤).

(١) تفسير النسفي، مرجع سابق، ٢/ ٢٧٢.

(٢) قصة بدء الخلق وخلق آدم، ص ٧٠٥.

(٣) القصص القرآني (٣/ ٥٥٢). وعمدة الحفاظ للسمين الحلبي، (٣/ ١١٦).

(٤) المصدر السابق، (٣/ ٥٥٢).



ب- الفرق بين العفريت وبين الشيطان:

يقول الدكتور صلاح الدين الخالدي: وهناك فرق بين العفريت الجني، والشيطان الجني، لأن الكلمتين وردتا في القرآن، ونعلم أنه لا ترادف في القرآن. (لعله: يقصد الترادف الكلي وليس الجزئي).

الشيطان الجني: هو الجني الكافر المتمرد المتشيطان البعيد عن رحمة الله، وأما العفريت هو الجني المؤمن التقي النقي القوي كثير الحركة والنشاط، بدليل أن العفريت الجني كان مقرباً عند سليمان عَلَيْهِ السَّلَام، ولا يقربه سليمان إلا إذا كان مؤمناً وهو قوي أمين، كما عرف عن نفسه، ولا يكون ذلك إلا إذا كان مؤمناً أيضاً^(١).

ج- شخصية غير بشرية في مجلس سليمان عَلَيْهِ السَّلَام:

ظهرت شخصية العفريت -من الجن- غير البشرية بوصفها قادرة وعالمة ومهمة في مجلس سليمان عَلَيْهِ السَّلَام، حيث فاضل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين جلسائه، وجعل هذه المفاضلة في القدرة على جلب عرش الملكة قبل أن تصل مع حاشيتها، وقد بلغه أنها في طريقها إليه: ﴿قَالَ يَأَيُّهَا الْمَلَأُ أَيَكُمُ يَأْتِيَنِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ [النمل: ٣٨].

فظهرت هذه الشخصية بما فيها من عجائبه بالنسبة لقوانين الحياة البشرية، ولكن وجوده كان طبيعياً في مجلس الملك الذي سخر الله سبحانه له الجن الذين هم أجناس أيضاً فهو عفريت من فصيلة الجن، ويوحى بالقوة والشباب، وأكد ذلك لفظة (قوي) والقدرة التي أبداها في إمكانية جلب العرش في زمن

(١) المصدر السابق نفسه.



قصير مع المحافظة عليه، أي حمايته، وذلك ليغري الملك بتكليفه، لشرف هذا التكليف. وبرز وجود هذه الشخصية بوصفه طبيعياً في سياق ما وهب الله لسليمان عَلَيْهِ السَّلَام، مبرزاً دور جلساء الملك وأعوانه ومهماتهم وطلبهم الخطوة عند الملك، عبر تنفيذ المهام الصعبة: ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا ءَاتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ﴾.

ولقد أضاءت هذه الشخصية صفات جلساء الملك النبي عَلَيْهِ السَّلَام، وهي الإيمان والعلم والقوة والأمانة، وهذه الصفات هي ما يجب أن يكون عليه مستشار الملك الذي عليه أن يقرب أكثر مستشاريه علماً وإحاطة، وإذ فاز بأداء المهمة أكثر الجلساء علماً. والآية التالية توضح ذلك^(١).

٥- ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا ءَاتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾:

أ- ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا ءَاتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾:
قدّم الذي عنده علم من الكتاب عرضاً آخر أسرع، قال لسليمان عَلَيْهِ السَّلَام: أستطيع أن آتيك بعرشها قبل أن يرتدّ إليك طرفك. والطرف هو تحريك جفن العين. والطرف تحريك الجفن، والعين، والنظر. والطرف: النهاية. والطرف من كل شيء: منتهاه^(٢).

فمعنى قوله: ﴿قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾: مدّ بصرك وانظر إلى شيء بعيد يصله نظرك، ومدّ طرفك إليه، فإنه لا يرتدّ إليك طرفك إلا وعرشه حاضر عندك، موجود بين يديك.

(١) صورة المرأة الحاكمة في سورة النمل، ص ٤٦٦.

(٢) القصص القرآني (٤/ ٢٦١).



فإذا كان العفريت يقدر على إحضار العرش خلال ساعات، فإن الذي عنده علم من الكتاب يقدر على إحضاره خلال ثوان معدودة، لأن مدّ البصر إلى شيء بعيد، وإرسال الطرف إليه، ثم إعادته لا يستغرق إلا ثوان قليلة.

فهذا الذي عنده علم من الكتاب سيطوي المسافة الطويلة من اليمن إلى بيت المقدس، وسيقطعها في لحظات. ولن يفعل ذلك بنفسه، وإنما سيفعله بأمر الله، فالله هو الذي سيأتي بالعرش في الحقيقة؛ ولكنه سيجريه على يد الذي عنده علم من الكتاب^(١).

ب- من هو الذي عنده علم من الكتاب؟

وقد كثرت الأقوال في تعيين هذا الشخص، منها:

- قيل إنه: آصف بن برخيا، وهو وزير سليمان وكاتبه، قالوا: كان يعلم اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى، وهذا قول أكثر المفسرين.

- كما قيل هو سليمان نفسه. وهناك أقوال أخرى. وقد رجح بعض المفسرين أنه سليمان عَلَيْهِ السَّلَام، فقد قال ابن عطية: قالت فرقة: بل هو سليمان عَلَيْهِ السَّلَام والمخاطبة في هذا التأويل للعفريت لما قال هو: ﴿أَنَا ءَاتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ﴾، كأن سليمان عَلَيْهِ السَّلَام استبطأ ذلك، فقال له على جهة تحقيره ﴿أَنَا ءَاتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ واستدل قائل هذا القول بقول سليمان: ﴿هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي﴾^(٢). وهذا القول ذكره النحاس^(٣). وقال عنه القرطبي: وهو

(١) القصص القرآني (٣/٥٥٣).

(٢) المحرر الوجيز (٤/٢٦١).

(٣) معاني القرآن الكريم (٥/١٣٤).



قول حسن (إن شاء الله تعالى)، رغم أنه قال قبل هذا الموضع: ولا يصح في سياق هذا الكلام مثل هذا التأويل^(١).

وهذا الذي رجحه الرازي في تفسيره^(٢). ومن المعاصرين الدكتور فضل عباس^(٣)، والدكتور محمود بكر إسماعيل^(٤)، والشيخ محمد متولي الشعراوي^(٥) رَحِمَهُمُ اللَّهُ.

ج- رأي الدكتور صلاح الدين الخالدي رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقد أبهم القرآن هذا الشخص الذي سيحضر العرش في لحظات، ولم يصفه إلا بأنه ﴿عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ﴾، ولا يوجد حديث صحيح مرفوع للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتحدث عنه، ويضيف جديداً إلى ما في القرآن.

ولا نقول فيه إلا أنه رجل عنده علم من الكتاب، فلا نعرف اسمه ولا نسبه ولا جنسه، أهو من الجن أم من الإنس؟ ولا وظيفته وعمله عند سليمان عَلَيْهِ السَّلَام. و﴿الْكِتَابِ﴾؛ هو كتاب الله الذي يحكم به سليمان عَلَيْهِ السَّلَام. ونعلم أن أنبياء وحكام بني إسرائيل كانوا يطبقون على قومهم أحكام التوراة، كما نعلم أن الله أنزل الزبور على داود عَلَيْهِ السَّلَام، وجعله مكماً للتوراة.

وهذا معناه أن سليمان عَلَيْهِ السَّلَام كان عنده كتابان وهما التوراة والزبور، علمه الله إياه وكان بهذا العلم المستمد من الكتاب قادراً - بإذن الله - على إحضار العرش في لحظات^(٦).

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٣/١٣٦).

(٢) التفسير الكبير (٨/٥٥٧).

(٣) قصص القرآن الكريم، ص ٦٦١.

(٤) المصدر السابق، ص ٢٨١.

(٥) تفسير الشعراوي (١٧/١٠٧٨٥).

(٦) القصص القرآني (٣/٥٥٤).

د- ما قاله الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر رَحِمَهُ اللهُ: قال رَحِمَهُ اللهُ في قوله: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ﴾: وهذا يشير بكل سهولة إلى أنه من العلماء، ويكون معنى الإشارة أن عرش (بلقيس) كان إحضاره عن طريق العلم، وأن طريق العلم أسرع من طرق الشياطين، ومردة الجن. الوسيلة -إذن- في إحضار عرش بلقيس إنما كانت الوسيلة العلمية، أما كيف، وأما التفاصيل، وأما دقائق التنفيذ، فإن ذلك كله لا سبيل إلى معرفته. ولعل تقدم العلم يكشف -في يوم من الأيام- عن الأسلوب الذي أتى به عرش بلقيس، أو على الأقل يقربه من الأفهام والله أعلم^(١).

إنّ القرآن الكريم يعرفنا بهذه القصة أن العلم يفعل الأعاجيب، وأنه يفعل ما لا تفعله الجن، وأن مقدرة العالم تصل إلى ما لا تصل إليه مقدرة عفريت من الجن، وأنه بالعلم تطوى الأرض وتزول المسافات، وتحقق المعجزات. والقرآن الكريم حينما يقول ﴿الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ﴾، فإنه من الواضح أن لا يقصد العلم الوهبي، وإنما يقصد العلم الكسبي. إنه علم ﴿الْكِتَابِ﴾، إنه ليس وحيًا، وهنا يجعلنا نتساءل:

- إلى أي مدى بلغت الحضارة في عهد نبي الله سليمان عَلَيْهِ السَّلَام؟
إنّ الإتيان بالعرش ليس معجزة، والبيان القرآني لا يشير إلى معجزة، ولو كان الأمر أمر معجزة لكان سليمان أولى بها، وهو النبي الرسول.
إذن: إنها ثمرة من ﴿الْكِتَابِ﴾، وكل ما كان ثمرةً من الكتاب، فهو كسبي. إنه حضارة بكل ما تطلبه الحضارة من جهد في الملاحظة والتجربة والاستقراء،

(١) قصص الأنبياء في رحاب الكون، ص ٢٦٢.

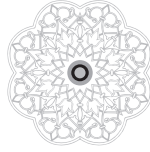


وبكل ما تطلبه الحضارة من تعمق في الأسرار والظواهر والتصرف في قوانين الكون باستخدام قوانين أخرى للتعبير والتبديل والتعديل أو الإلغاء أو التقوية. ويُعلمنا القرآن الكريم بهذه القصة، أنه بالعلم تُطوى الأرض وتزول المسافات، أو يزول الزمن الذي يتطلبه (في نظرة الجاهلين) قطع المسافات والأمكنة. وكم من الزمن يستغرقه الآن انتقال الصوت عبر آلاف الأميال التي تفصل بين قُطر وقُطر، حينما يتحدث الإنسان في الهاتف (الليفون)، أو المذياع (الإذاعة)، وكذلك عند انتقال التلفاز (التلفزيون)، ومهما يكن من شيء فإنَّ مردة الجن تعجز عما يستطيعه الإنسان بالعلم^(١). قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ بل سلطان العلم أعظم من سلطان اليد^(٢).



(١) المصدر السابق، ص ٢٧٢.

(٢) مفتاح دار السعادة (٢/ ٥٩).



المبحث الرابع

قصة داود وسليمان عَلَيْهِمَا السَّلَامُ في سورة الأنبياء وسبأ

أولاً: قصة داود وسليمان عَلَيْهِمَا السَّلَامُ في سورة الأنبياء:

قال الله تعالى: ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَخْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ۝٧٨ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ۖ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ۝٧٩ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِنُخَصِّنَكُمْ مِنَ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ۝٨٠ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ ۝٨١ وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ ۖ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ ۝﴾ [الأنبياء: ٧٨-٨٢].

تفسير الآيات الكريمة:

١- ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَخْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾:

هذه قضية ذكرها القرآن الكريم متعلقة بالحكم بين متخاصمين جاء إلى داود عَلَيْهِ السَّلَامُ ليحكم بينهما في مسألة رعي غنم أحدهما زرع الآخر ليلاً دون

إذنه، وكان ابنه سليمان له رأي آخر غير الذي حكم به والده داوود عَلَيْهِ السَّلَام، فقد استدرك سليمان على أبيه، وأقرّ داوود حكم سليمان ابنه عَلَيْهِمَا السَّلَام.

أ- ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ﴾: منصوبان بفعل مقدّر، تقديره: اذكر داوود وسليمان. والخطاب موجه لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولكل مؤمن من بعده يدعو الله إلى أن يذكر ويتذكر هذه الحادثة التي حكم وقضى بها داوود وسليمان عَلَيْهِمَا السَّلَام.

ب- و﴿إِذْ﴾: ظرف زمان الماضي، وهو متعلق بالفعل المقدر؛ أي: اذكر داوود وسليمان وقت حكمهما في الحرث.

ج- ﴿يَحْكُمَانِ﴾: يقضيان بين الخصمين، عندما رفعت لهما هذه القصة. ﴿فِي الْحَرْثِ﴾: في زرع أحدهما؛ أي: في مزرعته التي زرعتها وقد يكون هذه المزرعة مزرعة زرعاً كالقمح، أو الشعير، وقد تكون مغروسة أشجاراً مثمرة كالعنب.

د- ﴿نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ﴾: دخلت غنم الآخرين تلك المزرعة فرعتها وأفسدتها وكان دخولها فيها ليلاً^(١).

هـ- ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾: وكنا لحكم داوود وسليمان والقوم الذين حكموا بينهم فيما أفسدت غنم أهل الغنم من حرث أهل الحرث شاهدين، لا يخفى علينا منه شيء ولا يغيب عنا كلمة^(٢).

٢- ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ﴾ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴿:

أ- وقد أثنى الله على سليمان في حكمة بقوله: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ﴾؛ والهاء في ﴿فَفَهَّمْنَاهَا﴾ تعود على القضية والدعوى المعروضة. أي: ففهمنا سليمان القضية، وأرشدناه إلى أن يحكم فيها الحكم الأصوب والأكمل.

(١) القصص القرآني (٤٤٣/٣).

(٢) جامع البيان، الطبري، (١٧/٥٠ - ٥١).



ب- ﴿وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾؛ أي: إنّ داود عنده حكم وعلم من الله، وسليمان عنده حكم وعلم من الله، فحكم داود في القضية بما آتاه الله من حكم وعلم، ثم حكم فيها سليمان بما آتاه الله من حكم وعلم، فجاء حكم داود فيها صواباً. فالآية لم تخطئ داود في حكمه، وإنما أثبت عليه لما عنده من حكم وعلم، وهذا معناه أن حكمه كان صحيحاً، وليس خطأً.

ولم ترد مادة (فهم) في القرآن إلا في هذا الموضع. قال الراغب عن الفهم: الفهم: هيئة للإنسان، بها يتحقق معاني ما يحسن. يقال: فهمت كذا.

- وقوله: ﴿فَفَهَّمْنَهَا سُلَيْمَنَ﴾: وذلك إما بأن جعل الله له من فضل قوة الفهم ما أدرك به ذلك؛ وإما بأن ألقى ذلك في روعه، أو بأن أوحى إليه وخصه به. وأفهمته: إذا قلت له حتى تصوّره^(١). فهم الله سليمان الدعوى، وأفهمه الحكم الأصوب والأولى فيها، فاستدرك على أبيه عَلَيْهِمَا السَّلَام^(٢).

وفي قوله تعالى: ﴿وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٩].

والقضية أن زرعاً دخلت فيه غنم لقوم ليلاً فأكلته وأفسدته، فجاء المتخاصمون إلى داود، وقصّوا عليه القصة، فحكم بالغنم لصاحب الزرع عوضاً عما أفسدته الغنم ليلاً، فلما خرج الخصمان على سليمان، وكان يجلس على الباب الذي يخرج منه الخصوم، فردهما وراجع والده، واقترح أن تدفع الغنم إلى صاحب الحرث فينتفع بألبانها وأصوافها، ويدفع الحرث إلى صاحب الغنم ليقوم عليه،

(١) المفردات، ص ٦٤٦.

(٢) القصص القرآني (٤٤٦/٣).



فإذا عاد الزرع إلى حاله التي أصابته الغنم في السنة المقبلة رد كل منهما ماله إلى صاحبه، فقال داود عَلَيْهِ السَّلَام: وُقِّت يا بني، لا يقطع الله فهمك. وقضى بما قاله سليمان. وعرض المفسرون والعلماء المسألة بتوسّع كبير، وأخذوا منها أحكاماً شرعيةً واستنباطات قضائية عدّة^(١).

والمهم أن سليمان كان قاضياً ملهماً وموفقاً ومؤيداً من الله تعالى، وأن قضاءه كان بعد قضاء والده فكأنه - في الاصطلاح المعاصر - استئناف للحكم، ونقض للحكم الأولي، وهو المطبق في جميع دول العالم اليوم، والمعروف بدرجات التقاضي^(٢).

ومن المسائل التي قضى فيها سليمان، واستدرك بها على حكم والده بالقرائن، ما ورد في السنة الصحيحة أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «كَانَتِ امْرَأَتَانِ مَعَهُمَا ابْنَاهُمَا، جَاءَ الذُّبُّ فَذَهَبَ بِابْنٍ إِحْدَاهُمَا، فَقَالَتْ لِصَاحِبَتِهَا: إِنَّمَا ذَهَبَ بِابْنِكَ، وَقَالَتِ الْآخَرَى: إِنَّمَا ذَهَبَ بِابْنِكَ، فَتَحَاكَمَتَا إِلَى دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَضَى بِهِ لِلْكُبْرَى، فَخَرَجَتَا عَلَى سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ فَأَخْبَرَتَاهُ، فَقَالَ: ائْتُونِي بِالسَّكِينِ أَشَقُّهُ بَيْنَهُمَا، فَقَالَتِ الصَّغْرَى: لَا تَفْعَلْ يَرْحَمُكَ اللَّهُ هُوَ ابْنُهَا فَقَضَى بِهِ لِلصَّغْرَى»^(٣).

فداود عَلَيْهِ السَّلَام حكم للكبرى بقرينة أنها الأولى والأصدق، وحكم سليمان للصغرى بقرينة شفقتها عليه، وحرصها على حياته لو أخذته الكبرى، بينما وافقت الكبرى على شقه لتحصل على شق ويموت نكايه في الأخرى. وفيه دلالة على استئناف الحكم ونقض الأول^(٤).

(١) شرعة الله للأنبياء، ص ٤٩٦.

(٢) شرعة الله للأنبياء، ص ٤٩٦.

(٣) رواه البخاري، رقم ٣٢٤٤.

(٤) عظات وعبر من قصص الأنبياء، سعيد عبد العظيم، ص ١٥٤.



وهذا الحديث أصل في استعمال الحكام طرقاً من الحيل المباحة في استخراج الحقوق إذا وقع الإشكال^(١).

- أنه جائز للعالم مخالفة غيره من العلماء، وإن كانوا أسنّ منه وأفضل منه، إذا رأى الحق في خلاف قولهم^(٢).

- أن الفطنة والفهم موهبة من الله لا تتعلق بكبر سن ولا صغره.

- أن الأنبياء يسوغ لهم الحكم بالاجتهاد وإن كان وجود النص ممكناً لديهم بالوحي^(٣).

إن مملكة داود وسليمان كانت قائمة على العدل والحق، وكان باب الاجتهاد مفتوحاً للوصول إلى الحكم العادل، وقد نُقل عن داود وسليمان أحكام أخرى في القضاء وفصل الخصومات، فكانوا ملوكاً وقضاة وأنبياء، وهذا من فضل الله عليهم. إن القضاء من شرعة الله تعالى الخالدة، وأقره الإسلام وجعله أحد الأعمال الجليلة، وكان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أول قاضي في الإسلام، فكان نبياً وحاكماً، وعيّن الصحابة للقضاء بين الناس، حتّى بين يديه أحياناً؛ ليدرّبهم على القضاء، وعيّن قاضياً في مكة، وأرسل القضاة إلى اليمن، وعلمهم كيفية القضاء وآدابه وأحكامه^(٤).

إن القضاء كان من مؤسسات دولة داود وسليمان لترسيخ قيم العدل والحكم بين الناس بالحق. إن قصة قضاء داود وسليمان عَلَيْهِمَا السَّلَام لأصحاب

(١) شرح ابن بطال (٨/ ٣٨٥).

(٢) فتح الباري (٦/ ٤٦٥).

(٣) أحاديث الصحيحين المنتقدة الخاصة بالأنبياء، أسامة الشنقيطي، ص ٣٩٠.

(٤) تاريخ القضاء، الزحيلي، نقلاً عن: شرعة الله للأنبياء، ص ٤٦٩.

الحرث والغنم من القصص التي اهتمّ بها الفقهاء والمفسّرون، وقد أفرد الدكتور زكي صبري محمد عبد الله بحثاً منفرداً في هذه القصة وجمّع فيها أقوال العلماء والفقهاء حول الآية، واستخرج في نهاية دراسته مجموعة من الفوائد المستنبطة من القصة، ومن أهمّها:

- جواز الاجتهاد للأنبياء فيما ليس فيه وحي ربّاني، وتفهم الله لنبيّ حكماً أصوب من حكم نبيّ آخر، وعدم تعارض ذلك مع تقرير الحكم والعلم لكل منهما، وجواز رجوع الحاكم بعد قضائه من اجتهاد إلى أرجح منه.

- لولا هذه الآية لرأيت الحكماء قد هلكوا، ولكن الله أثنى على سليمان بصوابه، وعلى داود باجتهاده.

- مرتبة الحكم بين الناس مرتبة دينية، تولاها رسل الله وخواص خلقه، وأن على القائم بها الحكم بالحق وألا يتبع الهوى.

- سليمان عَلَيْهِ السَّلَام يعدّ من فضائل داود عَلَيْهِ السَّلَام، وهبة من الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [سورة ص: ٣٠]، إذ كانت فرحة داود عَلَيْهِ السَّلَام بسليمان عظيمة، والمرء لا تقدّر فرحته في حال نبوغ ابن من أبنائه، وتفوّقه، لا سيّما إذا كان ذلك في أمر الدين والدنيا معاً^(١).

- عدم تسفيه آراء الأبناء، وإتاحة الفرصة أمامهم للتعبير عمّا بداخلهم، حيث إنهم سيكونون رجال الغد ورموزه الفاعلة، ولعل الله يُجري الحق على ألسنتهم، والحكمة ضالة المؤمن فهو أولى بها أنّى وجدها. وفرحة الأب بتفوّق ولده وحسن فهمه لا يعدلها شيء من زينة الدنيا^(٢).

(١) قضاء داود وسليمان، ص ٣٨٦.

(٢) المصدر السابق نفسه.



- لقد اتَّجه داود في حكمه إلى مجرد التعويض لصاحب الحرث، وهذا عدل فحسب، ولكن حكم سليمان تضمن مع العدل، البناء والتعمير، وجعل العدل دافعاً إلى البناء والتعمير، وهذا هو العدل الحي الإيجابي، في صورته البانية الدافعة، وهو فتح من الله وإلهام يهبه من يشاء، ولقد أوتي داود وسليمان كلاهما الحكمة والعلم: ﴿وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ وليس في قضاء داود من خطأ^(١).

ولكن قضاء سليمان كان أصوب، لأنه من نبع الإلهام. لقد أسهم حكم سليمان في هذه القضية في تحقيق أهداف عاجلة وآجلة، ودفع كل من الخصمين إلى دائرة عمل الآخر لتنتقل الخبرات بين أبناء المجتمع، وتعدد الحرف بين أبنائه، ويحس كل واحد بقيمة ما عند الآخر، فيحرص عليه حرصه على حاجاته، وبذا يتقدم المجتمع، وتسود روح التعاون بينه وتتحقق فيه قيم العفو والعدل^(٢).

٣- ﴿فَفَهَّمْنَهَا سُلَيْمَنٌ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾:

حينما جمع السياق القرآني بين داود وسليمان أراد أن يبين لنا طرفاً مما وهبهما الله، فقله تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَهَا سُلَيْمَنٌ﴾؛ مظهر من مظاهر امتياز هـ وهـا بـين ميزـة لداود عليه السلام.

أ- ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ﴾:

(١) في ظلال القرآن (٥/ ٢٣٩٠).

(٢) قضاء داود وسليمان لأصحاب الحرث والغنم، ص ٣٨٧.



والتسخير: قهر المسخر على فعل لا يستطيع أن ينفك عنه وليس مختاراً فيه^(١).

إن تسبيح الجبال والطير مع داوود المذكور تسبيح حقيقي؛ لأن الله جَلَّ وَعَلَا يجعل لها إدراكاً تسبّح به، يعلمها هو جَلَّ وَعَلَا، ونحن لا نعلمها.

كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَسْبِحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٤].

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنَ الْجَبَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقُّ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٧٤].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢]^(٢).

والمزية التي أعطاها الله تعالى لنبيه داوود عَلَيْهِ السَّلَام ليست في تسبيح الجبال؛ لأنّ الجبال تسبح معه ومع غيره، وإنما الفضل الرباني على داوود عَلَيْهِ السَّلَام أنها تردد معه وتوافقه التسبيح، وتجاوبه^(٣)، فقد عرف داوود عَلَيْهِ السَّلَام بتساويحه الله، وكان يرتهاها بصوته الحنون فتجاوب أصدائها حوله، وترجع معه الجبال والطير^(٤)، فقد كان قلبه موصولاً بربه؛ ففتح الله له أبواباً عظيمة في حمده وذكره والثناء عليه.

(١) تفسير الشعراوي (١٧/٩٦٠٣).

(٢) التدبر والبيان في تفسير القرآن بصحيح السنن، (٢١/٤٣١).

(٣) تفسير الشعراوي (١٧/٩٦٠٦).

(٤) في ظلال القرآن (٥/٢٣٩٠).



ب- ﴿وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾: فما هناك من شيء يعزّ على القدرة أو يتأبى حين تريد، يستوي أن يكون مألوفاً للناس أو غير مألوف^(١).

٤- ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُؤْسٍ لَّكُمْ لِنُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾:

أ- ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُؤْسٍ لَّكُمْ﴾:

يصح أن نقول: كان التعليم بالوحي، أو بالتجربة أو الإلقاء في الرُّوع^(٢). وهذه الصنعة لم تكن معروفة قبل داوود عَلَيْهِ السَّلَام، تلك هي صنعة الدروع: حلقاً متداخلة، بعد أن كانت تضع صفيحة واحدة جامدة. والزرد المتداخل، أيسر استعمالاً، وأكثر مرونة. ويبدو أن داوود هو الذي ابتدع هذا النوع من الدروع بتعليم الله له^(٣).

وكلمة ﴿لَبُؤْسٍ لَّكُمْ﴾: واللبوس أبلغ وأحكم من اللباس؛ فاللباس من نفس مادة (لبس) هي الملابس التي تستر عورة الإنسان وتقيه الحر والبرد، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَائِلَ تَقِيَكُمْ الْحَرَّ وَسَرَائِلَ تَقِيَكُمْ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾ [النحل: ٨١].

أما في الحرب؛ فنحتاج إلى حماية أكبر ووقاية أكثر من العادية التي نجدها في اللباس. في الحرب نحتاج إلى ما يقينا البأس، ويحمينا من ضربات العدو في الأماكن القتالة؛ لذلك اهتدى الناس إلى صناعة الخوذة والدرع لوقاية الأماكن

(١) المصدر السابق نفسه.

(٢) تفسير الشعراوي (٧/ ٩٦٠٩).

(٣) في ظلال القرآن (٥/ ٢٣٩٠).



الخطرة في الجسم البشري، وتمثل هذه في الرأس والصدر؛ ففي الرأس المخ، وفي الصدر القلب. فإن سلمت هذه الأعضاء فما دونها يمكن مداواتها وجبره. إذن: اللبوس أبلغ وأكثر حماية من اللباس، لأن مهمته أبلغ من مهمة اللباس، وهذه كانت صنعة داود عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهي صنعة الدروع^(١).

ب- ﴿لَتُحْصِتْكُمْ مِّنْ بَاسِكُمْ﴾:

أي: هي وقاية لكم، وحفظ عند الحرب واشتداد البأس^(٢).

ج- ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾:

شاكرون على نعمة الله الذي يرعاكم، ويحفظكم في المآزق والمواقف الصعبة^(٣).

- ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾: سؤال توجيه وتحضيض على شكر العبد لربه، وهو أن يستعين بنعمه على طاعته. وشكر الرب لعبده: هو أن يشبه الثواب الجزيل عن عمله القليل^(٤).

قال الرازي رَحِمَهُ اللهُ: على أن أول من عمل الدرع داود، ثم تعلَّم الناس منه، فتوارث الناس عنه ذلك، فعَمَّت النعمة بها كل المحاربين من الخلق إلى آخر الدهر، فلزمهم شكر الله تعالى على النعمة، فقال: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾، أي اشكروا الله على ما يسر عليكم من هذه الصنعة^(٥).

(١) تفسير الشعراوي (١٧/ ٩٦١٠).

(٢) تفسير السعدي، ص ٦٩٣.

(٣) تفسير الشعراوي (١٧/ ٩٦١١).

(٤) أضواء البيان (٤/ ٦٧٣ - ٦٧٥).

(٥) التفسير الكبير (٢٢/ ١٧٤).



وقال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ: هذه الآية أصل في اتخاذ الصنائع والأسباب، وهو قول أهل العقول والألباب، لا قول الجهلة الأغبياء القائلين بأن ذلك إنما شرع للضعفاء، فالسبب سنة الله في خلقه. فمن طعن في ذلك فقد طعن في الكتاب والسنة، ونسب من ذكرنا إلى الضعف وعدم المنة^(١).

وما قاله القرطبي واستدل به حق واضح، فعلى ولاية الأمور إيجاد المصانع والحرف وسائر وسائل مستلزمات الحرب، والوقاية من العدو، والتحرر منه، وهذه الأدوات تتغير بتغير الزمان والمكان، وما يتعلمه الإنسان. وعلى هذا؛ فأدوات الحرب والقتال أصبحت في زماننا متنوعة جداً، وتحتاج إلى معرفة فنون وعلوم كثيرة، وإيجاد مصانع لها، مما يلزم المسلمين تعلم هذه العلوم، وإيجاد المصانع لعمل هذه الأدوات:

د- أهمية تعلم الحِرَف:

كان داود عَلَيْهِ السَّلَام عاملاً ماهراً في صنع الدروع، وإليه نسبت، ف قيل دروع داودية^(٢). كما كان قبل ذلك راعياً للغنم في شبابه، وكان يعمل ويكسب بيده بالصناعة، ويأكل من عمل يده، ويستغني عن غيره. وهذا من شرعة الله تعالى للبشرية؛ ليسود العمل الذي يغني صاحبه، ويقيم اقتصاد الأمة، ويحارب الكسل والكسالى الذين يعيشون على أكتاف غيرهم، ويشكلون عبئاً على المجتمع والأمة والدولة. ولذلك أكدت الشريعة الإسلامية على القيام بالعمل؛ ليكسب الإنسان من عرق جبينه، وكان نبي الله داود عَلَيْهِ السَّلَام مثلاً أعلى في ذلك.

(١) تفسير القرطبي (١١/٣٢١).

(٢) أنبياء القرآن، عبد المجيد همو، ص ١٨٩.



قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داوود عَلَيْهِ السَّلَام كان يأكل من عمل يده^(١). وقال أيضاً: إن داوود عَلَيْهِ السَّلَام كان لا يأكل إلا من عمل يده^(٢). وهذه الشريعة الإلهية هي المقررة في العالم، وخاصة في العصر الحاضر، للتأكيد على العمل، واعتماد الإنسان في كسبه على العمل، وصدرت أنظمة وقوانين للعمل في جميع دول العالم توافق ما ذكرنا^(٣).

إن تعلم الحرف والأعمال التي يحتاجها المجتمع من فروض الكفاية، ولهذا كان أنبياء الله والصالحون يتعاطون الحرف التي يحتاجها الناس؛ ليكون ذلك منهم دلالة على مشروعية هذه الحرف، وتعلمها وتعاطيها؛ وأخرج ابن عساکر عن ابن عباس قال: كان آدم عَلَيْهِ السَّلَام حراثاً، وكان إدريس خياطاً، وكان نوح نجاراً، وكان هود تاجراً، وكان إبراهيم راعياً، وكان داود زراداً، وكان سليمان خوّاصاً، وكان موسى أجيراً، وكان عيسى سائحاً، وكان محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شجاعاً؛ جعل رزقه تحت رُمحه^(٤).

ومن الواضح أنّ الحرف والصنائع التي يحتاجها الناس تتغير بتغير الزمان والمكان، وتقدم الإنسان في المعرفة، فيجب أن توجد هذه الحرف والصنائع الجديدة، وعدم الاكتفاء بالصنائع القديمة التي لم تعد تفي بحاجات الناس^(٥).

(١) رواه البخاري، رقم ١٩٧٦.

(٢) رواه البخاري، رقم ٣٢٣٥.

(٣) شريعة الله للأنبياء، ص ٤٦٠.

(٤) الدر المنثور في التفسير بالمأثور. جلال الدين السيوطي (١/ ٣٠٥). والموسوعة القرآنية.

(٥) الاستفادة من قصص القرآن، ص ٢٧٦.



إن الآية الكريمة تشير إلى أن الدين لا يرفض العلم الخادم النافع، المستخدم في طاعة الله عَزَّوَجَلَّ، وأن الله عَزَّوَجَلَّ يبارك لأصحاب الصناعات الذين أخلصوا له في التوجه^(١).

٥- ﴿وَلُسَلِّمَنَّ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمِينَ﴾:

- أ- ﴿وَلُسَلِّمَنَّ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ﴾:
- ومعنى ﴿وَلُسَلِّمَنَّ الرِّيحَ﴾ أي: وسخرنا لسليمان الريح.
- ﴿عَاصِفَةً﴾؛ شديدة الهبوب قوية، سريعة في مرورها^(٢).
- ﴿إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا﴾؛ الأرض هي الشام، وهي مسكنه، وهي في حالة الإياب بعد خروجه^(٣).
- ﴿بَرَكْنَا فِيهَا﴾ أي بركة حسية، بما فيها من الزروع والثمار والخصب والخيرات، وبركة معنوية، حيث جعل فيها مهابط الوحي والنبوات وآثار الأنبياء^(٤).

الريح مخلوق من مخلوقات الله وجندي من جنوده يأمرها فتأتمر، وينهاها فتتجزر، تارة يرسلها بالخير والرخاء، وتارة يرسلها بالهلاك والدمار والشقاء^(٥).

(١) التلازم بين العقيدة والشرعية وآثاره، ص ١٦٥.

(٢) تفسير السعدي، ص ٦٩٣.

(٣) أضواء البيان (٤/ ٦٧٥ - ٦٧٨).

(٤) تفسير الشعراوي (١٥/ ٣٣٧).

(٥) سليمان عَلَيْهِ السَّلَام في القرآن الكريم، ص ١٠٦.



وقد سخر الله تعالى هذه الريح لعبده المكرم ونبيه المبجل سليمان عَلَيْهِ السَّلَام^(١). ومن لطائف التعبير القرآني: أنه لما ذكر تسخير الريح لسليمان جاء بحرف اللام (لسليمان) ومع ذكر تسخير الجبال لداود جاء بلفظ (مع) الدالة على الاستصحاب، ولما كانت الريح مسخرة لسليمان أضيفت إليه بلام التملك لأنها في طاعته وتحت أمره^(٢). وقد وصفت الريح المسخرة لسليمان تارة بالرخاء، وتارة بالعصف، وبين الوصفين تغاير في ظاهر الأمر^(٣).

ففي قوله تعالى: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ﴾، يكون معنى الآية فذلّلنا الريح تسير بأمره ليّنة طيبة حيث قصد وأراد من الأماكن والبلاد. قال الشعراوي رَحِمَهُ اللهُ في الريح المسخرة لسليمان عَلَيْهِ السَّلَام: فكأن الله تعالى جمع لهذه الريح صفة السرعة في (عاصفة)، وصفة الراحة في (رخاء)، وهاتان صفتان لا يقدر على الجمع بينهما إلا الله، فنحن حين نُسرّع بنا السيارة مثلاً لا تتوفر لنا صفة الراحة والاطمئنان، بل يفزع الناس ويطلبون تهدئة السرعة.

أما ريح سليمان فكانت تُسرّع به إلى مراده، وهي في الوقت نفسه مريحة ناعمة هادئة لا تُؤثّر في تكوينات جسمه، ولا تُحدث له رجّة أو قوة اندفاع يحتاج مثلاً إلى حزام أمان، فمن يقدر على الجمع بين هذه الصفات إلا الله القابض الباسط، الذي يقبض الزمن في حق قوم ويبسطه في حق آخرين^(٤).

وقال الزمخشري: فإن قلت: وصفت هذه الرياح بالعصف تارة وبالرخاوة أخرى، فما التوفيق بينهما؟ قلت: كانت في نفسها رحية طيبة كالنسيم، فإذا مرت

(١) المصدر السابق، ص ١٠٧.

(٢) البحر المحيط (٢٢٧/٦)

(٣) سليمان في القرآن الكريم، ص ١٠٩.

(٤) تفسير الشعراوي (٩٦١٣/١٥).



بكرسيه أبعدت به في مدة يسيرة، على ما قال غدوها شهر ورواحها شهر؛ فكان جمعها بين الأمرين أن تكون رخاء في نفسها وعاصفة في عملها، مع طاعتها لسليمان، وهبوبها على حسب ما يريد ويتحكم^(١).

ومن أوجه الجمع: أنها كانت عاصفة في بعض الأوقات وليّنة ورخاء في بعضها بحسب الحاجة^(٢).

وقيل كان الرخاء في البداية، والعصف بعد ذلك، وذلك على عادة المسافرين، يبدأ مبطئاً، ثم يأخذ في الإسراع^(٣).

تحدثنا عن الآيتين، اللتان ذكر فيهما وصف الرخاء والريح عاصفة، وهناك آية أخرى تكلمت عن الريح المسخرة لسليمان عَلَيْهِ السَّلَام: ﴿وَلَسُلَيْمَنَّ الرِّيحَ غُدُوَّهَا شَهْرٌ وَرَوَّاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ [سبأ: ١٢].

ومعنى غدوها شهر ورواحها شهر: جريها بالغداة مسيرة شهر، وجريها بالعشي كذلك^(٤).

- والغدوة: الصباح إلى الزوال.

- والروحة: من الزوال إلى الغروب.

(١) تفسير الزمخشري: الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن أحمد الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ)، بيروت، دار الكتاب العربي، ط ٣، ١٤٠٧هـ، (٣/ ١٥٨).

(٢) أضواء البيان، محمد الأمين الشنقيطي، دار عطاءات العلم، ط ٥، ١٤٤١هـ، (٣/ ١٥٨).

(٣) التفسير الشامل للقرآن، أمير عبد العزيز، دار أرسيف العلم، ط ١، ٢٠١٠م، (٤/ ٢٢٢٥).

(٤) معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، بيروت، عالم الكتب، ط ١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، (٤/ ٢٤٥).



فكانت هذه الريح: (غدوُّها إلى انتصاف النهار مسيرة شهر، ورواحها من انتصاف النهار إلى الليل مسيرة شهر)^(١).

لقد كانت هذه الريح المباركة من السرعة بحيث تقطع مسافة شهرين في اليوم الواحد ذهاباً وإياباً، وهذه نعمة، ومنحة كبرى أوتيها سليمان في عصر كانت وسائل النقل فيه بدائية تعتمد على الخيل والجمال والحمير والبغال. وكانت فترة رخاء ورفاهية تنعم فيها بنو إسرائيل بعيشهم وجنوا خصب زروعهم وثمارهم، وأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم، وهذه الخيارات من ثمار الحكم الرشيد القائم على شريعة الله عَزَّوَجَلَّ، في عهد سليمان عَلَيْهِ السَّلَام^(٢).

وأما عن كيفية تسخير الريح لسليمان عَلَيْهِ السَّلَام؛ فقد قال الشيخ عبد الوهاب النجار رَحِمَهُ اللهُ: إن الريح كانت مسخرة لسليمان تجري بأمره رخاء؛ فيأمرها أن تهب في هذه الناحية لاحتياج أهلها إلى الريح الرخاء للانتفاع بها في زرعهم ومعاشهم أو في ترجية السفن كي تصل إلى المرافئ سالمة^(٣).

وقد ردَّ الشيخ عبد الوهاب النجار على أساطير بساط الريح، في بحث طويل، وبيَّن أنه لا أساس لها من الصحة^(٤).

وقال الشيخ الطاهر بن عاشور رَحِمَهُ اللهُ: وتسخير الريح: تسخيرها لما تصلح له، وهو سير المراكب في البحر. والمراد أنها تجري إلى الشام راجعة عن الأقطار التي خرجت إليها لمصالح ملك سليمان من غزو أو تجارة، بقرينة أنها مسخرة لسليمان، فلا بد أن تكون سائرة لفائدة الأمة التي هو ملكها.

(١) جامع البيان، الطبري (٩٦/٢٢).

(٢) سليمان عَلَيْهِ السَّلَام في القرآن، ص ١١١.

(٣) قصص الأنبياء، ص ٤٢٢.

(٤) المصدر السابق، ص ٤١٩.



وعلم من أنها تجري إلى الأرض التي بارك الله فيها أنها تخرج من تلك الأرض حاملة الجنود أو مصدرة البضائع التي تصدرها مملكة سليمان إلى بلاد الأرض، وتقفل راجعة بالبضائع والميرة ومواد الصناعة وأسلحة الجند إلى أرض فلسطين، فوقع في الكلام اكتفاء اعتماداً على القرينة. وقد صرح بما اكتفى عنه هنا في آية سورة سبأ ﴿وَلَسَلَيَمَنَّ الرِّيحُ غُدُوها شَهْرٌ وَرَوْاحُها شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ [سبأ: ١٢] ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر.

ووصفها هنا بعاصفة بمعنى قوية. ووصفها في سورة ص ﴿فَسَخَرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ﴾ [سورة ص: ٣٦] بأنها رخاء في قوله تعالى: فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب. والرخاء: الليلة المناسبة لسير الفلك. وذلك باختلاف الأحوال؛ فإذا أراد الإسراع في السير سارت عاصفة، وإذا أراد اللين سارت رخاء، والمقام قرينة على أن المراد المواتاة لإرادة سليمان كما دل عليه قوله تعالى: ﴿تَجْرِي بِأَمْرِهِ﴾ في الآيتين المشعر باختلاف مقصد سليمان منها، كما إذا كان هو راكبا في البحر، فإنه يريد رخاء لئلا تزعجه، وإذا أصدرت مملكته بضاعة أو اجتلبتها سارت عاصفة، وهذا بين بالتأمل^(١).

ج- ﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمِينَ﴾: جملة معترضة بين الجمل المسوقة لذكر عناية الله بسليمان، والمناسبة أن تسخير الريح لمصالح سليمان أثر من آثار علم الله بمختلف أحوال الأمم والأقاليم، وما هو منها لائق بمصلحة سليمان، فتجري الأمور على ما تقتضيه الحكمة التي أرادها سبحانه^(٢).

(١) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، الدار التونسية، ط ١، ١٩٨٤م، (٧/ ٣٠٧).

(٢) التحرير والتنوير (٧/ ٣٠٧).



وقال الشيخ الشعراوي رَحِمَهُ اللهُ في قوله تعالى: ﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمِينَ﴾؛ أي: عندنا علم نرتب به الأمور على وفق مرادنا، ونكسر لمرادنا قانون الأشياء، فنسير الريح كما نحب، لا كما تقتضيه الطبيعة^(١).

وقال الشيخ أبو زهرة في قوله تعالى: ﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمِينَ﴾: وقدم الجار والمجرور للاهتمام بعموم علمه سبحانه، والجملة الاسمية تدل على استمرار علمه سبحانه، وأنه لا يغيب عنه شيء في السماء ولا في الأرض، ودل على الاستمرار الوصف (عَالِمِينَ)، وتقديم الجار والمجرور، والجملة الاسمية المؤكدة، وكان الدالة على الاستمرار^(٢).

٦- ﴿وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمُ حَافِظِينَ﴾:

سخر الله لسليمان عَلَيْهِ السَّلَام الجن والشياطين، وورد الحديث عن تسخير الجن في السور الثلاث: الأنبياء، وسبأ، وسورة ص.

في سورة الأنبياء ما نحن بصدد شرحها، وفي سورة سبأ قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ الْجِنَّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ [سبأ: ١٢].

- وقال تعالى في سورة (ص): ﴿وَالشَّيَاطِينُ كُلُّ بَتَاءٍ وَغَوَاصٍ﴾. وتحدثت الآيات عن تسخير الجن والشياطين لسليمان عَلَيْهِ السَّلَام، والكلمتان ليستا مترادفتين بمعنى واحد، فهناك فرق بين الجن والشياطين.

(١) تفسير الشعراوي (١٥/٩٦١٢).

(٢) زهرة التفاسير (٩/٤٩٠٣).



والجن: هم الخلق الخاص المقابل للإنس خلقهم الله من النار مقابل خلق الإنس من الطين، وهم عالم قائم بذاته.

والجن نوعان: جن مؤمنون مصلحون مسلمون، وكن كافرون ظالمون مجرمون.

- قال تعالى: ﴿وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا﴾ [الجن: ١١]

- وقال تعالى: ﴿وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ

تَحَرَّوْا رَشَدًا﴾ [الجن: ١٤] أما الشياطين فهم الكافرون المتمردون على الله، مهما كان جنسهم، وهؤلاء الشياطين منهم من كان من الجن، ومنهم من كان من الإنس، فكل كافر شيطان، سواء كان إنسيًا أم جنّيًا.

- وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ١١٢].

الجن المؤمنون ليسوا شياطين، وهم كالإنس المؤمنين في الإيمان والإسلام والطاعة، وأما الجن الكافرون فهم شياطين، كالإنس الكافرين.

وقد أخبرنا الله أنه سخر لسليمان عَلَيْهِ السَّلَام الجن بنوعيه: المؤمنين الصالحين، والكافرين الشياطين.

وعلمنا من القرآن أن أحد الجن المؤمنين تعهد بإحضار عرش ملكة سبأ لسليمان قبل أن يقوم من مقامه: ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ﴾ [النمل: ٣٩].

وكان سليمان عَلَيْهِ السَّلَام جازماً في حكم الجن والشياطين، وأيده الله بتسخيرهم وخضوعهم له، فخضعوا له بإذن الله، وكان يستخدم الشياطين من الجن في الغوص في أعماق البحار لاستخراج كنوزها وخيراتها، كما كان يستخدمهم في البناء، ولم يكن سليمان عَلَيْهِ السَّلَام يتساهل مع هؤلاء الشياطين البنائين والغواصين الذين يقصرون أو يتمرّدون أو يخالفون، فكان يقيدهم بالقيود ويصفّدهم بالأصفاد، ولم يخبرنا القرآن عن الطريقة التي حكم سليمان بها الجن والشياطين، ولا عن كيفية تفاصيل حكمهم لهم، ولا نلتفت إلى خرافات الإسرائيليات من أنه كان يحكمهم بالسحر، أو باسم الله الأعظم، أو بخاتمه السحريّ العجيب، كل ما نعرفه أنه حكمهم بإذن الله، فالله هو الذي سخرهم له وأخضعهم لحكمه، فالأمر أمر الله في الحقيقة نعمةً منه على نبيه سليمان عَلَيْهِ السَّلَام^(١).

ج- ﴿وَكُنَّا لَهُمْ حَفِظِينَ﴾ أي أن الله بقدرته سخرهم لسليمان ومنعهم عن أن ينفلتوا عنه أو أن يعصوه، وجعلهم يعملون في خفاء، ولا يؤذوا أحداً من الناس، فجمع الله بحكمته بين تسخيرهم لسليمان وعلمه كيف يحكمهم ويستخدمهم ويطوعهم، وجعلهم منقادين له وقائمين له بخدمته، دون عناء له، وحال دونهم ودون الناس لئلا يؤذيهم. وقوله: ﴿لَهُمْ﴾ يتعلق بـ ﴿حَفِظِينَ﴾. واللام لام التقوية والتقدير: ﴿حَفِظِينَ﴾؛ أي: ما نعينهم على الناس^(٢).

ثانياً: قصة داوود وسليمان في سورة سبأ:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَجِبَالُ أَوْبِي مَعَهُ وَالظِّيرُ وَاللَّيْلُ لَهُ الْحَدِيدُ ۝ أَنْ أَعْمَلَ سَبْعَ نَجَاتٍ وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ وَأَعْمَلُوا صَاحِبًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ

(١) القصص القرآني (٣/ ٥٠٢ - ٥٠٣).

(٢) التحرير والتنوير (٧/ ٣٠٨).



بَصِيرٌ ﴿١١﴾ وَلِسْلَيْمَنَ الرِّيحَ غُدُوها شَهْرٌ وَرَوَاحُها شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ ۖ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ ۚ وَمَن يَزِغْ مِنْهُم عَنْ أَمْرِنَا نَذْقُهُ مِنَ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَّحْرِبٍ وَتَمَثِيلٍ وَجَفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَتٍ ۖ أَعْمَلُوا ءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُ ﴿١٣﴾ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَاتِهِ ۚ فَلَمَّا خَرَ تَبَيَّنَتِ الْجِنَّ أَن لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ۖ الْغَيْبُ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿سبأ: ١٠-١٤﴾.

تفسير الآيات الكريمة:

١- ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَجِبَالٌ أُوتِي مَعَهُ وَالطَّيْرُ ۖ وَآلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ ۖ

أ- ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ﴾:

أي: لقد أعطينا داود فضلاً عظيماً ونعماً جليلاً، لم يعطها لكثير من الأنبياء. وكلمة ﴿مِنَّا﴾ دلّت على أن النعمة ليست من ذاتك، إنما من الله؛ فتقديم الجار والمجرور هنا أفاد قصر النعمة على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى (١). فهي عنده من لدنه، وذلك تشريف للفضل الذي أوتيته داود عَلَيْهِ السَّلَام.

وتنكير ﴿فَضْلًا﴾ لتعظيمه، وهو فضل النبوة وفضل الملك، وفضل العناية بإصلاح الأمة؛ وفضل القضاء بالعدل، وفضل الشجاعة في الحرب، وفضل سعة النعمة عليه، وفضل إغنائه عن الناس بما ألهمه من صنع الدروع الحديد، وفضل إيتائه الزبور، وإيتائه حسن الصوت وطول العمر (٢). والعلم النافع، والعمل الصالح، والنعم الدينية والدنيوية (٣)، وغير ذلك.

(١) تفسير الشعراوي (٢٠/ ١٢٢٧٠).

(٢) التحرير والتنوير (٧/ ١٢٨).

(٣) تفسير السعدي، ص ٩٠٣.



ب- ﴿يَجِبَالُ أَوِي مَعَهُ وَالطَّيْرُ﴾:

أي: قلنا: يا جبال. وجعل الجبال بمنزلة العقلاء الذين إذا أمرهم أطاعوا وأذعنوا، وإذا دعاهم سمعوا وأجابوا، إشعاراً بأنه ما من حيوان وجماد، وناطق وصامت، إلا وهو منقاد لمشيئته غير ممتنع على إرادته، ودلالة على عزة الربوبية، وكبرياء الألوهية، حيث نادى الجبال وأمرها^(١).

- ﴿أَوِي﴾: يعني رجّعي معه ما يقول، وما يقرأ من الزبور، أو من الذكر^(٢). وهذا من فضل الله على داوود عَلَيْهِ السَّلَام أن خصّ - بأمره تعالى - الجمادات كالجبال والحيوانات من الطيور أن تؤوّب معه، وترجع التسبيح بحمد الله ربها مجاوبة له. وفي هذا من النعمة عليه أن كان ذلك من خصائصه التي لم تكن لأحد قبله ولا بعده، وأن هذا يكون منهضاً له ولغيره على التسبيح إذا رآوا هذه الجمادات والحيوانات تتجاوب بتسبيح ربّها وتمجيده وتكبيره وتحميده، كان ذلك مما يهيّج على ذكر الله تعالى، فقد أعطى الله داوود عَلَيْهِ السَّلَام من حسن الصوت ما فاق به غيره، وكان إذا رجع التسبيح والتهليل والتمجيد بذلك الصوت الرخيم الشجيّ المطرب؛ طرب كل من سمعه من الإنس والجن، حتى الطيور والجبال، وسبحت ربّها^(٣). والآية تصور أنه من فضل الله على داوود عَلَيْهِ السَّلَام أنه قد بلغ من الشفافية والتجرد في تسابيح، وأنه أوتي القدرة على سماع تسبيح الجبال والطيور، وأنه يسمعها وهي تسبح معه، وهذه الشفافية التي بلغها داوود عَلَيْهِ السَّلَام تدل على إخلاصه الكبير وصدقه في التوجه لعبادة الله تعالى، وإنها لمنزلة من الإشراف

(١) البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، دار الفكر، ط ١، ١٤٣٠هـ، (٧/ ١٢٢٧٠).

(٢) تفسير الشعراوي (٢٠/ ١٢٢٧٠).

(٣) تفسير السعدي، ص ٩٠٣.



والصفاء والتجرد، لا يبلغها أحد إلا بفضل الله، وإنها للحظات عجيبة لا يتذوقها إلا من عنده بها خبر ومن جرب نوعها، ولو في لحظة من حياته^(١).

والحقيقة الثابتة في كتاب الله: أن ما من مخلوق في الكون إلا يسبح بحمد الله، قال تعالى: ﴿سُبِّحْ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤]. وما دام الله حكم أننا لا نفقه تسبيحهم، فهو تسبيح بالقول^(٢).

والذين قالوا تسبيح الدلالة استعظموا أن يكون للجبل كلام ولغة تفاهم، لكن هل للجبل كلام معك أنت؟

للجبل كلام مع ربه وخالقه الذي قال: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾. وتأمل قوله تعالى: ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَكُوتُ مِنْ خِيفَتِهِ﴾، فجمع بين تسبيح الرعد وهو جماد، وتسبيح الملائكة وهم أعلى أجناس المخلوقات، وأين وجه الدلالة في تسبيح الملائكة؟ فلماذا العجب، وقد ثبت أن لكل شيء لغة تناسبه، وقد رأينا لغة للهدد، ولغة للنمل... إلخ، فعظمة سيدنا داوود أنه فهم لغة الجبال، وسمع تسبيحها، ووافق تسبيحها تسبيحه كذلك. ﴿وَالطَّيْرُ﴾؛ يعني: يا طير أؤب مع داوود وردد معه التسبيح^(٣).
ج- ﴿وَالنَّارُ لِلْحَدِيدِ﴾:

إلانة الحديد في وقتنا الحاضر تتطلب صناعة معقدة وآلات ضخمة، ويداً عاملة بمهارات غالية، وقوة لتوليد الطاقة، فأمرها ليس هيناً. أما في وقت داوود

(١) في ظلال القرآن (٥/٢٨٩٧).

(٢) تفسير الشعراوي (٢٠/١٢٢٧١).

(٣) تفسير الشعراوي (٢٠/١٢٢٧١).



عَلَيْهِمَا السَّلَام؛ فكانت إلهة الحديد معجزة عظيمة بين يديه بأمر من الله تعالى، كما يفهم من الآية أنه فضل من الله على داوود، كما جاء فضله عليه من قبل، من تأويب الجبال والطير المسخرات له بأمر من الله^(١).

تحدث المفسرون أن الله جعل الحديد بين يديه كالعجين أو كالشمع يثبته كيفما يشاء، ثم يصبح الحديد حديداً صلباً كما تعرفونه، ولا يحتاج إلى أن نحمي الحديد حتى يصبح كالعجين، ثم يطرق بالمطارق. وهذا من قدرة الله العظيمة^(٢). ويحتمل أن تعليم الله له، على جاري العادة، وأن إلهة الحديد له، بما علمه الله من الأسباب المعروفة الآن لإذابتها، وهذا هو الظاهر. فعندما امتن الله على داوود والعباد بصناعة الدروع أمرهم بشكرها. ولولا أن صنعته من الأمور التي جعلها الله مقدورة للعباد، لم يمتن عليهم بذلك، ويذكر فائدتها؛ لأن الدروع التي صنع داوود عَلَيْهِمَا السَّلَام متعذر أن يكون المراد أعيانها، وإنما المنة بالجنس: ﴿وَعَلَّمَنَاهُ صَنْعَةَ لَبُؤْسٍ لَّكُمْ لَتُحَصِّنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾ [الأنبياء: ٨٠]^(٣).

ويبدو أن الحديد كان معروفاً قبل داوود عَلَيْهِمَا السَّلَام لكن استعمال الإنسان له كان قليلاً محدوداً. وأما داوود عَلَيْهِمَا السَّلَام، فقد هداه الله سبحانه إلى اكتشاف مناجم الحديد في مملكته، وألانه له، وجعله طوع يديه، فكان يصنع منه ما يشاء^(٤).

(١) داود وسليمان من وحي القرآن، د. عقيل حسين، ص ٧٨.

(٢) تفسير النابلسي «تدبر آيات الله في النفس والكون والحياة»، د. محمد راتب النابلسي، مؤسسة الفرسان، عمان، الأردن، ط ١، ٢٠١٧م - ١٤٣٨هـ، (١٠/ ١٦٣).

(٣) التدبر والبيان في تفسير القرآن بصحيح السنن، (٢١/ ٤٣٤).

(٤) تفسير النابلسي (١٠/ ١٦٣).



وأصبحت الصناعات المكونة من الحديد رائجة في عصره، وتستخدم على نطاق واسع في المظاهر المدنية والحضارة والعسكرية. إن الله عَزَّجَلَّ أنعم على عبده داود بتيسيل الحديد له، أو تعليمه كيف يسيل الحديد الذي هو مادة الإعمار والبناء والتصنيع. ولا شك في خطورة مادة الحديد في صناعة الحضارات، وبناء الدول، وفي حسم انتصارات الجيوش. يقول الدكتور عماد الدين خليل: وفي سورة الحديد تقرأ هذه الآية: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مِنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد: ٢٥]. سورة الحديد؟ هل ثمة أكثر دلالة على ارتباط المسلم بالأرض من تسمية سورة كاملة باسم خام من أهم وأخطر خاماتها؟

هل ثمة ما هو أكثر إقناعاً لنزعة التحضر والإبداع والبناء التي جاء الإسلام لكي يجعلها جزءاً أساسياً من أخلاقيات الإيمان وسلوكياته في قلب العالم، من هذه الآية التي تعرض خام الحديد كنعمة كبيرة أنزلها الله لعباده، وأنزل معها المسألة في طرفيها الذين يتمخضان دوماً عن الحديد: ﴿بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ متمثلاً باستخدام الحديد كأساس للتسلح والإعداد العسكري، والـ ﴿مَنْفَعٌ﴾ التي يمكن أن يحظى بها الإنسان من هذه المادة الخام في كافة مجالات بنائه ونشاطه (السلمي)؟! وهل ثمة حاجة للتأكيد على الأهمية المتزايدة للحديد بمرور الزمن، في مسائل السلم والحرب، وأنه غدا في عصرنا الراهن هذا وسيلة من أهم الوسائل في ميادين القوى الدولية سلماً وحرباً؟

إن الدولة المعاصرة التي تملك خام الحديد تستطيع أن ترهب أعداءها بما ينتجه لها هذا الخام من مقدرة على التسلح الثقيل، وتستطيع -أيضاً- أن تخطو

خطوات واسعة لكي تقف في مصاف الدول الصناعية العظمى التي يشكل الحديد العمود الفقري لصناعاتها وغناها^(١).

إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مَنْحَ الْحَدِيدِ لِدَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَعَلَّمَهُ كَيْفَ يُلِينُهُ؛ لِأَنَّ الْفَائِدَةَ تَحْتَقِقُ بِوُجُودِ الْخَامِ وَالْقُدْرَةِ عَلَى تَشْكِيلِهِ، وَلَا شَكَّ أَنَّ ذَلِكَ سَاعَدَ عَلَى بِنَاءِ حَضَارَةٍ عَظِيمَةٍ جَمَعَتْ بَيْنَ الْمَنْهَجِ الرَّبَّانِيِّ، وَالتَّطَوُّرِ الْعِمْرَانِيِّ وَالصَّنَاعِيِّ... إلخ. وَإِذَا تَأَمَّلْنَا فِي آيَةِ الْحَدِيدِ نَجِدُ تَدَاخُلًا عَمِيقًا وَارْتِبَاطًا صَمِيمًا بَيْنَ آيَةِ الْحَدِيدِ، وَإِرْسَالِ الرِّسْلِ، وَإِنْزَالِ الْكُتُبِ مَعَهُمْ، وَإِقَامَةِ الْمَوَازِينِ الدَّقِيقَةِ لِنُشْرِ الْعَدْلِ بَيْنَ النَّاسِ، وَبَيْنَ إِنْزَالِ الْحَدِيدِ الَّذِي يَحْمِلُ فِي طَيَاتِهِ (البَّاسَ). ثُمَّ التَّأَكِيدَ عَلَى أَنَّ هَذَا كُلَّهُ إِنَّمَا يَجِيءُ لِكَيْ يَعْلَمَ اللَّهُ: ﴿مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ﴾ وَ﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾.

إِنَّ الْمُسْلِمَ الرَّبَّانِيَّ لَنْ تَحْمِيَهُ بَعْدَ قُدْرَةِ اللَّهِ إِلَّا يَدُهُ الْمُؤْمِنَةُ الَّتِي تَعْرِفُ كَيْفَ تَبْحَثُ عَنِ الْحَدِيدِ، وَتَشْكَلُهُ، وَتَسْتَخْدِمُهُ مِنْ أَجْلِ حِمَايَةِ الْعَقِيدَةِ وَالتَّاقْدُمِ بِهَذَا الدِّينِ، وَتَحْقِيقِ النُّصْرَةِ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَإِقَامَةِ دَوْلَةٍ تَحْكُمُهَا شَرِيعَةُ رَبِّ الْعَالَمِينَ^(٢). وَإِنْ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَأَلَّنَّا لَهُ الْحَدِيدَ﴾ فِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَهْمِيَّةِ هَذَا الْخَامِ، وَتَوْظِيْفِهِ فِي عِمَارَةِ الْأَرْضِ، وَخِدْمَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ، وَالدِّفَاعِ عَنِ الْمَقْدِسَاتِ.

٢- ﴿أَنْ أَعْمَلَ سَبِغَتٍ وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ وَأَعْمَلُوا صَاحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾:

أ- ﴿أَنْ أَعْمَلَ سَبِغَتٍ﴾:

(١) التفسير الإسلامي للتاريخ، د. عماد الدين خليل، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ١٩٨٦م، ص ٢٢١

(٢) فقه النصر والتمكين، الصلابي، ص ١٣٠.



(أن) في قوله: ﴿أَنْ أَعْمَلَ سَبِغَتٍ﴾؛ تفسيرية، فجملة ﴿أَنْ أَعْمَلَ سَبِغَتٍ﴾ تفسيرية لما قبلها، أي: لما أَلْنَا لداود الحديد، قلنا له: اعمل سابغات. ومعنى ﴿سَبِغَتٍ﴾ واسعات طوالاً، وهي صفة لموصوف محذوف. والتقدير: اعمل دروعاً سابغات واسعات طوالاً كوامل.

قال الإمام الراغب: درع سابغ: تام واسع؛ قال تعالى: ﴿أَنْ أَعْمَلَ سَبِغَتٍ﴾ وعنه استعير إسباغ الوضوء وإسباغ النعم، قال تعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ وظَهَرَ وَبَاطِنَهُ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾ [لقمان: ٢٠] ^(١).
ب- وإن السرد في قوله: ﴿وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ﴾ الثقب.

يقال: سَرَدَ الشيء: ثقبه. وسرد الجلد: خرزه. وسرد نسجها، فشك طرفي كل حلقتين، وسمّرها بالمسامير ^(٢). وقال الإمام الراغب: ﴿السَّرْدِ﴾: خَرَزُ ما يخشن ويغلظ كنسج الدرع، وخرز الجلد، واستعير لنظم الحديد، قال تعالى: ﴿وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ﴾.

ومعنى: ﴿وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ﴾؛ أحسن تقدير المسامير في حلق الدرع، وأحسن ثقب حلق الدرع، بحيث تجيء فتحة الحلقة على قدر المسمار، فلا هي أوسع من المسمار؛ فيتخلخل ويتحرك فيها المسمار، ولا هي أضيق من المسمار فلا يدخلها وينكسر.

قدّر ثقب الحلقة أحسن تقدير، واجعلها على قدر الحاجة، قال ابن عباس: ﴿السَّرْدِ﴾ هو ثقب الدروع من الحديد.

(١) المفردات، ص ٣٩٥.

(٢) المعجم الوسيط، إبراهيم أنيس وآخرون، القاهرة، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، ط ٥، ٢٠١١ م، ص ٤٢٦.

وقال مجاهد: في قوله تعالى ﴿وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ﴾: لا تدق المسمار فيقلق في الحلقة، ولا تغلظه فيفصمها، واجعله بقدر. وقال الحكم بن عتيبة: لا تغلظه فيفصم، ولا تدقه فيقلق.

والدروع المسرودة هي الدروع الحديدية، التي وضعت المسامير في حلقاتها، فصارت محكمة متينة.

فالأية: ﴿أَنْ أَعْمَلَ سَلِيغَتٍ وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ﴾ تخبرنا أن الله علّم داوود عَلَيْهِ السَّلَام صنع الدروع المحكمة من الحديد الذي ألانه له، فكان داوود يحسن تقدير ثقب الحديد، فتكون الحلقة مناسبة للمسمار تماماً، لا أصغر منه، ولا أكبر، وبهذا كان جنوده يلبسون الدروع الحديدية المحكمة التي يصنعها؛ فكانت تحميهم من الأعداء في القتال، وترد عنهم أسلحة أولئك الأعداء.

ولم تكن الدروع الحديدية مسرودة بالحلل والمسامير قبل داوود عَلَيْهِ السَّلَام. قال قتادة: داوود أول من عمل الدروع من الحلل، وإنما كانت قبل ذلك صفائح^(١). ج- ﴿وَأَعْمَلُوا صَلِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾:

يبدو أن أهل داوود اقتبسوا منه صناعة الدروع فاتجهت الآية تأمرهم بالإخلاص في العمل وإتقانه وإحسانه واجعلوا عملكم كله خالصاً لله تعالى، فإني بصير به ومجازيكم عليه^(٢).

- ﴿وَأَعْمَلُوا صَلِحًا﴾ لا في الدروع وحدها، بل في كل ما تعملون^(٣).

(١) تفسير ابن كثير (٣/٥٠٥ - ٥٠٦).

(٢) التفسير الموضوعي (٧/٦٥).

(٣) في ظلال القرآن (٥/٢٨٩٨).



د- ﴿إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ اسم الله البصير:

البصير الذي أحاط بصره بجميع المبصرات في أقطار الأرض والسموات حتى أخفى ما يكون فيها فيرى ديب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء، وجميع أعضائها الباطنة والظاهرة، وسريان المياه في أغصان الأشجار، وعروقها وجميع النباتات على اختلاف أنواعها وصغرها ودقتها، ويرى نياط عروق النملة والنحلة والبعوضة وأصغر من ذلك. فسبحان من تحار العقول في عظمته وسعة متعلقات صفاته وكمال عظمته ولطفه، وخبره بالغيب والشهادة والحاضر والغائب، ويرى خيانات الأعين، وتقلبات الأجفان، وحركات الجنان، قال تعالى:

- ﴿الَّذِي يَرَبُّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٣٧٨﴾ وَتَقْلُبُكَ فِي السَّجْدِينَ ﴿٣٧٩﴾ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الشعراء: ٢١٨-٢٢٠]

- ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩]

- ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾؛ أي: مطلع ومحيط علمه، وبصره، وسمعه بجميع الكائنات^(١).

وفي ضوء الأقوال السابقة يظهر أن لاسمِه -سبحانه- (البصير) معنيين:
الأول: أن له سبحانه بصراً يليق بعظمته، ويحيط بأقطار السماوات والأرض، ويرى به سبحانه جميع مخلوقاته دقيقها وجليلها باطنها وظاهرها؛ ولا يخفى عليه منهم شيء.

(١) الحق الواضح المبين في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين من الكافية الشافية، عبد الرحمن بن ناصر آل سعدى، السعودية، دار ابن القيم، ط ٢، ١٩٨٧ م، ص ٣٥ - ٣٦. وانظر: تفسير السعدي للآية.



الثاني: أنه ذو البصيرة بالأشياء الخبير بها المطلع على بواطنها^(١).

إن داوود عَلَيْهِ السَّلَام حقق مقام المراقبة لله عَزَّجَلَّ، وكان على يقين راسخ بأن الله لا يخفى عليه خافية في ليل ونهار، في سر أو إعلان، في خلوة أو اجتماع، في باطن الأرض أو ظاهرها. وأثر ذلك الاعتقاد في قلبه خوفاً من الله من أن يراه على حال لا ترضيه، واستحى من الله في خلواته، وأخلص لله في جميع أعماله، ونشر التوحيد بين آل داوود ودعاهم لإفراد العبادة لله وحده.

وقام بالدعوة إلى الله على بصيرة ومعرفة وعلم، ونهج السابقين من الأنبياء والمرسلين.

٣- ﴿وَلَسَلِمْنَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ ۖ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ ۚ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ۖ﴾:

أ- ﴿وَلَسَلِمْنَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ﴾:

أخبرنا الله أن هذه الريح الرخاء العاصفة كان غدوها شهراً، وكان رواحها شهراً.

- والغدو هو أول النهار. تقول: غدا، يغدو، غدواً: بكر وخرج في أول النهار.

- والرواح: هو السير في النهار، قبيل المغرب، والغدو والرواح أمران

متقابلان، الأول في أول النهار، والثاني في آخر النهار.

(١) والله الأسماء الحسنی، ص ٦٢٨.



ومعنى قوله عن الريح: ﴿غُدُوْهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾؛ أن الله جعل الريح سريعة عاصفة بما معها من غيث ورخاء؛ حيث كانت تقطع مسيرة شهر في غدوها وقدومها ومجيئها وقت الصباح، وتقطع شهراً آخر في رواحها وذهابها وقت العشي في آخر النهار.

أي أن الريح كانت تقطع مسيرة شهرين في اليوم الواحد، وهذا مظهر من مظاهر الرخاء والخصب الذي كانت تأتي به هذه الريح وتتحرك بأمر سليمان^(١).
ب- ﴿وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ﴾:

أخبر سُبحَانَهُ وَتَعَالَى من بين النعم التي أفاضها على سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ إِسالة عين القطر، وقد أعطى الله عَزَّجَلَّ لوالده عَلَيْهِ السَّلَامُ نعمة شبيهة؛ وهي إلانة الحديد؛ ليعمل منه الدروع السابغات وتكاد كتب اللغة تجمع على أن القِطْر: هو النحاس الذائب أو ضرب منه.

ومعنى ﴿وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ﴾؛ أذبنا له النحاس حتى كان يجري كأنه عين ماء متدفقة من الأرض^(٢). وهذا النحاس كان يخرج من الأرض خروج الماء من ينبوع^(٣). وقد قال القاضي البيضاوي: أساله من معدنه، فنبع منه نبوع الماء من ينبوع؛ ولذلك سمّاه عيناً^(٤).

(١) القصص القرآني (٣/٤٩٩).

(٢) سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ في القرآن، ص ١٠٢.

(٣) المصدر السابق نفسه.

(٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي)، عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٤١٨هـ، (٤/٣٩٤).



وهذه النعمة الباهرة آية على علو شأن سليمان، وارتفاع قدره عند ربه جَلَّ وَعَلَا. إن سياق الآيات الكريمة يبيّن أن إسالة النحاس لسليمان عَلَيْهِ السَّلَام كان معجزة خارقة كإلانتة الحديد لداود، وقد يكون ذلك بأن فجر الله عيناً بركانية من النحاس المذاب من الأرض، أو بأن ألهمه الله إذابة النحاس حتى يسيل، ويصبح قابلاً للصّب والطرق وهذا فضل من الله كبير^(١).

وقد استخدم سليمان عَلَيْهِ السَّلَام معدن النحاس في العمارة والبناء، وشيّد العديد من المباني والقلاع والمساجد، والقصاع والقصور، وقد استفاد من معدات الحديد كذلك ومعادن أخرى في الصناعات الحربية والمدنية لتقوية دولته ونمو صناعتهما وازدهار حضارتها والقيام بواجب العمارة في الأرض، وفق مفهوم الخلافة فيها.

ولا شك أن النحاس اعتبر عنصراً مهماً من عناصر الحضارة في عهد سليمان عَلَيْهِ السَّلَام.

وقد ثبت وجود أعمال قديمة لاستخراج النحاس في شمال وادي عربة، وقد كانت خامات النحاس تجلب في أماكن استخراجها إلى منطقة (تل المقص) بالقرب من مطار العقبة الحالي، ويبعد حوالي أربعة كيلو شمال ميناء العقبة، حيث كانت تصنع لاستخراج النحاس منها، وتقديره خاماً ومصنّعاً إلى البلاد المجاورة عبر موانئ خليج العبة (آيلة) وعصيون جابر^(٢).

ج- ﴿وَمِنَ الْجِبِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾:

(١) في ظلال القرآن (٢٨٩٨/٥).

(٢) من آيات الإعجاز الإنبائي والتاريخي، (٧٣١/٢).



ومن الجن من يطيعه ويأتمر بأمره وينتهي بنهيهِ، فيعمل بين يديه ما يأمره به، طاعةً له بإذن ربه، بأمر الله بذلك وتسخيرهِ إِيَّاه^(١). ومعنى ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾ أن المسألة كلها تسخير من الله لنبيِّهِ سليمان، وليس أمراً ذاتياً من عنده^(٢).

إن الله عَزَّوَجَلَّ سَخَّرَ الشياطين لسليمان عَلَيْهِ السَّلَام. وكل من ادعى أنه سخر الشياطين، وأنها تخدمه رغماً عنها فهذا غير صحيح؛ لأن سليمان عَلَيْهِ السَّلَام قال: ﴿وَهَبْ لِي مَلَكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي أَنْتَ أَلُوْهَابُ﴾ [سورة ص: ٣٥]. فأي إنسان يأتيك، ويدّعي أنه تخدمه الشياطين، فاعلم أنه كذاب فهي إن خدمته فباختيارها هي لا بتسخيره لها، وإنما تخدمه لأنه يخدمها، فيكون هناك تبادل منافع أو مضار؛ لأنها لا تخدمه إلا إذا كفر بالله عَزَّوَجَلَّ، أما أن تسخر له الشياطين وأنها ترغم على خدمته فهذا باطل^(٣).

وقد بين العلماء بأنه لا يجوز استخدام الشياطين من قبل الإنس لا لعلاج ولا غيره؛ لأن الله خص نبيِّهِ سليمان بتسخير الجن والشياطين. وقال العلماء في اللجنة الدائمة للبحوث والإفتاء في المملكة العربية السعودية: لا تجوز الاستعانة بالجن الذي تسمونه القرين، وسؤالهم عن نوع مرض المريض؛ لأن الاستعانة بالجن شرك بالله عَزَّوَجَلَّ، فالواجب على من يعمل ذلك التوبة إلى الله من ذلك، وترك هذه الطريقة والاقتصار على الرقية الشرعية^(٤).

وكانت إجابة الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللهُ عن سؤال يتعلق باستخدام الجن في العلاج فقال: لا ينبغي للمريض استخدام الجن في العلاج، ولا يسألهم بل

(١) جامع البيان (٦٨/٢٢ - ٧٠).

(٢) تفسير الشعراوي (١٢٢٧٦/٢٠).

(٣) فبهذا هم اقتدوه، عثمان الخميس، ص ٣٢٥.

(٤) فتاوى اللجنة الدائمة، عثمان الخميس، ص ٣٢٥.

يسأل الأطباء المعروفين، وأما اللجوء إلى الجن فلا؛ لأنه وسيلة إلى عبادتهم وتصديقهم؛ لأن في الجن من هو كافر، ومن هو مسلم، ومن هو مبتدع، ولا تعرف أحوالهم، فلا ينبغي الاعتماد عليهم، ولا يسألون، ولو تمثلوا لك، بل عليك أن تسأل أهل العلم والطب من الإنس، وقد ذم الله المشركين بقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾؛ ولأنه وسيلة للاعتقاد فيهم والشرك، وهو وسيلة لطلب النفع منهم والاستعانة بهم، وذلك كله من الشرك. (١)

د- ﴿وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾:

ومن يعدل منهم عن أمرنا الذي أمرناه به وهو طاعة سليمان عَلَيْهِ السَّلَام نذقه من عذاب السعير. أي: نذقه عذاباً أليماً من الحريق في الدنيا، أو من عذاب النار في الآخرة (٢).

٤- ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحْرِبٍ وَتَمَثِيلٍ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَتٍ ۚ أَعْمَلُوا ءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾:

لقد سخر الله الجن في إقامة المباني العظيمة، وتشيد الصروح العجيبة، وقدرتهم في هذه الأمور، وقد ذكر القرآن الكريم طائفة من هذه الأعمال.

أ- ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحْرِبٍ﴾:

- المحارِب: جمع محراب، ويطلق على القصر الفخم الواسع، وعلى المكان الذي يقصده الناس للعبادة، ومنه قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا ۚ قَالَ يَمْرِؤُا نِي لَكَ هَذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ۖ إِنَّ اللَّهَ

(١) فوائد قصص نبي الله سليمان، ص ٥٢.

(٢) التفسير المنير (١١/٤٨٢).



يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ [آل عمران: ٣٧]؛ والمحراب في اللغة: صدر المجلس، ويقال: هو أشرف المجالس، وهو حيث يجلس الملوك والسادات والعظام، ومنه محراب المصلى^(١).

قال الإمام الراغب رَحِمَهُ اللَّهُ في توجيه تسمية المحراب بهذا الاسم: قيل: سُمِّيَ بذلك لأنه موضع محاربة الشيطان والهوى، وقيل: سُمِّيَ بذلك لكون حق الإنسان فيه أن يكون حرياً من أشغال الدنيا ومن توزع الخواطر، وقيل: الأصل فيه أن محراب البيت صدر المجلس، ثم اتخذت المساجد فسُمِّيَ صدره به، وقيل: بل المحراب أصله في المسجد، وهو اسم خص به صدر المجلس، فسُمِّيَ صدر البيت محراباً تشبيهاً بمحراب المسجد، وكأن هذا أصح^(٢).

وسليمان عَلَيْهِ السَّلَام كان يحرص على إقامة المعابد مؤثلاً للمؤمنين لعبادة رب العالمين.

ب- ﴿وَتَمَثَّلَ﴾:

قال النابلسي: ومعنى التمثال: الشيء الذي يصنع على مثل شيء آخر، أي التصويرات في هذه المحاريب كالأقواس مثلاً، وليس المقصود التصاوير ولا التماثيل التي تألفونها في حياتكم^(٣).

وقال البيضاوي رَحِمَهُ اللَّهُ: التماثيل هي الصور والتمائيل. وحرمت التصاوير بشرع نبينا ولم يكن حراماً في شريعته^(٤).

(١) المصباح المنير، ص ٤٩.

(٢) معجم مفردات القرآن، ص ١٢٦.

(٣) تفسير النابلسي (١٠ / ١٦٨).

(٤) تفسير البيضاوي (٤ / ١٧١).



وهناك من قال: إن التماثيل التي صنعت في عهد سليمان كانت بشكل مغاير لمعنى التماثيل المنهي عنها في عهد إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَام، والتي حرّمها الإسلام^(١).
فالحكمة في تحريم صناعة التماثيل وهو تعظيم وإجلال غير الله، وهذا التعظيم لغير الله محرّم في جميع الشرائع السماوية من نوح وإبراهيم ثم موسى وعيسى عَلَيْهِ السَّلَام، وانتهاء برسالة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذا ما يرجح أن التماثيل التي أمر سليمان عَلَيْهِ السَّلَام بصناعتها مختلفة عن التماثيل المحرّمة^(٢).

وقال الشيخ محمد متولي الشعراوي رَحِمَهُ اللهُ: والتماثيل: جمع تمثال، وهو مأخوذ من مِثْل أو مَثَل، ومِثْل الشيء يعني: شبيهه ونظيره، وكانوا يعمدون إلى الأشياء التي لها جِرم ويُصوِّرونها على صورة أشياء مخلوقة لله تعالى، كصورة الإنسان أو الحيوان، من الحجر أو الحديد أو الخشب أو غيرها ويُسمُّونه تماثلاً، ويُقيمونه ليعبدوه.

وقد حطمها الأنبياء، ونهوا عن عبادتها من دون الله. إذ قالوا: حطمت التماثيل لما اتخذها الناس للعبادة والألوهية، وكانت من قبل لا تتخذ للعبادة، بل للخدمة، وللدلالة على الإهانة والإذلال، ألم تر في الآثار القديمة كرسياً أو مائدة تقوم على هيئة مجموعة من الأسود مثلاً فلما عبدت أمرنا بتحطيمها وتحريمها^(٣).

وقال الدكتور محمد عياش الكبيسي: إن صناعة التماثيل بحدّ ذاتها ليست من مسائل العقائد وإنما هي من مسائل الفقه؛ لأن المقطوع به أن عقائد الأنبياء

(١) داود وسليمان في الأسفار اليهودية، ص ٣٦٤.

(٢) المصدر السابق، ص ٣٦٣.

(٣) تفسير الشعراوي (٢٠/١٢٢٧٨).



لا تختلف، وإنما تختلف الأحكام الفقهية تبعاً للحاجة وتطور الحياة، كما أن ذكر التماثيل هنا في مقام المدح والامتنان يعني أن القيم الجمالية مطلوبة، وإن كانت طريقة التعبير عنها تختلف من شريعة إلى شريعة، ومن زمان إلى زمان^(١). وقد حاول بعض العلماء الاعتذار عن سليمان عَلَيْهِ السَّلَام، بأن التماثيل التي كانت في عهده لم تكن تماثيل لذي روح من إنسان أو طير أو حيوان، وإنما كانت تماثيل لما لا روح له، كالأشجار والبحار والمناظر الطبيعية^(٢).

إن شريعتنا الإسلامية، قد جاءت النصوص النبوية قاطعة في حرمة التماثيل وصناعتها وسمتها باسم: الصور. وفعلها تصوير. وفاعلها: مصور.

ومن هذه الأحاديث ما رواه الشيخان عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا عِنْدَ اللَّهِ الْمَصُورُونَ»^(٣).

وقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام: «إِنَّ الَّذِينَ يَصْنَعُونَ هَذِهِ الصُّورَ يُعَذَّبُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُقَالُ لَهُمْ: أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ»^(٤).

وقد اختلف علماؤنا في الممنوع والجائز من الصور اختلافاً كبيراً، غير أنهم اتفقوا على حرمة اتخاذ الصور المجسّمة (التماثيل) ولم يستثن الفقهاء من هذه الصور إلا لعب الأطفال وما يمتهن. وما سوى ذلك ففيه خلاف ليس هنا موضعه^(٥). وقد كان الإسلام شديداً في محاربة التماثيل، حتى لا تتخذ ذريعة إلى الشرك، وطريقاً إلى الوثنية^(٦).

(١) مجالس النور، محمد عياش الكبيسي، الدوحة، جامعة قطر، ط ١، ٢٠١٩م، (٣/ ١٢٢٠).

(٢) سليمان عَلَيْهِ السَّلَام في القرآن، ص ١٢٣.

(٣) سليمان عَلَيْهِ السَّلَام في القرآن، ص ١٢٣.

(٤) البخاري، رقم ٢١٤٤.

(٥) الحلال والحرام، يوسف القرضاوي، دار الكتب المصرية، طبعة ٢٠١٣م، ص ١٠٥ - ١٠٦.

(٦) سليمان عَلَيْهِ السَّلَام، ص ١٢٤.



قال الإمام ابن العربي في علّة هذا التحريم: والذي أوجب النهي في شرعنا -والله أعلم- ما كانت العرب عليه من عبادة الأوثان والأصنام، فكانوا يصوِّرون ويعبدون، فقطع الله الذريعة وحمى الباب^(١).

ج- ﴿وَجِئَانِ كَلْجَوَابِ﴾:

الجفان: قصاع عظيمة، خصت بالطعام. واحدها جفنة، وهي ما كانوا يتمدّحون به^(٢). يقول حسان بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ممتدحاً قومه:

لَنَا الْجَفَنَاتُ الْغُرُّ يَلْمَعْنَ بِالضُّحَى
وَأَسْيَافُنَا يَقْطُرْنَ مِنْ نَجْدَةٍ دَمًا

والجواب: الحياض الواسعة، يجبى فيها الماء، أي؛ يجمع لسقي الإبل وغيرها^(٣).

والجن المسخّرون لسليمان عَلَيْهِ السَّلَام كانوا يضعون له القصاع العظيمة الواسعة ليوضع فيها الطعام. وأهل اللغة فرّقوا بين أسماء أوعية الطعام حسب الكبر والاتّساع. فالجفنة: أعظم القصاع، ويلها القصعة، وهي ما تشبع العشرة، ويلها الصحفة، وهي ما تشبع الخمسة، ويلها المكلة، وهي ما تكفي الشخصين أو الثلاثة. والصحيفة: الصحن المفرد الذي يكفي شخصاً واحداً، وأما أكبر وعاء للطعام، فهو الجفنة؛ لذلك قال: (كالجواب) أي: كالأحواض العظيمة التي تستخدم لتخزين المياه^(٤).

(١) أحكام القرآن، أبو بكر ابن العربي، دار الكتب العلمية، الطبعة الثالثة، ١٤٢٤هـ، (٩/٤).

(٢) المعجم المفصل في تفسير غريب القرآن الكريم، محمد التونجي، ص ١٠٨.

(٣) المصدر السابق نفسه، ص ١١٦.

(٤) تفسير النابلسي (١٠/١٦٨).



والآية تتحدث عن عظيم جفان سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ التي يطعم فيها الناس حتى تبدو لكبرها كأنها أحواض مياه كبيرة^(١). وهذا كناية عن كرمه وكثرة إطعامه الطعام^(٢).

د- ﴿وَقُدُورٍ رَاسِيَتٍ﴾:

وإن القدور هي أوعية الطعام المعروفة التي توضع على النار، ويطبخ فيها الطعام.

- وقد وصف هذه القدور بأنها (راسيات) أي: ثابتات. قال القاضي البيضاوي رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿وَقُدُورٍ رَاسِيَتٍ﴾؛ ثابتات على الأثافي لا تنزل عنها لعظمها^(٣).

- إذن فهي قدور عظيمة واسعة، ولعظمها واتساعها فهي ثابتة لا تحمل ولا تُحرَّك، حتى إن بعضها كان يصعد إليها بالسلم^(٤).

وقد ذكر جمعٌ من المفسرين أن هذه القدور كانت من النحاس. وهذه القدور والجفان تدل على عظم ملك سليمان، وتدلنا على الجود الواسع والكرم الأصل الذي كان يتحلى به سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهذه الصفة من متطلبات الحكم الرشيد، ومن القربات العظيمة لله عَزَّوَجَلَّ، ومن وسائل كسب الرعية والمواطنين والمحتاجين في الدولة.

هـ- ﴿أَعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾:

(١) سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ في القرآن الكريم، ص ١٢٥.

(٢) تفسير الشعراوي (١٢٢٧٨/٢٠).

(٣) تفسير البيضاوي (٣٩٤/٤).

(٤) تفسير النابلسي (١٦٨/١٠).



أي: اعملوا بطاعة الله يا آل داود! شكراً على ما آتاكم، أو اعملوا عملاً يعبر ويعرب ويترجم عن شكركم لله تعالى. وخصهم بالذكر مع أن الشكر واجب على سائر الخلق؛ لأنهم موضع التأسي والاقتداء ومحل الأنظار^(١).
وإن من سعادة العبد أن يكون شاكراً لله على نعمه الدينية والدنيوية، وأن يرى جميع النعم من ربه فلا يفخر بها ولا يعجل بها، بل يرى أنها تستحق عليه شكراً كثيراً^(٢).

- ﴿آل دَاوُدَ﴾: هم أهل الصالحون، وعلى رأسهم سليمان عَلَيْهِ السَّلَام.
- وكلمة ﴿شُكْرًا﴾: منصوبة. ويجوز فيها أوجه، إحداها: أنه مفعول به؛ أي: اعملوا الطاعة، سميت الصلاة ونحوها شكراً لسدّها مسده.
الثاني: أنه مصدر من معنى: اعملوا، كأنه قيل: اشكروا شكراً بعملكم أو: اعملوا عمل الشكر.

الثالث: إنه مفعول لأجله؛ أي: لأجل الشكر.
الرابع: إنه مصدر وقع موقع الحال؛ أي: شاكرين.
الخامس: أنه صفة للمصدر ﴿اعْمَلُوا﴾ تقديره: اعمل عملاً شكراً؛ أي: ذا شكر^(٣).
قال ابن كثير: وفي الآية دليل على أن الشكر يكون بالفعل كما يكون بالقول والنية^(٤).

(١) الصراع بين الحق والباطل، العنزي، ص ٨٠.

(٢) فوائد قصص نبي الله سليمان، عبد الفتاح محمد، ص ٥٠.

(٣) سليمان عَلَيْهِ السَّلَام في القرآن، ص ١٣٠.

(٤) تفسير ابن كثير (٣/٥٢٩).



وروي أن داود عَلَيْهِ السَّلَام، قال: كيف أطبق شكرك وأنت الذي تُنعم عليّ ثم ترزقني على نعمة الشكر، فالنعمة منك والشكر منك، فكيف أطبق شكرك؟ فقال جَلَّ وَعَلَا: يا داود الآن عرفتني حق معرفتي. ومر معنا قول سليمان عَلَيْهِ السَّلَام: ﴿هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّيَ عَنِّي كَرْيَمٌ﴾ [النمل: ٤٠].

وظاهر الآية أن الشكر بعمل الأبدان دون الاقتصار على عمل اللسان؛ ولهذا كان نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه، فقالت عائشة: لِمَ تَصْنَعُ هَذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ قَالَ: «أَفَلَا أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ عَبْدًا شَكُورًا»^(١).
- ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾:

قيل: الشكور هو المتوفر على أداء الشكر بقلبه ولسانه، وجوارحه أكثر أوقاته، ومع ذلك لا يؤدّي حقه؛ لأن توفية الشكر نعمة تستدعي شكراً آخر لا إلى نهاية، ولذا قيل: الشكور من يرضى عجزه عن الشكر^(٢).

وقد تحدّث ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ عن الشكر، وبين أن حقيقته: ظهور أثر نعمة الله على لسان عبده ثناءً واعتراًفاً، وعلى قلبه شهوداً ومحبةً، وعلى جوارحه انقياداً وطاعة. والشكر مبنيٌّ على خمس قواعد: خضوع الشاكر للمشكور، وحبُّه له، واعترافه بنعمته، والثناء عليه بها، وأن لا يستعملها فيما يكره.

(١) التفسير الموضوعي (١٨/٧)، البخاري، رقم ٤٨٣٧.

(٢) تفسير البيضاوي (٣٩٥/٤) بتصرف.



فهذه الخمسة هي أساس الشُّكر، وبنائوه عليها، فمتى عدم منها واحدةً اختلَّ من قواعد الشكر قاعدة. وكلُّ من تكلم في الشكر وحدّه، فكلامه إليها يرجع وعليها يدور^(١).

ولقد أحسن آل داوود وعلى رأسهم سليمان شكر الله عليه، فأورثته تلك النعم مزيداً من الخضوع لله، وتواضعاً لعباد الله، وشفقة على عيال الله، وأقام مملكة على الشكر لله، والعدل بين خلقه، والإحسان إليهم، وتحكيم شرع الله بين عباد الله تعالى.

إن من أدق تعريفات الشكر: هي أن تستخدم نعمة الصِّحة في طاعة الله، ونعمة البصر في رؤية آلاء الله، ونعمة العلم لدعوة الناس إلى الحق، ونعمة اللسان لذكر الله عَزَّجَلَّ، ونعمة السمع في سماع الحق، ونعمة الذكاء لفهم كتاب الله، فكل هذه النعم والأعطيات التي أكرمك الله بها بإمكانك أن ترقى بها إلى جنان النعيم، والجنة تحتاج إلى عمل.

وإن العمل هو استخدام الحظوظ، فهذا إنسان يرقى إلى الله بإتقان صنعه وهذا يرقى إلى الله بإنفاق ماله، وهذا يرقى بإنتاجه العقلي، وهذا يستخدم قلمه الأدبي في تأليف كتب تدل على الله عَزَّجَلَّ. وليس في الوجود إنسان بلا حظوظ، فهذه نقطة مهمة جداً فإذا استخدمت النعم التي أنعم الله بها عليك فيما يرضى الله وفيما خلقت من أجله؛ فهذا أعلى درجات الشكر، أما حينما تستخدم نعم الله عَزَّجَلَّ، فيما يغضبه وفي معاصيه؛ فهذا بعد عن الله^(٢).

(١) مدارج السالكين، ابن القيم الجوزية (٧٥١هـ)، تحقيق: عماد عامر، القاهرة، دار الحديث، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، (٢/١٤٤٤).

(٢) تفسير النابلسي (١٠/١٦٩).



- ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾: اللهم اجعلنا من هؤلاء القليل، كما سمع سيدنا عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هذا الدعاء من رجل يقول: اللهم اجعلني من القليل، فقال له: ما هذا الدعاء؟ فقال: أقصد هذه الآية: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾. فقال عمر: كل الناس أعلم منك يا ابن الخطاب^(١). وقال الألوسي في قوله تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾: وفيها تنبيه وتحريض على الشكر^(٢). اللهم اجعلنا من القليل الشاكر لا من الكثير الساهي اللاهي عن السبيل^(٣).

٥- ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَاتِهِمْ فَلَمَّا حَرَ تَمَيَّنَتْ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾:

جعل الله موت سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ عبرة للإنس والجن؛ فقد كان سليمان حازماً شديداً مع كل من يخالفه، فيقيده بالأصفاد، سواء كان من الإنس أم من الجن، قال تعالى: ﴿وَالشَّيْطِينَ كُلَّ بَتَاءٍ وَعَوَاصٍ ۖ وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾ [سورة ص: ٣٧، ٣٨] وكان صالحو الجن والإنس الذين معه مؤمنين مسلمين، لكن كان شياطين الجن والإنس كفاراً، يثيرون الشبهات حول سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ،

(١) المصدر السابق نفسه.

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٥ هـ، (٢٢/ ١٢١).

(٣) المصدر السابق، (١٠/ ١٦٩).



ويطلقون الإشاعات حول الجن والإنس. ومن الإشاعات التي كان يطلقها هؤلاء الشياطين والمتأثرون بهم أن الجن يعلمون الغيب؛ لأن الله وهبهم طاقات وقدرات خارقة، يتحركون أينما شاءوا، ويذهبون إلى أي مكان أرادوا، فلا يقف أمامهم شيء، ولا يعجزون عن أي شيء، ولهذا كانوا يعلمون الغيب.

وبما أن الجن يعلمون الغيب، فإن سليمان عَلَيْهِ السَّلَام قد استفاد منهم ومن علمهم بالغيب في حكمه وسلطانه؛ حيث يقدمون له أخبار الغيب التي يعلمونها، فيستفيد منها في إخضاع الآخرين والتحكم فيهم. وكانت هذه الإشاعات الشيطانية تصدر عن شياطين سليمان عَلَيْهِ السَّلَام، وكان سليمان عَلَيْهِ السَّلَام يفندھا ويبطالها، لكنها كانت موجودة، وكان ضعف الإيمان من الجن والإنس يصدقونها ويرددونها. وأراد الله الحكيم أن يجعل موت سليمان عَلَيْهِ السَّلَام إبطالاً عملياً لهذه الإشاعات، وتقريراً للحقيقة إيمانية جازمة وهي أن الجن لا يعلمون الغيب، وأن الله وحده هو الذي اختص بعلمه.

هذا ما تُخبرنا به هذه الآية الكريمة التي تحدثت عن موت سليمان عَلَيْهِ السَّلَام، ولا ننسى أن هذه الآية خاتمة آيات تتحدث عنه، حيث كان الكلام قبلها عن الجن الذين يعملون بين يدي سليمان بإذن ربه وعن حزمه في حكمهم، وعن بعض الصناعات الحديدية والنحاسية التي يصنعونها، كالمحاريب والتمائيل والجفان والقذور الراسيات.

وبما أن الله تعالى يُخبر الأنبياء عن موتهم تكريماً لهم، فيختارون لقاء فيقبض أرواحهم ويتوفاهم، كما مرَّ معنا من قبل، فقد خير الله سليمان عَلَيْهِ السَّلَام لما جاءه الأجل، فاختار لقاء الله، ولا توجد أحاديث صحيحة تبين كيفية تخيير



الله له، كما حصل مع موسى وداود عَلَيْهِمَا السَّلَام، وبعدما اختار سليمان لقاء الله أخذته الموت^(١).

وتشير الآية إلى أن الجن كانوا يقومون بأعمالهم التي كلفهم سليمان بها، وهي أعمال شاقة متعبة، ويبدو أن سليمان عَلَيْهِ السَّلَام كان واقفاً أمامهم، مراقباً لهم، متكئاً على عصاه، وكانوا يهابونه ويخافون منه، وفي هذا الجو الحازم شاء الله الحكيم أن يقبض روح سليمان عَلَيْهِ السَّلَام، ليبين للجن الخاطئين المنهكين في العمل، ولمن بعدهم، أنهم لا يعلمون الغيب^(٢).

أ- ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ﴾:

أي: أوقعنا على سليمان الموت حاكمين به عليه، وقيل أنفذنا عليه ما قضينا عليه في الأزل من الموت، وأخرجناه إلى حيز الوجود^(٣). أرسل الله له ملك الموت لقبض روح سليمان عَلَيْهِ السَّلَام، ففاضت روحه وهو متكئ على عصاه وبقي الجن مقبلين على العمل، على اعتبار أن سليمان متكئ على عصاه مراقب لهم، وهم لا يرفعون رؤوسهم خوفاً منه، ولا ينظرون إليه هيبة له^(٤).

ب- ﴿مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ﴾:

والضمير في دل: إما يعود إلى الجن أو آل سليمان^(٥).

أرسل الله إلى عصا سليمان دابة الأرض وهي (الأرضة) المعروفة بأكل الأخشاب، وصارت هذه الدابة تأكل العصا من الداخل وتنخرها، فلما نخرت

(١) القصص القرآني (٣/ ٥٦٩).

(٢) القصص القرآني (٣/ ٥٧٠).

(٣) سليمان رَحِمَهُ اللَّهُ في القرآن، ص ٢٣٧، وروح المعاني (٢٢/ ١٢٢).

(٤) القصص القرآني (٣/ ٥٧٠).

(٥) تفسير البضاوي (٤/ ٣٩٥).



العصا لم تحمل جسم سليمان الميت عَلَيْهِ السَّلَامُ، فانكسرت وخر جسد سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ على الأرض.

ج- ﴿تَأْكُلُ مِنْسَاتَهُ﴾:

أي: عصاه التي كان يتوكأ عليها، وهي لم ترد في غير هذا الموضع من القرآن، وهي اسم آلة على وزن مفعلة: العصا العظيمة تكون مع الراعي، سميت بذلك لأنه ينسأ بها الغنم أي: يزجرها ليزداد سيرها^(١).

وإضافة المنسأة إلى سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ (منساته) تدل على أن سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ كان يستخدم العصا، ويستعملها في أعماله وحركاته ونشاطاته، ويحملها أثناء سيره ويتوكأ عليها أحياناً، ويزجر بها جنوده وموظفيه أحياناً^(٢).

د- ﴿فَلَمَّا خَرَّ﴾:

الضمير يعود على سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ.

والخُرُور: السقوط؛ حيث يُسمع له خريـر^(٣).

والخُرُور: انهيار بلا نظام وبلا ترتيب وكلمة (خرّ) بمعنى سقط توحى بأن كرامة الإنسان في روحه وفي السر الذي وضعه الله فيه^(٤).

هـ- ﴿تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾:

تعجب الجن لما سمعوا صوت خروره وسقوطه على الأرض، وعرفوا أنه قد مضى على وفاته ساعات أو أيام، في حين لم يعلموا هم بذلك، ولو عرفوا بموته

(١) المعجم المفصل في تفسير غريب القرآن، التونجي، ص ٤٧٢.

(٢) القصص القرآني (٥٧٢/٣).

(٣) معجم مفردات القرآن، ص ١٦٢، ومختار الصحاح، ص ١٠٤.

(٤) تفسير الشعراوي (١٢٢٨٧/٢٠).



ساعة موته ما لبثوا هذه الساعات والأيام في العذاب المهين الشاق المتعب، ولتركوا ذلك العمل، وذهبوا إلى الراحة.

إذن: هؤلاء الجن لا يعلمون الغيب، ولا يعلمون بعض الحاضر المشاهد. هذا ما أراد الله الحكيم إقراره وتوضيحه وترسيخه من اختياره موت سليمان عَلَيْهِ السَّلَام على هذه الطريقة، والجن والشياطين كاذبون عندما يشيعون أنهم يعلمون الغيب وهذا هو الدليل على كذبهم^(١). لقد أدرك الناس يومئذ أن الجن لا يعلمون الغيب، ولو كانوا يعلمونه ما لبثوا في أعمال السخرة الشاقة المذلة مدة من الزمن.

إن علم الغيب لا يعلمه إلا الله، وأن الله تعالى هو عالم السر وأخفى، وأنه جَلَّ وَعَلَا استأثر لنفسه بعلم الغيب، ولم يُطلع عليه أحداً من خلقه إلا لمن أراد، وبقدر ما أراد^(٢).

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقْرَبُ مِمَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا ۖ عَلِيمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ۖ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾ [الجن: ٢٥-٢٧]

(١) القصص القرآني (٣/ ٥٧٥).

(٢) سليمان عَلَيْهِ السَّلَام في القرآن، ص ٢٢٦، وانظر: في صحبة الرسل الكرام، السيد عسكرو، ص ٢٢٦. وفي: قصص القرآن، سميح عاطف الزين، ص ٥٥٦، وفي: معجزات الأنبياء، عبد المنعم الهاشمي، ص ٢٤٣، وانظر: أنباء الأنبياء، أحمد محمد أبو شنار، ص ٥٩٥، وفي: الثمين في قصص الأنبياء، زهير علي كاخي، ص ١٤٠.



- قال ابن حبان رَحِمَهُ اللهُ: فالمعنى أظهر للناس جهل الجن بعلم الغيب، وأن ما ادعوه من ذلك ليس بصحيح^(١).

- وقال الألويسي رَحِمَهُ اللهُ: وفي الآية دليل على أن الغيب لا يختص بالأمور المستقبلية، بل يشمل الأمور الواقعة التي هي غائبة عن الشخص أيضاً^(٢).

- قال ابن عطية رَحِمَهُ اللهُ: وكثر المفسرون في قصص هذه الآية بما لا صحة له ولا تقتضيه ألفاظ القرآن، وفي معانيه بعد^(٣).

وقد جاءت بعض المرويات وهي لا تصح، وقد تأثرت بالإسرائيليات وذكرها بعض المفسرين بأن سليمان عَلَيْهِ السَّلَام مكث حولاً كاملاً ميتاً دون أن يحس به أحد، وأن الجن هي التي تأتي بالماء للأرضة وغير ذلك من الأباطيل التي لا تثبت بالنقل، ولا يسندها العقل^(٤).

فهل يعقل أن يمكث ميتاً لمدة سنة ولا يفتقده أحد؟ أو دون أن يقدم له طعام أو شراب؟ ومن كان يصرف أمور المملكة طول هذه المدة؟^(٥).

- عمره حين مات:

إن كثيراً من المؤرخين ذكروا أنه توفي وعمره اثنان وخمسون عاماً، بعد أن حكم أربعين سنة، والله أعلم بذلك.

(١) البحر المحيط (٢٥٧/٧).

(٢) روح المعاني (١٢٤/٢٢).

(٣) المحرر الوجيز (٤١٢/٤).

(٤) سليمان في القرآن الكريم، ص ٢٣٩ - ٢٤٢.

(٥) القصص القرآني (٥٧٣/٣ - ٥٧٤).



- أين مكان قبر سليمان عَلَيْهِ السَّلَام؟

لقد اختلف العلماء والمفسرون في تحديد مكان القبر، فقيل إنه دُفن في طبريا، وقيل في بيت لحم، وقيل في القدس^(١). وإن النبي يُدفن حيث يقبض، فقد قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ما قبض الله نبياً إلا في الموضع الذي يجب أن يدفن فيه^(٢).

وبعدما تبين لرجال الدولة وفاة سليمان عَلَيْهِ السَّلَام دفنوه مكان وفاته، وبوفاته انتهى العصر الذهبي المشرق لبني إسرائيل، والمتمثل في دولتهم الفتية، وخلافتهم الربانية.

بدأت دولة الأنبياء الملوك عَلَيْهِ السَّلَام على يد الملك طالوت، ثم قويت وتمكنت على عهد داود عَلَيْهِ السَّلَام، ثم تمددت وتوسعت، وترسخت واستقرت على يد النبي الملك سليمان عَلَيْهِ السَّلَام.

وكانت الدولة قائمة على الحكم الرشيد وقيم العدل، ومفهوم الخلافة في الأرض وعمارتها بالإيمان وشرع الله وبالصناعات والزراعة والتجارة، وتبليغ دين الله للأمم، وكان من رعايا هذه الدولة: الجن والشياطين، والإنس والطير... إلخ. وقد وصلت إلى أوجها وذروتها في عهد سليمان عَلَيْهِ السَّلَام.

وبعد وفاة النبي سليمان عَلَيْهِ السَّلَام لم تستمر طويلاً، إذ سرعان ما دبَّت فيها الفرقة والاختلاف، فانفصلت سبأ عن الدولة، ثم زاد الاختلاف حتى انقسمت الدولة في الأرض المقدسة إلى أقسام، وحكمها ملوك ضعفاء ووقعوا في المخالفات

(١) سليمان عَلَيْهِ السَّلَام في القرآن، ص ٢٤٣.

(٢) سنن الترمذي، رقم ١٠١٨.

والمعاصي والذنوب الكبيرة، وكان نتيجة ذلك أن أوقع الله بهم غضبه وعذابه، فأزال دولتهم ودمر كيانهن، ومكن أعداءهم منهم، فأخرجوهم من الأرض المقدسة وتشتوا في بقاع الأرض^(١).

ثالثاً: اتهام اليهود لسليمان عَلَيْهِ السَّلَام بالسحر:

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ بَدَّ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السَّحَرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَرْوْتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ۚ وَمَا هُمْ بِضَارِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّوْكَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠١-١٠٣]

هذه الآيات الكريمة تتحدث عن تعلق بعض اليهود بالسحر، حتى بلغ الأمر بهم إلى ترك الشريعة المنزلة والتعلق بالسحر في كل شأن من شؤون حياتهم.

إن الآيات الكريمة توضح حجم تعامل اليهود مع السحر، فقد نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم، واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان، وهذا الذي اتبعوه هو السحر الذي علمته الشياطين. وقد زعم اليهود أن نبي الله سليمان

(١) القصص القرآني بتصرف، (٣/ ٥٧٦).



كان ساحراً، وبالسحر دانت الجن والإنس والطير وسخرت له الريح؛ فبرأ الله نبيه سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ مما افترته عليه اليهود^(١) ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾.

لقد كان سليمان ملكاً نبياً ولم يكن ساحراً، ولكنه الافتراء الذي لم ينج منه حتى الأنبياء، وليس اتهام سليمان بالسحر أقل من اتهمه بعبادة الأصنام، وقد جاء ذلك في كتبهم المزورة المحرفة المكذوبة على سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ.

والمتتبع لهذه الأكاذيب الظالمة يجد أن الكذب والافتراء على سليمان لم يتوقف بعد مجيء الإسلام، بل أدخلت على سيرته كثير من القصص والأساطير مما نراه في قصص ألف ليلة وليلة وغيرها من الكتب.

تعرضت سيرة سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ للأكاذيب والأباطيل، وقد تداول الناس عبر التاريخ كتب السحر التي تعبد الناس للشياطين، وتقيم بينهم وبين ربهم حجاباً وحاجزاً، ونسبوا هذه الكتب إلى نبي الله سليمان، وسليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ منها براء^(٢). وجاء القرآن ودافع عن سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ، وبيّن حقيقته ونبوته ورسالته وبراءته من السحر والكذب.

تفسير الآيات الكريمة:

١- ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾:

- ﴿وَلَمَّا﴾: ظرفية زمانية بمعنى حين.

(١) عالم السحر والشعوذة، عمر سليمان الأشقر، الأردن، دار النفائس، ط ٤، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢،

ص ٣٨.

(٢) المصدر السابق، ص ٤١.

- ﴿جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾: هو محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
- ﴿مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾: موافق ومؤيد لما معهم؛ أي التوراة، ومصدق لما في التوراة من أوصاف النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
- ﴿نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾.
- ﴿نَبَذَ﴾ النبذ: هو طرح الشيء والاستهانة به، أو الاستغناء عنه. واستعمل كلمة النبذ أو الطرح، لأن العهود كانت تكتب في صفائح، وعندما كانوا يريدون أن ينقصوها، يطحون أو يلحقون تلك الصفائح أرضاً إشارة إلى تخليهم عنها^(١).
- ﴿فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾.
- ﴿فَرِيقٌ﴾ جماعة من الذين أوتوا الكتاب. فهناك جماعات أخرى وفِرَق أخرى لم تنبذه وقبلت به، مثل عبد الله بن سلام وهو أحد أحبار اليهود صدّق رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وآمن به وغيرهم^(٢).
- ﴿كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾ أي: طرحوه وراء ظهورهم. وهذا تمثيل لشدة إعراضهم عن القرآن^(٣).
- وعادة النبذ يكون أمام الشخص، أو عن يمينه أو عن يساره أما كونهم نبذوه وراء ظهورهم، فكأنهم لا يريدون الالتفات، أو الاستماع إليه، وتذكره أو كأنهم أعرضوا عنه كاملاً، وكأنهم يريدون نسيانه^(٤).

(١) تفسير القرآن الشري الجامع، د. محمد هلال، دار ابن كثير وابن حزم، ط ١، ١٩٩٨م، (١/ ١٩٢ - ١٩٣).

(٢) المصدر السابق، (١/ ١٩٣)، تفسير الشعراوي (١/ ٤٨٦).

(٣) التفسير الموضوعي (١/ ١٥٧).

(٤) تفسير القرآن الشري الجامع (١/ ١٩٣).



- ﴿كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾: الكاف: للتشبيه، أنهم: للتوكيد لا: يعلمون.
- ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾: بشارة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصفاته وزمن قدومه، أو كأنهم لا يعلمون ما جاء في التوراة أنه مطلوب منهم الإيمان بمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتصديقه^(١).
- ولقد نبذ القوم التوراة، كما نبذوا القرآن الكريم، وأعرضوا عن جميع الشرائع التي أنزلها الله تعالى، واتبعوا ما تشرعه لهم شياطين الإنس والجن، مما يوافق أهواءهم، ويمكنهم من نشر الفساد بين العباد^(٢).
- قال الأستاذ الإمام (محمد عبده): ليس المراد بنبذ الكتاب وراء ظهورهم أنهم طرحوه برمته وتركوا التصديق به في جملته وتفصيله، وإنما المراد أنهم طرحوا جزءا منه وهو ما يبشر بالنبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويبين صفاته ويأمرهم بالإيمان به واتباعه، أي فهو تشبيه لتركهم إياه وإنكاره بمن يلقي الشيء وراء ظهره حتى لا يراه فيتذكره. وترك الجزء منه كتركه كله؛ لأن ترك البعض يذهب بحرمة الوحي من النفس ويجري على ترك الباقي^(٣).

٢- ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطَانُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَٰكِنَّ الشَّيْطَانَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾:

- أ- ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطَانُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَنَ﴾:
- ﴿وَاتَّبِعُوا﴾ أي: اليهود.

(١) المصدر السابق نفسه.

(٢) التفسير الموضوعي (١/١٥٧).

(٣) تفسير المنار (١/٣٢٨).



- ﴿مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ﴾: ما تأخذ به وتتبعه وتقدمه، وما ترويه وتخبر به كاذبة^(١).

- ﴿عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَنَ﴾ أي: في زمنه وعهد ملكه، وما أقحموه وزادوه من السحر والكفر في الكتب ونشروها بعد موته بين الناس واتهموا سليمان عَلَيْهِ السَّلَام أنه كان ساحراً، وأنه ما أخضعهم إلا بقوة سحره. وانتشرت هذه الشائعات بين اليهود على وجه الخصوص، بسبب عداوتهم للأنبياء، وتناقلها الخلف منهم عن السلف، ولهذا أنزل الله تعالى هذه الآيات تبرئ سليمان من تهمة السحر، وترد ما أذاعته الشياطين عنه، وتبين في الوقت نفسه حقيقة السحر ومصدره^(٢).

ب- ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ﴾: كما زعمت الشياطين، وما عمل بالسحر ولا علمه أحد^(٣)، بل كان محارباً للسحر والسحرة والمشعوذين.

ج- ﴿وَلَا كَانَ الشَّيَاطِينُ كَفَرُوا﴾ بتعليم السحر والإعانة عليه واستعماله ونشره بين الناس.

د- ﴿يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾: فالشياطين هم الذين يعلمون الناس السحر، فهم مصادره الأساسية، ومصادر كل شر، والسحر موجود قبل عهد سليمان، سحرة فرعون، وقصتهم مع نبي الله موسى عَلَيْهِ السَّلَام مشهورة ومذكورة في آيات قرآنية كثيرة، واستدل بهذه الآية من يرى أن تعلم السحر كفر^(٤).

(١) تفسير الزهراوين، محمد المنجد، ص ١٧٦.

(٢) التفسير الموضوعي (١/ ١٥٩).

(٣) المصدر السابق نفسه.

(٤) المصدر السابق نفسه.



والسحر في اللغة: كل شيء خفي سببه. والسحر المذموم شرعاً هو العُقْد والرُقَى التي ينفث فيها الساحر، فينتج عن ذلك تأثير في بدن المسحور، أو عقله، ومنه ما يقتل، ومنه ما يُمرض، ومنه ما يُزيل العقل، ومنه ما يغيّر الحواس، فيرى الشيء المتحرك ساكناً والساكن متحركاً - وهو سحر التمثيل والتخييل - ومنه ما يغير مشاعر الإنسان، فيقلب الحب بغضاً والبغض حباً - وهو الصرف والعطف - فيصرف الرجل عن أحب الناس إليه كزوجته وأولاده وأبويه ويكرّره فيهم، وربما كرهه نفسه. أو يحب - نتيجة السحر - شخصاً ويميل إليه ميلاً قوياً، وينقاد له، حتى لا يستطيع الخروج عن أمره.

والسحر قديم في البشر؛ فقد كان معروفاً في قوم صالح، وقوم فرعون^(١)، كما مر معنا.

٣- ﴿وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَرْوُتَ وَمَا يَعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا فَخْرُ فِتْنَةٍ﴾:

قال كثير من المفسرين (هاروت) و(ماروت) أسماء لملاكين أنزلهما الله في أرض بابل العراق بالعراق لما خلطت الشياطين الأمور على الناس، ونشروا السحر والكفر فيهم، فميّز الملكان للناس بين السحر والنبوة لتوضيح ماهية السحر، وصار يعلمان الناس ذلك ويحذرانهم من العمل به، وفي هذا ابتلاء وامتحان من الله، وكان تبيين الشر لتوقيه لا العمل به^(٢).

(١) تفسير الزهراوين، ص ١٧٨.

(٢) تفسير ابن عثيمين (٣/ ٣٤٥)، تفسير الطبري (٢/ ٤٢٠).

ومدينة (بابل) لها شهرة كبيرة في الحضارة القديمة التي عرفت بحضارة ما بين النهرين، وكانت حينئذ من أكبر المدن وأشهرها.

ويبدو أن السحر والعمل به انتشر فيها، وخصوصاً عندما سلط الله تعالى على اليهود البابليين في عهد ملكهم "بختنصر" في القرن السادس قبل الميلاد، فقد قتل منهم مقتلة عظيمة، وأخذ عدداً كبيراً منهم أسرى إلى بابل، وفي أثناء أسرهم انتشر السحر في بابل، وراح اليهود ينشرون الفساد في المجتمع البابلي عليهم يتمكنون من إضعاف أهل بابل وإفسادهم.

وعلى المستوى الحضاري والتاريخي من خلال الدراسات التاريخية، نرى أنه في الوقت نفسه أخذت الدولة الفارسية بالنمو كقوة فتية؛ فوجد هؤلاء اليهود ضالتهم فراحوا يرأسلون الفرس، ويحرضونهم على غزو بابل، على أن يقوموا هم بدور الإفساد في المجتمع البابلي^(١). وأخذوا يستخدمون السحر في التفريق بين الأزواج والأسر، وتم لهم تفكيك المجتمع ووقعوه في حبال الشياطين، فصار الزوج يشك بزوجه والزوجة تشك بزوجها حتى صار كل واحد يتهم الآخر بالخيانة، وحدثت مشكلة اجتماعية عظيمة في بابل أدت إلى دمار النفسية البابلية، وأصبحت مهياة للسقوط، فجاء الفرس وقضوا على الحضارة البابلية بسهولة؛ لأنهم وجدوا مجتمعاً مدمراً من حيث الأخلاق والسلوك الإنساني. وكمكافأة من قبل اليهود للفرس أهدوا الملك الفارسي فتاة من أجمل فتيات بني إسرائيل اسمها "إستير" فتزوجها، ومن خلال ذلك راحت هي وقومها تنتقم من

(١) صرخة النبوة في وجه الخرافة التوراتية، حسن الباشا، دار قتيبة، ط ١، ٢٠١٠م، ص ٦٦.



كل أعداء اليهود المفترضين؛ حتى أجروا المذابح في البابليين وغيرهم، هكذا تقول كتب التاريخ^(١).

لقد تابع اليهود الشياطين في تعلم السحر ونشره والإفساد في الأرض، وهناك ارتباط وثيق بين السحر والشياطين، لأن السحر وسيلة من وسائل الشياطين في استهواء الناس وإغوائهم وقيادتهم والتأثير فيهم^(٢).

أ- ﴿وَمَا أُنْزِلَ﴾: (ما) نافية أو موصولة؟
وقف المفسرون طويلاً أمام قوله: ﴿وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَرْوُتَ﴾.

فقد اتفقوا على أن الواو في ﴿وَمَا أُنْزِلَ﴾ عاطفة، وأن الجملة معطوفة على ما سبق؛ لكنهم اختلفوا في الجملة التي عطفت عليها. ومنشأ اختلافهم في المعطوف عليه، هو اختلافهم في ﴿مَا﴾ هل هي حرف نفي، أو اسم موصول بمعنى الذي؟

القول الأول: أن ﴿مَا﴾ معناها الجحد والنفي، فهي حرف نفي، بمعنى (لَمْ) وهذا القول المنسوب إلى الإمام ابن عباس.

وقد وضع الطبري هذا الرأي بقوله (فتأويل الآية - على هذا المعنى - واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان، وما كفر سليمان ولا أنزل الله السحر على الملكين - ولكن الشياطين كفروا، يعلمون الناس السحر - ببابل هاروت وماروت، فيكون حينئذ قوله: ﴿بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَرْوُتَ﴾ من المؤخر الذي معناه التقديم)^(٣).

(١) سليمان صرخة النبوة، ص ٦٦.

(٢) مع قصص السابقين، صلاح الخالدي، دار القلم، دمشق، ط ١، ٢٠٠٧م، ص ٩١.

(٣) تفسير الطبري (٢/ ٤١٩).

وهذا القول يكون المراد بالملكين: جبريل وميكائيل، ويكون (هاروت وماروت) اسمين لرجلين من الشياطين ويعلمان الناس السحر ببابل^(١)، وعلى هذا القول تكون معطوفة على قوله: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ﴾؛ أي أن القرآن نفى كفر سليمان، ونفى إنزال السحر على الملكين ببابل، ولكن الشياطين كذبت ونسبت السحر والكفر إلى سليمان عَلَيْهِ السَّلَام، وكذبت عندما ادّعت إنزال السحر على الملكين ببابل^(٢).

القول الثاني: أن (ما) اسم موصول بمعنى (الذي): وهذا القول نسبه الطبري إلى عبد الله بن مسعود، وقتادة، والزهرى، والسُّدِّي، وغيرهم. قال الطبري في توضيح هذا القول: واتبعت اليهود (الذي) تلت الشياطين على ملك سليمان، واتبعت الذي أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت^(٣). لكن الإمام ابن كثير عقب على شيخه الطبري، وردّ على ترجيحه وعلّق عليه قائلاً: ثم شرع ابن جرير في رد هذا القول وأن (ما) بمعنى الذي، وأطال القول في ذلك، وادّعى أن هاروت وماروت ملكان، أنزلهما الله في الأرض وأذن لهما في تعليم السحر، اختباراً لعباده وامتحاناً بعد أن بين لعباده أن ذلك مما ينهى عنه على ألسنة الرسل، وادّعى أن هاروت وماروت مطيعان في ذلك، لأنهما امتثلا ما أمرا به^(٤).

(١) مع قصص السابقين، ص ٩٥.

(٢) المصدر السابق نفسه.

(٣) تفسير الطبري (٢/ ٤٢١).

(٤) عمدة التفاسير (١/ ١٩٤).



ويبدو -والله أعلم- أن (هاروت وماروت) كانا أشهر سحرة بابل، الذين علموا الناس السحر بها- وأنهما كانا معروفين مشهورين بين اليهود في زمن نزول القرآن الكريم، ولهذا خصهما الله تعالى بالذكر، وما نقل عن أحد من يهود المدينة أنه أنكر ذلك، مع حرصهم الشديد على تكذيب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والاعتراض على التنزيل الحكيم، وأنهما كانا يتظاهران بالصلاح والتدين، لكي يخدعا السذج والبسطاء من الناس، ولهذا كانا ينصحان كل من يعلمانه السحر أن لا يكفر باستعمال السحر، قال تعالى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾ أي: اختبار وابتلاء.

وحكى المهدوي^(١) ﴿فَلَا تَكْفُرْ﴾ باستعمال السحر: أنه استهزاء؛ لأنهما إنما يقولانه لمن قد تحقق ضلاله^(٢)، ونقل ذلك عنه القرطبي في تفسيره مؤيداً له^(٣). ولكن هذا المعنى لا يتفق مع ترتيب كلمات الآية، ولا بد كما قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ من تقديم وتأخير، والتقدير: وما كفر سليمان، وما أنزل على الملكين، ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ببابل هاروت وماروت، فهاروت وماروت بدل من الشياطين في قوله: ﴿وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا﴾؛ هذا أولى ما حملت عليه الآية في التأويل، وأصح ما قيل فيها، ولا يلتفت إلى ما سواه^(٤). وبهذا المعنى تتفق الآية تماماً مع سياقها من الآيات، وللتقديم والتأخير نظائر في القرآن الكريم، كقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا

(١) التفسير الموضوعي (١/ ١٦١).

(٢) المحرر الوجيز (١/ ٦٢٢).

(٣) تفسير القرطبي (٢/ ٥٤).

(٤) تفسير القرطبي (٢/ ٥٠).



وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿طه: ١٢٩﴾ أي: ولولا كلمة سبقت من ربك وأجل مسمى لكان عذابهم لزاماً^(١).

وقد كتب الدكتور عبادة أيوب الكبسي رَحِمَهُ اللهُ كتاباً فريداً من نوع (قصة هاروت وماروت في ميزان المنقول والمعقول) فمن أراد التوسع فليرجع إليه.

٤- ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾:

أي: ما يكون سبب خصام وخلاف وإحداث الفارقة بين الزوجين، وهو من كبائر الذنوب، ومن أعمال شياطين الإنس والجن، تنتزه الملائكة عن فعله وتعليمه. وقد جاء بالحديث الشريف عن جابر بن عبد الله رَحِمَهُمَا اللهُ: أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إِنَّ إِبْلِيسَ يَضَعُ عَرَشَهُ عَلَى الْمَاءِ، ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ، فَأَذْنَاهُمْ مِنْهُ مَنَزِلَةً أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً، يَحِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا، فَيَقُولُ: مَا صَنَعْتَ شَيْئاً، قَالَ ثُمَّ يَحِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: مَا تَرَكْتُهُ حَتَّى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ، قَالَ: فَيُذْنِيهِ مِنْهُ وَيَقُولُ: نَعَمْ أَنْتَ»^(٢).

وقد تبرأ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ممن يفعل ذلك، فعن بريدة رَحِمَهُ اللهُ عَنْهُ: أن رسول الله قال: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ حَلَفَ بِالْأَمَانَةِ وَمَنْ خَبَبَ عَلَى امْرِئٍ زَوْجَتَهُ أَوْ مَمْلُوكَهُ فَلَيْسَ مِنَّا»^(٣). وتدل الآية على أن للسحر تأثيراً على النفوس والقلوب والعواطف، فلا خير فيه أبداً، وهو سبب للشر والفساد والإفساد، ولهذا حرمت الشريعة الإسلامية

(١) التفسير الموضوعي (١/ ١٦٢).

(٢) رواه مسلم، رقم ٢٨١٣.

(٣) مسند أحمد (٥/ ٣٥٢)، بإسناد صحيح. وخَبَّبَ: خدع وأفسد.



تعليمه وتعليمه، وعدّه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من كبائر الذنوب^(١). بل إن كل الشرائع التي أنزلها الحق تَبَارَكَ وَتَعَالَى أنكرت السحر وأمرت بمحاربة السحرة، ذلك أن السحر يضاد الحق الذي أنزله الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فالله تعالى يدعو الناس جميعاً إلى الإيمان به وعبادته وحده لا شريك له والتوكل عليه والالتجاء إليه دون سواه، والسحر يعبد العباد لغير الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، ويصرف قلوبهم ووجوههم إلى الشياطين والنجوم والشمس والقمر والبشر... إلخ^(٢).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ. قيل: يا رسول الله، وما هن؟ قال: الشُّرْكُ بِاللَّهِ، وَالسَّحَرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّوَلَّى يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ»^(٣).

٥- ﴿وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾:

ليس المتعاملون بالسحر قادرين على إلحاق شيء من الضرر بأحد من الناس ﴿إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بمشيئته وإرادته^(٤).

قال الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ: لا يضر هذا السحر إلا من دخل فيه^(٥)، فالسحر لا يؤثر بنفسه، إلا إذا وافق قدر الله تعالى، أي بقضائه سبحانه وقدره^(٦).

(١) التفسير الموضوعي (١/١٦٣).

(٢) عالم السحر والشعوذة، ص ٣٦.

(٣) مسلم، رقم ٨٩.

(٤) تفسير الزهراوين، ص ١٧٩.

(٥) تفسير ابن أبي حاتم (١/١٩٣).

(٦) التفسير الموضوعي (١/١٦٣).



٦- ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾ :

- ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ﴾ في الدنيا والآخرة؛ لأن العمل بالسحر كفر أو كبيرة من الكبائر^(١).

- ﴿وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾: فيها أيضاً، وإن نفعهم في الدنيا ببعض المكاسب، فهي كسب حرام، لا يبارك الله فيه، فالسحر شر بحت، وضرر محض، غير نافع في الدارين، لا تعلق له بانتظام المعاش ولا المعاد، وفي الحكم عليه بأنه ضار غير نافع تحذير بليغ من تعاطيه، وتحريض على التحرز منه^(٢).

يقول الشيخ محمد متولي الشعراوي رَحِمَهُ اللهُ: إن الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى يخبرنا أن تعلم السحر يضر ولا ينفع، فهو لا يجلب نفعاً أبداً حتى لمن يشتغل به، فتجد من يشتغل بالسحر يعتمد في رزقه على غيره من البشر، فهم أفضل منه، وهو يظل طوال اليوم يبحث عن إنسان يغريه بأنه يستطيع أن يفعل له أشياء ليأخذ منه مالاً، وتجد شكله غير طبيعي وحياته غير مستقرة وأولاده منحرفين. وكل من يعمل بالسحر يموت فقيراً لا يملك شيئاً وتصيبه الأمراض المستعصية، ويصبح عبرة في آخر حياته، إذن؛ فالسحر لا يأتي إلا بالضرر، ثم بالفقر، ثم بلعنة الله في آخر حياة الساحر^(٣).

(١) المصدر السابق نفسه.

(٢) روح المعاني (١/ ٣٤٥).

(٣) تفسير الشعراوي (١/ ٤٩٦).



٧- ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ﴾:

- ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ﴾ أي: علم أهل الكتاب أن من اختار السحر، وأخذه ورغب فيه رغبة المشتري في السلعة واعتمده بدلاً من الإيمان والوحي.
 - ﴿مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ﴾: ليس له حظ ونصيب في الآخرة.
 قال قتادة رَحِمَهُ اللَّهُ: قد علم ذلك أهل الكتاب في عهد الله إليهم: أن الساحر لا خلاق له عند الله يوم القيامة^(١).

٨- ﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾:

هذا الكلام يحمل معنى القسم المؤكد، والتقدير (والله، لبئس ما شروا به أنفسهم) ومعنى (شروا) هنا: باعوا؛ لأنهم لما اشتروا السحر أعطوا مقابله خسارة أنفسهم، فباعوها بهذا الكفر، فبئس البيع هو^(٢).
 - ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ وفي هذا نفْيٌ للعلم عنهم، فلو كانوا يعلمون، لما تعلموا ما يضرهم ولا ينفعهم.

- ولو كانوا يعلمون لما تركوا الآخرة، ولما زهدوا في نصيبهم منها.
 - ولو كانوا يعلمون، لما باعوا أنفسهم للباطل والشر والأذى والشيطان.
 هل هناك صاحب علم نافع يتصرف هذا التصرف؟ وهل هناك صاحب علم يؤثر الدنيا على الآخرة؟ وهل هناك من يزهد في الآخرة وخيراتها ونعيمها، ليقبل على الشر والباطل والشيطان.

(١) تفسير الطبري (٤٥١/٣).

(٢) تفسير الزهراوين، ص ١٨٠.

كل من فعل هذا توقن أنه لا علم عنده، ولو حمل أرفع الشهادات العلمية وأمضى في العلم سنوات علمه^(١).

- تنبيه من قصص طويلة وروايات غريبة:

أورد عامة المفسرين تحت هذه الآية قصصاً طويلة، وروايات غريبة مختلفة في قصة (هاروت وماروت) عن مجموعة من الصحابة والتابعين، استوفاهما السيوطي في الدر المنثور. وذكر ابن جرير معظمها في تفسيره، وذكر بعضها ابن كثير، ثم قال: وقد روى في قصة هاروت وماروت عن جماعة من التابعين؛ كمجاهد والسدي والحسن البصري وقتادة وأبي العالية، والزهري، والربيع بن أنس ومقاتل بن حيان وغيرهم، وقصّها خلق من المفسرين من المتقدمين والمتأخرين؛ وحاصلها راجع في تفصيلها إلى أخبار بني إسرائيل، إذ ليس فيه حديث مرفوع صحيح متصل الإسناد إلى الصادق المصدوق المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى. وظاهر سياق القرآن إجمال القصة من غير بسط ولا إطناب؛ فنحن نؤمن بما ورد في القرآن على ما أراد الله تعالى، والله أعلم بحقيقة الحال^(٢).

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ: هذا كله ضعيف وبعيد عن ابن عمر وغيره، ولا يصح منه شيء؛ فإنه قول تدفعه الأصول في الملائكة الذين هم أمناء الله على وحيه وسفراؤه إلى رسله: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحریم: ٦].

- ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ ٢٣ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿

[الأنبياء: ٢٦، ٢٧].

(١) مع قصص السابقين، ص ١١٨.

(٢) تفسير ابن كثير (١/٢٤٨).



- ﴿يُسَيِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٠] ^(١).

من فوائد هذه الآية الكريمة:

- سعي الشياطين في إضلال الناس.
- دفاع الله عن أنبيائه، وتبرئة سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ من السحر والكفر.
- تحريم تعلم العلوم التي تضر ولا تنفع، ومثله ما كانت مفسدته أكبر من منفعته.

- إن العلم النافع يأبى على صاحبه تعلم العلم الضار.
- إن السحر من أعمال الشياطين.
- إن قدرة الله عَزَّجَلَّ فوق الأسباب.
- إن الشياطين تأمرت بالسحر في عهد سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ، ووضعت الخطة ليفتنوا الناس بعد موت سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ.
- الحذر من كتب الضلال والسحر، ووجوب إتلافها ومنع وقوعها في أيدي الناس.

- خطورة ترك الوحي والاستعاضة عنه بالعلوم الأخرى.
- وفيها: أن غياب المصلحين سبب في انتشار البدعة والفساد والشرك في الأرض، فقد نشطت الشياطين بعد وفاة سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ.
- تحايل الشياطين لإيقاع الناس في الشرك بكل وسيلة. وغير ذلك من الفوائد ^(٢).

(١) الجامع لأحكام القرآن (٢/ ٣٦).

(٢) تفسير الزهراوين، محمد المنجد، ص ١٨٠ - ١٨٣.



٩- ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّوْكَانُوا يَعْلَمُونَ﴾:

ثم قال تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ﴾ أي: ولو أن اليهود -الذين تركوا وحي الله، واتبعوا ما تتلوا الشياطين، وتعلموا السحر- ﴿ءَامَنُوا﴾ أي: بمحمد ﷺ، وبما أنزل عليه بقلوبهم.

- ﴿وَاتَّقَوْا﴾ ما حرمه الله -ومنه السحر- فآمنوا بقلوبهم واثقوا بجوارحهم واجتنبوا الكفر.

- ﴿لَمَثُوبَةٌ﴾ أي الأجر والثواب.

- ﴿مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾: أضاف (الثواب) إلى نفسه ليطمئن العبد إلى حصوله، وليعلم أنه كثير وافر؛ لأنه عطية الكريم الكثيرة؛ و(الثواب): هو الأجر والجزاء على العمل.

- ﴿خَيْرٌ﴾ أي: أن ثواب الله في الآخرة خير لمن آمن واثقى في الدنيا أو: خير من السحر^(١).

- ﴿لَّوْكَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ علماً ينفعهم أي: لو كانوا من أصحاب العلم ما قدموا السحر على الإيمان بمحمد ﷺ وأتباعه^(٢).

وفي هذه الآية من الفوائد:

- وعظ المذنبين بعرض الإيمان والتقوى عليهم، وبيان أنهما سببان لنيل ثواب الله.

(١) المصدر السابق، ص ١٨٣.

(٢) المصدر السابق نفسه.



- الشيء القليل من ثواب الله خير من الدنيا وما فيها.
- ضمان الثواب للمؤمن المتقي لقوله ﴿مَنْ عِنْدَ اللَّهِ﴾، فيطمئن المؤمن لحصوله؛ لأن الله لا يخلف الميعاد.
- العلم النافع يعمل صاحبه على ترك المحرمات، وهو العلم المتصل بالقلب، وليس العلم النظري المجرد.
- أن من لا يعمل بما علم فإنه جاهل، وأن العلم الذي لا يعمل به صاحبه، وجوده كعدمه^(١).

رابعاً: أهم صفات سليمان عَلَيْهِ السَّلَام القيادية:

إن القصص القرآني في سيرة سليمان عَلَيْهِ السَّلَام أشار إلى صفاته كملكٍ وحاكم ممكن له في الأرض، وإلى أساليبه في إدارة الدولة، والمحافظة عليها، وتقويتها، وقدمت نموذجاً لأهم الصفات القيادية لرجل الدولة المؤمن بالله، ونهج الحكم الرشيد المستمد من شرع الله تعالى، وأهم هذه الصفات النبوية لنبي الله سليمان عَلَيْهِ السَّلَام:

١ - الإيمان بالله:

الوهاب الغني الكريم، فقد ظهرت قوة إيمانه بالله في قصته، واللجوء إلى الله، والاعتماد عليه ودعاؤه وتضرعه والانكسار بين يديه.

- ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ

الْوَهَّابُ﴾ [سورة ص: ٣٥]

(١) تفسير الزهراوي، محمد المنجد، ص ١٨٤.



- ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ [النمل: ١٩]

- ﴿هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّيَ عَنِّي كَرْيَمٌ﴾ [النمل: ٤٠]؛ فقد كان كثير الشكر لمولاه، صاحب قلب حي موصول بالله دائماً ينسب الفضل لرب العالمين، وقد حقق التوحيد وإفراد العبادة لله، وحارب الشرك وحرص على تطبيق منهج الله في الأرض.

٢- العلم:

من صفات سليمان عَلَيْهِ السَّلَام العلم، وقد بنى دولته وحضارته بالعلم، وابتدأ به على سائر النعم تنويرها وتعظيمها بشأن العلم:

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا﴾ [النمل: ١٥].

﴿عَلَّمْنَا مَنَظِقَ الطَّيْرِ﴾ [النمل: ١٦].

فالعلم صفة أصلية في شخصية سليمان عَلَيْهِ السَّلَام أمده الله بها، فأعلى قيمتها وقدرها العظيم، وقد توجه لله هو ووالده بالحمد والثناء على هذه النعمة، فالعلم هو الأصل الذي تبنى عليه سعادة الدنيا والأخرى، وأنه الأساس لكل أمور الدين والدنيا، وأن الممالك إنما تبنى عليه وتشاد، وأن الملك إنما ينظم به ويساس، وأن كل ما لم يبن عليه فهو على شفا جرف هار. وأنه سياج الملك ودرعها وهو سلاحها الحقيقي ودفاعها، وأن كل مملكة لم تحم به؛ فهي عرضة للانقراض والانقضاض^(١).

(١) تفسير ابن باديس في مجالس التذكير، ص ٥٤.



إنَّ من قوانين القيادة، وسمات القائد الفذ في كل عصر أن يتصف بالعلم، ويكون على معرفة أن القوة لا تبنى إلا بالعلم والمعرفة. فقوة العلم في شخص سليمان عَلَيْهِ السَّلَام انعكس أثرها الإيجابي على أتباعه وجنوده، وظهر أثر التربية القيادية على جنوده من: الهدهد، الذي عنده علم من الكتاب. فالهدهد قال الله تعالى عنه عندما غاب عن نبيِّ الله سليمان: ﴿أَحْطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ﴾ [النمل: ٢٢]

والإحاطة هي العلم بالشيء من جميع جوانبه إحاطة متكاملة، وهذا الخطاب إنما جرأه عليه العلم، وإلا فالهدهد مع ضعفه لا يتمكن من خطابه لسليمان مع قوته بمثل هذا الخطاب لولا سلطان العلم^(١)؛ ولذلك احترم سليمان عَلَيْهِ السَّلَام الهدهد، وأخذ موضوعه ومعلوماته بجدية، وكذلك قصة العفريت من الجن، الذي عنده علم من الكتاب مع سليمان عَلَيْهِ السَّلَام، وكيف فُضِّل بإتيان العرش، هذا الذي عنده علم من الكتاب على العفريت من الجن، ففضلت صفة العلم على صفة القوة والأمانة مع فضلها في سمات القائد واختياره لأداء المهمة والإتيان بها. وقد أشارت الآيات الكريمة في الحوار بين سليمان عَلَيْهِ السَّلَام وعفريت الجن الذي عنده علم من الكتاب إلى أهمية العلم، وأنَّ الذي يأتي بالعلم والحكمة أفضل مما يأتي بالقوة. فهذه القصة تدلُّ دلالة واضحة على قوة العلم والمعرفة، وأنها من أعظم سمات القائد، وأن قوة العلم تغلب سائر أنواع القوى وهي تتبع لها^(٢).

(١) السمات القيادية المستنبطة من قصة سليمان عَلَيْهِ السَّلَام، عبد محمد باريد، ص ٧٣٩.

(٢) المصدر السابق نفسه.



٣- التنظيم والضبط:

إن من سمات سليمان عَلَيْهِ السَّلَام في قيادته الحكيمة: قدراته الكبيرة في التنظيم والتخطيط، وإدارة الجموع البشرية في سلاسة وانتظام. فلا ترى في قيادته الفوضى، ولا التخبط والتسيب في الجنود، بل لكل فرد في مؤسسات دولته عمل دؤوب، بكل إتقان وإنجاز وتحضير.

فنبى الله سليمان عَلَيْهِ السَّلَام جمعت له الحشود والجنود من أجناس المخلوقات من الجن والإنس والطير في موكب عظيم وحشد كبير يجمع أوله على آخر حتى لا يتفرقوا وتشيع فيهم الفوضى، فهو حشد عسكر منظم^(١) ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ [النمل: ١٧].

وتفيدنا الآية الكريمة عن صورة القائد في حسن قيادته للجنود وقوة نظام الجندية عند سليمان عَلَيْهِ السَّلَام، وتربية جنوده على الانضباط المنتظم^(٢).

فقد بقيت الآية على مر الدهر مذكّرة لنا بأن النظام أساس كل مجتمع واجتماع، وأن القوة والكثرة وحدهما لا تغنيان بدون نظام، وأن النظام لا بد له من رجال أكفاء، يقومون به ويحملون الجموع عليه، وأولئك هم الوازعون^(٣).

٤- اليقظة والمتابعة والتفقد:

من سمات القائد الفذ واليقظ الإحساس بالمسؤولية والأمانة في تفقد أتباعه وجنوده وموظفيه، وتلمس احتياجاتهم ومتطلباتهم، والإحساس بمعاناتهم

(١) في ظلال القرآن (٥/ ٣٧٧).

(٢) السمات القيادية المستنبطة من قصة سليمان عَلَيْهِ السَّلَام، ص ٧٤٠.

(٣) تفسير ابن باديس، عبد الحميد ابن باديس، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٩٩٥ م، ص ٢٦٠.



ومشكلاتهم، والعمل على وضع الحلول الجادة لعلاجها، من أجل توفير البيئة الإيجابية المنتجة^(١).

وتفقد أمور الرعية، والتماس الإحاطة بجوانب الخلل في أفرادها وجماعتها، فهذا كان حال سليمان عَلَيْهِ السَّلَام. وقد قال تعالى: ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهَدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾ [النمل: ٢٠].

ولا شك أن القيادة تحتاج إلى لجان ومؤسسات وأجهزة؛ حتى تستطيع أن تقوم بهذه المهمة العظيمة. إن سليمان عَلَيْهِ السَّلَام كان مهتما بمتابعة الجند وأصحاب الأعمال، وخاصة إذا رابه شيء في أحوالهم. فسليمان عَلَيْهِ السَّلَام لما لم ير الهدهد بادر بالسؤال: ﴿مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهَدَ﴾ يعني: أهو غائب؟ كأنه يسأل عن صحة ما لاح له^(٢)، ثم قال: ﴿أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾ سؤال آخر ينم عن حزم في السؤال بعد الترفق. فسليمان عَلَيْهِ السَّلَام أراد أن يفهم منه أنه يسأل عن الغائب لا عن شفقة فقط، ولكن عن جد وشدة، إذا لم يكن الغياب بعذر^(٣). إن سليمان عَلَيْهِ السَّلَام لم يترك دولته هملًا دون متابعة وتفقد. وندرك من افتقاد سليمان عَلَيْهِ السَّلَام لهذا الهدهد سمات شخصيته ألا وهي اليقظة والدقة في المتابعة مع الحزم اللازم^(٤).

٥- الحزم والصرامة:

إن نبي الله سليمان عَلَيْهِ السَّلَام عندما تفقد الجنود، ووجد الهدهد قد فارق جموع الجنود، وأوقع الخلل بسبب تغييه، استلزم واستحق العقاب الصارم؛ قال:

(١) السمات القيادية المستنبطة من قصة سليمان عَلَيْهِ السَّلَام، ص ٧٤٠.

(٢) تفسير الرازي، (١٨٩/٢٤).

(٣) الحكم والتحاكم في خطاب الوحي (٥٩٢/٢).

(٤) السمات القيادية المستنبطة من قصة سليمان عَلَيْهِ السَّلَام، ص ٧٤١.

﴿لَا عَذَابَ لَهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَا أَذْبَحَنَّهُ أَوْ لِيَأْتَنِي بِسُلْطَانٍ مُّيمِنٍ﴾ [النمل: ٢١]؛ وهذا أصل في صرامة أحكام الجندية وشدتها؛ لعظم المسؤولية التي تحملها وتوقف سلامة الجميع على قيامها بها، وعظم الخطر الذي يعم الذي يعم الجميع إذا أخلت بها، فإنّ الخلل الصغير مجلبة للخلل الكبير؛ فقدرت عقوبته على حسب كبر ذنبه، لا على حساب صغر ذاته، فإخلال أي أحد بمركزه ولو كان أصغر المراكز، مؤدّ إلى الضرر العام، وثبات كل واحد في مركزه وقيامه بحراسته، هو مظاهر النظام والتضامن، وهما أساس القوة^(١).

فالحزم والصرامة من السمات القيادية المهمة للقائد في إدارة أفراد المؤسسة، حتى يقضي على كثير من صور الفوضى والتسبب وعدم الانضباط في العمل المؤسسي. وإذا لم يؤخذ على يد المخطئ انتشرت صور الإهمال واللامبالاة، فأصبحت سابقة سيئة لبقية أفراد المؤسسة^(٢).

٦- قدرة سليمان عَلَيْهِ السَّلَام على بناء العلاقات:

نلاحظ من خلال دراستنا قدرة سليمان عَلَيْهِ السَّلَام على بناء علاقات متميزة داخلية وخارجية، والأدلة على ذلك:

أ- التبسم مع الجنود:

﴿فَتَبَسَّمْ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا﴾، عندما سمع النملة تحذر قومها وتثني على سليمان بسبب عدله؛ أعجب بفصاحتها ونصحها وحسن تعبيرها، وهذا حال الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- والأدب الكامل والتعجب في موضعه^(٣).

(١) السمات القيادية المستنبطة من قصة سليمان عَلَيْهِ السَّلَام، ص ٧٤١.

(٢) المصدر السابق نفسه، ص ٧٤١.

(٣) المصدر السابق نفسه، ص ٧٤٣.



وهذا ما يدل على علاقة متميزة بين سليمان وأضعف المخلوقات -فيما يظهر- في مملكته قائمة على الاحترام والتقدير المتبادل.

ب- الخدمة للجنود:

فسليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ طلب من ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى التوفيق والسداد في شكره وفي الاشتغال بسائر أنواع الخدمات من الأعمال الصالحة، ومنها خدمة خلق الله وإقامة العدل بينهم، وتقديم سائر أنواع الخدمات الإنسانية، ابتغاء مرضات الله عَزَّوَجَلَّ، وتحقيق الأهداف والسعادة في الدارين: ﴿وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ [النمل: ١٩].

ج- المرونة مع الجنود:

ولذلك التمس للهدهد عذراً، وكلفه بمهمة عظيمة عندما تأكد من معلوماته، وعفا عنه، لأنه جاء لسليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ بحجة وبرهان على سبب غيابه: ﴿أَوَلَيْسَ لِي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ [النمل: ٢١].

د- اللطف والأدب في المعاملة حتى مع الأعداء:

ولذلك وصفت ملكة سبأ خطاب سليمان إليها بأنه كتاب كريم، ففحواه كريم من ملك كريم أحسن العلاقة مع الآخرين في آدابه وعزته في دينه، فكانت واضحة مختصرة أدت الهدف والمضمون، فكانت بداية للعلاقات الحسنة التي أسهمت في نهاية المطاف إلى دخول ملكة سبأ في الإسلام^(١)

(١) السمات القيادية المستنبطة من قصة سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ، ص ٧٤٤.



٧- الكرم وحسن الاستقبال:

﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي﴾ [النمل: ٤٤]؛ فلما علمت سيرته، وأظهر لها سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ جلاء وحسن العلاقات الخارجية، وأظهر قوة التأثير الحضاري والتأييد الإلهي، وأكرمها نبي الله سليمان، واعترفت بتفوق دولة سليمان على دولتها، فكانت النتيجة الحسنة من حسن بناء العلاقة؛ وهو دخولها في الإسلام بقناعة راسخة وهداية ربانية لها^(١).

٨- التواضع:

وهو في قمة المجد والتمكين كان سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ دائم التواضع حتى قيل: إنه كان يمشي منكسر الرأس خشوعاً لله. وأثناء استعراضه لجنوده من الجن والإنس والطير مرّ على وادي النمل، وفي نظرة التواضع إلى الأرض أبصر نملة، فأشخص النظر صوبها، وأصاخ السمع إليها، وبما علم من منطق الطير والحيوانات حاول تفهم أمرها، لقد علم أنها تتخوف من بطش أقدام جنوده وهم في ركبته، ونصحت النمل أن يفسحوا الطريق أمامه حتى لا تقع مظلمة غير مقصودة من أحد منهم: ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النمل: ١٨]. قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ التفاته مؤمن: أي عدل سليمان وفضله وفضل جنده لا يحطمون نملة فما فوقها إلا بالأل يشعروا^(٢).

(١) المصدر السابق، ص ٧٤٦.

(٢) تفسير القرطبي (١٣/ ١٧٠).



إن هذه النملة لم تكن إلا واحدة من رعايا سليمان في مملكته التي ضمت إلى جانب الإنس والجن أنواعاً وألواناً من الحيوانات والطيور والهوام.

لقد سمع كلامها وتفهم شكواها، فتبسم من قولها ورق قلبه الكبير رفقا لجِزْمِها الصغير، فرحمها وأخواتها، وشكر ربه إذ علّمه منطلق هذه المخلوقات، حتى يتمكن من إنصاتها، وإيصال العدل إليها، وسُرَّ بأن عدالته وجنوده قد عرفها كل مخلوق، حتى هذه النملة التي اعتذرت عنهم مقدّماً، بأنهم إن أصابوا نملة بأقدامهم بأن ذلك من غير قصد منهم ولا شعور^(١): ﴿فَتَبَسَّمْ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ [النمل: ١٩].

من تواضعه عَلَيْهِ السَّلَامُ، قبله للحق والإنصاة إلى من يقول. قال الهدهد لسليمان: ﴿أَحْطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ، وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ﴾ [النمل: ٢٢].

وفي الآية دليل على أن الصغير يقول للكبير، والمتعلم للعالم، عندي ما ليس عندك إذا تحقق ذلك وتيقنه^(٢). هذا درس عملي للقادة العظماء والعلماء الأجلاء، والسادة الفضلاء أن يتواضعوا للحق ويقبلوه، فسلطان الحق أعظم من سلطانتهم وقوة الإذعان للحق أقوى من قوتهم القيادية والعلمية^(٣).

٩- العدل وقبول العذر:

صور القرآن الكريم ما كان عليه سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ من يقظة ودراية بأفراد رعيّته أبدع تصوير، وأن سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ كان بجانب تعهده لشؤون رعيّته يمثل

(١) الحكم والتحاكم في خطاب الوحي (٢/ ٥٨٩).

(٢) السمات القيادية المستنبطة من قصة سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ، ص ٧٤٥.

(٣) المصدر السابق نفسه.

الحاكم الحازم العادل الذي يحاسب المهمل، ويتوعد المقصر، ويعاقب من يستحق العقاب، وفي نفس الوقت يقبل عذر المعتذر متى اعتذر عذراً مشروعاً ومقنعاً^(١). لذا عندما تفقد الهدهد فلم يجده قال: ﴿لَا أُعَذِّبُهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَا أَذْبَحَنَّهُ أَوْ لِيَأْتِنِي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ [النمل: ٢١].

- ﴿أَوْ لِيَأْتِنِي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾؛ أي: حجة واضحة على تخلفه. وهذا من كمال ورعه وإنصافه: أنه لم يقسم على مجرد عقوبته بالعذاب أو القتل؛ لأن ذلك لا يكون إلا من ذنب، وغيبته تحتل لعذر واضح، ولذلك استثناه لعدله وإنصافه^(٢)، واتضح عدله في حكمه في صاحب الزرع والغنم ومع النملة. وصفة العدل بارزة وجليّة وواضحة وجاذبة في شخصية سليمان عَلَيْهِ السَّلَام.

١٠ - الهيبة والوقار:

استمد سليمان عَلَيْهِ السَّلَام هيئته ووقاره من قربه وحسن صلته بالله رب العالمين، فحذف الله مهابته ووقاره على جنوده والمجتمع بأكمله، وكذلك استمد قوته وهيئته من احترامه لجنوده له، ومن احترامه للقيم والمبادئ التي يحملها في صدره ويمارسها واقعياً، فأساس الهيبة كانت من حسن طاعته لله وشكره الدائم له، ومن قوة تطبيقه للمبادئ والقيم الإسلامية القيادية في قيادة ملكه. قال تعالى في وصف حال الهدهد عندما تفقده سليمان ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ [النمل: ٢٢]؛ مكوث الهدهد مدة يسيرة ومكان غير بعيد إنما كان مهابة من سيدنا سليمان عَلَيْهِ السَّلَام، لأنه يعلم ما في عاقبة غيابه إن بعدت مدنه أو بعدت مسافته، ذلك أن وراءه ملكاً مهاباً ظهرت هيئته على رعيته وسلطان ملكه الممتد^(٣).

(١) القيم التربوية في قصة نبي الله سليمان، ص ٧٦.

(٢) المصدر السابق، ص ٧٧.

(٣) القيم الإدارية المستخلصة من قصة سليمان عَلَيْهِ السَّلَام، ص ٤٢.



١١ - الثبت من الأخبار:

فمن صفات سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ الثَّبت والتَّبين في الأحداث والوقائع القائمة والتَّأني والترؤي في تصديق الأقوال وتكذيبها، فهو يتحرَّى، ويستخدم طرقه وأساليبه في تصديق الوقائع أو نفيها ويظهر ذلك جلياً في قصة سليمان مع الهدهد، فهذا الذي حكاه الهدهد، أمر ليس بالسهل ولا باليسير. ثم إن الهدهد لا يجرؤ على اختلاق هذه القصة الطويلة، وهو يعلم تمكن سليمان من الرعية ومقدرته على التأكد من صحة الأخبار، ومع ذلك لم يبادر عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى التصديق، كما أنه لم يتعجل التكذيب، بل قال ﴿سَنَنْظُرُ﴾ وهو من النظر أو التأمل والتحري^(١). وقوله تعالى: ﴿أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [النمل: ٢٧] يعني أصدقت في خبرك أم كذبت لتخلص من الوعيد^(٢).

١٢ - حسن التصرف بذكاء:

تميز سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ بحسن التصرف والذكاء والفتنة، وحسن اللبابة، والتصرف في قيادة مملكته على المستوى الداخلي والخارجي، ومن المواقف الدالة على ذلك:

أ- اختيار الصادق وتعزيز الثقة في الجنود:

قال تعالى: ﴿أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقَاهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ [النمل: ٢٨]؛ ففي الآية دلالة واضحة على حسن تصرف سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ، وعلى

(١) تفسير الرازي (١٩٣/٢٤).

(٢) تفسير ابن كثير (٣/٣٤٩).

ذكائه واختباره في صدق المرسل وآلية الإرسال وأثر ذلك على إعطاء الهدهد الثقة والعزم والقوة في تبليغ الرسالة والدعوة إلى الإسلام^(١)

ب- معرفة مواطن القوة ومواطن الضعف واستثمارها:

عندما نقل الهدهد فحوى خطاب ملكة سبأ إلى سليمان وهو قولها: ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَازَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [النمل: ٣٤]، وما حدث من نقاشات وحوارات، عَلمَ سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ ذكاء ملكة سبأ، وهو قوة في مواطن القوة لديها، كذلك عرف عَلَيْهِ السَّلَامُ بذكائه وشدة تيقظه للخطاب مواطن الضعف لديها، وهو خوفها من الذل والصغار من اجتياح مملكته جراء الحروب والمعارك؛ فرد عليها بنقطة ضعفها للرسول الذي أرسلته (ملكة سبأ): ﴿أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَّا قِيلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [النمل: ٣٧]. وهذا ما يُسميه علماء الإدارة والقيادة -في حسن قيادة المؤسسات والتخطيط الاستراتيجي لها- معرفة مواطن القوة عند العدو، ومكان الضعف لديه. حتى ندرك أهمية المعرفة المتكاملة عن العدو، ويكون ذلك أدعى لهزيمته والانتصار عليه، وقيادته للأهداف المرجوة.

ج- اختبار ذكاء وعقل ملكة سبأ:

قال تعالى: ﴿قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾ [النمل: ٤١].

يعني أنه غير معالمه الظاهرة وقدمه إليها، فكان فيها ثبات وعقل ودهاء وحزم، فلم تُقدم على أنه هو، لبعد مسافته عنها، ولا أنه غيره؛ لما رأت من آثاره وصفاته. فقالت: ﴿كَأَنَّهُ هُوَ﴾ أي: يشبهه وهذا في غاية الذكاء والحزم^(٢).

(١) السمات القيادية المستنبطة من قصة سليمان عَلَيْهِ السَّلَام، ص ٧٤٨.

(٢) تفسير ابن كثير (٣/ ٣٥٢).



وهذه الآية تدل على ذكاء سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ، وحسن اختباره لذكاء وعقل ملكة سبأ، واستطاع -مع توفيق الله تعالى، واستخدام وسائل الدعوة النافعة المعنوية المادية- أن ينجح في إنقاذ أمة من النار، وصارت المملكتان مملكة واحدة يعلوها نور الإيمان وترفرف عليها راية الإسلام^(١).

١٣ - سعة الصدر وحسن الاستماع:

أنصت النبي سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى أَعذار المعتذر وحجة المتخلف، فهو عَلَيْهِ السَّلَامُ أنصت لاسترسال الهدهد حتى انتهى من قوله، رغم أن فيه نوع معاتبة لسليمان، وفيه نسبة عدم الإحاطة إليه؛ قال تعالى: ﴿فَمَكَتْ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ٢٢﴾ إِنِّي وَجَدْتُ أَمْرَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ٢٣ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ٢٤ أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ٢٥ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [النمل: ٢٢-٢٦].

كل هذا وسليمان لا يقاطعه، ولا يكذبه، ولا يعنفه، حتى ينتهي من سرد الحجة التي كانت مفاجأة ضخمة لسليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ^(٢).

١٤ - التدرج في تحقيق الأهداف:

نلاحظ أنَّ شخصية سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ تؤمن بسنة التدرج في تحقيق الأهداف؛ ففي دعوته لملكة سبأ قام بإرسال رسالة واضحة المحتوى والمضمون، ثم رصد

(١) الحكم والتحاكم (٢/٦٠١).

(٢) الحكم والتحاكم (٢/٤٩٥).

ردود الأفعال، ثم استقبل وفد الملكة الذي جاء إليه بالهدية، وردها بحزم مع تهديد صريح، ثم أحضر عرشها ففاجأها به، وختم ذلك ببناء صرح من القوارير الممرد، فتلطف وتدرج حتى وصل إلى إقناعها بالإسلام.

وكذلك التدرج في تقدير العقوبة والتعزيز على قدر الخطأ، وهذا عين العدالة، ولهذا لم يقطع سليمان عَلَيْهِ السَّلَام بقرار واحد في العقاب عند ثبوت الخطأ، بل جعله متوقفاً على حجم هذا الخطأ: ﴿لَا عَذَابَ لَهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَا أَذْبَحَنَّهُ﴾ [النمل: ٢١]، وقد استدل أهل العلم بهذه الآية على أن العقاب على قدر الذنب، وعلة الترقى من الشدة إلى الأشد بقدر ما يحتاجه إصلاح الخلل^(١).

١٥ - توظيف المهارات والمواهب والإمكانيات:

من سمات سليمان عَلَيْهِ السَّلَام قدرته على وضع الفرد المناسب في المكان المناسب، فمملكته كان فيها من الإنس والجن وغيرهم ما كان يمكن أن يؤدي مهمة الهدهد، ولكن سليمان اختاره -مع ضعفه وصغره- لتأدية هذه المهمة، لما عاين فيه من مخايل العلم والحكمة، والقدرة على إنجاز المهمة^(٢).

ووظف إمكانيات (الذي عنده علم من الكتاب) في تحضير عرش ملكة سبأ وأوكل إليه المهمة والتي تم تنفيذها بنجاح، فنبى الله سليمان نظم جنده، ورتب حشوده، ووزعهم فيما يصله له من خدمة وعمل، وأعطى الفرصة لمستشاريه وجنوده ليخرجوا مواهبهم، وأن يقول كل منهم ما عنده، واستطاع أن يوظف قدراتهم وإمكاناتهم لصالح الدولة وأهدافها الربانية.

(١) المصدر السابق، (٢/ ٤٩٤).

(٢) تفسير روح المعاني، الآلوسي، (٩/ ١٩٣).



١٦ - تعالى على حطام الدنيا والثبات على المبدأ:

ومن سمات سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ تعالى على حطام الدنيا، والثبات على القيم والمبادئ الربانية، فقد رفض قبول هدايا ملكة سبأ عندما حاولت رشوته واختباره، فردَّ ردًّا مزلزلاً بقوله ﴿أَتُمْدُونَنِي بِمَالٍ فَمَا آتَنِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾ [النمل: ٣٦]، فبيّن عَلَيْهِ السَّلَامُ موقفه العظيم في تعالى على حطام الدنيا وثباته على المبادئ والمعتقدات الإسلامية، وحرصه على الدعوة إلى الله وهداية الناس^(١).

١٧ - الثبات على المبدأ:

تعامل سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ بروح إيجابية مع مبادرة الهدهد في سعيه لتعبير المنكر العظيم، وهو الشرك بالله عَزَّجَلَّ وقلقه الكبير، إزاء القوم الذين يسجدون لغير الله، وسرعة إتيانه بالخبر والحجة التي ساهمت في تغيير أمة وإسلامها، فكم من المبادرات والإيجابيات تحيي الأمم والمجتمعات وتعيدها إلى دائرة الإسلام، ومن ثم التأثير الإيجابي في زيادة رقعة الإسلام، والتمكين في الأرض^(٢). وكانت لسليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ مبادرات عظيمة استخدمها في الدعوة إلى الله، كحرصه على الإتيان بعرش ملكة سبأ، وبناء الصرح الممرد من قوارير، ومبادرته في إرساله لخطابه الدعوي المحكم في الصياغة والأهداف والمقاصد.

(١) الحكم والتحاكم (٢/ ٥٩٨).

(٢) السمات القيادية، ص ٧٥١.



١٨- الاستماع لكبار مستشاريه:

وتظهر هذه صفة بارزة في شخصيته عَلَيْهِ السَّلَام عندما عرض عليه الحوار والرأي للمشاورة مع كبار مستشاريه، وقال لهم: ﴿أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا﴾ [النمل: ٣٨]، فعرض إتيان العرش على الملاء الخاص به، وعرض الملاء ما لديه من إمكانيات واختار الأنسب في تحقيق ما يريد.

١٩- القدرة على الحسم:

ومن صفات سليمان عَلَيْهِ السَّلَام قدرته على الحسم عندما تحتاج الأمور إلى الحسم، وعدم التردد في القرار الصعب للتغلب على الحال الأصعب. وعندما وجد سليمان عَلَيْهِ السَّلَام أن القوم ما زالوا على الشرك، بل يريدون استمالاته وتنحيته عن صلابته في الحق؛ قال للوفد الذي جاءوا بالهدايا: ﴿أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [النمل: ٣٧] أي: عُدْ إليهم بالهدية، فلن أقبلها من مشرك، وأعلمهم أنني سأرسل لهم جنود لا طاقة لهم بقتالهم، ولنخرجهم من بلدتهم أذلةً، وهم مهانون مدحورون^(١).

٢٠- الشدة مع المعاند:

كان يستعمل القوة في إرهاب من يصد عن الدعوة، فإن ذلك قد لا ينفع غيره في إنقاذ الناس من الشرك، بل من المعادن البشرية ما لا يلين إلا تحت

(١) التفسير الكبير، الرازي، (١٩٦/٢٤).



وهج السيوف وسنابك الخيل. ولما أطلق سليمان تهديده، وأرسله مع الرسل منذراً، ووقع في قلوب المشركين الوجع والخوف وراجعوا أنفسهم؛ أثمر ذلك يقظة وصحوة من الغفلة، ونظرت ملكة سبأ في أمرها بعد أن رجع إليها رسلها بهديتها، وبما قال سليمان عَلَيْهِ السَّلَام؛ فسمعت وأطاعت هي وقومها، وأقبلت تسير إليه في جنودها خاضعة ذليلة معظمة لسليمان، ناوية متابعتة على الإسلام^(١).

٢١- حبّ الجهاد:

إن تهيئة النفوس للظروف التي تحتم الجهاد، والمسرة بإقامته نصراً للدين، وإعلاء لكلمة الله، كان هذا هو شأن سليمان عَلَيْهِ السَّلَام مع جنوده؛ كما قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: فإنما صار صدق الهدهد عذراً له، فإنه أخبر بما يقتضي الجهاد، وكان سليمان عَلَيْهِ السَّلَام حُبب إليه الجهاد^(٢).

وكان عَلَيْهِ السَّلَام مهتماً اهتماماً كبيراً بقوّته العسكرية، في الإعداد والتجهيز والاستعراض والاعتناء بالخيّل، وهذه الصفة واضحة بينة لا تحتاج دليلاً ولا توضيحاً، ويكفي فيها وصف سليمان لجنده وثقته فيهم بعد ربه: ﴿أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [النمل: ٣٧]، وقوله تعالى: ﴿إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصِّفَتُ الْجَيَادُ﴾ [سورة ص: ٣١]^(٣).

(١) تفسير ابن كثير (٣/٢٥١).

(٢) الحكم والتحاكم (٢/٥٩٦).

(٣) القصص القرآني، د. سليمان الدقور، ص ١٩٣.



٢٢- التواضع وعدم الاغترار:

بقوة النفس وكثرة الجند، بل إسناد الفضل إلى الله في كل نعمة، وتجديد الشكر على هذه النعم. وسليمان عَلَيْهِ السَّلَام لما طلب الإتيان بعرش ملكة سبأ أجابته جنوده التي سخرها الله له مسارعين إلى الطاعة فلما وجد طلبه مجاباً، وأمره مطاعاً سارع إلى ضبط النفس في سلك الخشية ومنهاج التواضع والطاعة لله رب العالمين: ﴿فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ﴾ [النمل: ٤٠]. أي رأى العرش ثابتاً عنده ﴿قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي﴾؛ أي هذا النصر والفضل من فضل ربي ليختبرني أشكر نعمته أم أكفرها، فإن من شكر لا يرجع نفع شكره إلا إلى نفسه، حيث استوجب بشكره تمام النعمة ودوامها والمزيد، ومن كفر النعم فإن الله غني عن شكره، كريم في عدم منع تفضله عنه^(١).

٢٣- الصبر:

من صفات سليمان عَلَيْهِ السَّلَام الصبر، وقد ابتلاه الله فصبر واحتسب وطلب من الله المغفرة والملك الذي لا ينبغي لأحد من بعده، فاستجاب الله له، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ﴾ [ص: ٣٤] ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكاً لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [سورة ص: ٣٤-٣٥]. وهنا نجد قيمة الصبر على الابتلاء وأهمية اللجوء إلى الله بالدعاء والانكسار بين يديه وطلب المغفرة منه. وقد طلب سليمان بعد ذلك ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده واستجاب الله له ورفع درجته، فأشد الناس ابتلاء الأنبياء ثم الذين

(١) الحكم والتحاكم (٢/ ٦٠٠).



يلونهم. ولا شك أن الصبر على الابتلاء والفتن والمحن والمصائب من أشد أنواع الصبر^(١). قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ﴾ [سورة ص: ٣٤].

٢٤- الفهم والحكمة:

من صفات سليمان عَلَيْهِ السَّلَام المتداخلة مع بعضها في شخصيته: الفهم والحكمة، والعلم. قال تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [الأنبياء: ٧٩]؛ فقد أعطاه الله فهماً عظيماً للأمور القضائية والسياسية والعسكرية والاقتصادية والدعوية، وهذا الفهم مصحوب بالحكمة ووضع الأمور في محلها.

وتنبع حكمة سليمان وفهمه العميق للأمور من قيم سامية ذات أهمية بالغة ومكانة رفيعة، وهي تحرص على هداية الناس ودخولهم في دين الله سبحانه، ورفع الظلم عنهم وإقامة العدل بينهم وتفجير طاقاتهم المكنونة، لكي ينطلقوا في عمارة الأرض والشهود الحضاري لأهل الإيمان من الجن والإنس.

٢٥- البناء والإبداع:

ومن صفات شخصية سليمان عَلَيْهِ السَّلَام: الإبداع والبناء في جوانب الحياة المتعدد المتعلقة بالملك. والناس سواء في الإدارة أو الاقتصاد أو الجندية والعلوم والمعرفة أو الاكتشافات للخام والصناعات كالحديد والنحاس وغير ذلك.

(١) القيم التربوية، ص ٧٣.

فقد أبدع سليمان عَلَيْهِ السَّلَام في استخدام العلم لإحضار عرش بلقيس مع المحافظة عليه وتنكيهه، وزاد الإبداع الحضاري في استخدام البناء والعمران والعلم والأدوات ووسائل الحياة بتقديم نموذج من معالم التحضر الرفيع والآيات القرآنية، صوّر هذا قوله: ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ﴾ ليرى ملكاً هو أعز من ملكها، وسلطاناً هو أعظم من سلطانها ﴿فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِيهَا﴾؛ لا تشك أنه ماء تخوضه. قيل لها: ادخلي صرحاً ممرداً من قوارير، فلما وقفت على صرح سليمان دعاها إلى عبادة الله، ونعى عليها في عبادتها الشمس من دون الله^(١). واستخدم معها عقل النبي ومنطقه الرشيد وحججه الوجدانية المستمدة من شرع الله وموكب الأنبياء والمرسلين، فكان سبباً في هدايتها.

في قوله تعالى: ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ﴾ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِيهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرٍ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسَأَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿[النمل: ٤٤]﴾؛ تظهر ملامح البيان والعمارة العالية والإبداع الرفيع والتطور الحضاري في استخدام العناصر الطبيعية واستثمار الغاز في الأرض على نحو يحقق للإنسان الحياة ونظام المعاش، والبحث في محتويات البيئة، والكشف عن ثرواتها بما يحقق النفع للإنسان والمجتمع، فالعلم هنا يستثمر في الإبداع المعماري، وتطوير المدينة على أسس من الحضارة الربانية الموصولة بالخالق العلمي^(٢).

فالحضارة التي قادها سليمان عَلَيْهِ السَّلَام، ارتبطت بالقيم المعنوية والمادية، وحققت التوحيد وأفردت العبادة لله جَلَّ جَلَالُهُ، وحاربت الشرك، وساهمت في

(١) القيم التربوية، ص ١١٥.

(٢) المصدر السابق، ص ١١٦.



البناء المعرفي والحضاري، والارتقاء الإنساني بمنظومة الأخلاق الإنسانية الفريدة المرتبطة بالنهج الرباني.

٢٦- علو الهمة:

من صفات سليمان عَلَيْهِ السَّلَام التي تميز بها، علو الهمة وقوة عزمته. وتظهر هذه الصفة في دعائه لربه: ﴿وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَتِي وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ [النمل: ١٩]، ففي هذه الآية طلب سليمان عَلَيْهِ السَّلَام من ربه ثلاثة أمور:

الأول: أن يلهمه الله تعالى ويوفقه لشكر النعم التي أنعم الله بها عليه وعلى والديه.

الثاني: أن يوفقه لكل عمل صالح يحبه ويرضاه.

الثالث: أن يدخله الجنة مع عباده الصالحين.

فهذه مطالب عالية وأهداف سامية؛ تدل بكل وضوح على علو همته وقوة عزمته^(١).

وفي دعاء سليمان عَلَيْهِ السَّلَام: ﴿وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾؛ يدل على دخول الجنة برحمته وفضله، لا باستحقاق العبد نفسه. وسليمان عَلَيْهِ السَّلَام في الآية الكريمة طلب ما يكون وسيلة إلى ثواب الآخرة أولاً، ثم طلب ثواب الآخرة ثانياً^(٢).

(١) القيم التربوية، ص ١٢٩.

(٢) المصدر السابق نفسه.

وتظهر صفة علو همته في عبوديته لله عَزَّوَجَلَّ والتزامه بمنهج الله في تحقيق مرجعية الفعل والحركة: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [سورة ص: ٣٠]. وعلو همته في تحقيق العبادة لله؛ جعلته بعيداً عن الأهواء الشخصية والنزعات البشرية المستبدة^(١).

وإن علو همته جعلته يسير على نهج والده في الجهاد والدعوة، وتعظيم شرع الله عَزَّوَجَلَّ، وتحمل المسؤولية ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْأَمِينُ﴾ [النمل: ١٦].

٢٧- الانفتاح على الآخرين:

من صفات سليمان عَلَيْهِ السَّلَام الانفتاح على الآخرين، وهي صفة برزت في شخصيته بكل وضوح، وهي من معالم التحضر والرقي والتواصل الإنساني الرفيع، فكان انفتاحه على مملكة سبأ انفتاحاً دعوياً فيه الحرص على هدايتهم، وكذلك انفتاحاً حضارياً لتجسيد التعاون الإنساني على مستوى العلاقات التجارية والاقتصادية، والتقدم والتحضر والمعرفة والعلوم والثقافة، بل إن سليمان عَلَيْهِ السَّلَام كان منفتحاً على الهدهد، واستفاد من معلوماته وخبرته وتوصيله لرسالته. وكان منفتحاً على النمل، وعلى الجن، وعرف كيفية الاستفادة منهم في دولته، بل قدّم بعضهم، وأصبحوا من الملائ الذين يستشيرهم ﴿قَالَ عَفَرْتُ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا ءَاتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ﴾ [النمل: ٣٩].

فقد كان انفتاح سليمان عَلَيْهِ السَّلَام إيجابياً حقق به مكاسب لدولته ودعوته.

(١) القصص القرآني، سليمان الدقور، ص ١٧٧.



٢٨- القدرة على التخطيط والتنفيذ:

إن من صفات سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ، القدرة على التخطيط، وفي إدارة سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ تخطيط دقيق لحشد هائل من الجند تم اجتماعهم في موكب عظيم يجمع أوله على آخره حتى لا يتفرقوا وتشيع بينهم الفوضى، فقد أطلق عليه اصطلاح الجنود إشارة إلى الحشد والتنظيم.

وإذا كان هذا التخطيط يمثل خطوة جزئية في التخطيط الشامل الذي هو تبليغ الرسالة والدعوة لعبادة الله وحده، فقد كان جميع عناصر جنده على علم بالخطوة الشاملة وسعى الجميع لتحقيقها، ورفض كل ما يتعارض معها.

ومن الخطط الجزئية التي استخدمها سليمان، إرسال كتابه إلى الملكة بعد أن أخبره الهدهد بأنها وقومها ﴿يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾.

ومن التخطيط الجزئي، خطة الإتيان بعرش الملكة قبل حضورها. ويبدو أن هدف سليمان من ذلك هو عرض مظاهر القوة الخارقة التي تؤيده لتؤثر في قلب الملكة وتقودها إلى الإيمان بالله والاستجابة لدعوته.

وقد تلخصت تلك الخطوة في قول سليمان لمستشاريه والملا من عليه العناصر في دولته: ﴿إِنَّكُمْ يَأْتِيَنِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ [النمل: ٣٨] وفي قوله ﴿إِنَّكُمْ﴾ دليل على مراعاة الفروق الفردية؛ حيث تبدو قيمة تقسيم العمل على حسب قدرات المرؤوسين لضمان نجاحه، وعند ذلك وجد القائد الرد من أحدهم ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ﴾ [النمل: ٣٩].



وكأنه قد بدا من سليمان ما يدل على أنه يريد فترة زمنية أقل في الإتيان بالعرش، فكانت الاستجابة من عنصر أعلى قدرة. فسرعة الإنجاز دليل على الكفاءة الأعلى، لكن من الذي يملك القدرة الأعلى؟

إنه الذي يملك العلم^(١): ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ [النمل: ٤٠].

ومع تلك اللفتة الإيمانية في تلك الخطة خاصة لدى هذا العنصر المتميز من المرؤوسين؛ يوجد جانب آخر مهم لنجاح التخطيط؛ وهو ما يعرف حديثاً بحسن توزيع المهام. لقد أحسن سليمان عَلَيْهِ السَّلَام توزيع المهام حين عرض الأمر أولاً دون تحديد، حتى يسند المهمة إلى أعلاهم قدرة وأسرعهم على الإنجاز، كما أحسن حين أتاح الفرصة لمن لديه قدرة أعلى من الذي يأتي بالعرش قبل قيام الملك في المجلس، وأحسن توزيع المهام كذلك حين حدد المدة المطلوبة لإنجاز المهمة: ﴿قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾. ومن التخطيط الذي اعتمد عليه سليمان -أيضاً- تخطيطه بأن ينكر عرشها: ﴿قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾ [النمل: ٤١].

ومهما كان التخطيط جيداً، فإنه يظل كلاماً نظرياً ما لم ينفذ ويطبق. وكذلك، فإن التنفيذ، إذا لم يكن في التوقيت المناسب ربما فقد أهميته، ومن هنا كانت سرعة التنفيذ عملية مهمة من العمليات الإدارية، وقد بدت سرعة التنفيذ في كثير من المواقف في إدارة سليمان عَلَيْهِ السَّلَام، فحين أمر سليمان الهدهد بأن يذهب ويلقي إليهم الكتاب ويعود بالجواب سريعاً، كل هذا تمّ تنفيذه بسرعة: ﴿إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيْكَ كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾.

(١) لمحات تربوية إدارية، د. فوقية محمد ياقوت، ص ٨.



ومن سرعة التنفيذ أنه بمجرد انتهاء سليمان من وضع خطة إحضار عرشها ثم الإحضار بسرعة. ومن سرعة التنفيذ أن غيروا لها بعض معالم عرشها على وجه السرعة^(١).

وعلى الجانب الآخر، اتّسمت إدارة الملكة كذلك بسرعة التنفيذ حين وصلت هديتها إلى سليمان وتابع سليمان عَلَيْهِ السَّلَام الأحداث حتى حقق هدفه الكبير الذي سعى إلى بلوغه، وهو نشر دين الله ودخول الملكة وقومها في الإسلام، فقد نجح سليمان عَلَيْهِ السَّلَام في تحقيق الهدف واستشار للوصول إليه، وخطط له ونفذه وتابعه؛ إنه الهدف الأسمى: ﴿أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَىٰ وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ﴾^(٢).

٢٩ - مؤيد:

من صفات سليمان عَلَيْهِ السَّلَام أنه مؤيد من الله تعالى، وهذه المؤيدات منها ما اختصه الله به من آيات الآفاق والكون، وهذا في جانب (التسخير)، ومنها ما كان مختصاً بآيات الأنفس والملكات والمواهب الربانية للإنسان في نفسه وهذه في جانب التمكين.

وفيما يلي تفصيل هذين النوعين:

أ- التسخير:

- تسخير الرياح قال تعالى: ﴿وَلَسَلِيمَنَّ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨١]، ووصف الله سرعة هذه

(١) لمحات تربوية إدارية، ص ١١.

(٢) المصدر السابق نفسه.

الريح المسخرة وحركتها بقوله: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحُ غُدُوهاَ شَهْرٌ وَرَواحُهاَ شَهْرٌ^ط وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ^ط وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ^ط وَمَن يَزِغُ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ النَّعِيرِ^ط﴾ [سبأ: ١٢] وصفت الرياح بالرخاء ﴿فَسَخَرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ^ط﴾ [سورة ص: ٣٦].

وفي تسخير الريح إشارة إلى إمكانية تسخير قوى الطبيعة ريحاً أو غيرها للمسلم القائم على دعوة الله وشرعه وتحقيق أهداف التمكين الرباني.

- تسخير النحاس: ﴿وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ^ط﴾ أي: النحاس وهي إشارة إلى تسخير الله عناصر الطبيعة والأرض ومكوناتها لصاحب مشروع النهضة ولحامل هم قيادته.

- تسخير الجن والشياطين، ذلك العالم الآخر الذي احتوى عليه ملك سليمان والذي لن يكون لأحد من بعده اللهم إلا أن يؤيد الله من شاء لعباده بمن شاء من خلقه.

- تسخير ما في البحار؛ حيث سخر له الله من الشياطين من يغوصون في البحر ليستخرجوا اللؤلؤ والمرجان وكل ما ينفع.

وقد كان لهذه المؤيدات أثر كبير في تكوين النهضة التي حصلت في زمن سليمان عَلَيْهِ السَّلَام.

ب- التمكين:

فسليمان عَلَيْهِ السَّلَام نبي وملك ممكن؛ فقد اختاره الله سبحانه واصطفاه ليجعله ذا شخصية قيادية وأمدّه بإمكانات روحية ومعنوية وعقلية ومادية، وميّزه وفضله على غيره ومكّن له بعد وفاة والده، فقاد مملكته بتأييد الله له^(١). وقد بيّنا ذلك بالتفصيل.

(١) القصص القرآني، سليمان الدقور، ص ١٨٩.



هذه أهم صفات سليمان عَلَيْهِ السَّلَام حسب ما ظهرت لي من دراستي في هذا القصص الممتع والغني بالدروس والعبر والفوائد.

خامساً: مقومات الحكم الرشيد في دولة سليمان عَلَيْهِ السَّلَام:

سبق القرآن الكريم كل النظم المعاصرة في الحديث عن مقومات الحكم الرشيد الذي سعى لتحقيق التنمية الشاملة في المجتمع بما تضمّنه من توجيهات أساسية لطريقة الحكم، فجعل الهدف من نزول القرآن الكريم، الهداية إلى الرشd، قال تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۖ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ۖ وَلَن تُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ [الجن: ١، ٢] بما ينشئه في القلب من إدراك ومعرفة واتصال بمصدر النور، واتساق مع النواميس الإلهية الكبرى؛ كما أنه يهدي إلى الرشd بمنهجه التنظيمي للحياة وتصريفها، وهذا يوصف (بالرشd العقلي)^(١). كما أنه لا تتحقق مهمة العبودية لله سُبحانَهُ وتعالى من الفرد إلا إذا كان رشيداً متحرّياً للرشd؛ لأن الرشd والغني لا يجتمعان^(٢).

وقد امتدح الله القيادة الرشيدة لإبراهيم عَلَيْهِ السَّلَام، ووصفه بالرشd الكامل اللائق به وبأمثاله من الرسل؛ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٥١].

فهو الرشd في سياسة الأمة، والاهتداء والتوفيق للنظر والاستدلال على الحق والصالح وحسن التصرف -حسباً أو معنوياً- في الدين والدنيا، وكذلك الاقتدار على إصلاح الأمة باستعمال النواميس الإلهية^(٣).

(١) مقومات الحكم الرشيد، سعيد محمد عبد السلام ناجي، ص ٣٠٦.

(٢) المصدر السابق نفسه، وتفسير الرازي (١٦/٧).

(٣) فتح البيان في مقاصد القرآن، القنوجي، (٨/٣٣٧).



إن قصة سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ أشارت إلى مقومات الحكم الرشيد، ومن أهم هذه المقومات:

(١) المقومات الاجتماعية والعلمية:

كان للبيئة النبوية الربانية التي عاش فيها سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ - سواء الاجتماعية أو العلمية - الأثر الكبير في حكمه الرشيد، وقد أكدت مبادئ الحكم الرشيد على ضرورة الاندماج الاجتماعي في البيئة المحيطة بالفرد والأسرة، وهي اللبنة الأولى في البناء الاجتماعي التي تؤثر في سلوك الفرد وبناء شخصيته. وقد بين الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضرورة الأدب والتأديب للأبناء؛ موضحاً مدى تأثير ذلك في تكوين شخصية الإنسان، إيجاباً وسلباً. قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُلُّ مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه»^(١).

كانت بيئة سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ الاجتماعية مؤثرة في صقل شخصيته، وتربته على القيم الإنسانية الربانية، وكان لأبيه داود عَلَيْهِ السَّلَامُ تأثير كبير في مسيرته بعد الله عَزَّوَجَلَّ؛ ويتضح ذلك من خلال:

أ- التنشئة الاجتماعية:

كانت للعلاقة بين سليمان ووالده داوود منذ طفولته وشبابه، الأثر البالغ في صقل شخصيته وتحديد أهدافه ورسالته في الحياة؛ فقد نشأ في بيئة تلقى فيها تربية نبوية صالحة، فهو ابن النبي داود عَلَيْهِ السَّلَامُ الذي وصف بالعبودية، والذي تميّز في جهاده، وصلاته وصيامه، وذكره وثنائه وحمده الله عَزَّوَجَلَّ، وقد كان سليمان

(١) رواه البخاري، رقم ١٣٨٥.



هبة من الله عَزَّوَجَلَّ لعبده داوود؛ ولذا كان ابناً بارّاً وقرّة عين لأبيه: فصفة العبودية والصلاح سمة بارزة في شخصية سليمان عَلَيْهِ السَّلَام، بل خصه الله بمُدح خاص، فقال تعالى: ﴿نِعَمَ الْعَبْدُ﴾ لكونه حقق العبودية الصادقة لربه جَلَّوَعَلَا في حياته الخاصة باستقامته على أمر الله، وبصفته حاكماً في سياسته لدولته وإدارته لها^(١) ولهذا أعقب الله تعالى وصفه بالعبودية بجملة تعليلية؛ فقال: ﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ أي: رجّاع إلى الله في جميع أموره وشؤونه، تَوَّاب إليه مما يكرهه منه. وقيل: إنه عُنِيَ به أنه كثير الذكر لله وكثير الصلاة^(٢).

وتبرز مظاهر عبوديته لله في كثرة شكره ودعائه وذكره ومناجاته لله. لقد سار على نهج والده النبي الملك داوود، وتأثر بأخلاقه وسلوكه ودعوته وأعماله وأهدافه، وإدارته للملك، وقدّم نموذجاً من نماذج تحقيق العبادة من خلال منصب (الرئاسة) وقيادة الدولة، والشعوب التابعة لها في دفع المظالم، وإقامة العدل، ودلالة الناس على توحيد الله وإفراده بالعبادة، ومساعدة المحتاجين، وعمارة الدولة بالبناء والتجارة والانفتاح على الآخرين وفق منهج الله وشرعه. قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢].

ب- التنشئة العلمية:

إنّ المتتبع لقصة سليمان عَلَيْهِ السَّلَام في القرآن الكريم يجد أنّ موضوع العلم الإلهي ركيزة أساسية في تشييد حكمه القائم على المنهج الرباني؛ فقد قرن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى العلم بالحكم في منحه لداوود وسليمان عَلَيْهِمَا السَّلَام. قال تعالى:

(١) مقومات الحكم الرشيد، ص ٣٠٩.

(٢) المصدر السابق، ص ٣١٠.

﴿فَقَهَّمْنَهَا سُلَيْمَنْ ۖ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۖ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ ۖ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ۖ﴾ [الأنبياء: ٧٩] وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النمل: ١٥].

وفي فعل ﴿ءَاتَيْنَا﴾ ما يؤذن بأنه علم مفاض من عند الله تعالى، ولا يذكر هنا نوع العلم ولا موضوعه، لأن جنس العلم هو المقصود بالإبراز والإظهار، وللإيحاء، بأن العلم كله هبة من الله، وبأن اللائق بكل ذي علم أن يعرف مصدره^(١).

وتبرز أهمية العلم الرباني المستمد منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي بِنَاءِ الحضارات، وترسيخ مقومات الحكم الرشيد في الدولة، وضبط مسار القيادة والشعوب والمؤسسات وفق قيم الشريعة الربانية، التي جعلها الله بصائر للناس وهدايات لهم في حياتهم الدينية والدنيوية، وكيفية التعامل مع العلوم المتنوعة في إسعاد الناس وفق المنهج الرباني، سواء كانت علومًا معنوية قائمة على المعرفة والدراسة والتحصيل وإعمال العقل، والذهن وإدراك الأمور والحقائق، أو علومًا مادية متعلقة بالاختراعات والصناعات والطرق والجسور ووسائل المواصلات، وتطوير الثروات الحيوانية والزراعية والبحرية.. وعلوم اللغات والتفاهم مع الأجناس، وتوظيف كافة العلوم في خدمة دين الله والقيم السامية المستمدة منه. وهذا ما قام به سليمان عَلَيْهِ السَّلَام، فطريق الحكم الرشيد معرفة العلوم والتمكن منها بأنواعها الدينية والدنيوية.

وتؤكد مبادئ الحكم الرشيد على ضرورة تكريس المعرفة، وتوظيفها في بناء القدرات من خلال المساواة، وتكافؤ الفرص بين المواطنين، ولا يتأتى التنافس

(١) مقومات الحكم الرشيد، ص ٣١١.



إلا بالعلم، كما يُعدّ العلم من الصفات الضرورية في كل من يتولى الحكم، وشرطاً أساسياً في كل ولاية حتى لا يخرج في حكمه عما شرعه الله، لأنه منفذ لأحكام الله في إقرار مصالح العباد^(١). فنعمة العلم التي تحصل عليها سليمان عَلَيْهِ السَّلَام من أجلّ النعم التي أنعم الله بها عليه وفضله وشرفه بها، فلا حضارة تتقدم ولا دولة تقوم بأهدافها بدون العلم.

٢) المقومات الإدارية (التنظيمية) والاقتصادية:

من المقومات الأساسية للحكم الرشيد الاهتمام بالأمر التنظيمية والإصلاحات الإدارية والمالية في المجتمع. والمتأمل لقضية سليمان عَلَيْهِ السَّلَام يجد أنه قدّم درساً في القيادة الحكيمة وفق رؤية إدارية واقتصادية رشيدة؛ فحقق التنمية الشاملة في دولته. ويتضح ذلك من الآتي:

أ- نظام الموارد البشرية:

مراعاة التخصص، واختيار الأكفاء، والاهتمام بالتدريب، من مقومات الحكم الرشيد. وتوخي الدقة في إدارة السلطة من خلال نظام للعمل يتم بموجبه توزيع المهام بين العاملين، وهذا ما سار عليه سليمان عَلَيْهِ السَّلَام مع أفراد مملكته؛ فكان في مملكته وزراء ونقباء وقادة؛ قسّمهم على مؤسسات الدولة على حسب الاختصاص، والاستعدادات الفكرية، والطاقات الوهية والمكتسبة؛ فمثلاً: جنوده من الجن والإنس والطير يقودهم الوازعون، وهذا الحشد الكبير مكوّن من فرق متناسقة، ورغم اختلاف أجناسهم إلا أنهم يسيرون بنظام دقيق محكم؛

(١) مقومات الحكم الرشيد، ص ٣١١.

ولذلك وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾^(١) يجمع آخره على أوله، وتضم صفوفه، وتتلاءم خطاه. (والوازع: الحابس، والنقيب).

كما كان يختار الأكفاء بتنفيذ المهام؛ فقد اختار الهدهد لإيصال الكتاب إلى ملكة سبأ؛ لما رأى فيه من مخايل الفهم والعلم، فقد أعطى الهدهد قوة بفهم ما يسمعه من كلام ملكة وأشراف سبأ، وقدم لسليمان تقريراً متكاملًا شاملًا حصلت المعرفة لسليمان عَلَيْهِ السَّلَام بأحوال مملكة سبأ، فأبرز الحالة الاجتماعية والاقتصادية، والقوة السياسية، ووصف الجغرافيا، والمسافة، وكشف عن الحياة الدينية.

وملك سليمان ممتد؛ له مقومات الدولة ومقدراتها المادية. اهتم فيها بعنصر التدريب لزيادة كفاءة مكونات جيشه، فكان يحرص على إعداد الخيل ولياقتها البدنية، ويراقب تمارينها على الجري والعدو لتكون جاهزة للجهاد، باعتبارها من أسلحة الحرب المعروفة للجهاد، وكان في نهاية التدريبات يلاعبها ويمسح على سيقانها وأعناقها ويمرر أصابعه عليها برقة تكريماً لها، وإظهاراً لاهتمامه بها، ومحبة لها، فتزداد وفاءً له وتعلقاً به، كما تزداد إقداماً في الجهاد^(١).

ب- الإصلاح المالي والإداري:

يحتاج إلى يقظة مستمرة ومتابعة مباشرة ومكافحة الفساد، ولقد كان سليمان عَلَيْهِ السَّلَام يمثل الحاكم اليقظ في إدارة مملكته مع من سخرهم الله له، فعاملهم وفق قواعد الضبط الإداري، وتفقد أحوالهم وانضباطهم، وباشر بنفسه متابعة تنفيذ ما

(١) مقومات الحكم الرشيد، ص ٣١٦.



أوكل إليهم مع الاستفادة من أعوانه وجهاز المراقبة التابع له والتقارير المرفوعة إليه، فكان يتأكد قبل إصدار تعليماته، ولا يتساهل مع المخالفين والمفسدين منهم^(١). فقد سار بقوانين عادلة لضبط الأمور، بحيث يعاقب المسيء ويحسن للمحسن قال تعالى: ﴿لَا عَذَابَ لَهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَا أَذْبَحْنَهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ [النمل: ٢١].

كما أنه لم يسمح بالفساد في نظام حكمه ومثل قدوة في الثبات أمام المغريات الدنيوية، ورفض بشدة الرشوة، واحتقر المال الفاسد^(٢).
ج- وضوح الرؤية في السياسة الاقتصادية:

من أهم مبادئ الحكم الرشيد الاستخدام الأمثل للفعال للموارد والمصادر الاقتصادية، وهذا ينعكس على فاعلية المجتمع ومشاركته في إحداث تنمية شاملة وحقيقية، والمتأمل لقصة سليمان عَلَيْهِ السَّلَام يجد أن الله تعالى قد أعطاه ملكاً عظيماً لم يعطه أحد من بعده، وكانت حضارته امتداداً لحضارة أبيه داوود عَلَيْهِ السَّلَام القائمة على التسخير الإلهي، واتسمت سياسته بوضوح الرؤية من خلال اهتمامه بأسباب التقدم والعناصر المكونة لتلك العملية، وهي تسخير الإمكانيات المتاحة المتمثلة بالمواد الخام، ووسائل النقل، وكذلك بتوظيف الأيدي العاملة الماهرة.

- فأما المواد الخام: فقد أجرى الله لسليمان عَلَيْهِ السَّلَام ﴿عَيْنَ الْقَظْرِ﴾ وغيرها من المواد.

(١) المصدر السابق، ص ٣١٧.

(٢) المصدر السابق، ص ٣١٨.



- وأما وسائل النقل: فقد سخر له الريح كوسيلة من وسائل المواصلات غير العادية.

- وأما توظيف الأيدي العاملة الماهرة: فقد سخر الله له طائفة من الشياطين والجن، يستخدمهم في الغوص في أعماق البحار، لاستخراج كنوزها وخيراتها من الجواهر النفيسة والمرجان وفي البناء وتشيد القصور والبيوت. كما شهد عصره نشاطاً تجارياً وتبادلاً للسلع بين مملكته ومملكة صور وفق عهد بينهما يقضي باستيراد الخشب من لبنان مقابل تصدير الحنطة والزيت. وكان يجعل بعض العربات الحربية - عندما لا تكون في خدمة الدفاع عن الدولة - في خدمة التجارة. ولتسهيل حركة التجارة قام بتعبيد الطرقات وتزويدها بمحطات لخدمة القوافل التجارية على الطرق التجارية في سوريا وفلسطين، وفرض رسوماً على تلك القوافل التجارية الآتية من الجزيرة العربية المحملة بالتوابل نظير تلك الخدمات^(١).

وقد سجل القرآن الكريم اهتمامه بالصناعة والعمران قال تعالى: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَتٍ أَعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ﴾ [سبأ: ١٣].

فكانت الجن تعمل لسليمان عَلَيْهِ السَّلَام ما يخطر على باله من المباني والإنشاءات العبادية من محاريب وتماثيل، فيخرجون تلك المحاريب والتماثيل في أبداع صورة بما يزينونها من زخرفة لواجهاتها بالنحت والتصوير. وقدمت المحاريب على التماثيل؛ لأن الصور توضع في المحاريب أو تنقش على جدران تلك

(١) المصدر السابق، ص ٣٢٠، ودراسات تاريخية من القرآن الكريم، (٣/ ١٦٦ - ١٨٠).



المعابد والقصور. كما يأمرهم بإقامة أضخم المشروعات الدنيوية، تلك التي كان البشر يعجزون عن صناعته من لوازم الصناعات المعدنية: ﴿وَجِفَّانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَتٍ﴾؛ فيصنعون له القِصَاع الضخمة كحياض الإبل، يجتمع على القصعة الواحدة ألف رجل يأكلون منها. وأما القدور فهي منحوتة من الجبال الصم ثابتات لضخامتها، وكانت أفراناً لصهر الحديد والنحاس، وهي المرحلة السابقة على صب الحديد والنحاس في الجفان، وكانت تتطلب أن تكون في غاية الصلابة والسمانة لتحمل شدة حرارة الصهر المرتفعة. وذكر بعض المفسرين عند تفسيرهم لقول الله تعالى: ﴿وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ﴾؛ أَنَّ هؤلاء الشياطين يقومون بمهام صناعية أخرى بالإضافة إلى ما ذكر من بناء المدن والقصور واختراع الصنائع الغريبة، كصناعات الحمام والنورة والطواحين والقوارير والصابون. كما اهتم سليمان عَلَيْهِ السَّلَام بتطوير الآلات العسكرية، إذ أدخل سلاح العربات الحربية إلى جيشه، وجعل منها قوة مهمة، وخصص لها ثكنات عسكرية^(١). أما التنمية العمرانية في مملكة سليمان عَلَيْهِ السَّلَام فقد كانت على درجة عالية من عظمة البناء وبديع الزخرف التي اختصت بها قصوره في ذلك الزمان، ومن تلك القصور الملكية ذلك الصرح الذي أدخلت فيه ملكة سبأ، فقد شُيِّد كله من بلور زجاجي مختلف الألوان على عين ماء أو بركة من ماء، مما دفع ملكة سبأ أن ترفع ثوبها وتكشف عن ساقها ظناً منها أنه مجرى ماء. وبهذه الرؤية الواضحة حقق سليمان عَلَيْهِ السَّلَام، تنمية شاملة بلغت مبلغاً من الاتقان والجودة والجلال^(٢).

(١) المصدر السابق، ص ٣٥٨.

(٢) المصدر السابق، ص ٣٢٢.



(٣) المقومات التشريعية والسياسية:

معلوم أن المقومات الإدارية والاقتصادية للحكم الرشيد لا يمكن تحقيقها إلا من خلال نظام سياسي يقوم على مبادئ الشفافية، والعدالة وتطبيق النظام والقانون والمشاركة الحقيقية في اختبار حكامه وفق رؤية استراتيجية تراعي الأعراف الدبلوماسية في العلاقات بين الدول وسنوضح ذلك على النحو الآتي:

أ- الشفافية وسيادة الحقوق والقانون (العدالة):

تعتبر الشفافية وسيادة الحقوق والقانون من أهم مبادئ ومقومات الحكم الرشيد، ولا يكون ذلك إلا من خلال تطبيق قيم العدالة. وحضارات الأمم تقاس بنظامها القضائي؛ لأن العلاقة بين عدالة القضاء وتحقيق التنمية شرط لتطور المجتمعات، ولا يكون ذلك إلا بتطور الأمن والاستقرار^(١).

وقد سجل القرآن الكريم ملازمة سليمان لوالده نبي الله داود عَلَيْهِمَا السَّلَام في مجلس القضاء والحكم، فقامت بينهما علاقة متميزة ساهمت في بناء الشخصية القوية من خلال إشراكه في إبداء رأيه وتدريبه على فصل النزاعات، وإكسابه القدرة على اتخاذ القرارات. لقد عاش سليمان في بيت الحكم واطّلع على المشاكل السياسية والاقتصادية، والعسكرية والاجتماعية، وملفات القضاء، وتعلّم من والده كيفية التعامل معها، وقد شجّع والده على إبداء رأيه والمشاركة معه في الوصول إلى الحكم الصحيح في القضايا. وقد حفظ القرآن الكريم لنا

(١) تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام، ابن فرحون المالكي، دار مكتبة الكليات الأزهرية، ط ١، ١٩٨٦م، ص ٣.



استدراك سليمان على أبيه في قضية الغنم والحرث، بإرشاد من الله تعالى إلى فهم حقيقة الخلاف المعروض عليه^(١).

وقد بيّنت تفسير الآيات في تلك القضية بالتفصيل، وكانت صفات سليمان بعد اختبار الله له للنبوة والملك مساهمة في وصوله لسدة الحكم بعد وفاة داود عَلَيْهِ السَّلَامُ، فقد استحق أن يرث أبيه عَلَيْهِمَا السَّلَامُ في الملك والنبوة؛ قال تعالى:

﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَنُ دَاوُدَ﴾ [النمل: ١٦].

ولهذا عقب الله بقوله: ﴿وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [الأنبياء: ٧٩]؛ فقدم الحكم، مع أن العلم لا بدّ من سبقه للحكم، ولكن لما كان السياق في الحكم قدمه. ومن هاتين الآيتين اللتين تحدثتا عن النزاع بين صاحب الغنم وصاحب الحرث، استدلل الإمام مالك على فضل علم القضاء فقال: فأثنى الله سُبحَانَهُ وتعالى على داود واجتهاده في الحكم، وأثنى على سليمان باجتهاده وفهمه وجه الصواب^(٢).

ب- المشاركة في اتخاذ القرار وحرية التعبير:

من مبادئ ومقومات الحكم الرشيد ضرورة إشراك المواطن في وضع القرارات واتخاذها. وقد جسد سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ هذه المشاركة عندما استشار بطانته الصالحة المؤمنة القوية من ذوي الخيرات والكفاءات العالية في نقل عرش ملكة سبأ من اليمن إلى الشام، كما سجّل القرآن الكريم، ضمن قصة سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ، أن ملكة سبأ كانت تحكم شعبها وفق تجربة سياسية تحترم إرادة مواطنيها، بالرغم من عظمة ملكها ووفرة مالها وكثرة سلاحها، فقد كان

(١) النُّكْت والعُيُون (تفسير الماوردي) لأبي الحسن علي بن حبيب الماوردي، تحقيق خضر محمد خضر - نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، والتراث الإسلامي - بالكويت، (٣/ ٤٥٧).

(٢) تبصرة الحكام، ابن فرحون، ص ٣.



حكمها يقوم على مشاركة الملاء ووجوه القوم وزعمائهم في الحكم والقيادة، تعرض عليهم القضايا، وتستشيرهم في المشكلات وتحرص على سماع آرائهم، وتعتمد المناسب منها، وهو أشبه بنظام الحكم الديمقراطي في العصر الحاضر. ويتضح ذلك من خلال ما دار بين ملكة سبأ وأشراف قومها، فقد طلبت منهم إبداء رأيهم لتختبر عزمهم على مقاومة عدوهم، وحزمهم فيما يقيم أمرهم، وإمضاءهم على الطاعة لها، ثم عبرت عن المشورة بالفتوى، ورفعاً لمحلهم بالإشعار بأنهم قادرون على حل المشكلات الملمة. ثم زادت في التأدب واستجلاب خواطرها ليشيروا عليها بالصواب، ولئلا يخالفوها في الرأي والتدبير، وهذا الأمر ليس عارضاً في منهج حكمها وسياستها، بل كان دأبها وعادتها معهم، فهي عاقلة حكيمة مستشارة لا تخاطر بالاستبداد على مصالح قومها، ولا تعرض ملكها لمهاوي أخطاء المستبدين، فأبدت لهم رأيها مفضلة جانب السلم على الحرب^(١).

وأما حرية التعبير - باعتبارها ركيزة أساسية في منظومة الحكم الرشيد - فتجلى في إتاحة سليمان عَلَيْهِ السَّلَام الفرصة للهدد أن يقدم العذر والدليل المقنع الواضح البين على براءته، وإشعاره بأنه يعيش في أمة يحكمها العدل والحرية والأمان، فهو يقبل العذر المشروع والمقنع. ولم يتسرع في تصديقه أو تكذيبه وعمل على التأكد من المعلومات الجديدة، وهذا شأن القائم بالحكم الرشيد الذي لم يتعجل في إصدار الأحكام إلا بعد استقصاء المعلومات حول القضية المنظورة.

(١) مقومات الحكم الرشيد، ص ٣٢٧.



كما أن النملة -التي تعتبر مخلوقاً ضعيفاً بجانب ذلك الحشر المهيب لجنود سليمان- تُعبر عن تخوّفها وتوجّه أمة النمل وتأمّره بدخول حجورهم ومساكنهم حتى لا تحطمهم أقدام سليمان وجنوده، ثم تعتذر لهذا الجيش الذي على رأسه نبي كريم، فتقول (وهم لا يشعرون) ولذا تبسّم سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ ضاحكاً من قولها، فقد شهدت له ولجيشه، وهذا يدلّ على عظيم حرصهم على إقامة العدل والبعد عن الظلم^(١).

ج- الرؤية الاستراتيجية السياسية، ومراعاة الأعراف الدبلوماسية:
إنّ الدول الناجحة لا تدار السياسة فيها بعشوائية، وإنما تتخذ قراراتها وفق رؤية إستراتيجية واضحة، وهذا ما أدركه سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ في ضرورة أن يمتلك قوة عسكرية تدافع عن سيادة البلد من العدوان الخارجي، وتُسهم في حفظ الأمن والاستقرار الداخلي، وتمكن من تطبيق القوانين القائمة على روح العدل البعيدة عن الجور والظلم والتي تعد من أتمّ عوامل تحقيق التنمية الشاملة، فقد اهتمّ سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ بالجانب العسكري، ومن ذلك اهتمامه بالحرب النفسية باعتبارها ركناً من أركان السياسة الحربية الجهادية، بالتلويح باستخدام القوة العظيمة التي لا يستطيع أحد الوقوف أمامها، واستعرض مظاهر القوّة الخارقة التي ساهمت في بيان قوته العسكرية والحضارية التي لا مثيل لها في ذلك العصر. كما تتضح الرؤية الاستراتيجية كذلك في نظرة ملكة سبأ وتفضيلها السلم على الحرب للمحافظة على ما حققته من منجزات لشعبها، وقد نقلت هذا الأثر

(١) المصدر السابق نفسه.



إلى نفوس الملاء من قومها وهي تصف الكتاب بأنه (كريم). فواضح أنها لا تريد المقاومة والمقصومة، ولكنها لا تقول هذا صراحة، وإنما تمهد له بذلك الوصف، ثم تطلب الرأي بعد ذلك والمشورة، وهنا تظهر شخصية المرأة العاقلة التي تكره الحروب والتدمير وتعرف نتائجها؛ ولذا أشارت عليهم بأن نسلك مع هذا الملك مسلكاً سليماً بإرسال هدية فخمة إليه، ترضاه وتختبره^(١).

وقد اهتمّ سليمان بالعلاقات الدبلوماسية لإيصال دعوة التوحيد وتوطيد مملكته ونجح في ذلك نجاحاً عظيماً، فقد كان عَلَيْهِ السَّلَامُ حصيماً في معاملته للملوك ومراعياً للأعراف الدبلوماسية كما رأينا في تواصله مع مملكة سبأ. وكانت سياسته الداخلية قائمة على العدل ورفع الظلم، ومساعدة المحتاجين والفقراء والارتقاء بالشعب والدولة في القيم الروحية والمادية والالتزام بشرع الله عَزَّجَلَّ.

وأما علاقته الخارجية، فالأصل فيها السلم ودعوة الناس للخير مع الاستعداد لأي تجاوز قد تقوم به أي دولة في ذلك العصر.

سادساً: ثمرات الحكم الرشيد في عهد سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ

بسبب التوفيق الرباني، والمنهج الرشيد الذي سار عليه سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ، ظهرت في عهده ثمرات نهضوية، وتفوّق حضاري في مجالات إنسانية كثيرة، ومن أهمها:

(١) قيم حضارية في القرآن الكريم، توفيق سبع، مكتبة القاهرة، ١٩٧٢م، (٣/١٩٧).



١ - النهضة العلمية:

وهي كالأساس بالنسبة لكل ما ترى من أنواع النهضة؛ يقول سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ واصفاً نفسه وجنده ﴿وَأَوْتَيْنَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾ [النمل: ٤٢]. وانظر إلى التفوق العلمي: فقد كان متقدماً، أشارت إليه هذه الآية الكريمة: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ﴾ [النمل: ٤٠]. فكم من قدرات وطاقات هائلة وصل إليها ذلك المشروع بنهضته العلمية^(١).

٢ - النهضة الإعلامية:

لا أحد يغفل قيمة الإعلام ودوره في أي نهضة، ومن أهم وسائلها الإعلام، وقد جاءت الإشارة في قوله تعالى: ﴿أَذْهَبَ بِكُنْيَا هَذَا فَالِقَهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ [النمل: ٢٨]، إلى أهمية استثمار العمل الإعلامي والتواصل الإعلامي، فقد حقق نجاحات باهرة وأهداف خالدة.

٣ - النهضة العمرانية:

وهذا من قوله تعالى: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَّحَارِبٍ وَتَمْثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَتٍ أَعْمَلُوا ءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ﴾ [سبأ: ١٣]، وقوله سبحانه: ﴿وَالشَّيْطَانُ كُلُّ بَنَاءٍ وَغَوَاصٍ﴾ [سورة ص: ٣٧]؛ وهي عنوان تقدم أي حضارة ونجاحها.

(١) القصص القرآني أهدافه وخصائصه، ص ١٩٣.



٤ - نهضة المواصلات والاتصالات:

تظهر في سرعة نقل المعلومات كما في قصة الهدهد، وفي سرعة نقل الأشياء كما في قصة نقل عرش ملكة سبأ، وفي استخدام الريح كذلك في التنقل والنقل، وكل ذلك يدل على تطوّر ونهضة في مجالي التواصل؛ والاتصالات والمواصلات، وهو فن هذا العصر.

٥ - النهضة العسكرية:

هي واضحة بيّنة لا تحتاج دليلاً، ولا توضيحاً، ويكفي فيها وصف سليمان لجنده وثقته بقوته العسكرية: ﴿أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [النمل: ٣٧]. وكذلك تظهر في إعداداته وتجهيزه لجيشه واستعراضه له واعتنائه بخيله: ﴿إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعِثِّي الصَّفِيفَتُ الْجِيَادُ﴾ [سورة ص: ٣١].

٦ - النهضة الصناعية:

تبدو النهضة الصناعية واضحة من كثرة صناعات جند سليمان عَلَيْهِ السَّلَام يقوله سبحانه: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَّحْرِبٍ وَتَمَثِيلٍ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَتٍ﴾ [سبأ: ١٣].

هذه أنواع وأشكال أشرتُ إليها، وشرحتها عند حديثي عن الآيات في سورة سبأ، وهي تَنَمُّ عن نهضة صناعية حقيقة متطورة وراسخة: فبناء المحارِب (أماكن العبادة) التي تمثل الهندسة المعمارية، وإقامة التماثيل التي تشكل



الصناعات الزخرفية، وصناعة الجفان (آنية الطبخ) التي مثلت صناعة أدوات المعيشة، وصناعة القدور الراسيات التي تشير إلى الصناعات المعدنية الثقيلة، واستخدامه للنحاس في الصناعة: ﴿وَأَسْلَمْنَا لَهُ عَيْنَ الْقَطْرِ﴾ [سبأ: ١٢]، وكل ذلك يدل على مقدار التطور الصناعي، والنهضة الصناعية في مشروع سليمان عَلَيْهِ السَّلَام.

٧- النهضة البحرية:

وذلك باستثمارهم للبحر، وغوصهم فيها، واستخراجهم من كنوزه، يقول الله تعالى: ﴿وَمِنَ الشَّيْطَانِ مَنْ يَغْوُصُّونَ لَهُ﴾ [الأنبياء: ٨٢] ويقول أيضاً سبحانه: ﴿وَالشَّيْطَانُ كُلُّ بَنَاءٍ وَعَوَاصٍ﴾ [سورة ص: ٣٧]^(١).

٨- النهضة التجارية:

فكانت ممتدة في البحار بالأساطيل البحرية، وكذلك مع بلاد الشام والعراق ومصر واليمن والعالم القديم، الذي وصلت إليها تجارة دولة سليمان عَلَيْهِ السَّلَام، فقد كان مشروع النهضة الحضاري الذي قاده سليمان من خلال مملكته قائماً على: - توحيد الله عَزَّوَجَلَّ: وهو المنهج الذي صحب البشرية منذ نشأتها، وعليه قامت الحياة وعمرت الأرض، ومن أجله خلق الله الجن والإنس: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وكانت محاربة الشرك والكفر، والتصدي لأفكاره بالعقل والمنطق وخطاب الأنبياء والمرسلين، وتوظيف موكب الرسالات والنبوات في ذلك.

(١) المصدر السابق، ص ١٩٤.

- اعتبر سليمان عَلَيْهِ السَّلَام العبودية لله تعالى أساس القيم كلها، فهي قيمة كَلِيَّة شاملة مهيمنة على القيم الأخرى، بل على الوجود الإنساني كله؛ وذلك لأنها تبدأ بالإيمان رباً وإلهاً مشرّعاً.

- نجح سليمان عَلَيْهِ السَّلَام في تحقيق العبودية لله وعمارة الأرض والعمل بمقومات الاستخلاف فيها، واستعمل سنة الله في عمارتها مستخدماً العقل، والفطرة، والحواس، والمنهج الرباني. وحقق مفهوم الاستخلاف في الأرض.

- قاد حضارة ربانية تحترم وتسعى إلى تحصيل العلوم والمعارف. ونظر إلى العلم باعتباره يشمل جميع المعارف الإنسانية سواء كان مصدرها العقل، واكتشاف قوانين الكون والتعرف على المعادن وخواصها؛ أو الحس والتجربة، أو كانت بتعليم الوحي والشرع الإلهي. فعمل على تنفيذ أحكام الله بين الناس وفي مملكته المتعددة الأجناس والمخلوقات، وتعامل بنجاح مع سنن الله، مثل سنة الأخذ بالأسباب، والابتلاء والتمكين والتدافع.. إلخ.

سابعاً: الملك العظيم:

استجاب الله عَزَّجَلَّ لدعوة سليمان: ﴿وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي ۖ إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [سورة ص: ٣٥].

وقد ذكر الله عَزَّجَلَّ في كتابه بأنه أعطى آل إبراهيم الكتاب والحكمة والملك العظيم، قال تعالى: ﴿أَمَّا يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۖ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٥٤].



تفسير الآية الكريمة:

١- ﴿أَمْرٌ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾:

والمراد بالناس محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه، أو المراد محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وحده، وجاز أن يقع عليه لفظ الجمع وهو واحد، لأنه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ اجتمعت فيه من خصال الخير والبركة ما لا يجتمع مثلها في جماعة، ومن هذا القبيل يقال: فلان أمة وحده، يعني أنه يقوم مقام أمة^(١).

٢- ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾:

فقد جعلنا في أسباط بني إسرائيل -وهم من ذرية إبراهيم- النبوة وأنزلنا عليهم الكتاب وأعطيناهم ملكاً كبيراً، حتى جمع الله لبعضهم النبوة والملك، كداود وسليمان عَلَيْهِمَا السَّلَام^(٢).

وذكر الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ: وذلك ما أنعم الله به على إبراهيم وذريته من النبوة والكتاب والملك الذي أعطاه من أنبيائه، كداود وسليمان، فإنعامه لم يزل مستمراً على عباده المؤمنين، فكيف ينكرون إنعامه بالنبوة والنصر والملك لمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أفضل الخلق وأجلهم وأعظمهم معرفة لله وأخشاهم له؟^(٣).
لقد تميّز عهد سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ بالملك العظيم، ولا نعلم أن هناك ملكاً أعظم من ملكه؛ فقد كانت مملكته تقود الجن الإنس والطيور. وقد استجاب الله

(١) التفسير الموضوعي (٩٥/٢).

(٢) المصدر السابق نفسه.

(٣) تفسير الطبري (٨٨/٤).

الوهاب الكريم لدعاء سليمان عَلَيْهِ السَّلَام ومنحه هذا الملك^(١): ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [سورة ص: ٣٥].

ثامنًا: ملكة سبأ وحديث الرسول

جاء في الحديث: «لَنْ يُفْلَحَ قَوْمٌ وَلَوْ أَمَرَهُمْ امْرَأَةٌ»^(٢).

هذا الحديث لو أخذ على عمومه لعارض ظاهر القرآن؛ فقد قصّ علينا القرآن قصة امرأة قادت قومها أفضل ما تكون القيادة، وحكمتهم أعدل ما يكون الحكم، وتصرفت بحكمة ورشد أحسن ما يكون التصرف، ونجوا بحسن رأيها من التورط في معركة خاسرة يهلك فيها الرجال وتذهب الأموال، ولا ينجون من ورائها شيئًا، وكان حكمها يقوم على الشورى، وقادت قومها إلى خيرَي الدنيا والآخرة^(٣).

١- ولذلك ذهب مجموعة من العلماء إلى الردّ على من استدللّ بهذا الحديث -وبأنّ الإسلام منع مساواة المرأة مع الرجل في الحقوق السياسية؛ ومنها المناصب الرئيسية في الدولة، رئاسة كانت أو وزارة أو عضوة في مجلس الشورى، أو أيّ إدارة من مختلف إدارات الحكومة- واستدلوا لرأيهم بالآتي:

أ- إنّما الحديث الشريف يعني الولاية العامة على الأمة كلها، أيّ رئاسة الدولة كما تدل عليه كلمة (أمرهم)؛ فإنها تعني أمر قيادتهم ورياستهم العامة، أما بعض الأمر فلا مانع أن يكون للمرأة ولاية فيه، مثل: ولاية الفتوى أو الاجتهاد، أو

(١) أنبياء الله، أحمد بهجت، ص ٣٢٩.

(٢) البخاري، رقم ٤١٦٣.

(٣) البرلمان في الدولة الحديثة، د. علي محمد الصلابي، دار المعرفة، الطبعة الأولى، ٢٠١٤م، ص ٢٧٥.



التعليم أو الرواية والتحديث، أو الإدارة ونحوها، فهذا مما لها ولاية بالإجماع، وقد مارسته على توالي العصور. حتى القضاء أجازته أبو حنيفة فيما تشهد فيه، أي في غير القصاص والحدود وإنما في الأموال، وقد قال بإباحة جماعة من المجتهدين ومن أعلام كل مذهب من المذاهب الإسلامية؛ وهذا يدل على عدم وجود دليل شرعي صريح يمنع من توليها القضاء، وإلا لتمسك به ابن حزم وقاتل دونه وجمد عليه كعاداته^(١).

- قال الأستاذ راشد الغنوشي في كتابه، "المرأة بين القرآن وواقع المسلمين":
والنتيجة أنه ليس هنا في الإسلام ما يقطع بمنع المرأة من الولايات العامة قضاء أو إمارة حتى على فرض ذهبنا مع الجمهور إلى منعها من الولاية العامة (رئاسة الدولة)، فبأي مستمسك يستمسك غاصبو حقها من المشاركة في إدارة الشؤون العامة في كل المستويات^(٢).

ليس لهم مستمسك غير التقليد، وليتهم قلّدوا الآباء في عصورهم الذهبية؛ عصور تحرر العقل وانطلاق الأمة، إذن لكانوا أهدى سبيلاً، ولقرؤوا عند شيخ المفسرين الإمام أبي حنيفة وفقهينا الثائر الأندلسي ابن حزم، أنهم قد أجازوا للمرأة لا مجرد المشاركة في الانتخابات أو الانتماء إلى الأحزاب أو القيام ببعض وظائف الدولة، كالكتابة والوزارة، بل قد أجازوا لها تولي القضاء، وهو من الولايات العامة التي تُقاس شروط الولاية عليها.

(١) من فقه الدولة في الإسلام، القرضاوي، ص ١٦٦.

(٢) المرأة بين القرآن وواقع المسلمين، راشد الغنوشي، مركز المغاربي للبحوث والترجمة، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٠م، ص ١٢٦.

ولو تحرروا من تقليد آباء عصور الجمود، وامتدت أبصارهم إلى أبعد من ذلك: إلى عصر التشريع، عصر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وخلائفه رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، ومقاصد الشريعة الغراء في العدل بين الناس، والمساواة من أخص معانيه... لألقوا المرأة لا تشارك في الرأي فحسب في الشؤون العامة، بل تشارك بالسيف أيضاً وتدخل في ساعة الأزمات بالرأي السديد والحل المنقذ، كما تدخلت أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في صلح الحديبية عندما أغضب الأصحاب نبيهم فلم يطيعوه، فدخل عليها مهموماً، فأشارت عليه بالحل الذي أنقذ الموقف، في أخرج موقف عرفته العلاقة بين القائد وصحبه، فهل اعترض النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بحجة أن هذه سياسة، وأن السياسة والحكم خارجات عن دائرة أعمال المرأة؟^(١).

وهل كان رئيس مجلس الشورى عبد الرحمن بن عوف وهو ينفذ وصية عمر بن الخطاب في إفراز أحد المرشحين الستة للخلافة، فما ترك أحداً في المدينة إلا استشاره، حتى إنّه كان يدخل إلى خدور النساء لأخذ رأيهن في المرشح الأفضل، هل كان غائباً عنه كتاب الله وسنة نبيه بما في ذلك آية القوامه وحديث بنت كسرى؟ أم لأنّه كان مستحضراً كلّ ذلك لم يهمل رأي النساء في الشأن العظيم، كيف لا والشؤون العامة تنعكس نتائجها على الرجال والنساء على حدّ سواء، فبأي مبرر تُقصى المرأة عن شأنها وهي إنسان مكلف كامل التكليف^(٢).

ب- قال الشيخ الدكتور عبد الله دراز رَحِمَهُ اللَّهُ: إن القرآن يقرر مشاركة الرجل والمرأة في كيان الدولة والمجتمع سواء، عدا بعض استثناءات قليلة متصلة بخصوصيتها

(١) المصدر السابق نفسه.

(٢) المصدر السابق، ص ١٢٨.



الجنسية، ويجعل لها الحق مثله في النشاط الاجتماعي والسياسي بمختلف أشكاله وأنواعه، ومن جملة ذلك الحياة النيابية وغير النيابية، مما يتصل بتمثيل طبقات العامة والجهود والدعوات والتنظيمات الوطنية والكفاحية والاجتماعية، وبتمثيل طبقات الشعب ووضع النظم والقوانين، والإشراف على الشؤون العامة والجهود والدعوات والتنظيمات الوطنية والكفاحية والإصلاحية^(١). وفي نهاية كتاب الأستاذ راشد الغنوشي "المرأة بين القرآن وواقع المسلمين"، قال: إنه ليس في الإسلام ما يبرر إقصاء نصف المجتمع الإسلامي عن دائرة المشاركة والفعل في الشؤون العامة.. بل إن ذلك من الظلم للإسلام ولأتمته قبل أن يكون ظلماً للمرأة ذاتها، لأنه على قدر ما تنمو مشاركة المرأة في الحياة العامة على قدر ما يزداد وعيها بالعالم وقدرتها على السيطرة عليه، وأنه لا سبيل إلى ذلك من غير إزالة العوائق الفكرية والعملية من طريق مشاركتها في الشؤون العامة، والارتقاء بوعيها بالإسلام والعالم، والثقة في قدراتها حتى تكون مساهمتها فعالة في صناعة جيل يخرج عن خويصة نفسه لينخرط في الهموم العامة للأمة والإنسانية.

إذن، نحن مع حق المرأة الذي قد يرفع أحياناً إلى مستوى الوجوب في مشاركتها في الحياة السياسية على أساس المساواة الكاملة غير المنقوصة في إطار احترام أخلاقيات الإسلام، فإنما التفاضل بالكفاءة والخلق والجهد لا بالجنس أو اللون، وتأمل في هذه الآية العظيمة: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣].

(١) دستور الأخلاق، نقلاً عن نظام الحكم في الإسلام، القاسمي، ص ٣٤٣.

فما أحوج صحوتنا ونهضتنا إلى قيادات نسائية على كل صعيد من نوع عائشة وخديجة، وأم سلمة، وفاطمة، وأسماء، وأم عمار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ وزينب الغزالي، والدكتورة سعاد الفاتح... فأين بناتنا؟^(١).

إنَّ الأصل العام الذي اجتمعت عليه الأمة: على أن جميع المسلمين ذكوراً وإناثاً سواء في الخطاب بالأحكام الشرعية. فخطاب الذكور موجه للنساء إلا ما ورد بتخصيصه نص أو إجماع. وكما يقول الشاطبي: الرجل والمرأة مستويان في أصل التكليف على الجملة، ومفترقان بالتكليف اللائق بكل واحد منهما، كما في الحيض والنفاس والعدة وأشباهاها بالنسبة إلى المرأة، والاختصاص في مثل هذا لا يكون إلا بنص صريح^(٢).

٢- ونسبة الحديث المذكور يؤيد تخصصه بالولاية العامة فقد بلغ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ الْفُرسَ بعد وفاة إمبراطورهم، وَلَوْ عليهم ابنته بوران بنت كسرى فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَنْ يُفْلِحَ قَوْمٌ وَلَوْ أَمَرَهُمْ امْرَأَةٌ».

تعلقاً بأوهام الوثنية السياسية لا عن رأي ولا شورى، فكان الحديث وصفاً لحال الفرس المتردي، وقراءة بصيرة في سنن قيام الدول وانحلالها، فهذا إخبار عن حال وليس تشريعاً عاماً ملزماً، ذلك مما يدل عليه فقه الحديث^(٣).

صحيح أن أغلب الأصوليين قالوا: إنَّ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، ولكن هذا غير مجمع عليه، وقد ورد عن ابن عباس وابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا

(١) المرأة بين القرآن وواقع المسلمين، ص ١٣٣.

(٢) البرلمان في الدولة الحديثة المسلمة، ص ٢٥٧.

(٣) في الفقه السياسي الإسلامي، فريد عبد الخالق، ص ١٢٦.



ضرورة رعاية أسباب النزول، وإلا حدث التخبط في الفهم، ووقع سوء التفسير، كما تورط في ذلك الحرورية من الخوارج وأمثالهم، الذين أخذوا الآيات التي نزلت في المشركين ففهموها على المؤمنين، فدل هذا على أنه يجب أن نرجع إلى أسباب ورود الأحاديث في فهم النص، ولا يؤخذ عموم اللفظ قاعدة مسلمة. يؤكد هذا الحديث خاصة: أنه -لو أخذ على عمومه- لعارض ظاهر القرآن، فقد قصَّ الله علينا قصة امرأة نجحت في قيادة قومها على المستوى الاجتماعي والسياسي والقيادي، بل قادتهم إلى الإيمان بالله رب العالمين.

كما يؤكد صرف العموم: الواقع الذي ننشده، وهو أن كثيراً من النساء قد كنَّ لأوطانهن خيراً من كثير من الرجال، وإن بعض هؤلاء النساء لهنَّ أرجح في ميزان الكفاية والمقدرة السياسية والإدارية من كثير من حكام العرب والمسلمين في وقتنا المعاصر^(١).

٣- إن علماء الأمة اتفقوا على منع المرأة من الولاية الكبرى أو الإمامة العظمى، وهي التي ورد في شأنها الحديث، ودلَّ عليها سبب ورودها، كما دلَّ عليها لفظ (ولَّوا أمرهم) وفي رواية "تملكهم امرأة"، فهذا إنما ينطبق على المرأة إذا أصبحت خليفة المسلمين، وهو ما لا يوجد اليوم بعد أن هدمت قلعة الخلافة على يد أتاتورك، عام ١٩٢٤م، وقد يرى بعض العلماء أن يقيس على ذلك ما إذا أصبحت ملكة أو رئيسة دولة ذات صدارة نافذة في قومها، لا يردُّ لها حكم ولا يرفض لها أمر، وبذلك يكونون قد ولَّوها أمرهم حقيقة؛ أي أن أمرهم العام أصبح بيدها وتحت تصرفها، ورهن إشارتها. وقد يخالفهم آخرون بأن رئاسة

(١) من فقه الدولة في الإسلام، ص ١٧٥ - ١٧٦.

الدولة القطرية في عصرنا أشبه ما تكون بولاية الولاية قديماً على أحد الأقاليم، كما كان الولاية على مصر والشام والحجاز واليمن وغيرها.

أما ما عدا الإمامة والخلافة وما في معناها من رئاسة الدولة، فهو مما اختلف فيه، وهو يتسع للاجتهد والنظر، وقد ولى عمر بن الخطاب الشفاء بنت عبد الله العدوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا على السوق تحتسب وتراقب، وهو ضرب من الولاية العامة. وينبغي الأخذ بالتدرج في هذا وفق ظروف المجتمع ودرجة نموه وتطوره، فتعطى المرأة ما يناسبها من الوزارات، وتقضي في مجال الأسرة أو لاثم الأمور المدنية^(١).

٤- إن المجتمع المعاصر في ظلّ النظم الحديثة حين يولي المرأة منصباً عاماً كالوزارة أو الإدارة أو النيابة أو نحو ذلك، فلا يعني ذلك أنه ولاها أمره بالفعل وقلّدها المسؤولية عنه كاملة، فالواقع المشاهد أنّ المسؤولية جماعية والولاية مشتركة، تقوم بأعبائها مجموعة من المؤسسات والأجهزة والمرأة إنما تحمل جزءاً منها مع من يحملها^(٢).

وبهذا نعلم أنّ حكم (تاتشر) في بريطانيا، أو (أنديرا) في الهند، أو (جولد مائير) في فلسطين المحتلة ليس هو - على التحقيق والتأمل - حكم امرأة في شعب، بل هو حكم المؤسسات والأنظمة، وإن كان فوق القمة امرأة. إن الذي يحكم هو مجلس الوزراء بصفته الجماعية وليست رئيسة مجلس الوزراء، ومثل ذلك مجلس الشورى، أو مجلس النواب ونحوهما، فليست هي الحاكمة المطلقة التي لا يعصى لها أمر ولا يرفض لها طلب، فهي إنما تترأس حزباً يعارضه غيره،

(١) البرلمان في الدولة الحديثة المسلمة، ص ٢٧٧.

(٢) من فقه الدولة في الإسلام، ص ١٧٥ - ١٧٦.



وقد تُجري هي انتخابات فتسقط فيها بجدارة، كما حدث لأنديرا في الهند وهي في حزبها لا تملتك إلا صوتاً فإذا عارضتها الأغلبية غدا رأيها كراي أيّ إنسان في عرض الطريق^(١).

وممن ناقش هذا الحديث «لن يُفْلَحَ قَوْمٌ وَلَوْ أَمَرَهُمْ امْرَأَةٌ»^(٢) الدكتور قاسم قول بيك محمد بلوج في كتابه: "شبهات وردود حول الأحاديث الصحيحة الخاصة بالمرأة".

وقد ورد في كتابه على الانتقادات الموجهة للحديث^(٣)، وما دار حوله من جدل. وكذلك الدكتور ناظم محمد المسباح في كتابه: "المرأة والولاية العامة" وخرج بنتائج في كتابه قال فيها:

- إن شرط الذكورة معتبر شرعاً فيمن يتولى منصب الولاية العامة بجميع أنواعها، وعليه فلا يجوز أن تتقلد المرأة منصب الولاية العامة، وهذا بإجماع العلماء، باستثناء مسألة القضاء للمرأة فيما يجوز أن تشهد فيه، فقد أجاز أبو حنيفة وغيره.

- أن الأدلة التي استدلت بها من أجاز التولية مرجوحة لا تقوم بها حجة على المقصود^(٤)، وناقش أدلة الفريقين في كتابه.

وأما الدكتور عرفة محمد عرفة، فقد توسع في المسألة في كتابه "مباشرة المرأة للحقوق والحريات السياسية"، وذكر كل الأقوال في المسألة. فمن أراد

(١) المصدر السابق، ص ١٧٦.

(٢) البخاري، رقم ٤٤٢٥.

(٣) شبهات وردود حول الأحاديث الصحيحة الخاصة بالمرأة، ص ٢٠١.

(٤) المرأة والولاية العامة في الإسلام، د. ناظم محمد، ص ٢٠٣.

التوسع فليرجع إليه، وانتصر لرأي الفقهاء القدامى والمعاصرين الذين قالوا بعدم تولي المرأة الخلافة (رئاسة الدولة) سواء كان الحكمُ حكمَ فرد أو حكم مؤسساتٍ، وذكر أدلته في ذلك^(١). وقال: اختلف الفقهاء في جواز تولي المرأة الخلافة على آراء متعددة منها:

الرأي الأول: -وهو الذي انتصر إليه- فقال: وهو رأي الصحابة والتابعين وجمهور فقهاء الأمة حتى جزم بعضهم بالإجماع، قالوا: إن المرأة لا يجوز أن تلي أمر الخلافة ولو اتصفت بجميع خلال الكمال وصفات الاستقلال^(٢). وسواء كانت حاكمة مطلقة بيدها مقاليد الأمور، أم كان يشاركها في الحكم أجهزة ومؤسسات مختلفة.

وممن قال بهذا الرأي من المعاصرين:

- لجنة الفتوى في الأزهر الشريف^(٣)، والشيخ عبد العزيز بن باز^(٤)، والعلامة أبو الأعلى المودودي^(٥)، والشيخ أبو زهرة^(٦)، والدكتور مصطفى السباعي^(٧)، والدكتور سعيد البوطي^(٨)، والأستاذ صلاح عبد الغني^(٩)، والأستاذ عبد الحليم

(١) مباشرة المرأة للحقوق السياسية (١/٢٨٩).

(٢) بداية المجتهد ونهاية المقتصد، ابن رشد، (٢/٥٥٦)، والحاوي الكبير، الماوردي، (١٦/١٥٦)، وشرح المواقف، الإيجي، (٧/٣٨١)، ونيل الأوطار (٨/٣٠٤)، وشرح القدير، للكمال ابن الهمام، (١/١٢)، والأشباه والنظائر، ابن نعيم، ص ٣٩٦.

(٣) من فتاواها الصادرة عام ١٩٥٢ م، مجلة رسالة الإسلام، (٣/٣٢٤).

(٤) مجلة التوحيد السنة الخامسة والعشرون العدد الخامس، ص ٣٣.

(٥) مباشرة المرأة للحقوق والحريات السياسية (١/٢٣٤).

(٦) المصدر السابق، (١/٢٣٥).

(٧) المرأة بين الفقه والقانون، ص ٢٧ - ٢٨.

(٨) المرأة بين طغيان النظام الغربي ولطف الشريعة الرباني، ص ٦٩.

(٩) الحقوق العامة للمرأة (١/٢٥٣).



أبو شقة^(١)، والشيخ حسنين مخلوف^(٢)، والدكتور محمد رأفت عثمان^(٣)، والدكتور محمد بلتاجي. واستشهد باستدلالاتهم على المسألة من القرآن والسنة والإجماع، وقاعدة سد الذرائع، والاستناد إلى مهام الخليفة، والاستناد إلى طبيعة المرأة^(٤).

٥- أشهر القائلين بجواز أن تتولى المرأة رئاسة الدولة مطلقاً، سواء أكان بيدها مقاليد الأمور، أم كان يشاركها في الحكم مؤسسات مختلفة؛ وهذا الرأي: للإمام ابن جرير الطبري، وأبي ثور^(٥). ومن المعاصرين: محمد الغزالي^(٦)، وشيخ الأزهر محمد سيد طنطاوي^(٧).

٦- الرأي الثالث: يرى أصحاب هذا الرأي أن المرأة لا تصلح أن تتولى الخلافة قديماً لكون مقاليد الأمور كانت جميعها بيد الخليفة، أمّا اليوم فإنها تصلح أن تكون رئيساً للدولة^(٨)، لأن رئيس الدولة ليس حاكماً مطلقاً، بل هو جزء من مجموعة مؤسسات تدير هذا الحكم. وعلى رأس القائلين بهذا الرأي: الدكتور محمد عمارة، والدكتور عبد الحميد متولي، والدكتور سليم العوا، والدكتور عبد الحميد الأنصاري^(٩).

(١) تحرير المرأة في عصر الرسالة (٢/٣٦٨).

(٢) فتاوى دار الإفتاء المصرية عام ١٩٥٢م، ص ١٠٤.

(٣) الإمامة العظمى، محمد رأفت عثمان، ص ١١٦.

(٤) الإمامة العظمى، محمد رأفت عثمان، ص ١١٦.

(٥) بداية المجتهد ونهاية المقتصد، ابن رشد، (٢/٤٦٠).

(٦) السنة بين أهل الفقه وأهل الحديث، ص ٥٦.

(٧) مباشرة المرأة للحقوق السياسية (١/٢٣٧).

(٨) المصدر السابق نفسه.

(٩) المصدر السابق نفسه.

- ٧- الرأي الرابع: وهو لبعض فرق الخوارج (فرقة تدعى الشيبية) أجازوا إمامة المرأة إذا كانت منهم وقامت بأمورهم وخرجت على مخالفهم.
- ٨- الرأي الخامس: ساقه الكاساني في البدائع ولم ينسبه لأحد؛ قال: إن المرأة إذا صارت إماما بالقوة والغلبة جازت إمامتها حقناً للدماء، باعتبارها خلافة ضرورة وتزال عند الضرورة^(١).

وبغض النظر عن هذه الاختلافات والآراء، فإن القرآن الكريم قدّم ملكة سبأ بصورة المرأة العاقلة، التي كانت تدير حكمها بالنظام البرلماني الشوري، والمرأة الذكية الحريصة على سلامة شعبها وقادتهم للتوحيد وإلى الاندماج الحضاري مع ملك سليمان عَلَيْهِ السَّلَام -صاحب أقوى مملكة في عصره - الذي قادها بشرع الله عَزَّوَجَلَّ وما دخلت في دين الإسلام إلا بعد ما استبان لها أنه الحق، وأن سليمان عَلَيْهِ السَّلَام نبي من أنبياء الله مؤيد بالبراهين والأدلة الساطعة والحجج الدامغة.

تاسعاً: تجديد بناء المسجد الأقصى، ولمحات من تاريخه:

١- الأقصى بُني بعد الكعبة بأربعين عاماً:

عن أبي ذر الغفاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قلت يا رسول الله، أي مسجد وُضع في الأرض أولاً؟ قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «المسجد الحرام»، قلت: ثم أي؟ قال: «المسجد الأقصى»، قلت: كم بينهما؟ قال: «أربعون سنة»^(٢).

(١) المصدر السابق، (١/٢٣٨).

(٢) البخاري، رقم ٣٣٦٦، مسلم، رقم ٥٢٠.



إن هذا الحديث الصحيح يدلّ على أن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَام هو باني الكعبة والأقصى، ويحدد المدة الزمنية بين بنائهما بأنها أربعون سنة^(١). وهناك من العلماء من يقول أنّ أوّل من بنى بيت المقدس هو نبيّ الله يعقوب حفيد إبراهيم عَلَيْهِمَا السَّلَام^(٢). وهذا معناه أنّ المسجد الأقصى بني في القدس، قبل وجود إسرائيل، وقبل دخولهم فلسطين بعد موسى عَلَيْهِ السَّلَام، وقبل ملك داود وسليمان، وقبل بناء سليمان للهيكل كما يزعم اليهود. فكون القدس بلداً إسلامياً هذا أمر قديم، منذ إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَام على الأقل، وبناء الأقصى مسجداً لله تعالى، هذا قديم، قبل أن يوجد اليهود، ويدّعوا أن لهم حقاً في فلسطين بمئات السنين، فحق المسلمين في القدس سابق لأي حق يهودي أو نصراني - إن كان لليهود أو النصارى حق فيها - وهذا الحق ثابت لهم منذ أبيهم إبراهيم الخليل عَلَيْهِ السَّلَام.

٢- المسجد الأقصى في عهد سليمان عَلَيْهِ السَّلَام:

استمر المسجد الأقصى قائماً فترة من الزمن يرتاده المؤمنون من زمن إبراهيم وبنيه عَلَيْهِمَا السَّلَام لعبادة الله، ثم عدت عليه عوادي الزمن، من كوارث وحروب، فتهدم وسقطت جدرانها.

وفي عهد سليمان عَلَيْهِ السَّلَام، قام بتجديد بناء المسجد الأقصى وبناء مسجداً لله، ليصلي فيه المؤمنون ويعبدوا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كما كان منذ نشأته الأولى للصلاة

(١) القصص القرآني، الخالدي، (١/٤١٤).

(٢) فبهذا هم اقتده، ص ٣٢٣.



والذكر وعبادة الله تعالى. وإن الدليل على أن سليمان عَلَيْهِ السَّلَام جدد بناء المسجد الأقصى في بيت المسجد، ما أخرجه النسائي وابن ماجه وغيرهما عن عبد الله بن عمرو بن العاص (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)، عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إِنَّ سُلَيْمَانَ بْنَ دَاوُدَ عَلَيْهِمَا السَّلَامَ لَمَّا بَنَى بَيْتَ الْمَقْدِسِ، سَأَلَ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ خَلالاً ثَلَاثَ:

- سَأَلَ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ حَكَمًا يَصَادَفُ حُكْمَهُ فَأُوتِيَهُ.
 - وَسَأَلَ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ، فَأُوتِيَهُ.
 - وَسَأَلَ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ حِينَ فَرَّغَ مِنْ بِنَاءِ الْمَسْجِدِ أَلَّا يَأْتِيَهُ أَحَدٌ لَا يَنْهَازُهُ إِلَّا الصَّلَاةَ فِيهِ، وَأَنْ يُخْرِجَهُ مِنْ خَطِيئَتِهِ كَيَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ»^(١).
- وقد ذهب العلامة برهان الدين الزركشي إلى أن سليمان عَلَيْهِ السَّلَام، إنما كان له من المسجد الأقصى تجديده لا تأسيسه^(٢).
- ويذهب ابن القيم الجوزية إلى أن الذي أسس بيت المقدس إنما هو يعقوب عَلَيْهِ السَّلَام، وأن سليمان كان مجددًا له، وإلى هذا ذهب ابن كثير أيضًا^(٣).
- إنَّ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامَ جدد بناء بيت المقدس، وجدد بناء المسجد الأقصى في عهد مملكته التي اشتهرت بالتطور المعماري، وبناء التحف والقصور والمحاريب، واستفاد من التقدم الذي وصلت إليه دولته في مجالات عدّة، ومنها في نواحي البناء والعمران وبيوت العبادة، فكان من الطبيعي أن يجدد عمارة المسجد الأقصى.

(١) سنن النسائي (٢/ ٣٤)، الأحاديث الصحيحة، رقم ٢٥٨.

(٢) إعلام الساجد بأحكام المساعد، ص ٣٠.

(٣) دراسات تاريخية من القرآن (٣/ ١١٨).



إن سليمان عَلَيْهِ السَّلَام حلقة مضيئة في سلسلة الأنبياء المصطفين، نحن أولى باتباعه والحفاظ على مسجده؛ فقد كان نبياً رسولاً، وملكاً خليفة، فكان حكمه حكماً إسلامياً عادلاً.

إنَّ المسجد الأقصى الذي جدّد بناءه سليمان لم يجعله هيكلاً مقدساً ولا (كنيساً) يهودياً، وإنما جعله مسجداً للصلاة والعبادة والذكر^(١).

٣- طلبات ثلاثة لسليمان عَلَيْهِ السَّلَام:

بين الحديث السابق الذي رواه النسائي وابن ماجه^(٢) أن سليمان طلب من ربه ثلاثة أمور، وبما أنه نبي مقرب مجاب الدعوة؛ فإن الله قد استجاب له وأعطاه ما طلب.

- سأل الله حكماً صائباً، وقضاء صحيحاً، يوافق حكم الله وقضائه، فاتاه الله ذلك، وكانت أحكامه صائبة صحيحة، وكان يستدرك على قضاء أبيه داود عَلَيْهِ السَّلَام كما عرفنا من قضية الحرث والغنم، وقصة المرأتين والطفل.

- سأل الله ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده؛ ليكون هذا مظهراً لذكر الله وشكره، وليستخدمه في طاعة الله ونفع عباد الله، فاتاه الله ذلك، وسخر له الإنس والجن والطير، وعلمه منطق الطير، وكان جيشه يضم أصنافاً من هؤلاء.

- وسأل الله أن يغفر لكل مؤمن صالح يأتي إلى المسجد الأقصى للصلاة فيه، مهما كان مكان إقامته، بشرط أن يكون هدفه وجه الله، وأن يأتيه مخلصاً لله، وأن لا ينهزه ولا يحركه إلا الصلاة، فاتاه الله ذلك، وأخبره أن كل من كان كذلك فإنه سيغفر له، ويخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه.

(١) القصص القرآني (٣/٥٠٨).

(٢) القصص القرآني (٣/٥٠٩).

وبقي هذا الحكم قائماً حتى قيام الساعة، وينطبق على كلِّ مسلم صالح، يأتي المسجد الأقصى بهذا الهدف وهذه الصفة، كما ينطبق هذا الحكم الرباني على ملايين المسلمين من أمة محمد ﷺ بفضل دعاء سليمان عَلَيْهِ السَّلَام لهم، وهذا يؤكد حقيقة إيمان أمة محمد ﷺ بالأنبياء السابقين والمرسلين جميعاً، ومنهم داوود وسليمان عليهما الصلاة والسلام^(١).

وقد جدّد عَلَيْهِ السَّلَام بناء المسجد الأقصى^(٢) بطريقة حضارية متقدمة، فاقت في جمالها وبديع بنائها الصرح الممرد من قوارير.

- الفتح العمري للمسجد الأقصى:

نعلم أن المسجد الأقصى الذي بناه إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَام قد عدت عليه العوادي^(٣)، وأنه قد تهدم، ولكن مكانه بقي معروفاً، وبقي (الأقصى) وبقي مقدساً والرسول ﷺ أمّ الأنبياء في الصلاة، على أطلال بناء الأقصى في ليلة الإسراء والمعراج^(٤)، ثم قام المسلمون بتجديد بناء المسجد الأقصى بداية من عهد عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي دخل بيت المقدس، وأعطى لأهلها الأمان، وكتبت المعاهدة العمرية (لأهل إيلياء)، وبقيت العهدة العمرية المشهورة موجودة حتى اليوم، وهي محفوظة بنصبها في كنيسة القيامة بالقدس.

(١) القصص القرآني (٥٠٩/٣).

(٢) الوجود التاريخي للأنبياء، سامي العامري، ص ٣٠٩.

(٣) ففي عام ١٣٥ م استولى الروم على القدس، ثم أمر الإمبراطور (هدريان) (١١٧ - ١٣٨ م) بتدمير المدينة تماماً، وبنى فوقها مدينة جديدة باسم (إيليا كابيتولينا) وأبدل المعبد القديم بمعبد آخر كرّس للإله الوثني (جوثير كابيتولينس) ثم قام الرومان بمذبحة نهائية ختمت مصير اليهود في فلسطين، دولة وقومية، وانتهت بذلك علاقة اليهود بفلسطين سياسياً وسكانياً ودينياً. انظر: دراسات تاريخية من القرآن الكريم، (٣/١٢٧).

(٤) القصص القرآني (٤١٤/١).



ودخل عمر بن الخطاب بعد هذه المعاهدة القدس، وفتحت له أبوابها وجعل يتجول فيها حتى وصل إلى كنيسة القيامة؛ فأذن المؤذن وهو فيها، فقال له البطريك صل: فقال له: لا، أما إنني لو صليت هنا لأخذها منكم المسلمون فيما بعد ويقولون: صلى عمر هنا^(١).

لقد ضرب عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للعالم مثلاً للسماحة والشرف، وكان في موضع قوة، فلو أراد به ألا يبقى حجر على حجر لفعل، ولكنها عظمة الإسلام أشرقت في نفسه، وانعكست على أخلاقه، وهو الرجل الشديد الصلب المعروف بالحزم والعزة. واستمر عمر الفاروق في تجواله باحثاً عن المسجد الأقصى، فوجده وقد حوله النصارى إلى مكان للاقاء القمامة والقذارة؛ فشمر عمر بن الخطاب عن ساعديه وبدأ يكنس وينظف المسجد، فلما رأى المسلمون والقادة والجند ذلك تجمّعوا وبدأوا ينظفون المسجد الشريف، لقد عمل بذلك كبار الصحابة رضوان الله عليهم جميعاً.

ثم أخذ عمر عباة فصلّى عليها ثم تركها هناك، فكانت أول صلاة للمسلمين في المسجد الأقصى بعد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، صلى ركعتين: قرأ في الركعة الأولى سورة (ص) التي ذكر فيها داود عَلَيْهِ السَّلَام، وقرأ في الركعة الثانية سورة الإسراء، وكان الذي أذن بعد ذلك لأول صلاة هو بلال مؤذن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكان بلال لم يؤذن منذ وفاة النبي إلا في الجابية بعدما تجمعت الجيوش الإسلامية. ثم إن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أمر فوراً ببناء المسجد الأقصى بعد المذبلة التي كانت فيه؛ فبناه المسلمون. وهكذا عادت المكانة العظيمة للمسجد الأقصى بعد الإهانة التي فعلها النصارى فيه^(٢).

(١) خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية، عبد الله التل، ص ١٢٩.

(٢) فلسطين التاريخ المصور، طارق سويدان، ص ٨٥.

إنَّ عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أعاد للمسجد الأقصى دوره الروحي والحضاري، وأحيا الله به هذا المسجد المبارك، وأصبح امتداداً طبيعياً لمسيرة الأنبياء والمرسلين، وتأدية رسالته الإسلامية الخالدة القائمة على توحيد الله وإفراده بالعبادة^(١).

٤ - فضائل المسجد الأقصى:

إن المسجد الأقصى هو أولى القبلتين، وثالث الحرمين الشريفين، ومسرى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلا يجوز شدّ الرحال إلا لثلاثة مساجد، ثالثها المسجد الأقصى، وقد وردت نصوص شرعية كثيرة تصرّح بأهمية المسجد الأقصى أهمها:

أ- مسرى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

قال تعالى: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ عَيْنِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١].

وفيها إشارة إلى التواصل بين المسجد الحرام، والمسجد الأقصى؛ فمعجزة الإسراء والمعراج من أعظم معجزات نبينا محمد، وهي ثابتة في الكتاب والسنة؛ حيث أسري به من مكة المكرمة إلى بيت المقدس، وأمّ الأنبياء فيه عَلَيْهِمَا السَّلَام؛ ومنه عرج به -صعد- إلى السماء، وفيها فرضت الصلوات الخمس المكتوبة، وذلك لأهمية القبلة الأولى للمسلمين، ولأن بيت المقدس كان مهّد كثير من الأنبياء قبله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فحصل له الرحيل ليجمع له فضائل عدة كرمًا من الله إليه^(٢).

وإن الرحلة من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى رحلة مختارة من اللطيف الخبير، تربط بين عقائد التوحيد الكبرى من لدن إبراهيم وإسماعيل

(١) خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية، عبد الله التل. ص ١٢٩.

(٢) داوود وسليمان في الأسفار اليهودية، ص ٤٤٥.



عَلَيْهِمَا السَّلَامُ إلى محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خاتم النبيين، وتربط بين الأماكن المقدسة لديانات التوحيد جميعاً، وكأنما أريد بهذه الرحلة العجيبة إعلان وراثته الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الأخير لمقدسات الرسل قبله، واشتمال رسالته على هذه المقدسات، وارتباط رسالته بها جميعاً^(١).

ب- منطلق معراجهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى سدرة المنتهى:

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أُتِيتُ بِالْبُرَاقِ فَرَكِبْتُهُ حَتَّى أَتَيْتُ بَيْتَ الْمُقَدَّسِ، فَرَبَطْتُهُ بِالْحَلْقَةِ الَّتِي يَرِيبُ بِهَ الْإِنِّيَاءُ، ثُمَّ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَصَلَّيْتُ فِيهِ رَكَعَتَيْنِ. ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ»^(٢).

ج- أولى القبليتين:

كان الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مكة يصلي بين الركنين الأسود واليماني، فتكون الكعبة بين يديه، وهو مستقبل بيت المقدس، فصلى إليه عدة أشهر، فعن البراء بن عازب أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان أول ما قدم المدينة نزل على أجداده -أو أخواله- من الأنصار، وأنه صلى قبل بيت المقدس ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً، وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل البيت الحرام، وأنه صلى صلاة العصر، وصلى معه قوم، فخرج رجل فيمن صلى معه، فمر على أهل مسجد وهم راكعون، فقال: أشهد بالله لقد صليت مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل مكة فداروا كما هم، قبل البيت، وكان اليهود قد أعجبهن إذا كان يصلي قبل بيت المقدس وأهل الكتاب، فلما ولَّى وجهه قبل البيت أنكروا ذلك^(٣).

(١) في ظلال القرآن (٤/٢٢١٢).

(٢) صحيح مسلم، رقم ٢٥٩، مسند أحمد (٣/١٤٨).

(٣) صحيح البخاري، ك. الإيمان، فتح الباري (١/٩٦).

د- النذب لشدّ الرحال إليه:

روى البخاري عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تُشَدُّ الرَّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَمَسْجِدِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَسْجِدِ الْأَقْصَى»^(١).

هـ- فضل الصلاة في المسجد الأقصى:

قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة، والصلاة في مسجدي بألف صلاة، والصلاة في بيت المقدس بخمسمائة صلاة»^(٢).
و- مقر الطائفة المنصورة:

قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ لَعَدُوَّهُمْ قَاهِرِينَ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ إِلَّا مَا أَصَابَهُمْ مِنْ لَأُوءَا حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ» قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَآيْنَ هُمْ؟ قَالَ: «بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَأَكْنَافِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ»^(٣).

وعن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الْإِيمَانَ - إِذَا وَقَعَتِ الْفِتْنُ - بِالشَّامِ»^(٤).

إن فلسطين أرض مقدسة، بارك الله حولها، فهي مهجر سيدنا إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَام، ومسرى الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهي أرض المحشر والميعاد. ولأهمية بيت المقدس والرباط فيه، شد الرحال إليه كثير من المسلمين من الصحابة والتابعين

(١) رواه البخاري، سنن ابن ماجه، رقم ١٤٠٩.

(٢) داوود وسليمان في الأسفار اليهودية، ص ٤٤٧.

(٣) سلسلة الأحاديث الصحيحة، الألباني، رقم ٢٧٠.

(٤) مسند أحمد (٥/ ١٨٩ - ١٩٩).



وغيرهم، فمنهم من جاءها من الفتح الإسلامي لبلاد الشام، ومنهم من جاءها بعد ذلك بقصد الزيارة والبركة وتلقى العلم، وغير ذلك من المقاصد.

وممن سكن القدس من الصحابة^(١):

- عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: شهد غزوات رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وشهد فتح مصر، وتوفي في القدس في خلافة عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سنة ٣٤هـ، وله بها عقب^(٢).

- شداد بن أوس الخزرجي الأنصاري: صحابي، ولاه عمر إمارة حمص، وكان عالماً نزل فلسطين، وسكن القدس، وتوفي فيها في خلافة معاوية، وقبره ظاهر بيت المقدس في مقبرة الرحمة، وله بقية وعقب بالقدس^(٣).

- واثلة بن الأسقع: سكن الشام قرب دمشق، ثم تحول على بيت المقدس، ومات بها^(٤).

- يزيد بن سلام: مولى عبد الملك بن مروان، من أهل القدس، عمل في بناء مسجد قبة الصخرة والمسجد الأقصى مع رجاء بن حيوة^(٥).

- عبد الله بن محيريز الجمحي: كان عابداً بالشام، وسكن بيت المقدس، وتوفي بها^(٦).

(١) داود وسليمان عليهما لسلام، مي حسن، ص ٤٤٩.

(٢) المصدر السابق، ص ٣٣٩.

(٣) الأعلام، الزركلي، (٣/ ٢٣٢).

(٤) الطبقات لابن سعد، (٧/ ٤٠٧).

(٥) الإصابة، ابن حجر، (١/ ٤٢٥).

(٦) الطبقات (٧/ ٤٤٧).

زيار بن أبي سودة: مقدسي، روى عن عبادة بن الصامت، وأبي هريرة، وهو من الثقات^(١).

وغيرهم من الصحابة والتابعين، وخير أمة الإسلام من العلماء والفقهاء والزهاد والعباد.

٥- المسجد الأقصى بعد الفتح العمري للقدس:

تلاحق المسلمون على تعمير المسجد الأقصى وإعمارته، ففي عهد الدولة الأموية قام عبد الملك بن مروان بتجديد بناء المسجد الأقصى وتوسيعه، وأكملته ابنه الوليد بن عبد الملك سنة ٧٢هـ، ولم يكن يومئذ على وجه الأرض بناء أحسن ولا أبهى من قبة الصخرة في بيت المقدس^(٢).

وينقل صاحب الأنس الجليل عن القرطبي قوله: كان فيه من العُمد ستمائة عمود من الرخام، وفيه من المحاريب سبعة، ومن السلاسل للقناديل أربعمائة سلسلة إلا خمس عشرة وفيها مائتا سلسلة، وثلاثون سلسلة في المسجد الأقصى، والباقي في قبة الصخرة الشريفة، وذرع السلاسل أربع آلاف ذراع، ووزنها ثلاثة وأربعون ألف رطل بالشامي. وفيه من القناديل خمسة آلاف قنديل، وعلى سطح المسجد من شقف الرصاص سبعة آلاف شقفة وسبعمائة، ووزن الشقفة سبعون رطلاً بالشامي غير الذي على قبة الصخرة.

ورتب له من الخدم القوام ثلاثمائة خادم، اشترت له من خمس بيت المال كلما مات واحد قام مكانه ولده أو ولد ولده أو من أهلهم يجري عليهم ذلك أبداً

(١) داود وسليمان عَلَيْهِمَا السَّلَام، ص ٤٥٠.

(٢) البداية والنهاية (٩/١٥٢).



ما تناسلوا. وفيه من الصهاريج أربعة وعشرون صهريجاً كبيراً. وفيه من المنابر أربعة، ثلاثة منها صف واحد غربي المسجد وواحد على باب الأسباط^(١). وتولى بناء الصخرة والمسجد الأقصى رجاء بن حيوة، وأوقف على نفقتها خراج مصر لسبع سنين^(٢).

وقد تهدم معظم مسجد الوليد هذا في زلزال وقع في سنة ١٣٠هـ - ٧٤٧م، فأعاد بناءه الخليفة المنصور العباسي سنة ١٤٠هـ، بعد أن اقتلع الذهب عن أبوابه، وضربت دنانير ودراهم للإنفاق على بناء المسجد من جديد. وفي عام ١٥٨هـ - ٧٧٤م في عهد الدولة العباسية تهدم البناء الذي أقامه المنصور بسبب زلزال آخر، فأمر الخليفة المهدي بإعادة بنائه؛ فبنى المسجد بعناية كبيرة، وأنفقت عليه أموال طائلة، وأعطى المسجد صورته وحجمه إلى اليوم^(٣). ومع ذلك لم يدم طويلاً وتهدم في زلزال وقع أول القرن الثالث الهجري؛ فأمر المأمون بتوزيع بنائه على الأطراف وسائر القواد، وقام بالبناء قائده عبد الله بن طاهر، سنة ٢١٠ وما بعدها. وقد زلزل هذا البناء سنة ٤٢٤هـ - ١٠٣٣م، وأعيد بناؤه في زمن الدولة الفاطمية على يد الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله الفاطمي، وقد ذهب جزء كبير من بناء الخليفة الفاطمي أثناء الحروب الصليبية^(٤).

٦- المسجد الأقصى وصلاح الدين الأيوبي:

وفي عام ٥٨٣هـ، التقى صلاح الدين الأيوبي بجموع الصليبيين في معركة حطين وانتصر عليهم، وبعدما استقر له الحكم في المدينة المقدسة، أمر بإعادتها

(١) داود وسليمان عَلَيْهِمَا السَّلَام في الأسفار اليهودية، مي حسن، ص ٤٤١.

(٢) بيت المقدس، محمد شراب، ص ٣٨٢.

(٣) داود وسليمان عَلَيْهِمَا السَّلَام، ص ٤٤١.

(٤) داود وسليمان عَلَيْهِمَا السَّلَام في الأسفار اليهودية، ص ٤٤٢.

إلى ما كانت عليه قبل احتلالها من الصليبيين، وكان هؤلاء قد أقدموا على تغيير الكثير من المعالم الإسلامية للمدينة؛ فزرعوا صليباً كبيراً مذهباً على رأس قبة الصخرة، وأمر صلاح الدين بكشفها. وكان فرسان الدّاوية قد بنوا مباني لهم غرب المسجد الأقصى لكي يسكنوها، وأنشأوا فيها استراحات وغير ذلك، وأدخلوا قسماً من هذا المسجد في أبنيتهم، فأمر صلاح الدين بإعادة الأبنية إلى حالها القديم، كما أمر بتطهير المسجد والصخرة من الأقدار والأنجاس، ثم عيّن إماماً للمسجد الأقصى، وأقام فيه منبراً ومحا ما كان فيه وفي الأبنية المجاورة من صور كان الصليبيون قد وضعوها أو رسموها، وأعاد المسيحيين الوطنيين من أهل القدس إلى مساكنهم، كما سمح لهم شراء ما أراد الفرنج بيعه من ممتلكات ومتاع وأموال^(١). وعامل صلاح الدين الفرنج معاملة إنسانية رفيعة، وظهر منه تسامح ورحمة بالفقراء والمحتاجين والأسرى، بل تعدى ذلك إلى أمراء صلاح الدين وعامة المسلمين.

والواقع أنّ صلاح الدين وذلك الجيل المنصور؛ قد أبدى من التسامح وكرم الأخلاق تجاه أسرى الصليبيين في بيت المقدس، الشيء الكثير، وبلغ من كرم وشهامة صلاح الدين، ما قام به تجاه زوجات وبنات الفرسان الصليبيين، الذين قتلوا وأسرّوا أثناء معاركهم مع صلاح الدين؛ فقد تجمعن أمام صلاح الدين يبكين، فسأل عن حالهن وما يطلبن، فقليل له إنهن يطلبن الرحمة، فعطف عليهن صلاح الدين وسمح لمن كان زوجها على قيد الحياة بأن تتعرف عليه، وأطلق سراحه، وسمح لهم بالذهاب حيث يريدون، وأمّا النساء والبنات اللاتي مات

(١) صلاح الدين الأيوبي، للصلاحي، ص ٥٣٨.



أزواجهن وآبائهن، فقد أمر صلاح الدين بأن يُصَرَّفَ لهن من خزائنه الخاصة ما يناسب عيشهن ومركزهن، وأعطاهن حتى ابتهلت ألسنتهن بالدعاء له^(١).

لقد بهر صلاح الدين بأخلاقه الإسلامية وقيمه النبيلة الإنسانية وبروح الفروسية لديه، ملوك الغرب وقوادهم، حيث كانوا يقودون جحافل جيوشهم في الشام، حتى إنَّ الفرنسيين كانوا يقولون: إِنَّ دماء دماءً فرنسية، والألمان، والإنجليز، والإيطاليون كلُّهم كانوا ينسجون قصصاً رائعةً عن أخلاق صلاح الدين، ويتحدَّثون عنها في قراهم، ومدنهم، ومسرحياتهم. والفضل ما شهدت به الأعداء؛ يقول (غروسيه) -وهو مؤرخ فرنسي- في الحديث عن صلاح الدين: طلب بعض المتعصبين من صلاح الدين هدم معابد المسيحيين وتدمير كنيسة القيامة بهدف إلغاء حج المسيحيين (المؤمنين بالثالوث المقدس)، فصدهم عن ذلك بكلمة منه؛ قال: لماذا الهدم والتدمير طالما أنَّ هدف عبادتهم هو مكان الصليب المقدس، والقبر المقدس وليس البناء الخارجي؟ وحتى لو سويت الأبنية بالأرض، فإنَّ مختلف الطوائف المسيحية لن تتخلى عن السعي للوصول إلى هذا المكان. لنفعل إذن كما فعل الخليفة عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي احتفظ بهذه الأبنية عندما فتح القدس في السنوات الأولى للإسلام. ويعلق غروسيه على ذلك بالقول: إنَّ كل ما يتجلى به هذا السلطان العظيم من حرية الرأي والمعتقد يبرز في هذه العبارة الجميلة^(٢).

(١) صلاح الدين والصليبيون، عبد الله سعيد الغامدي، ص ٢١٨.

(٢) حروب القدس في التاريخ، ياسين سويد، ص ١٠٨.

اقتدى صلاح الدين بفعله هذا بالخليفة الراشد عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي أقر النصرى على هذا المكان، ولم يأمر بهدم البنيان. وصدق الشاعر شهاب الدين أبو الفوارس المتوفى ٥٧٤ هـ عندما قال:

مَلَكْنَا فَكَانَ الْعَفْوُ مِنَّا سَجِيَّةً فَلَمَّا مَلَكْتُمْ سَالَ بِالْدَمِ أَبْطَحُ
وَحَلَلْتُمْ قَتَلَ الْأَسَارَى وَطَالَمَا غَدُونَا عَنِ الْأَسْرَى نَعْفُ وَنَصْفَحُ
فَحَسْبُكُمْ هَذَا التَّفَاوُتُ بَيْنَنَا وَكُلُّ إِنَاءٍ بِالَّذِي فِيهِ يَنْضَحُ^(١).

كان صلاح الدين رجلاً إسلامياً بكل معنى الكلمة مقتدياً بالرسول محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في عفوه وحلمه وسماحته. وقال عنه أحد المؤرخين الأوربيين: سيظل في الذاكرة أن الزمان الدموي والقاسي مثل ذاك الزمان، لم يتمكن من إفساد إنسان ذي سلطة عظيمة، إنه صلاح الدين^(٢).

وإن أكبر دليل على تقدير الإفرنج لهذه البطولة النادرة، والسماحة الكبيرة، اهتمام إمبراطور ألمانيا بزيارة قبر صلاح الدين، عندما زار بلاد الشام سنة (١٣١٥ هـ - ١٨٩٩ م) وقد خطب خطبة أشاد فيها بصلاح الدين، وأرسلت الإمبراطورة إكليلا من الزهور ليوضع على صريح البطل العظيم، ولم ينس أمير الشعراء - أحمد شوقي - أن يسجل هذه الذكرى فقال:

عَظِيمُ النَّاسِ مَنْ يَبْكِي الْعِظَامَا وَيَنْدُبُهُمْ وَلَوْ كَانُوا عِظَامَا

(١) صلاح الدين الأيوبي، أحمد عبد الجواد، ص ٥١. والوجيز في الشام أرض الأنبياء ومعهد الأصفياء، ص ٦١.

(٢) المصدر السابق نفسه.



فَهَلْ مِنْ مُبْلِغٍ غَلِيومَ عَنِّي مَقَالاً مُرْضِياً ذَاكَ الْمَقَامَا
رَعَاكَ اللَّهُ مِنْ مَلِكٍ هُمَامٍ تَعَهَّدَ فِي الثَّرَى مَلِكًا هُمَامَا
أَرَى النِّسْيَانَ أَظْمَأَهُ فَلَمَّا وَقَفْتَ بِقَبْرِهِ كُنْتَ الْغَمَامَا
تُقَرِّبُ عَهْدَهُ لِلنَّاسِ حَتَّى تَرَكْتَ الْجَلِيلَ فِي التَّارِيخِ عَامَا
أَتَدْرِي أَيَّ سُلْطَانٍ تُحْيِي وَأَيَّ مُمَلِّكٍ تُهْدِي السَّلَامَا
دَعَوْتَ أَجَلَ أَهْلِ الْأَرْضِ حَرْبًا وَأَشْرَفَهُمْ إِذَا سَكَنُوا سَلَامًا (١).

ولما تطهر بيت المقدس مما كان فيه من الصلبان والنواقيس والرهبان والقسس، ودخل أهله الإيمان ونودي بالأذان، وقرئ القرآن، ووحد الرحمن كان أول جمعة صلاها المسلمين بعد يوم الفتح بثمانية أيام، وذلك بعد توقف الصلاة تسعين سنة والله المستعان... وكلف السلطان صلاح الدين القاضي محيي الدين بن الزكي الشافعي (ت ٥٩٨هـ - ١١٠٥م) بخطبة الجمعة في يوم الرابع من شعبان، بعد يوم الفتح بثمان، فنصب المنبر إلى جانب المحراب المطهر، ولبس الخطيب الخلعة السوداء، وصعد المنبر وقد كساه الله البهاء وأكرمه بكلمة التقوى، وأعطاه السكينة والوقار والثناء، فخطب بالناس خطبة عظيمة سنّية بليغة فصيحة، ذكر فيها شرف البيت المقدس، وما ورد فيه من الفضائل والترغيبات، وما فيه من الدلائل والأمارات، وما من الله به على الحاضرين من هذه النعمة التي تعدل الكثير من القربات. وقد أوردها الشيخ

(١) صلاح الدين الأيوبي، الصلابي، ص ٥٤٨.

شهاب الدين أبو شامة في (الروضتين) بطولها؛ فأول ما قال حين تكلم: ﴿فَقُطِعَ دَائِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٤٥]، ثم أورد تحميدات القرآن كلها؛ وكان أهم مواضع الخطبة:

- قدرة الله تعالى على تحقيق النصر.
 - الثناء على رسوله الله الكريم وعلى صحابته.
 - رضا الله عن المجاهدين.
 - مآثر المسجد الأقصى.
 - تهنئة صلاح الدين وجنوده المسلمين بالنصر.
 - شكر الله على هذا الفتح.
 - فضائل الأقصى والقدس.
 - نهى عن الغرور وارتكاب المعاصي.
 - دعوة للاستمرار في الجهاد.
 - دعوة لتحرير ما تبقى من الأرض المقدسة.
 - أدعية للسلطان صلاح الدين وللمسلمين في دينهم ودنياهم^(١).
- فقد كانت من الخطب التي حفظها التاريخ على مدار الزمن الطويل، تحتوي على قيم ومبادئ وأخلاق، سجلت في ذاكرة التاريخ حدثاً عظيماً من أحداثه التي لا تنسى مهما طال الزمان.
- لقد قام صلاح الدين (٥٣٢ - ٥٨٩هـ) بعمارة المسجد الأقصى وتجديده وإصلاحه فبذل جهداً كبيراً في تحسينه وترصيفه وتدقيق نقوشه، فأحضر له من

(١) صلاح الدين الأيوبي، الصلابي، ص ٥٤٨.



الرخام ما لا يوجد مثله، ومن الفص المذهب القسطنطيني، وغير ذلك من المواد للتزيين ما لا يمكن وصفه، وشرع في عمارته وتزيينه وإزالة ما على جدرانها من الصور والتماثيل^(١). وخصّ صلاح الدين المحراب باهتمام كبير، فعمل على ترخيمه وتزيينه^(٢). وقد تقدّم السلطان في المسجد الأقصى ببسط العراص وإخلائها لأهل الإخلاص، وتنظيفها من الأدناس وكس ما في أرجائها من الأرجاس^(٣). وبعد أن أنهى صلاح الدين تطهير بيت المقدس مما علق به من آثار الصليبيين، رتب في المسجد الأقصى وقبة الصخرة وغيرها من المساجد - داخل بيت المقدس - الخطباء والأئمة والمؤذنين والقومة، وأحضر إليها المصاحف والربعات؛ كما قام صلاح الدين بإنشاء المدارس والأربطة، وأوقف على ذلك أوقافاً جليّة، وكان لاسترجاع صلاح الدين لبيت المقدس من أيدي الصليبيين أهمية خاصة بالنسبة لصلاح الدين، ومكانه بين أبطال المسلمين، حتى إنه يمكن القول إنه إذا كان الخليفة عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قد طهّر بيت المقدس من براثن الروم في السنة الخامسة عشر للهجرة، فإن صلاح الدين أعاد تلك الذكرى في القرن السادس الهجري، بعد أن تعرض بيت المقدس لذلك الاعتداء الصليبي الذي استمر ما يقارب المائة عام. ووضع صلاح الدين بذلك العمل الجليل الأساس لمن بعده من سلاطين المسلمين للقضاء على بقايا الصليبيين في بلاد الشام^(٤).

(١) المصدر السابق، ص ٥٥١.

(٢) المصدر السابق نفسه.

(٣) المصدر السابق نفسه.

(٤) المصدر السابق، ص ٥٥٢.

وواصل المماليك والعثمانيون من بعدهم، مسيرة الاهتمام بالمسجد الأقصى وترميمه وبناء الكثير من أجزائه. وقد كانت عنايتهم به كبيرة جداً وإليهم يرجع الفضل - بعد الله - فيما يمتاز به المسجد الأقصى اليوم من بديع الصنعة وجمال زخارفه^(١).

عاشراً: بنو إسرائيل بعد وفاة سليمان عَلَيْهِ السَّلَام:

انقسمت مملكة سليمان بعد وفاته إلى مملكتين: يهوذا في الجنوب وعاصمتها القدس، ومملكة إسرائيل في الشمال وعاصمتها نابلس في الجليل، وكان بين الدولتين عداً و قتال، وكان يحدث في بعض الفتوحات من تاريخهما توافق وتفاوت، وكانت تشن على الدولتين غزوات من قبل جيرانهم، كما أنّ الدولتين وقع حكامهما وشعبهما في عبادة الأصنام في كثير من فترات تاريخهما^(٢)، وارتكبوا المعاصي والكبائر.

وقد امتلأ عصر المملكتين الذي دام قريباً من ثلاثة قرون ونصف - كما ذكر بعض المؤرخين - بمختلف ألوان الفساد وتردي أكثر أفراد المجتمع الإسرائيلي في الشمال والجنوب في دَرْك الانحطاط، حتى فقد هذا المجتمع أهلية بقاءه، وحل عليه غضب الله ولعنته، ووقعت عليه نقمته وعقوباته، وكان أبرز معالم انحطاطه شيوع الوثنية في كل جناباته. لقد ترك كثير من بني إسرائيل عبادة الله الواحد الأحد الذي يعتبر ركن عقيدتهم الأول، وعظموا أوثان الأقوام والشعوب المحيطة بهم، فعبدوا الشمس والقمر والكواكب، واتخذوا أوثاناً مختلفة من الخشب والشجر والحجر.

(١) داوود وسليمان عَلَيْهِمَا السَّلَام، ص ٤٤٢.

(٢) انظر: سفر عاموس (٧/٢)، وكلام في اليهود، محمد علي دولة، ص ٥٢.



لم ينج مجتمع الشمال والجنوب في المملكتين الشمالية والجنوبية وحكامهما من الوقوع في الوثنية، وتردي المجتمع الإسرائيلي في الفحش والرذيلة، فشاع فيه الزنا واللواط، بل وقد وصل الأمر إلى درجة الإباحية القذرة، فكان الأب وابنه يذهبان إلى بيت الصبية الواحدة فيضاجعانها بالحرام^(١).

وانتشرت المظالم في ذلك المجتمع، وشارك فيها الملوك والكهنة والقضاة، فظلموا الفقير واليتيم والأرملة، واعتدوا على النزلاء المقيمين في مجتمعهم من غير بني إسرائيل، وسلب بعضهم أموال بعض، وأخذوا الحقوق من أهلها، وكثر المال في أيدي فئة فاجرة من الناس، وانتشر الرفاه والترف، وشغل الناس بشرب الخمر والملهيات وبناء البيوت الفاخرة، وكانت بيوت الفقراء الحقيرة إلى جانبها^(٢).

ولقد فسد كثير من النساء في المجتمع الإسرائيلي، وقام في تلك الفترات، وفي كلا المملكتين أنبياء كرام عَلَيْهِمُ السَّلَام من أمثال: إلياس، واليسع، وحزقيال، ودانيال فأرشدوا الناس، وحذروهم مما وقعوا فيه من الشرك والآثام، وقبائح الأعمال، والمظالم، وترك العمل بشريعة الله، وخوفوهم من نقمة الله عَزَّجَل، ومن تسليط الشعوب عليهم، وخوفوهم أيضاً مما وقعوا فيه من الفساد الذي حذرته نبوءة التوراة التي نزلت في عهد موسى عَلَيْهِ السَّلَام، ولكنهم صمّوا آذانهم عن صيحات الأنبياء، واستمروا في غيهم، حتى وقع بهم قضاء الله الذي لا يُردّ عن القوم الظالمين، سقط مُلك بني إسرائيل في الأرض المقدسة، وانتهى حكمهم فيها، و

(١) انظر: سفر عاموس (٧/٢)، وكلام في اليهود، محمد علي دولة، ص ٥٢.

(٢) سفر موسى، (٦ / ٤ - ٧)، كلام في اليهود، محمد علي دولة، ص ٥٢.

سيبقون أذلاء خارجها. وخضعوا للإمبراطوريات الكبرى، البابلية، والفارسية، والإغريقية والرومانية من سنة (٥٨٦ ق.م حتى سنة ١٣٥ م)^(١).

١ - الحكم العراقي:

في عام ٧٤٠ ق.م، جاء الآشوريون من العراق؛ فاحتلوا فلسطين، وأخذ اليهود يدفعون الجزية للآشوريين وأنشأوا فيها مملكة خضع فيها اليهود لحكم هؤلاء، ولكن مملكة الآشوريين لم تدم سوى ثماني سنوات، وانتهى حكمهم بعد أن هاجمهم من داخل العراق أقوام يسمون (البابليون) أو الكلدانيون، قاموا بهجوم عليهم من داخل العراق، وسيطروا على أرض العراق كاملة، واحتلوا عاصمة الآشوريين (نينوى)، وبطبيعة الحال امتدت سيطرتهم حتى احتلوا ممتلكات الآشوريين ومن ضمنها فلسطين^(٢).

أسقط الإمبراطور "بختنصر" مملكة يهوذا، وساق أهلها إلى بابل، وهناك عاشوا قريباً من خمسين سنة في لوعة وأسى تحت حكم البابليين الذين أتاحوا لهم أن ينشطوا في الأعمال والتجارات وتثمين الأموال^(٣).

كانت هذه الحقبة التاريخية لليهود تعرف باسم السبي البابلي، وهي مرحلة خطيرة في تاريخ اليهود، لأنه شكّل مرحلة فاصلة بين مرحلتين في ذلك التاريخ خاصة في ناحية العقيدة، فالديانة اليهودية قبل السبي شيء مختلف ومغاير عنه بعد السبي، فخلال السبي صيغت ودونت كلّ ملامح تاريخهم الذي تلا السبي حتى يومنا هذا.

(١) كلام في اليهود، محمد علي دولة، ص ٥٤.

(٢) فلسطين التاريخ المصور، ص ٤٦.

(٣) كلام في اليهود، محمد علي دولة، ص ٥٤.



فقد ساهم السبي البابلي في صنع الأسفار الجديدة لليهود، ويظهر تأثيرهم بالثقافات وحضارات الشعوب الأخرى؛ فالسبي البابلي نقطة بداية لتاريخ جديد لليهود، وكذلك صياغة الأسفار الأساسية الخاصة بحقبة السبي التي منها (سفر عزرا)، وهو من أخطر وأهم الأسفار التي تناولت المشروع الجديد، فقد وضعوا ثالوثهم المتمثل في (يهو - الشعب المختار - الأرض الموعودة)، وهذا الثالوث يُقابله (الوثنية - العنصرية - الاستعمار والهمجية)، والأسفار التي صيغت في تلك الحقبة سواء عزرا أو نحميا أو غيرها، ولم يعودوا إلى فلسطين، وتفرقوا في العراق وغيرها، والذين عادوا اندمجوا، واختلطوا بالشعوب الأخرى في أرض كنعان، وهذا كان بمثابة الفشل لفكرة الثالوث.

أما عن الثالوث، فما زال القوم يحاولون تحقيقهم ومشروعهم لم يتغير حتى يومنا هذا، فهم يرون كل شعوب الكرة الأرضية وثنيين، ويرون في دينهم الدين الأوحى كما في الجانب الثاني من الثالوث - العنصرية - أي نقاء القوم في العرق والجنس، وأن باقي سكان الكرة الأرضية هم (الغويم) الذين ليسوا أكثر من خدم لليهود، والجانب الثالث من الثالوث - وهو أخطر جانب - (الهيمنة)، والتي تركز على احتلال واستعمار الأرض من النيل إلى الفرات، ويكون القلب فلسطين، ثم الهيمنة السياسية والاقتصادية على العالم^(١).

إن القرآن الكريم لم يُشر صراحة إلى السبي البابلي إلا أنه تضمن ما يشير إلى التقطيع والتمزيق والشتات بالنسبة لليهود: ﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا﴾ [الأعراف: ١٦٨]^(٢).

(١) بنو إسرائيل منذ وفاة سليمان، عبد الرحمن الخطيب، ص ١٥٤.

(٢) المصدر السابق، ص ١٥٨.

ومن الثابت أن القوم في السبي، لم ينسوا أنشطتهم التجارية والزراعية والسياسية، فكان للكثير منهم مزارع ومناجم وثروات كبيرة، كما كان لهم أصابع في سياسة الدولة البابلية^(١). ومما ساعد في ذلك طبيعة معاملة البابليين لهم، وهو الذي ساعد على المحافظة على كياناتهم الاجتماعي، وتمسكهم من أجل مصالحهم الاقتصادية. وأما على صعيد العبادة والطقوس الدينية فكان القوم، قد ضحوا بالكثير منها، وراودتهم فكرة جديدة وهي: إنشاء معبد في هذه الأرض الدنسة لتوحيد كلمتهم؛ ومن هنا نشأ (الكنيس)، وتطورت الطقوس فيه من تراتيل فياضة، وأدعية وتطبيق لمبدأ التنبؤ على الحياة اليومية، وهكذا أصبحوا نواة فعلية للمذهب الإسرائيلي الموضوع^(٢). وهذه من أهم نقاط التحول في الديانة اليهودية، بل هي نقطة فارقة في تاريخ اليهود الديني، حيث إن التوراة أو جزءاً كبيراً منها أخذت صورتها التي نراها عليها اليوم في هذه المرحلة^(٣).

٢- الحكم الفارسي:

أغارَت إمبراطورية الفرس على مملكة بابل وأسقطتها في سنة (٥٣٩ ق.م) وسمح (قورُش) إمبراطور الفرس لبني إسرائيل بالعودة إلى مدينتهم، وقد كان اليهود بعد مضي عشرات السنين على إقامتهم في بابل قد تكاثروا وازدادوا أضعاف عددهم، فلم يعد منهم إلى فلسطين إلا العدد القليل، وكانوا بحدود اثنين وأربعين ألفاً، أما الغالبية العظمى فلم تهاجر، لأنَّ بابل وقتها كانت عاصمة

(١) المصدر السابق، ص ١٦٦.

(٢) المصدر السابق، ص ١٧٠.

(٣) المصدر السابق، ص ١٧١.



الثروة الرفاهية الاقتصادية، وكانت مكاناً للحضارة والترف؛ ولذلك أثر اليهود البقاء فيها لرعاية مصالحهم وثرواتهم،

وهنا تجدر بنا وقفة لملاحظة هذه الظاهرة المثيرة للانتباه في شأن اليهود، فهم يدعون أنهم شعب الله المختار، ويزعمون أن أرض الله المباركة (فلسطين) أرضهم، ولكنهم عندما تتاح لهم الفرصة بالعودة إليها فهم لا يعودون، وفي وقتنا الحالي ورغم كل الذي يصنعه الكيان الصهيوني من تهيئة السبل، وبناء المستوطنات، وكل ما يقدم من مغريات وتسهيلات لليهود اليوم، فإنهم لا يعيشون في فلسطين؛ فهناك أعداد ضخمة منهم يعيشون في أمريكا، وآخرون كثر أيضاً في روسيا، وأعدادهم تفوق أعداد اليهود في فلسطين. رجع بعض اليهود المحافظين الذين كانت تشدهم إلى القدس أيام عهدهم القديم زمن سليمان عَلَيْهِ السَّلَام، وعمل هؤلاء فوراً على مسألة مهمة بالنسبة لهم؛ وهي بناء الهيكل (المزعوم) الذي دمره (نبوخذ نصر) فبنوا المعبد مرة أخرى كما يدعون، ويسمى هذا المعبد الثاني وهو مشهور في التاريخ وموجود في الكتب المقدسة عندهم، وكذلك هو مدون في التاريخ الغربي.

وفي ظلّ تسامح الفرس مع اليهود سمحوا لهم ببناء الهيكل مرة أخرى، فجعلوا بناء المعبد بناءً كبيراً ووسّعوه توسعة عظيمة، وأرجعوا قدس الأقداس (المحراب)، وأعادوا المقدّسات التي استطاعوا أن يحافظوا عليها مرة أخرى^(١). وعاش اليهود جماعة دينية لا أمة لها مُلكاً ونظاماً، لقد انتهى الملوك في أسباط بني إسرائيل، واستمروا في أورشليم وما حولها، يعيشون في ظل الأمم القوية من البابليين إلى الفرس إلى اليونان إلى الرومان^(٢).

(١) فلسطين التاريخ المصور، ص ٥٢.

(٢) كلام في اليهود، ص ٥٥.

وبعد عودة القوم إلى أورشليم غلب عليهم الاسم الجديد (اليهود) لأنَّ العائدين كانوا من ذرية يهوذا السبط الذي ملك في أورشليم، فصار الناس يدعونهم بهذا الاسم^(١).

إن كلمة يهود و(يهودية) في الإشارة إلى ديانة معيّنة لم تظهر إلى الوجود إلا بعد الاحتلال الفارسي لبابل، وحتى الأسفار التوراتية الأولى لم تتضمن هذه الكلمة، وفي هذا الصدد يقول المرحوم عبد الحميد همو: إن الأسفار خلت من ذكر اليهودية حتى إذا خلت الدولة الفارسية الأخمينية نلاحظ أنه في عهدا صار ذكر اليهودية في سفري عزرا ونحميا، وفي سفر أستير، وفيما عدا ذلك فلا ذكر لليهودية في أسفار التوراة الخمسة، ولا في أسفار: أشعيا ولا إرميا ومراثي إرميا وباروخ وحزقيال، وهوشع ويوثيل وعاموس وعوبديا، ويونان وميخا وناحوم وحبقوق وصيفنيا وحجي؛ وزكريا وملاخي ودانيال، مع العلم بأن السفر الأخير كتب في القرن الثاني قبل الميلاد^(٢).

وجمع لهم (عزرا)^(٣) من محفوظاته أسفاراً خمسة أطلقوا عليها اسم (التوراة)، أو (توراة موسى) وفت به اليهود على الرغم مما أدخله على الكتب من تحريفات، وأضاف إليها من إضافات، وما أضاع منها من نصوص ذات أهمية، وقالوا عنه: إنه الله. تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

لقد أعرض اليهود بعد العودة من السبي عن عبادة الأوثان، واعتقدوا بالله وحده، لكن اعتقادهم بالله كان ولا يزال تشوبه الشوائب، فصفت الله عَزَّوَجَلَّ -

(١) كلام في اليهود، ص ٥٦.

(٢) ما بين موسى وعزرا، ص ١٨٥ - ١٨٦.

(٣) كاهن ومعلم للشريعة في زمن السبي وعاد إلى أورشليم.



الذي ليس كمثلته شيء - هي عندهم أقرب ما تكون إلى صفات البشر، و(التوراة) التي وضعها لهم (عزرا)، والتي ما تزال بين أيديهم قد أجرت على الله ما يجري على الإنسان من أعضاء ظاهرة وباطنة وانفعالات نفسية، وجعلته يتصل باليهود مباشرة، فأروه وسمعوا كلامه وسار أمامهم^(١)، ونصوص التوراة المحرفة تسيء الأدب مع الله، ولا تقدره حق قدره^(٢).

لقد احتوت التوراة التي كتبها بعض اليهود بعد عهد النبي موسى، وعهد يوشع بن نون، وطالوت، وداود، وسليمان عَلَيْهِمَا السَّلَام على الكثير من المفاهيم الخاطئة، التي شاعت بمرور الزمن إلى أن نزل القرآن الكريم؛ فنبهنا إليها بدون لبس وغموض^(٣).

أ- تحريف أحبار اليهود للتوراة:

حكم موسى عَلَيْهِ السَّلَام قومه بالتوراة، وأمر أحبارهم بحفظ التوراة والمحافظة عليها، لكنهم لم ينفذوا هذا الأمر ولم يحفظوها، بل ضيعوها بعد ذلك بفترة من الزمن. وقد بين الله ذلك في كتابه، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسَامُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤].

(١) دراسات في التوراة، عطية الشوادفي، ص ٩٧.

(٢) كلام في اليهودية، ص ٥٦.

(٣) بنو إسرائيل منذ وفاة سليمان، ص ١٥٥.

لقد قام بعض أحبار اليهود بتحريف التوراة، ولم ينفذوا أمر الله الذي استحفظهم على كتاب التوراة، أي: طلب منهم أن يحفظوا التوراة، ولكنهم بعد فترة من الزمان ومرور أجيال من الناس حرفها بعض الأحبار، وبدلوها وزادوا فيها وأنقصوا منها، واشتروا بها ثمنًا قليلًا، وقد أفرد الدكتور الخالدي دراسة قيمة في هذه المواضيع:

- حديث القرآن عن التوراة.

- جذور الإرهاب اليهودي في أسفار العهد القديم.

- سفر التكوين في ميزان القرآن الحكيم. ومن أراد التوسع فليرجع إليها.

وكذلك الدكتور عبد الرزاق عبد المجيد في كتابه (مصادر النصرانية دراسة ونقد)، فقد أفاد وأجاد فيما يتعلق بالتعريف بالعهد القديم، وبيان أقسامه وأسفاره عند البروتستانت، والتوراة وأسفار موسى الخمسة: التكوين، والخروج، واللويين، والعدد والتثنية. وكذلك تقسيمها عند الكاثوليك وعند الأرثوذكس، وعن طبيعة ارتباط النصارى بالعهد القديم.

وقام الدكتور عبد الرزاق بدراسة نقدية في تاريخ العهد القديم، وتحقيق نسبه إلى كُتَّابه، ووَضَعَ الأسفار الخمسة المنسوبة إلى موسى عَلَيْهِ السَّلَام في ميزان الدراسة النقدية العلمية، وذكر في كتابه شهادات غير المسلمين؛ من اليهود والنصارى الذين يَبْنُوا بأن موسى عَلَيْهِ السَّلَام ليس مؤلف الأسفار الخمسة المنسوبة إليه. وبعد بحث معمّق طويل قال الدكتور عبد الرزاق عبد المجيد: وعلى ضوء ما تقدّم من اعترافات يهودية ونصرانية نستنتج ما يلي:



- أن الأسفار الخمسة المنسوبة إلى نبي الله موسى، لم يكتبها هو، ولا أمر بكتابتها، ولم تُكتب في حياته، وإنما كُتبت بعده بزمان طويل جداً، يترجح أن يكون ذلك بعد عودة اليهود من السبي البابلي^(١).

- أن الرأي الغالب -سواء في الأوساط اليهودية أو النصرانية- أن (عزرا) الكاتب هو الذي أعاد لهم كتابة الأسفار المقدسة بعد الأسر البابلي. وهناك رأي أقل شهرة، يقول بأن غاية ما عمله (عزرا) هو جمع الروايات الموجودة عند كتّاب متعددين ونسخها دون فحص أو ترتيب، وأنه حتى مجرد هذا (الجمع والنسخ) لم يكمله. أما لماذا لم يكمله؟ وإلى أين وصل فيه؟ ومن الذي نهض بالعمل بعده؟ وهل هو في مستواه نفسه؟ كل هذه أسئلة ما تزال الإجابة عنها محاطة بالغموض والحيرة.

ويتضح أن هناك اتفاقاً بين جميع الطوائف المعنية، وهو أن نسبة هذه الأسفار الخمسة كلها لموسى ليست صحيحة، ولا تساندها الأدلة التاريخية والعلمية، وإنما الخلاف في تعيين الجزء الثالث بنسبته إليه، أهو كل هذه الأسفار أم بعضها؟

ب- التوراة ما بين وفاة سليمان عَلَيْهِ السَّلَام وما قبل السبي البابلي:

ويجدر بالذكر أن أسفار اليهود المقدسة لا تذكر شيئاً عن التوراة في عهد سليمان إلى ما يقرب من ثلاثة قرون ونصف القرن، وذلك بعد أن تولى الملك في مملكة يهوذا الجنوبية الملك يوشيا، الذي يصفونه بالصلاح والاستقامة والتوجه إلى إقامة الشريعة^(٢). فيزعمون أن زعيم الكهنة في عهده -وهو- يدعى: حلقيا،

(١) مصادر النصرانية دراسة ونقداً (٢/ ١٧٠).

(٢) مصادر النصرانية (١/ ٣٤٠).

وجد شريعة الرب في الهيكل (المزعوم) وذلك متى؟ في السنة الثامنة عشر من ملك الملك يوشيا، وفي أي مناسبة؟ حين أرسل إليه الملك يطالبه بحساب جميع الفضة المدخلة إلى هذا الهيكل^(١). وهنا لدينا وقفات عدة منها:

- أنه طوال مدة مائتين وثلاث وتسعين عاماً^(٢) لم توجد أدنى معلومة عن التوراة، ولم يسأل أحد من الشعب عنها، ثم بعد عمليات عديدة من الهدم والنهب والغزو يكتشف الكاهن حلقيا سفر الشريعة بالصدفة في الهيكل.

- أن هذا الهيكل الذي كان قد تعرّض للنهب والعدوان أكثر من مرة، ولم يكن طوال هذه المدة مغلقاً، فضلاً عن أن هذه الكهنة والسدنة يدخلون كل يوم، وليس فيه جانب أو حجرة يُصوّر أن يكون قد وقعت عليها يد هؤلاء السدنة أو الكهنة. - ثم لماذا بقي يوشيا في الملك سبع عشرة سنة لم يرسل فيها إلى حلقيا، ولم تكن عين حلقيا قد وقعت على سفر الشريعة طوال هذه المدة قبل إرسال الملك إليه للمحاسبة.

- ثم أيّ نسخة من التوراة عثر عليها حلقيا؟ حيث إنه لم يذكر بالتحديد في سفر الملوك الثاني. وأمّا النص في سفر أخبار الأيام الثاني، قد أضاف أن السفر المعثور عليه هو: سفر شريعة الرب الذي كان بيد موسى^(٣).

- وعلى هذا يرد سؤال آخر: ما الذي جعل حلقيا يوقن بأن ما وجده - لو فرضنا صحة دعواه - هو سفر شريعة الرب الذي كان بيد موسى عَلَيْهِ السَّلَام؟

(١) المصدر السابق نفسه.

(٢) المصدر السابق نفسه.

(٣) مصادر النصرانية (١/ ٣٤١).



- خاصة وأن سفر أخبار الأيام الثاني نفسه يذكر أن الآباء -وطبعاً بما فيهم آباء حلقيا

أيضاً- لم يعرفوا ولم يحفظوا كلام الرب^(١).

يقول الشيخ رحمت الله الهندي رَحْمَةُ اللَّهِ: فالعجب كل العجب أن تكون النسخة في البيت ولا يراها أحد، فهذه النسخة توجه السلطان والأراكين^(٢)، إلى أتباع الملة الموسوية، جمعها من الروايات اللسانية. ومثل هذا الافتراء والكذب والترويح للملة وإشاعة الحق، كان من المستحبات الدينية عند متأخري اليهود وقدماء المسيحيين^(٣).

حتى عند المعاصرين منهم، ومن عايش القوم عرف صدق ما أقول، والله المستعان. إذن، خلاصة الكلام، أنَّ حادث اكتشاف حلقيا لسفر الشريعة، لا يخرج عن كونه مسرحية مدبرة فيما بين الملك يوشيا وكتبه: شافان^(٤)، وكبير كهنته حلقيا، أو أكذوبة من تلقاء حلقيا وحده في إقناع الملك بها منتهزاً فرصة رغبة الملك في التدين واستقامة الشعب. والله أعلم^(٥).

ولكن تنازلاً للقوم، أو من باب التسليم الجدلي، أقول: على فرض ثبوت اكتشاف التوراة في عهد الملك يوشيا، فإنها بإجماع المؤرخين قد فقدت بعد ذلك بأقل من ربع قرن؛ وذلك حين هجم "نبوخذ نصر" على دولة يهوذا ودمرها ودمر الهيكل المزعوم والمنسوب إلى سليمان عَلَيْهِ السَّلَام، والذي سنتحدث عنه

(١) الأسفار المقدسة قبل الإسلام، صابر طعمة، ص ٦٢ - ٦٦.

(٢) مصادر النصرانية (١/ ٣٤١).

(٣) المصدر السابق نفسه.

(٤) مصادر النصرانية (١/ ٣٤٢).

(٥) المصدر السابق نفسه.

بالتفصيل بإذن الله تعالى، فقد دمره، ودمر كل ما فيه. وإليكم ما يقوله كتابهم في هذا: فأصعد عليهم ملك الكلدانيين فقتل مختاريهم بالسيف في بيت مقدسهم، ولم يشفق على فتى أو عذراء ولا على شيخ أو أشيب، بل دفع الجميع ليده، وجميع آنية بيت الله الكبيرة والصغيرة وخزائن بيت الرب وخزائن الملك، وأحرقوا بيت الله، وهدموا سور أورشليم، وأحرقوا جميع قصورها بالنار، وأهلكوا جميع آنياتها الثمينة وسبى الذين بقوا من السيف إلى بابل، فكانوا له ولبنيه عبيداً إلى أن ملكت مملكة فارس^(١).

ومن المؤكد، أن اليهود إبان مرحلة السبي هذه لم يكونوا يتداولون فيها بينهم ولو خفية شيئاً من التوراة أو سفر الشريعة، ولم يشر أنبياء هذه الفترة إلى شيء من ذلك، وقد فاضت أسفار العهد القديم بذكرهم وذكر أخبارهم^(٢).

فكان سفر الشريعة، أو التوراة طوال هذه المدة في غيبوبة متواصلة تامة، إلى أن جاء عزرا. يزعم اليهود أنه هياً قلبه لطلب شريعة الرب والعمل بها، فكتب لهم سفر الشريعة. وهنا وقفات جديدة لابد منها، وهي:

- كيف وصلت التوراة إلى عزرا وبينه وبين موسى عَلَيْهِ السَّلَام أكثر من ثمانية قرون^(٣)، ولا سيما أن نصوص ما يسمى بالعهد القديم نفسها تفيد أن بني إسرائيل قد أهملوا تعاليم التوراة أو سفر الشريعة منذ وقت لا يبعد بكثير عن وقت نزولها^(٤).

(١) أخبار الأيام (١٧/٢٦ - ٢٠).

(٢) مصادر النصرانية (٣٤٣/١).

(٣) لزعمهم أن عزرا عاش القرن الخامس أو الرابع قبل الميلاد.

(٤) انظر: أخبار الأيام (٣٤/٣١)، مصادر النصرانية (٣٤٣/١).



- على أحسن الفروض، فإن ما كتبه لهم عزرا -إن صح هذا الخبر- لا يعدو أن يكون معلومات متوارثة عن الأحكام الواجبة على بني إسرائيل جيلاً بعد جيل، إلى أن جاء زمن عزرا هذا فدوّنها، وضمنها بعض الاستنباطات والشروح، كما يشير إلى ذلك سفر عزرا نفسه، حيث يقول: لأنّ عزرا هياً قلبه لطلب شريعة الرب والعمل بها وليعلم إسرائيل فريضة وقضاء.

وعلى هذا، فإن عمله هذا جهد بشري محض، ولا مفر له مما يعتري العمل البشري من قصور وخلل^(١).

- كما أنه لا يستبعد أن يكون مكتوب عزرا هذا مجرد افتراء وكذب ودجل، من تلقاء نفسه لتلبية دواعٍ نفسية خاصة به، أو لترويح الملة كما نقلت عن الشيخ رحمت الله آنفاً^(٢). وقولي: إن هذا غير مستبعد يستند إلى حقيقتين أولاهما: ما ثبت أنّ اليهود السامريين يهتمون عزرا بأنه الذي قام بتحريف التوراة إبان الأسر البابلي^(٣). والثانية: أنّ عزرا هذا هو عُزَيْر المذكور في القرآن الكريم في قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠].

ولم يأت في القرآن ولا في السنة الصحيحة ما يفيد صلاح الرجل فضلاً عن نبوته، فيترجح عندي -والله أعلم- أنّ اليهود المعاصرين له إنما عظموه ومجدوه حتى قالوا إنه ابن الله لما كتب لهم كتاباً يوافق هواهم وضلالهم الذي كانوا عليه. وهذا ما اختاره بعض من أسلم من اليهود؛ منهم السموأل بن يحيى^(٤).

(١) دراسات في الأديان، د. سعود الخلف، ص ٦٤.

(٢) مصادر النصرانية (١/ ٣٤٤).

(٣) المصدر السابق نفسه. وشفاء العليل في بيان ما وقع في التوراة والإنجيل من التبديل، عبد الملك الجويني، ص ٥٨ - ٦٠.

(٤) نقد التوراة، أحمد حجازي السقا، ص ٩٤.

- ثم إن نسبة هذا السفر الذي كتبه عزرا - على فرض وجوده - إن كان قد نسبته إلى الله عَزَّوَجَلَّ فكذبه ظاهر، إذ لم يدَّع أحد لا من المسلمين، ولا من اليهود أو النصارى أن التوراة أنزلت مرتين؛ مرة على موسى ومرة على عزرا، وإن كان الذين كتبوا عنه بعد ذلك هم الذين زعموا أن كتابه هذا هو عين توراة موسى عَلَيْهِ السَّلَام، فهم على حد سواء كذَّابون. إن عزرا لم يقل هذا عن نفسه.

- كل ما تقدم بالنسبة للتوراة التي كتبها موسى بيده كما يزعمون، فكيف بالتوراة التي زعموا أن حلقيها قد عثر عليها في الهيكل في عهد عبد يوشيا؟ نجد أن ما كتبه عزرا كذلك يختلف عما قدمه حلقيها للملك في زمانه، وذلك لأن سفر الشريعة الذي وجده حلقيها حسب كلامهم قد جاء بصريح العبارة في كتابهم أنه قرئ من أوله إلى آخره مرتين في اليوم كما يقول سفر الملوك الثاني^(١)، أو مرة فقط في اليوم، حسب رواية سفر أخبار الأيام الثاني.

بينما قراءة ما جاء به عزرا احتاج إلى أسبوع كامل، كما يذكر سفر نحemia من كتابهم أيضاً، حيث جاء فيه: وكان يقرأ في سفر شريعة الله يوماً فيوماً من اليوم الأول إلى اليوم الأخير وعملوا عيداً سبعة أيام، وفي اليوم الثامن اعتكاف حسب المرسوم^(٢).

فلهذا ذهب أحد المؤرخين الغربيين إلى ترجيح وجود كتاب ضخيم جداً، كان يحتوي فقط على جزء مهم من أسفار موسى الخمسة^(٣).

(١) مصادر النصرانية (١/ ٣٤٥).

(٢) المصدر السابق نفسه.

(٣) قصة الحضارة، ول ديورانت، (٢/ ٣٦٧).



حتى لو سلمنا جدلاً بوجود هذا السفر المزعوم في عهد عزرا، فلنسأل عما ذا كان مصيره بعد ذلك؟ فهذا سؤال لا يستطيع أيّ يهودي، أو نصراني إيجاد جواب مقنع عنه، ومن المرجح أن يكون قد دمر في حادثة غزو الملك أنطونيوكس^(١)، لأورشليم قبل ميلاد المسيح بنحو مائة وإحدى وستين سنة^(٢)، وقيل في سنة ١٩٨ ق.م^(٣).

وفي هذا يقول سفر المكابيين الأول -أحد الأسفار المتممة للسته والأربعين عند الكاثوليك والأرثوذكس-: وكانوا يقرّون على أبواب البيوت والساحات، وما وجدوه في أسفار الشريعة مزقوه وأحرقوه بالنار^(٤). وكل من وجد عنده سفر من العهد أو اتبع الشريعة فإنه مقتول بأمر الملك^(٥).

هذا بالإضافة إلى ما نزل بالنصارى وبأسفارهم المقدسة من ألوان العذاب والتنكيل، وأضاف الإباداة والتشريد كما سبق الحديث عنها بالتفصيل في الباب التمهيدي.

فهذا كله يتضح أن لا سند متصل بين ما يسمى اليوم بالبتاتوك، أو أسفار موسى الخمسة، ونص الوحي الإلهي الذي تلقاه موسى سواء مشافهة أو مكتوباً، وحتى النسخة التي نسخها يشوع عَلَيْهِ السَّلَام فيما يزعمون.

وإن كان من غير المستبعد أن يوجد توافق في بعض القصص والأخبار، وحتى الأحكام، بين هذه الأسفار وبين التوراة المنزلة، إذ قد يكون ذلك من بقايا

(١) مصادر نصرانية (١/٣٤٦).

(٢) المصدر السابق، (١/٣٤٦).

(٣) المصدر السابق نفسه.

(٤) المصدر السابق، (١/٣٤٦).

(٥) المصدر السابق، (١/٣٤٦).

المعلومات المتوارثة جيلاً بعد جيل، فلم يشأ الله أن تُنسى، أو مما لم تصله أيدي التحريف والتبديل. والله تعالى أعلم^(١).

يقول الفيلسوف اليهودي سبينوزا: لما لم يكن لدينا أي سفر يحتوي على عهد موسى وفي نفس الوقت على عهد يشوع، فيجب أن نعترف ضرورة بأن هذا السفر قد فقد... ونستنتج إذاً أن سفر توراة الله هذا الذي كتبه موسى لم يكن من الأسفار الخمسة الحالية، بل كان سفرًا مختلفًا كلياً^(٢).

ج- القرآن الكريم يثني على التوراة التي أنزلت على موسى عَلَيْهِ السَّلَام:

إنّ القرآن الكريم فرق بين التوراة التي نزلت على موسى عَلَيْهِ السَّلَام، وهي التوراة الربانية، وهذه التوراة أثنى عليها القرآن ووصفها بصفات فاضلية طيبة، فهي نور وضياء وهدى وفرقان وذكر ورحمة، وإمام وبركة، وتبيان لكل شيء، وهي دستور حياة لبني إسرائيل، شرعت لهم الأحكام، ووضحت لهم الحلال والحرام، وحكم بها أنبياءهم وصالحوهم.

هذه التوراة الربانية الهادية أمرنا الله أن نؤمن بها، لأنّ ذلك من الإيمان بالكتب التي أنزلها وهذا ركن من أركان الإيمان، ومن كفر بالتوراة فإنه كافر مخلد في النار، ولو آمن بالإسلام والقرآن ونبوة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لذلك نقرر هنا: أن نؤمن بأن التوراة كتاب الله الذي أنزله على موسى عَلَيْهِ السَّلَام، وأنها طيبة عظيمة مباركة صادقة، وأحكامها وتشريعاتها صحيحة عبد بها بنو إسرائيل ربهم.

لكننا نؤمن أنّ الأجيال اللاحقة من اليهود (ضيعوا) تلك التوراة الربانية المباركة، وخلطوها بكلام الله جَلَّ وَعَلَا، وبذلك أتلّفوها وطمسوا أنوارها وغيروا

(١) المصدر السابق، (١/٣٤٧).

(٢) المصدر السابق نفسه.



أحكامها، ولم يحافظوا عليها كما أمرهم الله. ونؤمن أن الله (ينسخ) تلك التوراة التي أنزلها على موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وحرّفها وضيعها أحبار اليهود نسخها بالقرآن، الذي جعله الله الرسالة الخاتمة، وحفظه من التغير والتحريف حتى قيام الساعة. وهذا معناه أنه لا يجوز العمل بالتوراة بعد إنزال القرآن فإيماننا بها إيمان (تاريخي)، وليس له بعد واقعي^(١).

د- القرآن لا يعترف بالتوراة اليهودية المحرفة:

هذه التوراة اليهودية (العهد القديم) المحرفة يكذبها القرآن في كثير مما فيها ويبين الأكاذيب والأخطاء التي وقع فيها الأحبار، وهم يكتبونها. ولم يعترف القرآن أن هذه التوراة اليهودية كلام الله، لأن التوراة التي أنزلها الله على موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أضاعها اليهود وكتبوا شيئاً آخر وغيروها وبدّلوها، وجاء في هذا آيات صريحة عديدة منها:

- قوله تعالى: ﴿أَفْطَمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٧٥].
 - ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُوبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا^ط فَوَيْلٌ لَهُمْ مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة: ٧٩].

وغير ذلك من الآيات الكريمة. وبما أن التوراة اليهودية المحرفة من (تأليف) الأحبار الكافرين المحرّفين للتوراة الربانية الصحيحة، فإن القرآن لا يعترف بها

(١) موسى كليم الله عدو المستكبرين، الصلابي، ص ١٢١٣.

ولا يقرّها، إنما ينكرها ويرفضها، ولا يعتبرها كلام الله وهذا هو مفهوم الآيات السابقة التي أدانت الأخبار إدانة صريحة.

وإقرارنا أن التوراة اليهودية المسماة: (العهد القديم) من صناعة الأخبار وتأليفهم، على مدار التاريخ اليهودي الطويل، لا يمنع وجود (بقايا) قليلة من التوراة الربانية متفرقة في أسفارها، لكنها لا تخرج عن كونها كلمات أو عبارات متناثرة، هنا وهناك، وهي قليلة جداً لا تكاد تذكر، وسط ذلك الركام من تحريفات الأخبار. ويستحيل (فرز) ذلك القليل من التوراة الربانية من بين أساطير التوراة المحرفة، ثم إن الله نسخ الكلام وما فيه من تشريعات وأحكام والخير الذي فيه وأثبتته في القرآن^(١).

هـ- القرآن يفصل القول فيما اختلف فيه اليهود:

القرآن الذي يكذب التوراة المحرفة، يفصل القول في المسائل العديدة التي كان اليهود يختلفون فيها، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۖ وَإِنَّهُ لَهْدَىٰ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُم بِحُكْمِهِ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ۚ﴾ [النمل: ٧٧، ٧٨]؛ تقرر الآية أن اليهود اختلفوا كثيراً في مسائل كثيرة، وكانوا فرقاً متقاتلة متنازعة تحارب بعضها، ويكفر بعضهم بعضاً، كما قال تعالى: ﴿وَالْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ ۚ﴾ [المائدة: ٦٤].

إنهم ظلوا تابعين للسلوقيين، ثم سمح له بحكم هذه المناطق، وبدأت مملكة سيمون تكبر وتتوسع واستمرت مملكة (سيمون) بالتوسع والامتداد حتى عام

(١) حديث القرآن عن التوراة والإنجيل، ص ٥٤.



٧٦ق.م حيث وصلت إلى البحر، ولكنها بالرغم من ذلك ظلت تتبع الإغريق رسمياً وقانونياً وسياسياً^(١).

٣- الحضارة الإغريقية:

هي واحدة من حضارات حوض البحر الأبيض المتوسط والتي تشمل: مصر، وما بين النهرين (أي دجلة والفرات)، والإغريق، والرومان^(٢)، وأصحاب الحضارات هذه هم اليونانيون الذين كانوا يمثلون أمة عظيمة القدر بين الأمم، وسموا بذلك أي (الإغريق) لتغلغل حضارتهم وتأثيرها بين أعضاء الجماعات اليهودية في مصر وبرقة، وسوريا وآسيا الصغرى فلسطين، وقد استمرت طيلة العصر الروماني كما بيّنت ذلك في ثنايا البحث^(٣).

ومن الثابت أنّ الحضارة الإغريقية قد بدأت متأخرة عن حضارات حوض البحر الأبيض المتوسط الأخرى إلا أنه كان لموقعها الاستراتيجي في منطقة البحر الأبيض المتوسط أثره البارز في الاتصال بالبلاد ذات الحضارات القديمة في هذا البحر (في شمال فلسطين) تماماً، كما اتصلوا بالحضارات الشرقية والجنوبية لحوض البحر، واكتسبوا من هذه الحضارات الشيء الكثير، وكان على رأس هذه الحضارات التي استفادوا منها، الحضارة المصرية القديمة^(٤).

وقد أخذوا منها الكثير من معارفهم الدينية والفلسفية والعلمية، كالفلك والطب والزراعة والهندسة والفنون الجميلة وفنون العمارة والنحت والتصوير،

(١) فلسطين التاريخ المصور، ص ٥٦.

(٢) مظاهر الوثنية في عقائد أهل الكتاب، محمد عبد المعطي، ص ٣٦٥.

(٣) المصدر السابق نفسه.

(٤) المصدر السابق نفسه.

وما يتجاوز الفن الرفيع إلى أشياء أخرى تسمى الفنون التطبيقية وتسمى الحياة اليومية وقد تسمى السياسية أيضاً^(١).

وكان كثيراً من فلاسفة الإغريق المشهورين (أفلاطون) مثلاً قد تلقى تعليمه في جامعات مصر، وقد زار مصر كثيرون من عظماء اليونان المشهورين أمثال: (فيثاغورس) و(ديمقريطوس)؛ ومع ذلك استطاعت بلاد اليونان أن تسبق غيرها من البلاد التي أخذت حضارتها عنها خاصة في مجال الفلسفة، وذلك لأن هذه البلاد لم تحكمها دولة عريقة، ولم تكن فيها إلى جانب الدول الحاكمة دولة من دول الكهنة التي تتأصل في البلاد وتتوازن فيها أسوار المعرفة والبحث في أصول الخلق والحياة، أو في المسائل الإلهية التي يتأثر بها الكهان ورؤساء الدين^(٢).

وانتشرت الديانة الوثنية وتعدد الآلهة وكانت قوانين اليونان ترى الامتناع عن عبادة الآلهة اليونانية جريمة كبرى يعاقب عليها بالإعدام، وهذا هو القانون الذي حُكم به على سقراط بالموت^(٣).

إن الحياة في بلاد اليونان لم تكن دنيوية كما يصفها المؤرخون فقط، بل كان للدين فيها شأن كبير في كل مكان إلا أنه كان ذا طابع فردي لا طابع (قومي) عام، بمعنى أنه لم يكن للدولة دين رسمي يتمسك به الجميع أو عقائد ثابتة مقررّة، ولم يكن قوام الدين هو الإقرار بعقائد معينة، بل كان قوامه الاشتراك في الطقوس الرسمية، وكان في وسع أي إنسان أن يؤمن بما شاء من العقائد على شريطة ألا يكفر بالآلهة المدينة أو يسبّها^(٤).

(١) المسيح عيسى ابن مريم، الصلابي، ص ٣٦.

(٢) مظاهر الوثنية في عقائد أهل الكتاب، ص ٣٦.

(٣) قصة الحضارة، ول ديورانت، (٩١ / ٥).

(٤) مظاهر الوثنية، ص ٣٦٨.



ولقد كانت هذه الفردية الدينية وما تبعها من فوضى دينية، نتيجة احتكاك الإغريق بالشرق، وتأثر بعضهم بالمفاهيم الدينية السائدة فيه، فكان سبباً عاجل بتفكيك المجتمع اليوناني ثم سقوطه سريعاً تحت ضربات الرومان، ومع ذلك فقد خلف الإغريق ما كان ذا أثر فعال في صياغة شكل الحياة في الإمبراطورية الرومانية ذاتها، وما كان ذا أثر فعال في الدين المسيحي نفسه^(١).

ويمكن إجمال ذلك في النقاط الآتية:

- تمزيق الكيان الإنساني الواحد بالإعلاء من شأن بعض المواهب التي منحها الله للإنسان والخط من شأن بعضها الآخر، فقد أعلى الإغريق -على سبيل المثال- من شأن العقل، وخطوا من شأن الجسد، فحقروا العمل اليدوي، وحبذوا الجري وراء الثراء، ورفعوا من شأن المحارب السياسي والمسؤولين عن الزراعة، وحرموا العبيد وغيرهم ممن يزاوون الحرف اليدوية من منطلق حقوق المواطنة والتمتع بالديمقراطية^(٢).

- ترتب على ذلك أن كان هناك تمايز صارخ بين الإغريق وغير الإغريق في داخل حدود مجتمعهم الإغريقي، أو في خارجه، ففي داخل حدود بلادهم نجد أرسطو ينظر إلى العبد على أنه آلة بشرية، ويظن أن الاسترقاق سيبقى حتى اليوم الذي تؤدي فيه الآلات التي تدور بنفسها جميع الأعمال الحقة. وأما خارج اليونان فقد كانت الروح الإنسانية لليونانيين وطنية قومية، ولذلك كانوا استعماريين من الطراز الأول، وقد ساعدتهم على ذلك تجارتهم الدولية التي أدت إلى ظهورهم وظهور حضارتهم التي شهد بها التاريخ^(٣).

(١) المصدر السابق نفسه.

(٢) مظاهر الاقتصادية الكبرى، ص ١٨ - ١٩.

(٣) قصة الحضارة (٢/ ٦٨).

- المادة الغليظة، ظهر الميل إلى تجسيد المجردات برغم الاشتغال بالفلسفة ومن ثم ساد عندهم التفسير المادي للوجود والإنسان، وانعكست هذه النزعة المادية الوثنية على فكرة الألوهية عند الإغريق، فإنه ليس ثمة دين يقرب آلهته من الأدميين قرب آلهة اليونان^(١).

فكان اليونانيون يؤمنون بأن آلهتهم يأكلون ويشربون، يلعبون ويلهون ويخوضون المعارك فيغلبون ويُغلبون، ويتألمون ويفرحون ويحزنون، والويل لمن تعرض لهم أو أغضبهم، فإن غضبهم شديد، ولذلك حكم على سقراط أن يشرب السم ومات شهيد الجهر بالحقيقة، لأنه أفضى أسرار الوحداية وخلود الروح واعتبروه كافراً بالآلهة اليونانية^(٢)، ولذلك عبدوا آلهة شتى فهناك آلهة للحرف والمهن المختلفة، وآلهة للحرب، وآلهة مستمدة من الطبيعة، كما عبدوا رمزي الإخصاب الرئيسيين في الرجل والمرأة، وعبدوا بعض الحيوانات كما عبدوا الموتى^(٣).

٤- الحكم الروماني:

قرر الرومان وهم من أصل إيطالي التوسع فبدأوا يأخذون ممالك الإغريق مملكة مملكة، حتى وصلوا إلى بلاد الشام فاحتلوها، ومن ثم وصلوا إلى القدس فاحتلوها أيضاً وذلك سنة ٦٣ ق.م، وعينوا عليها كاهناً اسمه (ريسونك)، ثم أصبح هذا الكاهن كبيراً لليهود، ودام الحكم فيهم على هذه الصورة ٢٣ سنة.

أ- ملك اليهود هيروُدس:

(١) مظاهر الوثنية في عقائد أهل الكتاب، ص ٣٧٠.

(٢) المصدر السابق نفسه.

(٣) المصدر السابق نفسه.



عَيْنَ الرومان ملكاً لليهود اسمه (هيرودس) مشهور في التاريخ باسم (هيردس)، وفي التاريخ العربي باسم هيرود: لم يكن هذا الملك من الأسرة المكابية الحاكمة، بل تم اختياره على أيدي الرومان، فكان مالياً لهم، وطاغية شديداً على اليهود، ولكي يثبت مكانته بين اليهود ويجعلهم ممن يتبعونه أعاد تجديد الهيكل، وضاعف مساحته وأصبحت هذه المنطقة (الأردن وفلسطين) في عهده منطقة صراع بين الرومان والفرس، فتارة تكون بأيدي الفرس وتارة بأيدي الروم، وفي عام ٣٤ ق.م استطاع (هيرود) أن يجمع قوة يطرد بها الفرس، ثم أحكم سيطرته على تلك المناطق، وكانت فترة حكمه فترة ازدهار لها، وظلت الأمور مستقرة بيده فترة طويلة، وفي هذه الفترة زارت كليوباترا حاكمة مصر الفرعونية القدس في طريق عودتها من زيارتها للعراق والفرات، فكان لهذا الحادث وقع عظيم جداً في تلك المناطق لما كان لكليوباترا من شهرة عظيمة^(١).

ب- عيسى ويحيى وزكريا عَلَيْهِمُ السَّلَام في عهد الدولة الرومانية:

قبل ميلاد المسيح عَلَيْهِ السَّلَام، وقبل ميلاد يحيى عَلَيْهِ السَّلَام في عام ٤ ق.م = مات (هيرود) ملك اليهود، وتمزقت دولة اليهود أو دويلة اليهود التابعة للرومان بين أولاده الثلاثة، والتي لم تكن لها حكم مستقل عن الدولة الرومانية بل تابعة لها، ثم بعد ذلك بأربع سنين كان ميلاد المسيح عَلَيْهِ السَّلَام وقبل مولده بثلاثة شهور ولد النبي يحيى عَلَيْهِ السَّلَام الذي اشتهر بينهم باسم (يوحنا المعمدان)^(٢). وقد ذكرت قصة يحيى وزكريا وعيسى وَ عَلَيْهِمُ السَّلَام بالتفصيل، وكما جاءت قصصهم في القرآن الكريم في كتابي (المسيح عيسى ابن مريم: الحقيقة كاملة).

(١) فلسطين التاريخ المصور، ص ٥٨.

(٢) المصدر السابق، ص ٥٩.

ج- حكم بطليموس الروماني:

انتقل الحكم من ابن (هيرود) إلى الرومان الذين حكموا حكماً مباشراً، وألغوا حكم الممالك اليهودية الذاتي، فالمسيح جاء في زمن كان للرومان على القدس سيطرة غير مباشرة، أي: أن القضاء والدين كانا في أيدي اليهود وقتها.

وفي عام ٢٦م تولى حكم فلسطين (بطليموس) الروماني، الذي لم يكن يهودياً. وفي فترة حكمه حدثت أحداث رهيبة جداً، فقد حكم بطليموس هذا في فترة وجود الأنبياء الثلاثة (زكريا ويحيى وعيسى) عَلَيْهِمُ السَّلَام.

وتحكي كتب التاريخ: أن بطليموس الروماني- لم يكن يهودياً- الذي تولى حكم فلسطين. أراد أن يتزوج من ابنة أخيه لجمالها البارع جداً، ولكن زواج المرأة من عمها كان محرماً في دينهم، فأحب أن يأخذ إجازة من زكريا ويحيى بصحة هذا الزواج، فكان جواب يحيى عَلَيْهِ السَّلَام أن قال سأعلن هذا للناس، فلما اجتمعوا خطب فيهم يحيى عَلَيْهِ السَّلَام، وبدل من أن يعلن زواج بطليموس بابنة أخيه، أعلن لهم تحريم زواج المرأة من عمها تحريماً مطلقاً، وأن من يفعل ذلك فهو كافر. فوجئ بطليموس بهذا الإعلان وخاصة أنه كان يتظاهر بالتدين باليهودية وبالتعاون مع اليهود واحترام مقدساتهم، وكان يتبع كلام اليهود في مثل هذه القضايا؛ فلما سمع بفتوى يحيى عَلَيْهِ السَّلَام سُقط في يده، ولكن ابنة أخ بطليموس أرادت أن تغوي عمها فقامت بالرقص أمامه وأشربته الخمر حتى سكر، ثم أغرته بقتل يحيى عَلَيْهِ السَّلَام، وما زالت به حتى قام تحت تأثير النشوة في رأسه بالأمر بقتله، ثم أمر بعد ذلك بقتل زكريا عَلَيْهِ السَّلَام، كما ورد في رواية



تاريخية مشهورة، فقتل ذلك الفاجر نَبِيَّينَ عظيمين في تلك الفترة، غير أنَّ اليهود لم يحركوا ساكنًا لمقتل أنبيائهم وكأن الأمر لا يعينهم^(١).

الحادي عشر: عهد عيسى عَلَيْهِ السَّلَام:

كان هذا العهد الروماني هو الذي ولد فيه عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بمعجزة ربانية من دون أب، كما جاء تفاصيل ذلك في القرآن الكريم.

كانت الحالة السياسية في عصر المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ من أسوأ ما يكون، وأبلغ منها في سوء الحالة الاجتماعية، فبسبب السلطة المطلقة التي كانت بيد الحكام ضاع النظام مع القانون، فحدث تفاوت كبير بين الحكام والمحكومين، فكانت الثروة والترف والطغيان من ناحية، والفقر والهوان من ناحية أخرى. إضافة إلى الضرائب التي كانت تجيء لحساب روما، وانحصر أهداف رجال الدين في جمع الأموال، وخلا المجتمع من الترابط والتآلف، وانتشرت العصبية بين الناس وظهرت الفوارق الطبقية.

وكانت التعاليم الإلهية التي جاء بها عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ مناسبة لهذه البيئة وجاءت علاجاً لمشكلاتها، فبينما كانت تسيطر الأجواء المادية في ذلك المجتمع جاءت تعاليم عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ روحية سامية لتعالج ذلك المادي والابتعاد عن حقيقة الدين الصحيح.

إن تفاصيل حياة عيسى وأمه مريم وعائلتها (آل عمران) وقصة زكريا ويحيى في العهد الروماني لبلاد الشام حفظها القرآن الكريم وأهم ما جاء عنها:

(١) المصدر السابق، ص ٦٢.

- إن تكريم القرآن الكريم للمسيح وأمه وعائلته، يفوق -بلا ريب- تكريم كل من التوراة والإنجيل الموجودين حالياً. وكان القرآن الكريم بالإضافة إلى هذا التكريم هو المصحح للأخطاء والانتهاكات والافتراءات الباطلة التي كانت توجه إلى السيّد المسيح وأمه الطاهرة على ألسنة اليهود والمسيحيين أنفسهم.

- في القرآن الكريم توجد سورة آل عمران، وهي اسم عائلة المسيح عَلَيْهِ السَّلَام، ولفظة (آل) كلمة تخاطب بها العائلات الكريمة الطيبة، وهذه السورة هي ثاني أطول سورة في القرآن الكريم، وهناك سورة باسم سورة (مريم)، وهو اسم السيدة مريم العذراء والدة المسيح عَلَيْهِمَا السَّلَام، على حين لا يوجد في القرآن الكريم اسم لعائلة نبي الإسلام محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إذ لا توجد سورة تحمل اسم (بنّي هاشم) أو (بنّي عبد المطلب)، ولا توجد سورة تحمل اسم (آمنة بنت وهب) والدة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

- ذكر الله عَزَّجَلَّ نشأة عيسى عَلَيْهِ السَّلَام ببيان نشأة أمه بياناً لبطلان ما يعتقده النصارى فيه من أنه ابن الله -تعالى الله عن ذلك- فعيسى له أم، وأمّ عيسى لها أم وأب، ولهما أمهات وآباء إلى آدم.

- وصفت السيدة مريم عَلَيْهِمَا السَّلَام بالصدّيقة لكمال إخلاصها وانقيادها لله عَزَّجَلَّ ظاهراً وباطناً، والتعبّد بطاعته سبحانه في حركة وسكون مع إخلاصٍ عظيم في القصد لله عَزَّجَلَّ. وصفت بالصدّيقة، لكثرة تصديقها بآيات ربها، وتصديقها ولدها فيما أخبرها به، ووصفت بصدق وعد ربها وهو ميثاق الإيمان.

- جاءت تفاصيل مولد عيسى عَلَيْهِ السَّلَام في سورة مريم، بدقة متناهية، وأوصافٍ محكمة للمكان والحالة النفسية التي مرت بها مريم عَلَيْهِمَا السَّلَام، ابتداءً من أخذها



للمكان البعيد ومجيء المخاض، وآلامها عند الوضع وتمنيها الموت ومناداة ابنها لها من تحتها، وما صاحب ذلك من نفحات وبركات.

- جعل الله صوم مريم وصمتها عن الكلام آية لها ودليلاً على براءتها وطهارتها، فبينما صامت هي عن الكلام وهي القادرة عليه فقد أنطق الله وليدها عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ الذي لم تمض على ولادته إلا فترة يسيرة، وهو في المهد، فكان كلامه أقوى وأبلغ في إزالة التهمة عنها، كما أنّ السكوت عن السفهاء وعدم الردّ عليهم من أخلاق الصديقة العفيفة الطاهرة المطهرة.

- عندما نطق عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في المهد أخرج كل من اتهم والدته، وبيّن معجزته الخالدة في كون الله خلقه من دون أب، وبيّن رسالته في الحياة وأنه عبد الله آتاه الكتاب وجعله نبياً وأوصاه بالصلاة والزكاة، وبرّه بوالدته، وقدم نفسه لقوم أمه، وذكر عبوديته لله الواحد، وذكر ما سيؤتيه الله من النبوة والكتاب، ومن السمات والمزايا الإيجابية القائمة على برّه بأمه، وتواضعه وعدم تجبره، أو تكبره، وما سيضيفه عليه من السلام والأمان في حياته، وتوقف عرض القرآن لقصة ميلاد عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ عند هذا الحد.

- بعدما ذكر الله عزَّ وجلَّ سيرة مريم وابنها عَلَيْهِمَا السَّلَامُ بشفافية عالية ومصداقية لا يوجد مثل لها علّق على القصة بتبينانه: ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ ﴿٣١﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَنَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [مريم: ٣٤، ٣٥].

- بينت الآيات القرآنية بأن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ عبد أنعم الله عليه، وداعية إلى التوحيد وعبادة الله عزَّ وجلَّ.

- عرض القرآن الكريم موكب الإيمان الجليل يقوده ذلك الرهط من الرسل: من نوح عَلَيْهِ السَّلَام إلى إبراهيم إلى خاتم النبيين، وكان من بينهم عيسى صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، حتى يُعلم أنّه نبي كباقي الأنبياء والمرسلين وليس هو الله، ولا ثالث لثلاثة، ولا ابن الله.

- شملت رسالة المسيح كذلك الإيمان بالوحي، وأن التعاليم التي يُبلغها ليست من عنده، وإنما يُوحى بها إليه ربّه، وذكر الله المسيح في القرآن الكريم من جملة من يوحى إليهم من النبيين^(١).

- بيّنت الآيات الكريمة أنّ أصول الشرائع ووحدة الدين عند الله حقيقة دلت عليها النصوص؛ كالأمر بالصلاة والزكاة والصيام والقصاص والجهاد... إلخ.

- اتفقت جميع الرسالات السماوية على أصول الإيمان على امتداد دعوات الرسل عليهم الصلاة والسلام ولم تختلف هذه الرسالات في تقرير أصول الإيمان قبل أن ينال منها التحريف والتبديل؛ لأنها تتحدث عن مقررات ثابتة لا يقوم الإيمان إلا بها فهي حقائق ثابتة لا تتطور ولا تتغير، ولا يدخلها النسخ كما يدخل فروع الشرائع، وقد جاءت النصوص القرآنية تؤكد هذه الحقيقة.

- كان همُّ عيسى عَلَيْهِ السَّلَام أن يدعو الناس إلى طاعة الله، وتقديم العبادة له دون سواه، وتحقيق التوحيد تحقيقاً حقيقياً مبنياً على إيمان عميق، ومعرفة راسخة، ومن أصول دعوته الإيمان بالله واليوم الآخر، والملائكة، والكتب السماوية، والأنبياء والمرسلين والإيمان بالقدر.

- إن عيسى عَلَيْهِ السَّلَام دعا إلى الإسلام وهو دين الله الخالد الذي لا يقبل الله سواه، وأن هذا الدين هو الدين الذي فرضه الله على البشرية، منذ خلقهم، جاء به آدم،

(١) المسيح عيسى ابن مريم، ص ٤٥٨.



وإدريس ونوح، وإبراهيم، وآل إبراهيم، وآل عمران، وأنه تم برسالة خاتم النبيين، وأن هذا الدين جاء به النبيون؛ لأنه هو الدين الوحيد الذي يدعو إلى الوحدانية الخالصة التي لا يشوبها أدنى شرك. وهو الدين الذي يشمل العقائد الصحيحة والأحكام العامة التي لا تتغير بتغير الزمان والمكان، أو بتغير أحوال الناس في سلسلة حياتهم الإنسانية على وجه الأرض، مهما اختلفت ألوانهم وأجناسهم ولغاتهم وبيئاتهم ومهما تغيرت مهنتهم وحرفهم وثقافتهم في الحياة الدنيا. وقد كان عيسى عَلَيْهِ السَّلَام يدعو إلى اعتناق رسالة الإسلام، الدين المؤسس على الاعتراف بالخالق ووحدانيته.

- شاء الله عَزَّوَجَلَّ أن يجعل عيسى عَلَيْهِ السَّلَام آية، ولذلك جعل معجزاته عديدة في حياته، وصاحبته منذ خلقه إلى موته قبل قيام الساعة، ومن أشهر معجزاته، ميلاده من غير أم بلا أب بقدرة الله، وتأيينه بروح القدس، وتعليمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل، وإبراء الأكمه والأبرص، وإحياء الموتى بإذن الله، والخلق من الطين ونفخ الروح بإذن الله، وإخباره عن الغيوب، ونزول المائدة من السماء بدعائه.

- الحواريون هم أنصار عيسى عَلَيْهِ السَّلَام، فقد استجابوا لدعوة عيسى عَلَيْهِ السَّلَام وأصبحوا أنصار الله، آمنوا بالله، وبما أنزل، واتبعوا رسوله.

- تعرض عيسى عَلَيْهِ السَّلَام لمكر اليهود وحاولوا قتله، ولكن الله حماه ونجّاه ورفعته إليه.

١- المكر بعيسى عَلَيْهِ السَّلَام ورفعته إلى السماء:

لم ترق تعاليم المسيح عَلَيْهِ السَّلَام لكثير من اليهود الذين حَقَّ عليهم قول الله تعالى في كتابه: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى

أَبْنِ مَرِيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ
مُنْكَرِ فَعْلُوهُ لَيْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ [المائدة: ٧٨ - ٧٩].

ورأوا فيها خطراً على مصالحهم وثوراتهم، ولقد ضاق الكهنة والفريسيون من دعوته التوحيد والإيمان الصحيح، وعبادة الله عَزَّجَلَّ كما ينبغي، ودعوته إلى القناعة والعفة والزهد، ومن نهيه عن الربا والرشوة والفساد والظلم، فتمالؤوا عليه ووشوا به إلى الحاكم^(١).

لقد خافوا على مصالحهم واتخذوا من تدينهم المزعوم بدين موسى والأنبياء من بعده، وزعموا أن لهم منزلة دينية لا يساويهم فيها أحد، اتخذوا من هذا ما يصح أن يسمى أرستقراطية دينية؟ فزعموا أن لهم المكانة السامية، ولغيرهم المنزل الدون، ولو اعتنقوا الديانة اليهودية وآمنوا برسالة موسى. فكانت هناك طائفة يقال لها السامرة، وكان الإسرائيليون يعاملون آحاديها كأنهم المنبوذون، فلما جاء عيسى عَلَيْهِ السَّلَام وسوّى بين بني البشر في دعايته، أنكروا عليه ذلك وناصبوه العداوة.

ولقد كانوا يجعلون لأخبارهم وعلماء الدين فيهم المنزل السامية والمكانة العالية بين الناس، فجاء المسيح وجعل الناس جميعاً سواء أمام الخالق العظيم، ولا فرق بينهم إلا بالتقوى وحسن العبادة وتحقيق الإيمان بالله، لكل هذا تقدم اليهود لمناوأة المسيح، وقليل منهم من اعتنق دينه وآمن به، وأخذوا يعملون على منع الناس من سماع دعوته، فلما أعتيتهم الحيلة، ورأوا أن الضعاف والفقراء

(١) عمر أحمد عمر، رسالة الأنبياء، (٢/ ٣١١).



يجيبون نداءه، ويلتفون حوله مقتنعين بقوله أخذوا يكيدون له ويوسوسون للحكام بشأنه ويحرضون الرومان عليه^(١).

وقالوا للحاكم: إن هنا رجلاً يضل الناس ويصدّهم عن طاعة الملك ويفسد الرعايا، ويفرق بين الأب وابنه، وإنه ولد زنية، إلى غير ذلك مما تقلدوه في رقابهم ورموه به من الكذب، حتى تمكنوا من حمل الحاكم على أن يصدر الأمر بالقبض والحكم عليه بالإعدام صلباً، وأرسل جنداً ليقبضوا عليه، فلما عثروا عليه وأحاطوا به واقتحموا بيته نجاه الله منهم ورفعهم إليه، وألقى شبهه على من تقدمهم إليه، فلما دخلوا ورأوه قبضوا عليه وهم يحسبون أنه عيسى، فأخذوه وأهانوه وصلبوه، ووضعوا على رأسه الشوك، وكان هذا من مكر الله بهم، فإنه نجى نبيه، ورفعهم من بين أظهرهم وتركهم في ضلالهم يعمهون ويعتقدون أنهم قد ظفروا به^(٢).

قال تعالى: ﴿وَمَكْرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكِرِينَ ۝٥٤﴾ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ۝٥٥ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأَعَذُّهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِّن نَّاصِرِينَ ۝٥٦ وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ۖ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ۝٥٧ ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴿[آل عمران: ٥٤-٥٨].

(١) أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، ص ٥٣.

(٢) عمر أحمد عمر، رسالة الأنبياء، (٢/ ٣١١).

- ﴿وَمَكْرُؤٌ﴾: اليهود الكافرون، مكروا بعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ مكرًا خبيثًا وتآمروا عليه وأرادوا قتله.

- ﴿وَمَكْرَ اللَّهِ﴾: أبطل الله مكر اليهود، وأفشل كيدهم وحمى عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ منهم.

- ﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ﴾: الله خير من ينصر أوليائه، وخير من يُبطل كيد أعدائه ويُحبط مؤامراتهم^(١).

لقد أسندت الآية إلى اليهود مكرًا خبيثًا مذمومًا ضد عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وأرادوا قتله، ورسموا لذلك خطة دقيقة ومكروا به مكرًا شيطانيًا خبيثًا، وأسندت الآية إلى الله مكرًا طيبًا محمودًا وهو إبطال مكرهم السيء، وإنجاء عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ من كيدهم، فأنقذه من بين أيديهم بأن ألقى شبهه على غيره فأخذوا شبهه وقتلوه، ظانين أنهم قتلوا عيسى، وبهذا مكر الله بهم وسخر منهم، وأخرجه الله من وسطهم حيًّا وحفظه بحفظه وحماه بحمايته^(٢).

- قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِيَ إِسْرَءِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُؤْمِنٌ﴾ [المائدة: ١١٠]. وهذه الآية تحدثت عن حماية الله له بإجمال، فلما أراد اليهود إيذاءه وقتله كف الله أيديهم عنه^(٣).

أ- ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ مَا مَنَعَكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِبَيِّنَاتٍ فَقَالَ أَغْرَبْتُمُونَنِي بِأَسْوَاقٍ خَالٍ مِنْكُمْ لَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ [آل عمران: ٥٥]:

(١) الخالدي، القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث (٤/ ٣٤٧).

(٢) المصدر السابق نفسه.

(٣) المصدر السابق، (٤/ ٣٤٨).



أبطل الله مكر اليهود ضدَّ عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بأنَّ توفاه ورفعاه إليه وطهره منهم، وقد اتفق علماء المسلمين على نجاة عيسى من القتل والصلب، واختلفوا في قوله تعالى ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾.

- فقال بعضهم في الآية تقديم وتأخير، والتقدير: إني رافعك إليَّ ومطهرك من الذين كفروا ومتوفيك، وذلك بعد إنزالي إليك في آخر الزمان، وعلى هذا يكون معنى ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾ إِمَاتته له عند نزوله قبيل قيام الساعة، فالوفاة على هذا القول بمعنى الموت.

- وقال آخرون: إني قابضك من الأرض، فرافعك إليَّ، قالوا: ومعنى "الوفاة" القبض، لما يقال: "توفيت من فلان مالي عليه"، بمعنى: قبضته واستوفيته. قالوا: فمعنى قوله: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ﴾ أي: قابضك من الأرض حيًّا إلى جوارِي، وأخذك إلى ما عندي بغير موت، ورافعك من بين المشركين وأهل الكفر بك، ورجَّح هذا القول الإمام الطبري^(١).

- وقال آخرون: الوفاة هنا موت حقيقي، فالآية على ظاهرها، فالله أنقذ عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ من اليهود عندما أرادوا قتله، ثم توفاه بعد ذلك وقبض روحه وأماته، ثم رفعه بعد موته^(٢).

- وقال آخرون: الوفاة هنا بمعنى النوم، فالله ألقى النوم على عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولما نام رفعه إليه ومعنى الآية: إني مُنِمْكَ ورافعك إليَّ في نومك.

(١) صلاح الخالدي، القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث (٤/ ٣٥٠). وتفسير الطبري، تقريب وتهذيب، ص ٤٥٦.

(٢) صلاح الخالدي، القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث (٤/ ٣٥٠).

- ورجح هذا القول ابن كثير إذ قال: رفعه إلى السماء بعدما توفاه بالنوم على الصحيح المقطوع به، وخلّصه ممن كان أراد أذيته من اليهود الذين وشوا به إلى بعض الملوك الكفرة في ذلك الزمان^(١).

ب- معنيان للتوفي في القرآن: الموت والنوم:

- إن إسناد التوفي إلى الله في القرآن - أحياناً - يراد به الموت وقبض الروح، وهذا في موضعين من القرآن:

الأول: قوله تعالى: ﴿قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ١٠٤]، أي: أعبد الله الذي يميّتكم ويقبض أرواحكم.

الثاني: قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَّن يَردُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ [النحل: ٧٠]؛ أي: الله هو الذي خلقكم وجعلكم أحياء تعيشون حياتكم على الدنيا، ثم يتوفاكم عند انتهاء أعماركم، ويقبض أرواحكم ويميتكم.

- أحياناً يراد به النوم، حيث وردت آيات من القرآن تعتبر النوم توفياً، وتسند إلى الله، وهذا في موضعين من القرآن أيضاً:

الأول: قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٦٠]، والمعنى: الله الذي يجعلكم تنامون بالليل ويتوفى أرواحكم أثناء نومكم ثم يعيد أرواحكم إلى أجسادكم في النهار: ﴿ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ﴾، وضمير الهاء في (فيه) يعود على النهار.

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، (٩١/١٢).



الثاني: قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الزمر: ٤٢] وقد اعتبرت الآية النوم موتاً، وقسّمت الناس بعد النوم إلى قسمين:

- فهناك أناس ينامون ويموتون أثناء النوم، ويكون الله قد قدر انتهاء آجالهم عند تلك (النومة) فيتوفاهم ويقبض أرواحهم أثناء النوم، ويمسك أرواحهم عنده، ولا يعيدها إلى أجسادهم ويصبحون أمواتاً جثثاً هامدة، وهؤلاء هم الذين قال عنهم ﴿فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ﴾.

- وهناك أناس ينامون، ويتوفى الله أرواحهم أثناء النوم، لكن تكون قد بقيت من أعمارهم بقية؛ فيعيد الله أرواحهم إلى أبدانهم عند الاستيقاظ من النوم، ويصبحون أحياء يتحركون، وهؤلاء هم الذين قال الله عنهم: ﴿وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ﴾.

وهذان الصنفان من الناس يتوفى الله أرواحهم عند نومهم، فالنوم موت ووفاة، لكن يعقبه استيقاظ وبعث في الصباح، ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾: الله يقبض أرواح الأنفس حين نومها، ﴿وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾: والله يتوفى الأنفس التي لم تمت في منامها، فيخرج أرواحها من أجسادها عند نومها، ويعيدها إلى الأجساد عند استيقاظها^(١).

وهاتان الآيتان (الأنعام: ٦٠، والزمر: ٤٢) صريحتان في أن النوم وفاة صغرى، وأن الله يتوفى أرواح النائمين، ويخرجها من أجسادهم أثناء نومهم،

(١) الخالدي، القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث (٤/ ٣٥٤).

ثم يعيدها لمن كتب لهم الحياة عند استيقاظهم، وقد أكد هذا المعنى -النوم و وفاة والاستيقاظ بعث- رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أدعية النوم والاستيقاظ، فقد كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ قَالَ «اللَّهُمَّ بِاسْمِكَ أَحْيَا وَأَمُوتُ». وَإِذَا أَصْبَحَ قَالَ «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ»^(١). والشاهد أنه توافق كلام رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع الآية الكريمة، في اعتبار النوم و وفاة وموتًا، والاستيقاظ بعثًا وحياة^(٢).

وإن النصوص السابقة تصرح بأن النوم موت و وفاة، وأن الاستيقاظ بعث و حياة، وهذا معناه أن التوفي و الوفاة في القرآن الكريم ترد بمعنى الموت الحقيقي، و خروج الروح من الجسد. وقد تعني النوم و خروج الروح من الجسد أثناء النوم؛ لتعود إليه عند الاستيقاظ^(٣).

ج- توفي الله عيسى مرتين: وفاة نوم و وفاة الموت:

بعد هذا الاستعراض الموجز لإسناد (التوفي) إلى الله في القرآن، ننظر في حديث القرآن عن توفي الله لعيسى عَلَيْهِ السَّلَام. وقد ورد هذا مرتين في القرآن: المرة الأولى: عندما أراد اليهود صلبه و قتله و مكروا به فأنجاه الله منهم، وذلك بأن توفاه و رفعه إليه فأنجاه الله منهم، وقال له قبل توفيه ﴿إِنِّي مُتَوَقِّعٌ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾، وهو توفي نوم، وذلك بأن ألقى الله النوم على عيسى عَلَيْهِ السَّلَام، ولما نام رفعه إليه: ﴿إِنِّي مُتَوَقِّعٌ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾.

(١) البخاري، رقم ٦٣١٢، وانظر: مسلم رقم ٢٧١١.

(٢) الخالدي، القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث (٤/ ٣٥٥).

(٣) المصدر السابق نفسه.



المرّة الثانية: عندما سينزله الله قبيل قيام الساعة ليستكمل باقي عمره الذي حدّده الله له، حيث سيتوفاه الوفاة الحقيقية بقبض روحه وخروجها من جسده وموته كما يموت الناس، وذلك التوفيّ هو توفيّ موت أي لما أمّنتني وقبضتني: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾.

ولا يمكن أن يكون التوفيّ في قوله تعالى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ توفيّ موت، ثم رفعه الله إليه بعد موته لورود نصوص صحيحة صريحة في نزول عيسى عَلَيْهِ السَّلَام في آخر الزمان وسنذكرها لاحقاً في محلها بإذن الله تعالى، فلو كان أماته من قبل، فلن يُنزله في آخر الزمان، لأن الله لن يجمع عليه موتين في الدنيا^(١).
د- ألقى الله النوم على عيسى ثم رفعه:

إنّ الخلاصة في معنى آية سورة آل عمران: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ نَفِثَ الْكُفْرَ فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ فَأَنزَلْنَاهُ عَلَىٰ سَبْعِينَ مِائَةً أَلْفًا مِائَةً سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [آل عمران: ٥٥]، بأن ألقى عليك النوم عندما يأتي اليهود لقتلك، وسأرفعك إليّ في السماء عند نومك، وبذلك سأطهرك من اليهود الذين كفروا، فلن تمتد أيديهم المجرمة إليك، ولن يؤذوك.

لقد أخبر الله عيسى عَلَيْهِ السَّلَام بهذا قبل أن يأتي إليه اليهود لقتله ووعدته بإنجائه منهم؛ وذلك لِيُطْمَئِنَّ وَيُسَرِّحَ وَيَسْلِيَهُ، ويكون على يقين بأن الله معه.

وجاء الوعد بالنجاة في الآية بصيغة اسم الفاعل: ﴿مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ﴾، ففي الآية أربع كلمات كلها اسم فاعل: متوفيك، ورافعك، ومطهرك،

(١) الخالدي، القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث (٤/٣٥٧). وانظر: تفسير الطبري، تقريب وتهذيب (٢/٢٨٣).

وجاعل، والتعبير باسم الفاعل لتأكيد الوقوع وتحقيق الوعد، ولهذا دخل عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ المواجهة الأخيرة مع اليهود، وواجه كيدهم ومكرهم، وهو على يقين أن الله سينجيهم منهم، بأن يتوفاه ويُنيمه ثم يرفعه إليه أثناء نومه، ولما هجم عليه اليهود مع الجنود: أنامَه الله، ثم رفعه إلى السماء؛ رفع روحه وجسده وهو حيٌّ، بطريقة معجزة^(١).

لقد علمنا من الكتاب والسنة أن الله قد رفع رسولين كريمين إلى السماء وهما حيَّان غير ميّتين، عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ومحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليلة المعراج، فبينما لم يدم العروج بمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أكثر من ساعات حيث أعاده الله إلى مكة قبل بزوغ فجر تلك الليلة، فإن الله عَزَّ وَجَلَّ الحكيم شاء أن يبقى عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في السماء حتى قبيل قيام الساعة^(٢).

٢- ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾:

إنَّ القرآن الكريم تحدث عن محاولة اليهود قتل عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في ثلاث مواضع بثلاث سور:

- إشارة سريعة إلى كفّ بني إسرائيل عنه لما جاءهم بالبينات، وذلك في سورة المائدة: ﴿وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [المائدة: ١١٠].

- حديث مجمل في حماية عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ منهم، بأن ألقى عليه النوم ثم رفعه إليه، وذلك في سورة آل عمران: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ارْقُطْ فِي الصُّلْبِ سَاكِنًا﴾ [آل عمران: ٤٦].

(١) الخالدي، القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث (٤/ ٣٥٨).

(٢) المصدر السابق نفسه.



إِلَىٰ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴿٥٥﴾

[آل عمران: ٥٥].

والحديث أكثر تفصيلاً - لكنه ما زال مجملاً - عن نفي قتل اليهود وصلبهم لعيسى عَلَيْهِ السَّلَام، لأن الله رفعه إليه، وقيامهم بقتل وصلب شبيه له، وذلك في آيات سورة النساء التي سنشرحها بإذن الله تعالى.

- قال تعالى: ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرَنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَإِنَّا لَمُتَوِّسُونَ سُلْطَنَا مُبِينًا ﴿١٥٣﴾ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾ فِيمَا نَقُضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكَفَرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بَغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ ﴿١٥٥﴾ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٦﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ ﴿١٥٧﴾ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ﴿١٥٩﴾ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾

[النساء: ١٥٣-١٥٩].

أ- من مسلسل جرائم اليهود:

تتحدث أول آيتين من هذه الآيات الثمانية عن بعض جرائم اليهود مع رسول

الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبعض مخالفاتهم لنبيهم موسى عَلَيْهِ السَّلَام.

- يذكر الله لرسوله محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سوء تعامل اليهود مع الأنبياء، فقد سأله أن ينزل عليهم كتاباً من السماء ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تَنْزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾ ويواسيه على ما يواجهه من قبائح اليهود، مُخبراً إياه بأن أسلافهم من بني إسرائيل قد سألو موسى عَلَيْهِ السَّلَام من قبل سؤالاً أكبر وأفزع، فقد طلبوا منه أن يروا الله جهرة عياناً، وأن يقف أمامهم مجسماً، ويقول أنا الله: ﴿فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً﴾ وعاقبهم الله على ذلك السؤال، فأخذتهم الصاعقة بسبب ذلك الظلم الفاجر: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ﴾.

- ومن جرائمهم مع موسى عَلَيْهِ السَّلَام أيضاً أنهم اتخذوا العجل إلهاً لما غاب عنهم وذهب إلى جبل الطور لمناجاة الله ﴿ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَعَاتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُّبِينًا﴾، وقد أخذ الله عليهم الميثاق لما رفع فوقهم جبل الطور في حياة موسى عَلَيْهِ السَّلَام: ﴿الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ﴾، وأخذ عليهم الميثاق الغليظ بعد وفاة موسى عَلَيْهِ السَّلَام، عندما أمرهم أن يدخلوا باب الأرض المقدسة ساجدين شاكرين لله ﴿وَقُلْنَا لَهُمْ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾. وأخذ عليهم الميثاق الغليظ بعد ذلك عندما نهاهم عن الاعتداء على حرمة يوم السبت ونهاهم عن صيد السمك فيه: ﴿وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ﴾. ولم يلتزموا بالميثاق الغليظ الذي أخذه عليهم عند جبل الطور، ولم يدخلوا باب الأرض المقدسة ساجدين، وإنما دخلوا محرفين يزحفون على أستاذهم، ولم يلتزموا بحرمة يوم السبت فمسخهم الله قردة خاسئين^(١).

(١) الخالدي، القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث (٤/ ٣٦٢).



- وسجلت الآيات التالية (١٥٥ - ١٥٩) جرائم اليهود التي استحقوا بها لعنة الله وسخطه، ومن أفضع هذه الجرائم تصميمهم على قتل وصلب عيسى عَلَيْهِ السَّلَام، ولولا أن الله رفعه إليه لقتلوه وصلبوه، وبدأت الآيات بذكر نقضهم الميثاق الغليظ: ﴿فِيمَا نَقَضِهِمْ مِيثَقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾ [المائدة: ١٣].

ب- من أسباب لعنة الله لليهود:

تقدّمت الآيات الآنفة الذكر بتسجيل تلك الأسباب:

١. ﴿فِيمَا نَقَضِهِمْ مِيثَقَهُمْ﴾؛ ونقض الميثاق الغليظ يقود إلى لعنة.
 ٢. ﴿وَكُفِّرْهُمْ بَعَائِتِ اللَّهِ﴾ كفروا بالحق لما جاءهم، وهذا الكفر أوقع بهم اللعنة.
 ٣. ﴿وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بَغَيْرِ حَقٍّ﴾ اليهود قتلة، وفعلوا ذلك بغياً وعدواناً بدون حق، ولا يمكن أن يقتل نبي بحق، وهذا سبب في لعنتهم.
 ٤. ﴿وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾؛ رفضوا قبول الحق الذي جاءهم به محمد، وزعموا أن قلوبهم عليها أغطية سميكة، فلا تفقه ولا تعقل ما يقوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام.
- وقد كذبهم الله في قولهم هذا، فأخبر أنه هو سبحانه الذي طبع وختم عليها بسبب كفرهم، ولذلك لا تهتدي مهما جاءها من الهدى: ﴿بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾. وبما أن الله طبع على قلوبهم بسبب كفرهم، فإنهم لم يؤمنوا بالإيمان الصحيح الكامل الذي أوجبه الله عليهم، وإنما آمنوا إيماناً (قليلاً)، وهو إيمان مزاجي (تجزئي)، فهذا لا يقبل في الإيمان ﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾،

وإيمانهم التجزيئي القليل تمثل في إيمانهم ببعض كتب الله: كالتوراة، لكنهم كفروا ببعض كتب الله: كالإنجيل والقرآن.

كما تمثل ذلك الإيمان القليل المرفوض في إيمانهم ببعض رسل الله، كموسى وهارون وداود وسليمان عليهم الصلاة والسلام، لكنهم كفروا ببعض رسل الله، كعيسى ومحمد (عليهما الصلاة والسلام). ومعلوم أن من كفر ببعض كتب الله؛ فهو كافر بها كلها، ومن كفر ببعض رسل الله؛ فقد كفر بها كلها، ولا ينفع في ذلك الإيمان التجزيئي القليل.

٥. ﴿بِكُفْرِهِمْ﴾؛ لعن الله اليهود بسبب كفرهم، وليس السبب الخامس هذا (بِكُفْرِهِمْ) تكراراً للسبب الثاني ﴿وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾؛ لأنه لا تكرار في العرض القرآني، والسبب الثاني ذكر كفرهم مقيّداً، وهو كفرهم بآيات الله، ومعلوم أن الكفر بآيات الله أو بعضها، كفر بالله، مخرج من دين الله.

وأما هذا السبب الخامس، فقد أطلق كفرهم ولم يقيد به (وبِكُفْرِهِمْ) لكن عندما نربطه مع ما بعده من مكرهم بعيسى عَلَيْهِ السَّلَام، فإنه يدل على أن المراد به كفرهم برسل الله، لأنهم أرادوا قتل أحد رسله، فكفر اليهود بآيات الله تسبب بلعنهم، وكفرهم برسل الله سبب آخر خاص للعتتهم.

٦. ﴿وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَنًا عَظِيمًا﴾؛ موقف اليهود المجرمين من مريم العفيفة البتول عَلَيْهِمَا السَّلَام، سبب مستقل من أسباب لعنتهم، يضاف للأسباب الأخرى^(١). والبهتان العظيم الذي قالوه عليها هو: فريتهم عليها واتهامها بالزنا -وهي الطاهرة العفيفة- وتصريحهم بأن ابنها عيسى عَلَيْهِ السَّلَام ابن زنا؛ لعائن الله عليهم.

(١) الخالدي، القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث (٤/ ٣٦٥).



٧. ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ﴾؛ هذا القول الكبير الفاجر الذي قالوه يسجل جريمتهم الشنيعة التي أقدموا عليها، وهي تصميمهم على قتل عيسى عَلَيْهِ السَّلَام، بل قتلهم شخصاً يظنونه المسيح عيسى ابن مريم، وقد لعنهم الله بسبب هذا القول الفظيع، وقد جمعوا في هذا القول بين التفاخر فيما صمّموا عليه من قتل عيسى عَلَيْهِ السَّلَام والتباهي به، وبين السخرية بعيسى عَلَيْهِ السَّلَام والتهكم عليه، والسخرية في الصفات التي أطلقوها على عيسى عَلَيْهِ السَّلَام.

﴿إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ﴾؛ لقد عرّفوه بالكلمات الأربع التي أطلقوها، ومع أنها حقيقية في إطلاقها عليه، فهو المسيح، وهو عيسى، وهو ابن مريم، وهو رسول الله، لكنهم لم يطلقوها عليه من باب الإيمان بها، فلو كانوا مؤمنين بها لما صمّموا على قتله، إنما أطلقوها عليه ساخرين متهممين^(١). قال الإمام ابن كثير: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ﴾ أي: هذا الذي يدّعي لنفسه هذا المنصب قتلناه، وهذا منهم من باب التهكم والاستهزاء. وهذا كقول المشركين لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَقَالُوا يَأَيُّهَا الَّذِي نَزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ [الحجر: ٦]^(٢).

ج- اليهود ما قتلوا عيسى ولا صلبوه:

لما سجل الله تعالى عليهم جرائمهم السبعة الفظيعة التي استحقوا بها لعنته وغضبه وسخطه، كذبهم في زعمهم: قتل عيسى عَلَيْهِ السَّلَام، فقال الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا

(١) المصدر السابق، ٤/ ٣٦٥.

(٢) تفسير ابن كثير، ١/ ٥٤٣.

لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا أَتْبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿النساء: ١٥٧-١٥٩﴾.

فبين الله تعالى كذب اليهود فيما زعموه، وأنه لم يقتل اليهود عيسى عَلَيْهِ السَّلَام، ولم يصلبوه، ولكن قتلوا وصلبوا شبيهه. والصلب هو تعليق الإنسان للقتل، والصلب: أصله الخشب الذي يصلب عليه، والصلب الذي يتقرب به النصراني، وسُمي بذلك لكونه على هيئة الخشب الذي زعموا أنه صُلب عليه عيسى عَلَيْهِ السَّلَام^(١). واليهود من مكر الله بهم لم يقتلوا عيسى، وإنما قتلوا الشبيه وصلبوه طائنين بأنهم قتلوا عيسى^(٢)، والذي شبه لهم هو الشخص المقتول، حيث ألقى الله شبه عيسى عَلَيْهِ السَّلَام على الشخص الآخر، فأخذوه وقتلوه وهم يوقنون أنه عيسى، مع أنه لم يكن عيسى في الحقيقة^(٣).

٣- ما الذي جرى ليلة القبض على الشبيه:

إن قضية قتل عيسى عَلَيْهِ السَّلَام وصلبه قضية يتخبط فيها اليهود، كما يتخبط فيها النصراني بالظنون، فاليهود يقولون: إنهم قتلوه، ويسخرون من قوله: إنه رسول الله، فيقررون له هذه الصفة على سبيل السخرية. والنصارى يقولون: إنه صُلب ودفن ولكنه قام بعد ثلاثة أيام.

(١) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص ٤٩٩.

(٢) الخالدي، القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث (٤/ ٣٦٧).

(٣) المصدر السابق، (٤/ ٣٦٩).



وما من أحد من هؤلاء أو هؤلاء يقول ما يقول عن يقين، فلقد تتابعت الأحداث سراعاً، وتضاربت الروايات وتداخلت في تلك الفترة، بحيث يصعب الاهتداء فيها إلى يقين، إلا ما يقصّه رب العالمين.

وتروي الأنجيل الأربعة قصة القبض على المسيح وصلبه وموته ودفنه وقيامته، وكلها كتبت بعد فترة من عهد المسيح، كانت كلها اضطهاد لديانته ولتلاميذه، يتعذر معه تحقيق الأحداث في جو السرية والخوف والتشريد، وقد كتبت معها أناجيل كثيرة، ولكن هذه الأنجيل الأربعة اختيرت قرب نهاية القرن الثاني للميلاد، واعتبرت رسمية واعترف بها، لأسباب ليست كلها فوق مستوى الشبهات^(١).

وهكذا لا يستطيع الباحث أن يجد خبراً يقينياً عن تلك الواقعة التي حدثت في ظلام الليل قبل الفجر، ولا يجد المختلفون فيها سنداً يرجح رواية عن رواية: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ﴾. وأما الله تعالى في كتابه العزيز؛ فقد قرّر قراره الفصل: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾، ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ ﴿١٥٧﴾ بَل رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿النساء: ١٥٧-١٥٨﴾^(٢).

وقد اهتم مؤرخو الإسلام بهذه الحادثة، وخير من لخص تلك الأحداث المفسر والمؤرخ الكبير ابن كثير (وهو من علماء بلاد الشام المطلعين على تاريخها)، وإليك ما فصله حول هذه الحادثة في تفسيره؛ حيث قال:

(١) محاضرات في النصرانية، محمد أبو زهرة، نقلا عن ظلال القرآن، المملكة العربية السعودية، الرياض: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ط ٤، ١٤٠٤ هـ، (٢/٨٠٢).

(٢) في ظلال القرآن (٢/٨٠٢).

وكان من خبر اليهود -عليهم لعائن الله وسخطه وغضبه وعقابه- أنه لما بعث الله عيسى ابن مريم بالبينات والهدى، حسدوه على ما آتاه الله من النبوة والمعجزات الباهرة، التي كان يبرئ بها الأكمه والأبرص ويحي بها الموتى بإذن الله، إلى غير ذلك من المعجزات التي أكرمه الله بها وأجراها على يديه، ومع هذا كذبوه وخالفوه، وسعوا في أذاه بكل ما أمكنهم، حتى جعل عيسى عَلَيْهِ السَّلَام لا يساكنهم في بلدة، بل يكثر السياحة هو وأمه، ثم لم ينعهم ذلك حتى سعوا إلى ملك دمشق في ذلك الزمان -وكان رجلاً مشركاً من عبدة الكواكب، وكان يقال لأهل ملته اليونان- وأنهوا إليه أن في بيت المقدس رجلاً يفتن الناس ويضلهم، ويفسد على الملك رعاياه، فغضب الملك من هذا، وكتب إلى نائبه بالقدس أن يحتاط على هذا المذكور، وأن يصلبه ويضع الشوك على رأسه، ويكف أذاه على الناس؛ فلما وصل الكتاب امتثل والي المقدس ذلك.

وذهب هو وطائفة من اليهود إلى البيت الذي فيه عيسى عَلَيْهِ السَّلَام، وهو في جماعة من أصحابه -اثنا عشر أو ثلاثة عشر، وقيل: سبعة عشر نفرًا- وكان ذلك يوم الجمعة بعد العصر ليلة السبت، فحصره هناك؛ فلما أحس بهم وأنه لا محالة من دخولهم عليه، أو خروجه إليهم، قال لأصحابه: أيكم يلقي عليه شبي، وهو رفيقي في الجنة؟ فانتدب لذلك شاب منهم، فكأنه استصغره عن ذلك، فأعادها ثانية وثالثة، وكل ذلك لا ينتدب إلا ذلك الشاب -فقال: أنت هو- وألقى الله عليه شبه عيسى، حتى كأنه هو، وفتحت روزنة من سقف البيت، وأخذت عيسى عَلَيْهِ السَّلَام سِنَّةً من النوم، فرفع إلى السماء وهو كذلك، كما قال الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اذْخُلِ الْبَيْتَ بِهَٰذَا الصَّبَإِ وَقُلْ لِّصَٰبِقَتَيْ هَٰذَا السَّبْإِ اذْخُلَا هَٰذَا الْبَيْتَ مَعَ رَبِّكِ هَٰذَا صَبَإُكِ وَهَٰذَا صَبَإُكِ وَهَٰذَا صَبَإُكِ﴾ [آل عمران: ٥٥].



فلما رفع عيسى من سقف البيت، خرج أولئك النفر من البيت؛ فلما رأى اليهود والجنود ذلك الشاب ظنوا أنه عيسى، فأخذوه في الليل وصلبوه، ووضعوا الشوك على رأسه، وأظهر اليهود أنهم سعوا في صلبه وتبجحوا بذلك، وسلّم لهم طوائف من النصراري ذلك، لجهلهم وقلة عقلهم، ما عدا من كان في البيت مع المسيح، فإنهم شاهدوا رفعه، وأما الباقون فإنهم ظنوا كما ظن اليهود أن المصلوب هو المسيح ابن مريم، حتى ذكروا أن مريم جلست تحت ذلك المصلوب، وبكت.

وهذا كله من امتحان الله عباده، بما له في ذلك من الحكمة البالغة، وقد أوضح الله الأمر وجلاه وبينه وأظهره في القرآن العظيم الذي أنزله على رسوله الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حيث بين أنهم ما قتلوا عيسى عَلَيْهِ السَّلَام وما صلبوه، ولكن شُبّه لهم، حيث ألقى الله شبهه على ذلك الشاب، فبدا لهم عيسى، فقتلوا الشاب وصلبوه ظانين أنه عيسى.

وأخبر الله الذين اختلفوا في عيسى عَلَيْهِ السَّلَام من اليهود الذين ادعوا قتله والنصارى الجهال الذين سلّموا لهم بذلك كلهم في شك وحيرة وضلال من ذلك، وأخبر الله أنهم ما قتلوه، متيقنين أنه هو، وإنما كانوا شاكين متوهمين، وأما عيسى عَلَيْهِ السَّلَام؛ فقد رفعه الله إليه، والله هو العزيز الحكيم^(١).

وفي رواية عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: لما أراد الله أن يرفع عيسى إلى السماء، خرج عليهم من عين في البيت، ورأسه يقطر ماء، فقال: إن منكم من يكفر بي

(١) الخالدي، القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث (٤/٣٧٢)، نقلاً عن تفسير ابن كثير (١/٥٤٣ - ٥٤٤) بتصرف.

اثنتي عشرة مرة، بعد أن آمن بي. ثم قال: أيُّكم يلقي عليه شبيهي، فيقتل مكاني ويكون معي في درجتي؟ فقام شاب من أحدثهم سنًا، فقال له: اجلس. ثم أعاد عليهم، فقام ذلك الشاب، فقال: اجلس، ثم أعاد عليهم فقام الشاب، فقال: أنا. فقال: هو أنت. فألقي عليه شَبَهُ عيسى، ورُفِعَ عيسى من روزنة في البيت إلى السماء، وجاء الطلب من اليهود فأخذوا الشبيه فقتلوه، ثم صلبوه، فكفر بعيسى بعضهم اثنتي عشر مرة، كما قال لهم.

وافترق النصارى في عيسى ثلاث فرق:

- قالت فرقة منهم: كان الله فينا ما شاء، ثم صعد إلى السماء. وهؤلاء هم اليعقوبية.
- وقالت فرقة أخرى: كان ابن الله فينا ما شاء الله، ثم رفعه الله إليه. وهؤلاء النسطورية.

- وقالت فرقة أخرى: كان فينا عبد الله ورسوله ما شاء الله، ثم رفعه الله إليه. وهؤلاء هم المسلمون. فتظاهرت الفرقتان الكافرتان على الفرقة المسلمة، فقتلوهما، فلم يزل الإسلام طامسًا، حتى بعث الله محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس^(١).

د- ترتيب أحداث مسلسل تلك الليلة:

من خلال النظر فيما سبق، يمكننا تصوّر تلك الليلة، وتصوير ما جرى فيها بإيجاز:
- نجح اليهود في إقناع الحاكم الروماني في إلقاء القبض على عيسى وقتله، حيث أمر الحاكم بتنفيذ ذلك.

(١) القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث، الخالدي (٤/٣٧٣). وانظر: تفسير ابن كثير (١/٥٤٤ - ٥٤٥).



- توجهت مجموعة من الجنود الرومان واليهود إلى المكان الذي يوجد فيه عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لتنفيذ أمر الحاكم.
- المكان الذي كان يقيم فيه عيسى كان في بيت المقدس، حسب سياق أحداث القتل والصلب ودرب الآلام بعد ذلك.
- كان عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في أحد بيوت القدس في تلك الليلة مع اثني عشر رجلاً من الحواريين كما قال ابن عباس، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.
- علم عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بقدوم الجنود واليهود لاعتقاله وقتله وصلبه، فلم يخف ولم يحزن ولم يقلق؛ لأنه يوقن أن الله معه يحفظه ويحميه.
- أخبر الله عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أنهم لن يصلوا إليه ولن يؤذوه، وأنه سيُلقي شبهه على أحد تلاميذه الحواريين وأنه سيرفعه إليه، وطلب منه أن يسألهم ليتبرع أحدهم ليلقي الله عليه شبه عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ فيكون المصلوب الشهيد.
- أخبر عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ الحواريين أن الله سيحميه من الجنود واليهود، وأنه سيرفعه إليه، وذلك ليطمئنهم عليه.
- عرض عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ على الحواريين الاثني عشر أن يتبرع أحدهم ليفديه بنفسه، بأن يلقي شبهه عليه، فيؤخذ ويقتل ويُصلب ويموت شهيداً، وضمن لذلك الفدائي أن يكون معه في الجنة.
- استجاب لعرض عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ شاب، لعلّه كان من أصغر الموجودين سنّاً، فاستصغره عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وأراد من هو أكبر منه، ولكن لم يستجب له في المرات الثلاثة التي انتدبهم فيها إلا هو، فقال له عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: هو أنت!
- لم يذكر اسم ذلك الشاب المتطوع العظيم، الذي بذل نفسه وحياته وعمره لله، فهو من مبهمات القصة.

- أجرى الله على ذلك الشاب أمره، وأوقع عليه آيته الخارقة، حيث حوله الله من ملامحه الأصلية التي خلقه عليها، إلى ملامح عيسى عَلَيْهِ السَّلَام، فما هي إلا لحظات حتى تحول الشخص إلى شبه عيسى، وكل من رآه لا يشك أنه عيسى، ولا يعرف كيف فعل الله ذلك، لأننا لا نعرف كيفيات أفعال الله.

- نظر الحواريون الذين في البيت إلى ذلك الشخص فإذا هو عيسى، لأنه أشبهه شبهاً كاملاً وهم يعلمون أن الله ألقى شبه عيسى عليه.

- لما وصل اليهود والجنود إلى ذلك البيت كان فيه شخصان، كل منهما عيسى: عيسى الحقيقي النبي الكريم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام، وعيسى الآخر المتقمص لشخصيته، الذي ألقى الله شبه عيسى عليه والحواريون يرون الشخصين.

- لما أراد اليهود والجنود دخول البيت، أجرى الله آية أخرى باهرة، حيث فتح سقف البيت فتحة معجزة بأمره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

- ألقى الله على عيسى عَلَيْهِ السَّلَام سنة من النوم، وهو بين تلاميذه وحوارييه، تمهيداً لرفعه إلى السماء من الفتحة التي في سقف البيت، والحواريون الذين في المنزل ينظرون إليه ويلاحظون هذه الآية الباهرة من آيات الله، وقد اطمأنوا على نجاة نبيهم وحببيهم عيسى عَلَيْهِ السَّلَام^(١).

- دخل اليهود والجنود البيت، ورأوا أمامهم (عيسى) وهو في الحقيقة عيسى الثاني، عيسى المتحول شبهه عيسى النبي الذي رفع إلى السماء، ونظروا إليه وهم لا يشكون لحظة أنه عيسى عَلَيْهِ السَّلَام.

(١) القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث، الخالدي، (٤/ ٣٧٥).



- أخذ الجنود عيسى الشبيه لقتله وصلبه، ويبدو أنه لم يكلمهم كلمة واحدة، ولم ينف أنه عيسى النبي، ولم يخبرهم أن عيسى الحقيقي النبي في السماء، وأنهم فشلوا في القبض عليه وقتله، لكنه استعد للقتل والاستشهاد.

- لا نعرف ماذا جرى للحواريين الأحد عشر الآخرين الذين كانوا في المنزل، هل اعتقلوا أم هربوا أم قُتل بعضهم وأُفرج عن الآخرين، فهذا من مبهمات القصة. - أخذ الجنود واليهود عيسى الشبيه، وصلبوه على الخشبة، وقتلوه على الصليب، وخرجت روح هذا الفدائي المؤمن - وهو على الصليب - ولقي الله شهيداً، في حين كان عيسى النبي في السماء عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام.

- كان الناس يأتون إلى الشاب المصلوب الشهيد ينظرون إليه، فإذا به عيسى، ولا يشكون لحظة أنه عيسى؛ لأن الله ألقى شبه عيسى عليه، وهم لا يعرفون المعجزة التي أجراها الله، وكانوا بين فرح شامت وبين حزين متألم، وبعد حين أنزلوا الشهيد المصلوب ودفنوا جثته.

- كان اليهود فرحين شامتين؛ لأنهم قتلوا عيسى وصلبوه - وهو في الحقيقة شبيه عيسى - وأذاعوا في الناس، وقالوا ساخرين: إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله.

- لم تعلم النصارى ماذا جرى من معجزات ربانية في تلك الليلة، فأيقنوا أن الذي شاهدوه ميتاً على الصليب هو نبيُّهم عيسى ابن مريم، فصدقوا اليهود في تبجحهم في قتله، وقالوا: قتلوا وصلبوا نبيناً عيسى^(١).

(١) المصدر السابق (٤/٣٧٦).

- صبَّ اليهود والرومان العذاب على الحواريين، وعلى كل من آمن بعيسى عَلَيْهِ السَّلَام، وقتلوا منهم وصلبوا وسجنوا وشرَّدوا، ولم يلتقط النصارى أنفاسهم ليفكروا بتأنٍّ وتمهّل فيما جرى في تلك الليلة، ووقع اختلاف شديد بين النصارى في أحداث الليلة المذكورة، فصدّقوا اليهود في ادّعائهم أنهم قتلوا عيسى عَلَيْهِ السَّلَام ودخل الشرك على النصرانية، فاختلفوا في عيسى عَلَيْهِ السَّلَام، فمنهم من اعتبره إلهاً، ومنهم من اعتبره ابناً لله.

- بقيت أحداث تلك الليلة الحقيقية خافيةً على اليهود والنصارى، وكل ظنّهم أن المقتول المصلوب هو عيسى ابن مريم رسول الله، حتى بعث الله محمداً رسولاً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأنزل عليه القرآن، وذكر في آياته حقيقة ما جرى^(١).

٤ - نظرات في الآيات التي تحدثت عن قتل الشبيه:

بعد تلخيص تلك الأحداث في النقاط السابقة المتسلسلة، نفهم معنى قول الله تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ۖ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝١٥٨﴾ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿[النساء: ١٥٧-١٥٩].

- ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ﴾: لم يقتل اليهود عيسى عليه، ولم يصلبوه على الصليب.

- ﴿وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾: ألقي الله شبه عيسى ابن مريم على تلميذه، فصار ذلك التلميذ المشبه أمام الناس المشبه به تماماً، وأخذ اليهود والجنود عيسى

(١) المصدر السابق (٤/ ٣٧٧).



الثاني الشبيه وقتلوه وصلبوه، لكن عيسى ابن مريم الحقيقي رسول الله لم يقتلوه ولم يصلبوه.

- ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لِيِ شَكٍّ مِّنْهُ﴾: فهناك شخص مقتول، يشبه عيسى تماماً، لكن من هو؟ أهو عيسى الحقيقي أم عيسى الشبيه؟ اختلفوا في ذلك القتل والصلب على من وقع.

- ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا﴾: ينطبق على الطائفتين: اليهود الذين قالوا: إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله، والنصارى الذين قالوا: رسولنا عيسى، قتله اليهود وصلبوه. لقد كانت الطائفتان في شك من هوية المقتول المصلوب.

- ﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ﴾: ليس عند اليهود والنصارى علم جازم يقيني في المقتول، هل هو عيسى أم غيره؟

- ﴿إِلَّا اتَّبَاعَ الظَّنِّ﴾: بعد نفى على اليهود والنصارى العلم بهوية المقتول، أثبت لهم الظن فيه، وأنكر عليهم اتباع ذلك الظن الذي لا يقود إلى اليقين، وإنما إلى الحيرة والشك، والمعنى: شاهد اليهود والنصارى شخصاً مقتولاً مصلوباً يشبه عيسى شبيهاً تاماً كاملاً، فاختلفوا في تحديد هويته، أهو عيسى أم غيره، ولم يحققوا في ذلك علماً وصاروا في شك وحيرة، لأنهم اتبعوا الظن، واتباع الظن يقود للشك، ولا يوصل صاحبه إلى علم^(١).

- ومعنى قوله: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾: بعدما نفى عنهم العلم بهويته، نفى عن اليهود القتل اليقيني لعيسى عَلَيْهِ السَّلَام، فقال: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾، والضمير الهاء في ﴿وَمَا قَتَلُوهُ﴾ يعود على عيسى عَلَيْهِ السَّلَام: أي: ما قتلوا عيسى متيقنين أنه عيسى، بل كانوا في ذلك شاكين متوهمين.

لقد قتلوا شخصًا ظنوه عيسى، لكنهم ما قتلوا عيسى يقينًا، وإذا كانوا ما قتلوا عيسى ابن مريم رسول الله فأين عيسى إذًا؟ وماذا كانت نهايته؟ وماذا جرى له في تلك الليلة؟

الجواب في قوله تعالى: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٥٨].
- ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾: بل: حرف إضراب، فقد تمّ فيها الإضراب عن الكلام السابق وإبطاله وإلغاؤه وهو مزاعم اليهود بقتل عيسى، وإن قوله: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾: إبطال وإلغاء لقول اليهود: ﴿إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ﴾؛ وهو صريح في أن الله رفعه بروحه وبدنه حيًّا من سقف البيت إلى السماء.

لقد وعد الله عيسى قبل تلك الحادثة أن يتوفاه، ويرفعه إليه؛ وذلك في قوله تعالى: ﴿يَعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْهِ وَإِنِّي سَأَلْتُكَ عَلَيْهِ النُّومَ، ثُمَّ أَرْفَعُكَ إِلَيَّ، وَبِذَلِكَ أَطْهَرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا، وَلَمَّا صَارَ عِيسَى فِي الْخَطَرِ وَجَاءَ الْيَهُودَ وَالْجُنُودَ لِقَتْلِهِ وَصَلَبِهِ، حَقَّقَ اللَّهُ لَهُ وَعْدَهُ، وَتَوَفَّاهُ وَأَلْقَى عَلَيْهِ النُّومَ، ثُمَّ جَعَلَ فَتْحَةً فِي سَقْفِ الْبَيْتِ وَرَفَعَهُ إِلَيْهِ فِي السَّمَاءِ، وَكَانَ رَفَعُهُ بِرُوحِهِ وَبَدَنِهِ، رَفْعًا رَبَانِيًّا خَاصًّا، وَهُوَ آيَةٌ بَيِّنَةٌ وَمُعْجَزَةٌ بَاهِرَةٌ.

- ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾: عقبَت الآية على رفع عيسى إلى السماء بالإشارة إلى عِزَّةِ الله، وهذا تعقيب يتناسب مع ما قبله، فالله عزيز قوي قادر قاهر، ينصر أوليائه ويحفظهم ويفرج عنهم ويحميهم من أعدائهم، كل ذلك بعِزَّتِهِ، ولذلك رفع عيسى عَلَيْهِ السَّلَام إليه ونجاه من مكر اليهود بعِزَّتِهِ، والله حكيم في تدبيره وتقديره وقضائه وتصريف أمور خلقه؛ ومن حكمته إنجاء رسوله عَلَيْهِ السَّلَام بتلك الطريقة الباهرة، وإيقاع أعدائه في الحيرة والظن والشك والوهم^(١).



وعندما ننظر في حديث القرآن عن أحداث تلك الليلة؛ فإننا نرى تأكيد اليهود على قتل عيسى، وذلك التأكيد الذي ظهر في قولهم: ﴿إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ﴾؛ حيث جمعوا بين اسمه ولقبه ووصفه، للتأكيد على جزمهم بقتله. ونرى أيضاً تأكيد القرآن على كذبهم في تأكيدهم باستخدام ثلاث جمل منفية ﴿وَمَا قَتَلُوهُ﴾، ﴿وَمَا صَلَبُوهُ﴾، ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾، لقد نفى قتلهم له، ثم أكد ذلك بنفي صلبهم له، والنفيان متلازمان، فبما أنهم لم يقتلوه، فإنهم لم يصلبوه، والنفي الثالث ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾، وبما أن اليهود لم يقتلوا عيسى رسول الله، وإنما رفعه الله إليه، فهو حي عنده في السماء، لم يمت وسينزل في آخر الزمان بأمر الله ويعيش باقي عمره الذي قدره الله له، وسيؤمن به أهل الكتاب الذين يكونون أحياء عند نزوله على أنه عبد الله ورسوله، وقد أشار إلى هذا المعنى قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٥٩]^(١). وسيأتي الحديث عن هذه الآية عندما نتكلم عن نزول عيسى عَلَيْهِ السَّلَام في آخر الزمان.

٥- اضطراب الأناجيل في أحداث تلك الليلة وأقربها إنجيل برنابا:

إنَّ الأناجيل الأربعة: (متى، لوقا، مرقس، يوحنا)، وهي المعتمدة عند النصارى اضطربت في حديثها عن تلك الليلة اضطراباً كبيراً، واختلفت اختلافاً بيناً وتناقضت تناقضاً واضحاً، حيرَ النصارى المؤمنين بهذه الأناجيل، وجعلهم في شك واضطراب لا يعرفون ماذا جرى في تلك الليلة.

(١) المصدر السابق، (٤/ ٣٨٢).

وأقرب ما سجل في تلك الأناجيل من الحقيقة القرآنية التي عرضناها، هو ما ورد في إنجيل (برنابا) هو الإنجيل الذي لا يؤمن به النصارى، ولا يعتمدونه، حيث يرى (برنابا) - أحد حواربي عيسى عَلَيْهِ السَّلَام - أن أحد الحواربين وهو (يهوذا الإسخريوطي) هو الذي وشى بعيسى وتآمر عليه وخانه، واتفق مع اليهود للمجيء إليه واعتقاله، ولما جاء بهم ألقى الله شبه عيسى عليه، فأخذوا (يهوذا) وصلبوه على أنه عيسى. ويختلف برنابا في هذه النقطة مع ما سبق ذكره من قول ابن عباس وجمهور العلماء من أن المشبه الفدائي هو أحد الحواربين الصالحين، تبرع وتطوع ليقتل وينجو عيسى عَلَيْهِ السَّلَام والله أعلم بالذي حصل.

ورد في الفصل الحادي عشر بعد المئين من إنجيل برنابا أن عيسى عَلَيْهِ السَّلَام أخبرهم قبل أيام من الحادثة، أنه حان وقت مغادرته لهذا العالم: "ولما كان يسوع في بيت (نيقوديموس) وراء جدول (قدرون) عزى تلاميذه قائلاً: لقد دنت الساعة التي أنطلق فيها من هذا العالم، تعزوا ولا تحزنوا، لأنني أمضي ولا أشعر بمحنة" (١).

وورد في الفصل الثالث عشر بعد المئين من إنجيل برنابا، حوار بين عيسى عَلَيْهِ السَّلَام والحواريين ومنهم يهوذا الإسخريوطي: "وقال يسوع أيضاً الحق أقول لكم: إن واحداً منكم سيسلمني، فأتباع كخروف، ولكن ويل له، لأنه سيتم كل ما قال داوود أبونا عنه أنه سيسقط في الهوة التي أعدها للآخرين؟ فنظر من ثم التلاميذ بعضهم إلى بعض، قائلين بحزن: من سيكون الخائن. فقال حينئذ يهوذا: أنا هو يا معلم؟ أجاب يسوع: لقد قلت أنت لي من الذي سيسلمني" (٢).

(١) إنجيل برنابا، تحقيق: سيف الدين أحمد فاضل، دار القلم، دمشق، ط ١، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م، ص ٢٨٤.

(٢) إنجيل برنابا، ص ٢٨٤.



وُخَصَّصَ الفصل الخامس عشر والفصل السادس عشر بعد المئتين في الإنجيل للحديث عن ليلة رفع عيسى والقبض على الخائن.

قال: ”ولما دنت الجنود مع يهوذا من المحل الذي كان فيه يسوع، سمع يسوع دنو جمعٍ غفير، فلذلك انسحب إلى البيت خائفاً، وكان الأحد عشر نياماً، فلما رأى الله الخطر على عبده، أمر جبريل وميخائيل ورفائيل وأوريل سفراءه أن يأخذوا يسوع من العالم، فجاء الملائكة الأطهار وأخذوا يسوع من النافذة المشرفة على الجنوب، فحملوه ووضعوه في السماء الثالثة، في صحبة الملائكة التي تسبح الله إلى الأبد، ودخل يهوذا بعنف إلى الغرفة التي أُصعد منها يسوع وكان التلاميذ كلهم نياماً، فأتى الله العجيبَ بأمر عجيب فتغيّر يهوذا في النطق والوجه، فصار شبيهاً بيسوع، حتى اعتقدنا أنه يسوع، أما هو فبعد أن أيقظنا أخذ يفتش، لينظر أين كان المعلم، لذلك تعجبنا.. أجبنّا: أنت يا سيد هو معلمنا، أنسيّتنا الآن؟

أما هو فقد قال مبتسماً: هل أنتم أغبياء حتى لا تعرفوا يهوذا الإسخريوطي، وبينما كان يقول هذا، دخلت الجنود، وألقوا أيديهم على يهوذا؛ لأنه كان شبيهاً بيسوع من كلّ وجه، أما نحن فلما سمعنا قول يهوذا ورأينا جمهور الجنود هربنا كالمجانين، ويوحنا الذي كان ملتقاً بملحفة من الكتان ترك ملحفة الكتان وهرب عرياناً؛ لأنّ الله سمع دعاء يسوع، وخلص الأحد عشر من الشر، فأخذ الجنود يهوذا، وأوثقوه، ساخرين منه، لأنه أنكر -وهو صادق- أنه يسوع. فقال الجنود مستهزئين به: يا سيدي لا تخف لأننا قد أتينا لنجعلك ملكاً على بني إسرائيل، وإنما أوثقناك لأننا نعلم أنك ترفض المملكة. أجاب يهوذا:

لعلكم جنتم: إنكم أتيتم بسلاح ومصابيح لتأخذوا يسوع الناصري كأنه لص، أفتوثقونني، أنا الذي أرشدتكم إليه“^(١).

ويكمل برنابا سرد القصة إلى أن صلب يهوذا الإسخريوطي، ودفن على أنه عيسى؛ لأن الله ألقى شبه عيسى عليه^(٢).

وهذا العرض من برنابا -وهو شاهد عيان- يتوافق مع قوله تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾^(٣).

٦- اضطهاد اليهود للنصارى:

ثم إن اليهود اضطهدوا المسيحيين أنصار المسيح عَلَيْهِ السَّلَام اضطهاداً عظيماً حتى اختفى هؤلاء الحواريون وهربوا من القدس، ولجأ بعضهم إلى روما، وبدأت الدعوة المسيحية بالسُر، ولم يكن الإنجيل قد كتب، ولكنه كتب بعد ذلك بـ (٢٦٠ سنة)، فأدخلت الكثير من الروايات والتحريفات؛ حيث يوجد في نسخ الإنجيل أن المسيح نفسه قد صُلب. ونسخ أخرى تذكر أحداث حصلت بعد المسيح بعشرين سنة، فكيف يعقل أن تكون من رواية المسيح بعد ذلك؟ فواضح جداً أن الإنجيل حُرّف وأضيف إليه إضافات كثيرة لم تكن هي زمن المسيح عَلَيْهِ السَّلَام. وتابع اليهود اضطهادهم للمسيحيين وابتاتوا يقتلون أيّ مسيحي يجدونه أو ينفونه خارج فلسطين، وساعدت هذه الظروف في انتشار التحريف في الإنجيل وزيادة الروايات المكذوبة والخرافات فيه.

(١) المصدر السابق، ص ٢٨٨ - ٢٨٩.

(٢) إنجيل برنابا، ص ٢٨٩ - ٢٩٣.

(٣) القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث، الخالدي، (٤/ ٣٨٦).



بعد المسيح بثلاث سنوات توفي (بطليموس)، وسمح الإمبراطور الروماني الجديد لذرية هيرود بأن يعود للحكم الذاتي بشرط أن يدفعوا الضرائب، فبدأ اليهود يعودون إلى الحكم الروماني، واستمر الحواريون يدعون بالسر وأحياناً بالعلن، وبدأ الصراع الشديد بينهم وبين اليهود داخل فلسطين وفي خارجها، وصار اليهود يطردون أيّ مسيحي يقبضون عليه خارج فلسطين. ومن الذين هربوا كما ذكرنا حواريو المسيح، ومنهم بطرس الذي هرب إلى روما، وهناك بدأ يؤسس الجماعات المسيحية السرية، وجعل يركز في دعوته على اليهود الموجودين في روما وما حولها^(١).

وممن دخلوا في المسيحية رجل يدعى (بولس)، وكان هذا الأخير من ألد أعداء المسيحية، ثم انقلب فجأة، وبدون مقدمات إلى المسيحية، وأصبح عقلها المفكّر، وراعيها المدبّر، وكان أوّل إعلان له أنّ المسيح ابن الله، ونسب إلى المسيح أنه الإله المتجسد الذي نزل ليصلب، ويخلص البشرية على غرار الآلهة المخلّصين الوثنيين.

ولقد انتشرت عقيدة بولس في الخلاص بسبب الذي استخدمه لنشر دعوته، والطريقة التي سار عليها، إذ رأى أن يخرج بالمسيحية من دائرتها الضيقة في بيت المقدس إلى الميدان الواسع في البيئات غير اليهودية. ولكي تناسب دعوته هذا المجتمع الجديد أجرى بعض التعديلات للعقائد التي لا يرضى عنها هذا المجتمع الجديد.

إن عقيدة الخلاص المسيحية، التي من وضع (بولس) قائمة على أسس باطلة، وهي أنّ آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ أخطأ، وهذه الخطيئة انتقلت بالوراثة إلى كل أبنائه

(١) فلسطين التاريخ المصور، ص ٦٥.

والطريق الوحيد للخلاص منها هو ما زعموه من أن الله نزل وتجسّد في صورة بشرية ليُصلب ويتغلب على الموت فيقوم، وبذلك ينال الناس الخلاص^(١).
لقد رددتُ عن العقائد التي نسبت إلى عيسى عَلَيْهِ السَّلَام بُهتاناً وكذباً واختلاقاً في كتابي (المسيح عيسى ابن مريم: الحقيقة كاملة).

لقد نشطت الحركة السرية للدعوة المسيحية في روما بعد هروب بعض دعايتها من فلسطين، وعندما اكتشف الإمبراطور (نيرون) حاكم روما هذه الحركات السرية بدأ بالبحث عنها، وتمكن من القبض على (بطرس)، وعلى (بولس) وأمر بإعدامهما، ولكن أتباعهما استمروا على دعوتهم متأثرين بما كان موجوداً في روما من تماثيل وغيرها، وأضافوا عليها؛ فوضعوا تماثيل للمسيح، ووضعوا آخر لمريم عَلَيْهِمَا السَّلَام^(٢)، في مكان سيطرت عليه الوثنية الرومانية في تلك المرحلة.

٧- ثورة اليهود على الرومان وتدمير القدس:

ثار اليهود على الرومان في القدس، فأمر الإمبراطور الروماني بحصار القدس، فحوصرت أربع سنين لم يستطع خلالها الرومان أن يفتحوها، وعيّن الإمبراطور أحد أولاده وقادته الرئيسيين واسمه (قاصبيان) قائداً على فلسطين، للقضاء على ثورة اليهود، وذلك في عام ٦٦ م، ولكنه لم يستطع فتح القدس، وإسقاط الثورة وظلّ الصراع بين اليهود والرومان قائماً، وطال الحصار على اليهود.

(١) المسيح عيسى ابن مريم، ص ٣٨٨.

(٢) فلسطين التاريخ المصور، ص ٦٥.



وبعد أربع سنين تمكن ابن القائد (قاصيبان) ويدعى (تيتوس) من أن يدخل القدس بعد عناء طويل، اهتزت على أثره قوة وجبروت الإمبراطورية الرومانية بسبب طول الفترة التي قضاها في حصار القدس؛ ولذلك كان أول ما فعله (تيتوس) هو تدمير المدينة تدميراً كاملاً، وزعم اليهود أنه دمر الهيكل مرة أخرى بالكامل حسب ما جاء في الروايات اليهودية، ولم يبق في الهيكل حجر على حجر وعيّن على القدس حامية رومانية، وأسر اليهود وأخذوا من فلسطين مرة أخرى ليعودوا عبيداً في روما وكان هذا بداية منشأ اليهود في أوروبا، وظل بقية اليهود مختفين في داخل فلسطين^(١).

أ- إيلياء وخربة اليهود:

في عام ١٣٢م، تجمع اليهود مرة أخرى في هذا العام، واندلع التمرد الثاني ضد الرومان في مقاطعة يهودا الرومانية لأسباب غير معروفة، وقد قرر الإمبراطور هارديان فرض مزيد من الثقافة والمعتقدات الرومانية على مقاطعة يهودا، واعتزم هدم القدس وبناء مستعمرة رومانية مكانها، وبناء معبد روماني مكان الهيكل، كما أنه أصدر قراراً يمنع الختان^(٢).

قاد التمرد اليهودي (بارخوخبا) واسمه مشهور في تاريخ اليهود، واستطاع أن يسيطر على أحد القلاع ويتحصن بها، ولكن الإمبراطور الروماني (هادريان) قضى على هذه الثورة، ودمّر كل ما بناه اليهود، بل إنه مسح كل أثر يهودي من الأرض مسحاً، وأمر ببناء مدينة جديدة على أنقاض الأماكن اليهودية، ثم بنى

(١) القدس التاريخ المصور، ص ٦٦.

(٢) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية (١/ ٤٢٤).

هذا الإمبراطور بناء سماه (إيلياء)، وهو اسمه الأول (إيليا هادفيان)، وقيل اسم عائلته. وبني قلعة في المكان المشهور اليوم يسمى (خربة اليهود)، ذلك أنه دمر قلعة (بارخوخبا) وبني مكانها قلعة أخرى ويسمونها العرب (خربة اليهود)؛ لأن الإمبراطور خرب مكان اليهود ومكان الهيكل والأماكن المقدسة، ثم بنى معابد رومانية، وبني هيكلاً عظيماً للإله الروماني (جوبتر) مكان هيكل اليهود، واشتهرت القدس باسم جديد هو (إيلياء) بعد أن كانت (أورشليم)، وهذا هو اسمها المشهور في زمن المسلمين، ولذلك ورد في صحيح البخاري قصة الرسالة التي أرسلها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى هرقل^(١).

ب- منع اليهود من دخول القدس وتشريدهم:

بعد أن سيطر الرومان هذه السيطرة الكاملة على القدس أو إيلياء، أصدر الإمبراطور قراراً خطيراً يقضي بمنع دخول أي يهودي إلى القدس، بعد أن كان يُسمح لهم بالعبادة فيها فقط، وبقي هذا المنع لليهود سارياً ٢٠٠ سنة، حتى صار زمن الإمبراطور الروماني (أروليوس) الذي سمح لهم بالدخول للعبادة فقط، وتشرد في هذه الفترة بنو إسرائيل في الأرض تشرداً عظيماً، ولم يبق لهم وجود في فلسطين^(٢). وسيطرت الدولة الرومانية سيطرة كاملة، ومن ثم أصبحت بعد انقسام الدولة الرومانية إلى الشرقية والغربية تحت سيطرة الدولة البيزنطية حتى الفتح الإسلامي العظيم.

(١) القدس التاريخ المصور، ص ٦٧.

(٢) المصدر السابق نفسه.



٨- الإمبراطور قسطنطين يعنف المسيحية:

في عام ٣٢٤م، حدث أمر هام جداً في روما: حيث اعتنق إمبراطور روما قسطنطين المسيحية بعد دراسة للفلسفة والأديان والآلهة، لكنه أدخل مع المسيحية الفلسفات وعبادته السابقة والآلهة، وحاول الإمبراطور توحيد كلمة النصراني تحت سلطانه خشية على إمبراطوريته من الانقسام والفرقة؛ فجمع القساوسة في مؤتمر نيقية وتآمر مع بطريرك الإسكندرية واتفقوا على القول بوجود ثلاثة آلهة، وحاربت السلطات الحاكمة كل من كان يقول بغير تلك القالة. كما أن الإمبراطور قسطنطين كان وثنياً قبل أن يعتنق المسيحية، فلا غرابة أن يؤيد المقالة التي تنادي بوجود ثلاثة آلهة؛ لأن ذلك يتوافق مع أهوائه وعقيدته الوثنية السابقة^(١).

وقد كان لدخول الوثنيين في النصرانية أمثال الإمبراطور قسطنطين، الأثر الأكبر على تلقيح النصرانية بالتعاليم الوثنية، وتولدت عقيدة التثليث من قرارات المجامع الكنيسية المتعددة، وفي أزمنة مختلفة:

- مجمع نيقية سنة ٣٢٥م قرر ألوهية المسيح^(٢):

واستطاع الإمبراطور قسطنطين أن يسيطر على الدولة البيزنطية التي كانت عاصمتها (القسطنطينية) (اسطنبول في وقتنا الحاضر)؛ فظلت القسطنطينية في أملاك روما، وكذلك سيطر على ممتلكات بيزنطة، ومنها الشام وفلسطين،

(١) المسيح عيسى ابن مريم، ص ٤٦٠.

(٢) المصدر السابق، ص ٤٦٣.

واعتنقت والدّة هذا الإمبراطور المسيحية أيضاً، وكان أن زارت القدس، فلما وصلتّها جعلت تسأل عن تاريخ المسيح عَلَيْهِ السَّلَام فأرشدوها إلى الآثار والأماكن، فلما رأتها أمرت ببناء كنيسة القيامة. وعليه فإن كنيسة القيامة ليست من زمن المسيح عَلَيْهِ السَّلَام، وإنما بنيت بعده بنحو ٣٢٤ سنة، بنتها تلك المرأة في المكان الذي صلب فيه شبيه المسيح عَلَيْهِ السَّلَام. وكان من القرارات التي اتخذها قسطنطين، قرار جدد فيه منع اليهود من دخول القدس، فلم يلق اليهود المعاملة الحسنة من الإمبراطور الجديد، واستمر كذلك حكام الإمبراطورية الرومانية على نفس السياسة إلى أن جاء (جوليان).

ارتد هذا الأخير عن المسيحية وتبنّى اليهودية، ونتيجة لذلك أراد إعادة مقدسات اليهود وهمّ أولاً بإعادة بناء الهيكل اليهودي الذي ردم مرات كما رأينا، وصار مكانه بناء (جوبيتزر) غير أنه انشغل بأحداث كثيرة جداً منعتة من ذلك^(١).

٩- انقسام الإمبراطورية وحكم هرقل:

استمر الصراع بين اليهودية والمسيحية إلى أن جاء عام ٣٩٥م؛ حيث انقسمت الإمبراطورية الرومانية قسم في الشرق عاصمته (بيزنطا) وسمي الإمبراطورية البيزنطية وحاكمها (هرقل)، وقسم غربي كان في يد روما وسمي الإمبراطورية الرومانية. وباتت الإمبراطورية البيزنطية في الشرق، ومن ممتلكاتها فلسطين والشام والإمبراطورية الرومانية الغربية في أوروبا وعاصمتها روما، وظل الأمر في فلسطين هكذا إلى زمن النبي محمد ﷺ؛ أي بقيت فلسطين تحت

(١) القدس التاريخ المصور، ص ٦٨.



حكم الرومان البيزنطيين، ولم يكن لليهود خلال هذه الفترة وجود بارز في القدس، وإنما كان النصارى هم الذين كانوا يحكمون في تلك المناطق. وكان اليهود في فلسطين في تلك الفترة مبعثرين في أرجائها دون أيّ ثقل سياسي، أو عسكري فيها، وبالرغم من أنّ بعض ملوك الرومان مثل (جوليان) قد تبنوا اليهودية، لكن الذين جاؤوا بعده عادوا إلى النصرانية، فلم يعد لليهود حقيقة وجود قوي في فلسطين، وهكذا استمر هذا الوضع حتى مجيء الدولة الإسلامية بقيادة النبي ﷺ^(١).

١٠ - الفرس يطردون الروم من القدس:

في عام (٦١٤م) غزا الفرس فلسطين بقيادة كسرى الثاني ملك الفرس، واستطاعوا أن يسيطروا على فلسطين ويطردوا منها نصارى الروم، وانهبوا القدس وحطموا ودمروا كنيسة القيامة ونهبوا كنوزها، وشارك اليهود في هذه المعركة إلى جانب الفرس انتقاماً منهم بسبب ما فعله النصارى بهم، وجرت مذبحه عظمى شارك فيها اليهود، حيث قُتل خلق كثير من النصارى الرومان. قُدر في هذه المعركة نحو ستين ألف قتيل. وشارك اليهود كذلك في تدمير كنيسة القيامة وكنائس كثيرة أخرى في القدس وغيرها؛ ذلك أنّ اليهود كانوا يعتبرون النصرانية انحرافاً من اليهودية، ويعتبرونها كفراً بدينهم، وكانوا يطعنون في المسيح وأمه عَلَيْهِمَا السَّلَام، ولذلك لم يتورعوا عن المشاركة في هذه المجزرة العظيمة التي جرت للنصارى، ولقد كان اليهود يطمعون بذلك أن يسمح لهم

(١) المصدر السابق، ص ٦٩.

الفرس بإقامة دولة في فلسطين أو على الأقل في القدس، ولكن على عكس توقعاتهم رفض الفرس ذلك، وفرضوا على اليهود ضرائب ثقيلة جداً^(١).

ذكر القرآن الكريم الصراع الدولي في تلك الفترة التاريخية بين الفرس والروم، ونزلت سورة الروم، قال تعالى: ﴿الْم ۝ غَلَبَتِ الرُّومُ ۝ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝ فِي بَضْعِ سِنِينَ ۝ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ ۝ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ۝ بِنَصْرِ اللَّهِ ۝ يَنْصُرُ اللَّهُ مَن يَشَاءُ ۝ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۝ وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝ يَعْلَمُونَ ظَهْرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ۝﴾ [الروم: ١-٧].

كان مشركو قريش يحبّون أن يظهر أهل فارس على الروم، لأنهم وأبائهم أهل أوثان، بينما كان المسلمون يحبّون أن تظهر الروم على فارس، لأنهم أهل كتاب. كما أورد المفسرون تفصيلات كثيرة عن الرهان الذي جرى بين أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وبعض مشركي مكة حول المعركة القادمة بين الفرس والروم التي جزم فيها القرآن الكريم بانتصار الروم وهزيمة الفرس^(٢).

أ- وعد القرآن بأن الروم سينتصرون مرة أخرى على الفرس في بضع سنين: أي أقل من تسع سنوات (البضع من ٣ إلى ٩ سنوات)، والحقيقة كان هذا خبراً غريباً جداً، لأن هزيمة الروم كانت كبيرة وكان الفرس دولة عظمى، بل كانت دولتهم أعظم دولة في العالم وقتذاك، فكيف تهزم أمام الروم المكسورين؟

(١) القدس التاريخ المصور، ص ٧١.

(٢) تفسير القرطبي (١٢/٢١).



جعل كفار قريش من هذا الخبر القرآني أمراً للاستهزاء بالقرآن الكريم وكذبوه أيما تكذيب، فراهنهم أبو بكر الصديق - قبل أن يحرم الرهان - على مائة بعير أن هذا سيحدث خلال تسع سنين فراهنوه^(١).

وذهب ابن عطية إلى رأي يستحق التدبر، حيث قال: الأقرب أن يعلل ذلك -أي: فرح المؤمنين- بما يقتضيه النظر من محبة أن يغلب العدو الأصغر -الروم- لأنه أيسر مؤونة، لكن متى غلب الأكبر -الفرس- كثر الخوف منه، فتأمل هذا المعنى، مع ما كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يرجوه من ظهور دينه، وشرع الله الذي بعثه به وغلبته على الأمم، وإرادة كفار مكة أن يرميه الله بملك يستأصله، ويريحهم منه^(٢).

وابن عطية رَحِمَهُ اللَّهُ يرى أن فرح المؤمنين الأكبر ليس سببه الروم أهل الكتاب، وأن انتصارهم على الفرس سيكون دليلاً مادياً على صدق الخبر القرآني، وإنما سببه هو أن الله تعالى وظَّف القوة الجهادية الرومانية لصالح المسلمين الذين لم يقيم لهم سلطان جهازي بعد، إذ إنه بعد أن سلَّط الروم على الدولة الفارسية، فيحطموها، ويكسروا شوكتها سيخرجون من المعارك منتصرين، ولكنهم منهكو القوة، مما سيمهد طريقاً لنصر المسلمين عليهم، وينفتح للإسلام بذلك طريق للبروز كقوة عالمية جديدة على أنقاض القوتين المندحرتين^(٣).

ب- انحراف اليهود عن دعوة أنبياء بني إسرائيل عَلَيْهِمُ السَّلَام وعزلهم عن منصب

قيادة الإنسانية

(١) القدس التاريخ المصور، ص ٧١.

(٢) تفسير ابن عطية (٤٢٥ / ١١).

(٣) أصول الفكر السياسي، عبد القادر التيجاني، ص ١٥٨.

يرى القارئ في سورة الإسراء: أن الله ذكر قصة الإسراء في آية واحدة فقط، قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ ءَايَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١]، ثم أخذ في ذكر فضائح اليهود، وجرائمهم، ثم نبَّههم إلى أن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم. والارتباط بين الآيات في سورة الإسراء يشير إلى أن اليهود سيُعزلون عن منصب قيادة الإنسانية؛ نظراً لما ارتكبه من الجرائم التي لم يبق معها مجال لبقائهم على هذا المنصب، وأنه سيصير إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويجمع له مركز الدعوة الإبراهيمية كليهما. فقد آن أوان انتقال القيادة الروحية من أمة إلى أمة، من أمة ملأت تاريخها بالغدر والخيانة والإثم والعدوان، إلى أمة تتدفق بالبر والخيرات، ولا يزال رسولها يتمتع بوحى القرآن الذي يهدي للتي هي أقوم^(١).

إنَّ سورة الإسراء تعرضت للاستبداد الإسرائيلي، وبيّنت كيف تهاوى بين مخالب القوى الدولية الكبرى في ذلك الزمان (الفرس والروم)؛ ولذلك، فإن من الفوائد العظيمة في رحلة الإسراء لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأُمته بالمسجد الأقصى هي آياته التاريخية التي كان يعكسها الصراع الروماني الفارسي- الإسرائيلي قبل الإسراء^(٢).

قال تعالى: ﴿وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ إِلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا ۝ ذُرِّيَّةً مِّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ۝ وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدَنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوقَ كَبِيرًا ۝ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولَىٰ بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ

(١) الرَّحِيقُ الْمَخْتُوم، لصفِي الرَّحْمَنِ الْمُبَارَكْفُورِي، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م، مؤسَّسة الرِّسَالَة - لبنان، ص ١٢٠.

(٢) أصول الفكر السياسي في القرآن المكي، ص ١٤٩.



الدَّيَّارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكُرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنَّ أَحْسَنَكُمْ أَحْسَنُكُمْ أَنْفُسَكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسْئَلُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ [الإسراء: ٢-٧].

ذكر ابن كثير في البداية والنهاية: أن (بختنصر) بأمر من ملك الفرس^(١)، قام بتخريب مملكة اليهود، وجاس خلال الديار، وتفرقت بسبب ذلك بنو إسرائيل فنزلت طائفة في الحجاز وطائفة في يثرب، وطائفة بوادي القرى، وذهبت شردمة لمصر^(٢)، وقد وقع هذا الدمار الفارسي لدولة اليهود، في القرن السادس قبل الميلاد (٥٩٧ ق.م).

أما الدمار الثاني، وهو الدمار الروماني للدولة اليهودية (بعد أن أعيد بناؤها)، فقد وقع في القرن الميلادي الأول (٧٠م)، وذلك حين هدم القائد الروماني (تيتوس) هيكل أورشليم، وفرّ اليهود من وجه الاضطهاد الروماني السياسي الديني، وتتابعت هجرتهم، وانتهى بعضهم إلى جنوب الجزيرة العربية، حيث سبقهم أجدادهم الأوائل^(٣).

فالشتات اليهودي في أطراف الجزيرة العربية، ما زال يحمل جرثومة الفساد في الأرض، فإذا كان الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قد استوعب الظاهرة القرشية، واستعدّ لها، فعليه أن يحلل الظاهرة اليهودية ويستعد لها^(٤).

(١) يرى الدكتور فرست مرعي أن بختنصر كلداني وليس فارسيًا، ولا أمر من الملك الكلداني.

(٢) أصول الفكر السياسي، ص ١٥٢.

(٣) ابن خلدون (٢/٢٠٦).

(٤) أصول الفكر السياسي، ص ١٥١.

فاليهود ليسوا أمة تاريخية كعاد، وشمود، تُورد أخبارها للإرشاد، والاعتبار، إنما هم أمة لها حضور كثيف في الواقع العربي الذي يعيش فيه الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويتحرك فيه لإقامة دولة الإسلام؛ فقد كانوا يشكلون -فوق مكانتهم الاقتصادية- مركز سلطة فكرية؛ لما لهم من أخبار، وأخبار وكتب تراث نبوي، تؤهلهم لتحديد مواصفات النبوة، وطلب المعجزات، ووضع الشروط لصدق الرسل وصحة الرسالات، فإذا كان اليهود يستخدمون التوراة لمحاربة القرآن، وإذا كان محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتوقع معركة مع قريش؛ فعليه أن يتوقع معارك مع اليهود^(١). ولقد صورت سورة الإسراء جانباً من الصراع الدولي بين الفرس والروم واليهود، ونزلت بعدها سورة الروم، وهي كذلك تتحدث عن الصراع الدولي^(٢).

١١ - الروم يستردون القدس (عام ٥٥هـ - ٦٢٧م):

وبعد خمس سنوات من الهجرة، أي بعد سبع سنين من انكسار الروم قام (هرقل) بإعداد جيش ضخم، وهاجم الفرس في فلسطين واستطاع أن يهزمهم. ومن غرابة الأمر أن اليهود شاركوا مع النصارى في معركتهم ضدّ الفرس؛ لأنّ الفرس أثقلوا كاهل اليهود ولم يمنحوهم شيئاً مما طمعوا فيه من السيادة والملك، في أرض فلسطين والقدس، فكان أن قاتل اليهود إلى جانب النصارى ضدّ الفرس، وكان أن تلقى اليهود وعوداً من النصارى بتمكينهم في أرض فلسطين فيما لو قاتلوا جانبهم، وتمت هزيمة الفرس، وتحقق وعد الله تعالى في القرآن الكريم في أقل من تسع سنين كما أخبر تماماً^(٣).

(١) أصول الفكر السياسي، ص ١٥٣.

(٢) السيرة النبوية، الصلابي، (١/٣٢٢).

(٣) القدس التاريخ المصور، ص ٧٣.



١٢- النصارى يضطهدون اليهود:

رغم أنَّ النصارى وعدوا اليهود بالعفو وإعطائهم المكانة فإنَّ رجال الدين النصارى الذين كانوا هناك أعادوا إلى ذاكرة الرومان المجزرة التي قام بها اليهود مع الفرس في قتل النصارى، وعادوا يذكرون بهدم الكنائس والمقدسات المسيحية، فرفضوا أن يعفوا عن اليهود، وأصرّوا على (هرقل) أن يقتل اليهود بدل العفو عنهم.

واستجاب (هرقل) لمطالب رجال الدين النصارى؛ فنكث عهدهم مع اليهود، وأمر بقتلهم، وأحدث النصارى مجزرة عظيمة باليهود؛ فقتلوا منهم خلقاً كثيراً، وفرّ الباقيون خارج فلسطين، واختفى قسم منهم داخلها، فلم يبق لهم ذكر في الأرض المقدسة^(١).

الثاني عشر: هيكل سليمان المزعوم:

لم يرد ذكر لهيكل سليمان في القرآن الكريم، وإنما أشار القرآن الكريم إلى قصر سليمان عَلَيْهِ السَّلَام المصنوع من القوارير، وهو آية في الإعجاز والجمال، حتى إن ملكة سبأ أسلمت لله رب العالمين بعد مشاهدتها لهذا الإنجاز المعجز، قال تعالى: ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ^ط فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا^ط قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ^ط قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

﴿النمل: ٤٤﴾.

كما أشار القرآن الكريم إلى أنَّ الشياطين والجن كانوا يعملون لسليمان عَلَيْهِ السَّلَام ما يشاء من محاريب، وهي أماكن العبادة الخالصة لله ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحْرِبٍ﴾، ونحن نؤمن بأن بناء أماكن العبادة كان بناء في غاية الروعة والجمال والدقة، لا كبناء الآشوريين والبابليين في ذلك الوقت. بنى سليمان دولة قامت بنهضة حضارية شاملة، منها البناء المعماري المتفوق والتميز في ذلك الوقت، وطبيعي أن يبني سليمان عَلَيْهِ السَّلَام دور العبادة في دولته الواسعة. وأما هيكل سليمان عَلَيْهِ السَّلَام المزعوم والنصوص التي تخيلها كاتبو تاريخ اليهود على أن مكانه المسجد الأقصى حالياً، فهذا محض افتراء وتزوير للحقائق.

وهناك تناقض واضح في روايات الأسفار التي تحدثت عن الهيكل، وعن تحديد مكان بيت الله؛ مما يؤكد أن قضية الهيكل من أولها إلى آخرها لا يمكن تصديقها؛ لأن ما ورد عنها في الأسفار من التناقضات والاختلافات لا يمكن أن يكون وحياً سماوياً صادقاً، فإن الوحي لا يتناقض. وهناك خلاف كبير بين علماء اليهود وحاخاماتهم في تحديد مكان الهيكل، وهذا دليل دامغ وقوي على أن هيكل سليمان أكذوبة وأسطورة^(١).

- إن الآثار الأموية والعباسية والعثمانية تدلّ على إسلامية المسجد الأقصى البحتة التي لا يشترك معها أي ديانة أخرى، وينسف الادعاءات الباطلة لليهود بوجود أي أثر لهم في المسجد الأقصى.

- إن وجود المسجد الأقصى قبل الهيكل المزعوم بأزمان طويلة من أقوى الأدلة التاريخية التي تبطل مزاعم اليهود، وتكشف مدى مصداقية الرؤية الإسلامية في حق المسلمين بالمسجد الأقصى وفلسطين^(٢). وقد تحدّث الكثير

(١) هيكل سليمان في عقيدة اليهود، بشير إسماعيل، ص ٣٥٧.

(٢) القدس التاريخ المصور، ص ٤٣.



من المفكرين والمثقفين والعلماء عن الهيكل، وتلخيص ما وصلوا إليه من أبحاث كالاتي:

- الدكتور طارق سويدان:

قال: وتورد بعض المصادر أنَّ سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ هو النبي الذي بنى الهيكل الذي يزعم وجوده إلى اليوم، والصحيح الوارد في المصادر الإسلامية المعتمدة أن النبي سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ كان قد جدّد بناء المسجد الأقصى القديم ولم يَبْنِ هيكلًا، وإنما جاءت كلمة (هيكل) من كتب بني إسرائيل المحرّفة، التي لا تعتمد دليلاً أو سنداً. ولكي نوضح قضية الهيكل لا بد من بيان النقاط التالية التي وردت في كتب اليهود المقدسة:

أ- قام ببناء الهيكل المزعوم كثير من الجنود والبنائين الذين عرفوا فيما بعد باسم (الماسون) أي البناؤون، ومن هنا أتت كلمة (الماسونية) من أصل (بنائي الهيكل) وهي: حركة يهودية خطيرة منحرفة، تهدف إلى بسط نفوذ اليهود وأتباعهم في كل بلاد العالم، ولهم طقوس وشعائر عجيبة ومنحرفة ترجع إلى ذلك الزمان، وهي حركة معادية للإسلام ولكل الأديان عدا اليهودية. والانضمام إليها حرام وجريمة كبرى، وفيها عون للأعداء ضد المسلمين.

ب- تشير الروايات أنَّ الهيكل بُني في مكان ما في القدس إلى جانب الأقصى، ولكن لا يوجد أيّ تاريخ واضح أو دليل يحدّد مكان بنائه؛ ولكن يوجد وصف دقيق لشكله الداخلي والخارجي في الكتب المقدسة اليهودية.

ج- وصف بناء هذا الهيكل في الكتب اليهودية أقرب للخيال منه للواقع، وفيه مبالغات كبيرة وتهويل؛ جعلته قصراً كاملاً من الذهب. ويزعم اليهود أن في



كتبهم المقدسة وصفاً دقيقاً له، وفيها أن المحراب وهو قدس من الأقداس يبلغ طوله (١٠) أمتار، وعرضه (١٠) أمتار، وسماكته (١٠) أمتار، مغشى بالذهب، وهناك سلاسل كبيرة من الذهب ممتدة أمام المحراب، وتمائيل الملائكة المجنحة فيها سماكة كل واحد عشرة أذرع كلها أيضاً من الذهب.

هـ- كثير من المؤرخين يشككون في صحة ما روي عن الهيكل؛ لأن الكتب المقدسة لم تكتب إلا بعد عهد موسى بمئات السنين، تعرضت خلالها لكثير من التحريف والتبديل باعتراف كهنة اليهود أنفسهم.

و- اليهود اليوم يبحثون عن الهيكل وينقبون عنه، وقد جاء في كتبهم وكثير من الروايات والأخبار في كتب المؤرخين، أن هذا الهيكل هدم وأُحرق بالكامل، ولم يبق منه حجر على حجر^(١).

د. بشير إسماعيل حمو:

كتب رسالة (هيكَل سليمان في عقيدة اليهود وأثره في هدم المسجد الأقصى)، وهذا البحث بين عقيدة اليهود في هيكَل سليمان الذي يزعم اليهود أن سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ بناه معبداً للرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، من خلال المقصود من الهيكل ومكانته عند اليهود والنصوص الدينية التي اعتمد عليها اليهود في إيمانهم به، ثم الرد على الادعاءات اليهودية في هيكَل سليمان وإبطالها من خلال وجود تناقض واضح بين روايات الأسفار التي تحدثت عن الهيكل، وعن تحديد مكانه، مما يؤكد أن قضية الهيكل من أولها إلى آخرها لا يمكن تصديقها، وإثبات أن المسجد الأقصى كان موجوداً قبل الهيكل المزعوم بأزمنة طويلة... وأن سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ بني هيكلاً، كما يزعم اليهود. وبين البحث أثر تلك العقيدة في مخططات اليهود

(١) القدس التاريخ المصور، ص ٤٤.



لهدم المسجد الأقصى، وكشف سبب اختيارهم بناء هيكل سليمان في مكان المسجد الأقصى، والخطوات العملية التي قام بها اليهود، والتي تسبق هدم المسجد الأقصى وبناء الهيكل المزعوم، وعلى رأسها الحفريات تحت المسجد الأقصى، وبَيِّن البحث واجب المسلمين في مواجهة هدم المسجد الأقصى لبناء الهيكل مكانه^(١).

١- معنى الهيكل:

الهيكل: كلمة يقابلها في العبرية (بيت همقداش) أي: بيت المقدس، أو (هيخال) وتعني البيت الكبير في اللغة السامية، وهو: الطريقة التي كان يشار بها إلى مسكن الإله - على حد زعمهم - ومن أهم أسماء الهيكل: بيت يهوه. والهيكل أعد أساساً ليكون مسكناً للإله^(٢). ففي سفر الملوك: حينئذ تكلم سليمان: قال الرب إنه يسكن في الضباب إني قد بنيت لك بيت سكني، مكاناً لسكنائك^(٣). وكما يعتقد اليهود بأنّ خيمة الاجتماع التي يسمونها (قبة الزمان) كانت موجودة قبل عبادتهم العجل، والذي هو متقدم على مجيئهم بيت المقدس، وأنها مسكن الرب، وقد كانت مع بني إسرائيل في التيه، يصلون إليها، وهي قبلتهم، وأن يوشع بن نون لما دخل بيت المقدس نصب هذه القبة على صخرة بيت المقدس، فكانوا يصلون إليها، فلما بادت صلوا إلى ملحقتها، وهي الصخرة.

(١) هيكل سليمان في عقيدة اليهود، بشير إسماعيل حمو، ص ٣٣٤.

(٢) موسوعة اليهود (٤/ ١٥٩).

(٣) سفر الملوك الأول (٨/ ١٢-١٣).



ويرون أن أرض المسجد الأقصى هي أرض الهيكل، وأن مسجد الصخرة هو: مكان قدس الأقداس، داخل الهيكل^(١).

وهنا تكمن خطورة هذا المعتقد، وما يترتب عليه من ضرورة هدم المسجد الأقصى المقام على أرض الهيكل -حسب زعمهم- وذلك لبناء الهيكل المزعوم مكانه^(٢).

٢- جبل الهيكل:

مصطلح يُقابله في العبرية كلمة (هرهايت)، ويسمى في الدراسات العربية: (هضبة الحرم) ويقال له أيضاً (جبل موريا) و(جبل بيت المقدس)، وهي منطقة في جنوب شرقي القدس، ويعتقد اليهود أن الهيكلين: الأول والثاني قد أقيما على هذه الهضبة، وأن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَام ضحى بإسحاق عَلَيْهِ السَّلَام -حسب اعتقاد اليهود- على هذا الجبل^(٣). وتعتبر هذه البقعة أكثر الأماكن قداسة عند اليهود، ومن ثم فإنهم لا يمكنهم دخولها إلا بعد تطبيق بعض شعائر الطهارة التي تحتاج إقامتها إلى رماد البقرة الحمراء، وهو ما يستحيل في الوقت الحاضر، ومن ثم يُحرّم معظم فقهاء اليهود على اليهود دخول تلك المنطقة. ويُوجد في تلك البقعة حوالي مئة أثر إسلامي أهمها المسجد الأقصى ومسجد القبة^(٤).

(١) هيكَل سليمان في عقيدة اليهود، ص ٣٣٤.

(٢) المصدر السابق نفسه.

(٣) يعتقد اليهود أن الذبيح هو إسحاق والحقيقة هو إسماعيل.

(٤) هيكَل سليمان في عقيدة اليهود، ص ٣٣٥.



٣- الهيكل الأول:

ورد في الكتاب المقدس أن داوود عَلَيْهِ السَّلَامُ اشترى أرضاً من أرونة اليبوسي لبناء الهيكل، ففي سفر صموئيل الثاني: فقال الملك لأرونة: لا بل اشتري منك بثلث، ولا أصعد للرب إلهي محرقات مجانية^(١).

وفي سفر أخبار الأيام الأول: فقال الملك داوود لأرنان لا؛ بل شراء اشتريه بفضة كاملة، لأنني لا آخذ مالك للرب فأصعد مُحَرَقَةً مجانية^(٢).

وأعدّ داوود للهيكل الأموال ومواد البناء^(٣)، وأنه لم يقم بالبناء لانشغاله بالحروب، وسفكه لدماء كثيرة، وقد منعه الرب من البناء لأجل ذلك، ووعد الرب داوود عَلَيْهِ السَّلَامُ بأن يكون ابنه سليمان -وريثه- هو الذي يقوم ببناء الهيكل^(٤). وحسب الكتاب المقدس: فقد أتم سليمان بناء الهيكل في سبع سنين^(٥)، وبناه فوق جبل مُرِّيًّا في القدس، وهو جبل بيت المقدس، أو هضبة الحرم، حيث يوجد فوقها سور الحرم الشريف، الذي يشمل المسجد الأقصى، ومسجد قبة الصخرة، وعدد من الأروقة والأبنية، ويسمي اليهود المكان جبل الهيكل^(٦).

وتذكر أسفار العهد القديم أن الهيكل بقي على ما هو عليه قرابة أربعة قرون وربع أي: منذ حوالي سنة ٩٦٨ ق.م، إلى أن هاجم البابليون بقيادة الملك نبوخذ

(١) سفر صموئيل الثاني (٢٤/٢٤)

(٢) سفر أخبار الأيام الأول (٢٤/١١).

(٣) سفر الملوك الأول: الإصحاح الخامس.

(٤) سفر أخبار الأيام الأول: الإصحاح الثاني والعشرون.

(٥) سفر الملوك الأول، الإصحاح الخامس.

(٦) موسوعة المسيري اليهود (١١٦/٤).



نصر (بختنصر) القدس وسبوا أهلها واستولوا على ما في الهيكل من ثروات ثم هدموه سنة ٥٨٦ ق.م، أو سنة ٥٨٧ ق.م^(١).

٤- الهيكل الثاني:

الهيكل الثاني - حسب مزاعم الكتاب المقدس - هو: هيكل زروبابل، أحد كبار كهنة اليهود، الذي بناه سنة ٥١٥ ق.م، بعد أن أذن الملك الفارسي (قورش) لليهود إلى القدس سنة ٥٣٨ ق.م، وكان البناء الجديد أضخم من البناء الأول؛ لكنّه أقل تكلفة وعظمة. وظل هذا الهيكل قائماً مدة خمسة قرون، والأسفار التي ورد الحديث فيها عن هذا الهيكل هي: عزرا، حجي، وزكريا^(٢). ويذكر الكتاب المقدس أنّ الهيكل الثاني بُني بأمر من الرب، وبأمر من ملوك الفرس: قورش، وداريوس الأول، وأرتحشتا^(٣).

٥- هيكل هيرودس:

قام هيرودس الوالي اليهودي على فلسطين من قبل الرومان ببناء هيكل على أنقاض هيكل زروبابل الذي أصابه الخراب بعد خمسمائة عام من بنائه، فهدمه وقام ببناء هيكل آخر مكانه أضخم منه، بدأ (هيرودس) العمل فيه وقتاً طويلاً، ولكنه مات قبل أن يتمه، وتم البناء في عهد أغريباس الثاني سنة ٦٤ م، وقد هدم هذا الهيكل سنة ٧٠ م، على يد القائد الروماني (تيتوس) أو (تيطس) فلافيوسي،

(١) سفر الملوك الثاني (٢٥/٨-٩).

(٢) قاموس الكتاب المقدس (٢/٤٦٥).

(٣) هيكل سليمان في عقيدة اليهود، ص ٣٣٦.



إلى أن حاصر القدس ودك أسوارها، وأشاع فيها الخراب، وأضرَم النار في الهيكل، بعد أن سلب ما فيه ثم هدمه. وهذا هو التدمير الثاني للهيكل^(١). وإذا كان (تيطس) قد دمر المدينة والهيكل، وأبقى الحطام مكانه، فإنَّ الإمبراطور الروماني (أدريانوس) أزال معالم المدينة، ومعالم الهيكل تماماً سنة ١٣٥ م، وأقام مكانه هيكلًا وثنيًا باسم (جوبيتار) - رب الآلهة عند الرومان - إذ لم تكن المسيحية قد اعترف بها بعد، وبقي هذا الهيكل إلى أن قامت المسيحية في أورشليم، فدمره المسيحيون في عهد الإمبراطور قسطنطين^(٢). والسؤال الذي يطرح هنا: هل بعد هذا الهدم المتكرر للهيكل وإقامة الهيكل الوثني مكانه ثم تدميره في عهد الإمبراطور قسطنطين، هل بعد كل ذلك يبقى للهيكل أثر؟ هذا إن صح بناء الهيكل أصلاً.

٦ - الهيكل الثالث:

الهيكل الثالث: مصطلح ديني يهودي يشير إلى عودة اليهود بقيادة الماشيَّح. و(الماشيَّح): كلمة عبرية تعني (المسيح المخلص) إلى صهيون لإعادة بناء الهيكل آخر الزمان، فالهيكل الأول هو: هيكل سليمان الذي هدمه نبوخذ نصر، والهيكل الثاني هو: هيكل هيرودس الذي هدمه (تيطس)، والهيكل الثالث والأخير: هو الذي سيُبنى في العصر المشيَّحاني - على حد زعمهم - وقد جعل الصهاينة الاستيطان الصهيوني هو العود المشيَّحانية، وبالتالي، فإن الدولة الصهيونية هي الهيكل الثالث^(٣).

(١) مغالطات اليهود، عبد الوهاب طويلة، ص ٢٧٩.

(٢) اليهودية، أحمد شلبي، ص ٨٨.

(٣) هيكل سليمان عقيدة اليهود، ص ٣٣٦.



وهذا هو الهيكل الذي يسعى اليهود لإعادة بنائه على أنقاض المسجد الأقصى، كما في تصريحات قادتهم الدينيين والسياسيين، كما سيأتي الحديث عنه لاحقاً بإذن الله^(١).

٧- اختيار اليهود بناء هيكل سليمان في مكان المسجد الأقصى وسبب ذلك:

تقول (جريس هالسل) -بعد الجولة التي قامت بها إلى الأرض المقدسة في عام ١٩٨٥م وزارت فيها مع مجموعة من الحجاج المسيحيين الصهاينة مدينة القدس-: قال لنا الدليل، وهو يشير إلى قبة الصخرة وإلى المسجد الأقصى: هناك سنبنّي الهيكل الثالث، لقد أعددنا جميع الخطط لبناء الهيكل، حتى إن مواد البناء أصبحت جاهزة؛ إنها محفوظة في مكان سرّي. هناك معامل يعمل فيها الإسرائيليون، لإنتاج التحف الفنية، التي سنستعملها في الهيكل الجديد؛ إن أحد الإسرائيليين ينسج الآن قماشاً من الحرير الخالص، لاستعماله في صناعة أثواب الحاخامين في الهيكل^(٢).

وعن سبب اختيار اليهود بناء هيكل سليمان مكان المسجد الأقصى في مدينة القدس، يقول د. جميل عبد السيد قرح: لم يسمح الله للملك والنبي داوود بناء الهيكل، لأنّ يديه كانتا ملطختين بدماء الكثيرين، الذين قتلهم في الحروب، بل أمره أن يبني ابنه الملك سليمان الهيكل نحو ألف سنة قبل الميلاد، وليس في أي مكان آخر، وإلا أصبحت عبادتهم ناقصة، ومرفوضة. وعند تدشين الهيكل قدم

(١) المصدر السابق نفسه.

(٢) النبوة والسياسة، غريس هالسل، ص ٧٤.



الملك سليمان وجميع بني إسرائيل، ذبائح للرب: ٢٢ ألفاً من البقر، و ٢٠ ألفاً من الغنم، واحتفلوا سبعة أيام؛ هكذا تقول كتب التراث اليهودية^(١).

ولذلك يصرّ اليهود على إعادة بناء الهيكل في هذا المكان بالذات؛ ليعيدوا ممارسة عبادتهم حسب طقوسهم وشعائهم الموجودة في كتبهم التراثية، التي اختلطت فيها الأمور الدينية بالكتابات التاريخية، التي جمعت بين الحقائق والتحريف والتبديل، ويرون أنّ بناء الهيكل في هذا المكان يمهد لمجيء المسيح كما يعتقدون.

ويعتبر بعض اليهود أنّ عبادتهم ناقصة ومرفوضة الآن، ولن يغفر الله خطاياهم. وهذا هو سبب إصرارهم الشديد على بناء هذا الهيكل ولو بالقوة في نفس هذا المكان؛ لممارسة هذه الفرائض بالنسبة لهم في تقديم القرابين على الذبح في الهيكل من جديد؛ لأنّ دم القرابين يكفّر عن النفس الخاطئة، كما في كتبهم ومنذ احتلال مدينة القدس عام ١٩٦٧م وهم يعملون باستمرار للسيطرة عليها وتغيير معالمها، بهدف تهويدها وإنهاء الوجود الإسلامي فيها، وقد استخدمت لأجل ذلك الكثير من الوسائل، وقامت بإجراءات عديدة ضد المدينة وسكانها، حيث كان الاستيطان في المدينة وفي الأراضي التابعة، حد أهمّ الوسائل لتحقيق هدف الاحتلال الصهيوني الأساسي تجاه مدينة القدس^(٢).

٨- مكانة الهيكل عند اليهود:

وردت أقوال كثيرة في كتب الباحثين والمؤرخين عن مكانة الهيكل عند اليهود، فمما قالوه في ذلك:

(١) هيكل سليمان في عقيدة اليهود، ص ٣٣٧.

(٢) هيكل سليمان في عقيدة اليهود، ص ٣٣٧.

- قول المؤرخ ديورانت: كان بناء الهيكل أهم الحوادث الكبرى في ملحمة اليهود بعد نشر كتاب القانون، وذلك أن الهيكل لم يكن بيتاً لليهود فحسب، بل كان مركزاً روحياً لليهود، وعاصمة ملكهم ووسيلة لنقل تراثهم وذكرى لهم، كأنه علم من نار يتراءى لهم طوال تجوالهم الطويل المدى على ظهر الأرض، ولقد كان له شأن في رفع الدين اليهودي، من جيل بدائي متعدد الآلهة إلى عقيدة راسخة غير متسامحة^(١).

وهذا يدل على الانحراف الكبير بعد بناء الهيكل في العهد الفارسي للقدس، والإشارة إلى الانحراف العقدي في تلك المرحلة في قول المؤرخ الكبير (من جيل بدائي متعدد الآلهة).

ومعروف لدى الباحثين أن بني إسرائيل يرجعون إلى يعقوب عَلَيْهِ السَّلَام، وكان على عقيدة التوحيد الصافية ضد الشرك بأشكاله وأنواعه، وكذلك يوسف، وموسى، وهارون، وداوود، وسليمان، عَلَيْهِمُ السَّلَام.

- قول المؤرخ (لودز): لقد بالغ كتبة العهد القديم في العصور المتأخرة في أهمية بناء الهيكل في أورشليم، لقد بدأ الهيكل يأخذ مكانة مميزة في الديانة اليهودية نتيجة لتدمير مملكة إسرائيل سنة ٧٢٢ ق.م من قبل الآشوريين، وكان الفضل كله يرجع إلى إصلاح يوشا ٦٢٢ ق.م، الذي أعلن أن الهيكل هو المعبد الشرعي الوحيد لليهود، بحيث أصبح الهيكل بالنسبة للديانة اليهودية وحتى إبطال تقديم القرابين عام ٧٠ م، قلب الديانة الوطنية^(٢).

(١) قصة الحضارة، ديورانت، (٢/ ٣٣٨).

(٢) داوود وسليمان في العهد القديم والقرآن الكريم، أحمد عيسى، ص ٨٢.



- قول الحاخام اليهودي (شلوم آمين): يجب ألا ننسى أن السبب الرئيسي للعودة من المهاجر، ولإقامة دولتنا هو: بناء الهيكل، والهيكل هو: قمة الهرم^(١). وقد تحدث التلمود عن الهيكل في مواضيع متعددة، ومن ذلك زعم التلمود أن الرب - عالي عما يقولون علواً كبيراً - بعد تدمير الهيكل إلى الآن، لم ينقطع عن البكاء والنحيب، ويردد عبارات الندم على سماحه بهدم الهيكل، فقد ورد في التلمود في الكتاب الثاني الذي بعنوان (فساد الدين)، الفصل الأول، تحت عنوان: العزة الإلهية على حسب التلمود: ولم يلعب الله مع الحوت بعد هدم الهيكل، كما أنه من ذلك الوقت لم يمل إلى الرقص مع حواء بعدما زينها بملابسها، وعقص لها شعرها، وقد اعترف الله بخطئه في تصريحه بتخريب الهيكل، فصار يبكي ويمضي ثلاثة أجزاء من الليل يزأر كالأسد قائلاً: تباً لي لأني صرحت بخراب بيتي وإحراق الهيكل ونهب أولادي^(٢).

ولا شك أن هذا من الخرافات والأكاذيب والأباطيل وتشويه للذات الإلهية العظيمة: ﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٧٤].

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

وقال تعالى ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٤٣].

ويقول الدكتور عبد الوهاب المسيري عن مكانة الهيكل في وجدان اليهود: يشغل الهيكل مكانة خاصة في الوجدان اليهودي، كما يعبر عن التيار الحلولي، وهو يسمى (لبنان) لأنه يطهر يسرائيل من خطاياها ويجعلها بيضاء كاللبن،

(١) النبوة والسياسة، هالسل، ص ٨٢.

(٢) الكنز المرصود في قواعد التلمود، ص ٣٦.



وكان التصور أنَّ الهيكل يقع في مركز العالم، فقد بني في وسط القدس التي تقع في وسط الدنيا، فقدس الأقداس الذي يقع وسط الهيكل هو بمنزلة سُرة العالم، والهيكل كنز الإله مثل جماعة إسرائيل، وهو عنده أئمن من السماوات والأرض، بل إن الإله قرر بناء الهيكل قبل خلق الكون بنفسه.

ويشكل هدم الهيكل صورة أساسية في الوجدان الديني اليهودي، فهو يُذكر عند الميلاد والموت، وعند الزواج يحطم أمام العروسين كوب فارغ ليذكرهما بهدم الهيكل. ويرى الصهاينة أن ظهور الصهيونية يعود إلى اللحظة التي هدم فيها الهيكل، وفُرض الشتات على اليهود. ويقوم الصهاينة بالتاريخ لوقائع تاريخ العبرانيين وتواريخ أعضاء الجماعات اليهودية في فلسطين بمصطلحات مثل (الهيكل الأول) و (الهيكل الثاني). ويشير ابن جوريون وكثير من الإسرائيليين إلى دولة إسرائيل باعتبارها (الهيكل الثالث)^(١). وقال الدكتور المسيري رَحِمَهُ اللهُ: تستخدم عبارة (إعادة بناء الهيكل) بمعنىين:

الأول: إعادة بناء الهيكل بعد عودة اليهود من بابل، ومن ثم يسمى (الهيكل الثاني) تمييزاً له عن الهيكل الذي هدمه نبوخذ نصر، واستخدام العبارة بهذا المعنى نادر.

الثاني: هو الاستخدام الأكثر شيوعاً باعتبار أن الهيكل الثاني هو الذي بناه هيرودس، وهدمه تيتوس. ويذهب الفقه اليهودي إلى أنَّ الهيكل لا بد أن يُعاد بناؤه وتُقام فيه شعائر العبادة القربانية مرة أخرى، ولهذا تمّ تدوين الشعائر في

(١) موسوعة اليهود واليهودية والصهاينة (١/ ٤١٠).



التلمود مع وصف دقيق للهيكل. وتتضارب الآراء مع هذا، حول موعد بناء الهيكل وكيفية بنائه. والرأي الغالب فقهيًا هو أنّ اليهود يجب عليهم أن ينتظروا حلول العصر المشيخاني بمشيئة الإله، وعندئذ يمكنهم بناؤه. والتعجيل بالبناء نوع من الهرطقة.

وهناك رأي فقهي يرى أنّ على اليهود إقامة بناء مؤقت قبل العصر المشيخاني، وهو رأي الأقلية، ولكنه ظل موجوداً بسبب طبيعة اليهودية كترتيب جيولوجي. وقد استفاد الصهاينة من هذا التناقض فوصفوا الرؤية الأرثوذكسية بالسلبية، وقرروا أخذ زمام الأمور في أيديهم. وينقسم اليهود في العصر الحديث إزاء مسألة بناء الهيكل إلى فريقين: صهاينة، وغير صهاينة:

أما غير الصهاينة فيعارضون العودة الفعلية، ومن ثم يعارضون إعادة بناء الهيكل، فالإصلاحيون يرون أنّ الهيكل لا يمكن إعادة بنائه أبداً. وأما الأرثوذكس فيرون أنّ إعادة بناء الهيكل مرتبطة بعودة الماشيح، ويرى المحافظون أنها مجاز.

وأما الصهاينة فينقسمون في موقفهم من إعادة بناء الهيكل إلى دينيين ولا دينيين:

اللا دينيون: لا يهتمون كثيراً بالعبادة القربانية، وإعادة بناء الهيكل، ويرون محاولات الصهاينة المتديّنين إعادة بناء الهيكل مسألة هوس يهدد المستوطن الصهيوني بالخطر دون فائدة مادية ملموسة.

الصهاينة المتدينون (المتطرفون): يرون المسألة من منظور إعادة بناء الهيكل، ذات أهمية مركزية لهم، وهم يركزون جلّ اهتمامهم عليها.



وقد حدثت عدة محاولات من جانب الجماعات الصهيونية تستهدف تفجير الأماكن المقدسة، وهناك منظمة يهودية تسمى أمناء جبل الهيكل تجعل بناء الهيكل الثالث هدفها الأساسي.

ورغم هذا الانقسام بشأن إعادة بناء الهيكل، فإن بعض الأطروحات التي كانت تصنف في الماضي بوصفها دينية مهووسة صارت مقبولة، بل أصبحت جزءاً أساسياً من الخطاب السياسي الصهيوني، أو ضمن برامج الأحزاب المعتدلة، وعادة ما توظف المؤسسة الصهيونية الحاكمة الصهاينة الدينين في تحقيق أهدافها، ولهذا يسمحون لهم بإقامة احتفالاتهم السنوية بوضع حجر أساس الهيكل حتى يظلّ القدس والحرم الشريف، بل الحق العربي ككل موضع تساؤل وخاضع للتفاوض. ويرى المسيحيون الأصوليون أن إعادة بناء الهيكل الشرط الأساسي للعودة الثانية للمسيح، وقد عُقد عام ١٩٩٠م مؤتمر في إسرائيل لمناقشة القضية^(١).

٩- حائط البراق أم حائط المبكى:

الاعتقاد السائد هو أنّ حائط البراق جزء من الحائط الخارجي للهيكل الذي رسمه هيرودس ودمره تيتوس القائد الروماني (٧٠م)، وهو عبارة عن حائط كبير مبني من حجارة ضخمة. ويعتقد المؤرخون المسلمون أنه المكان الذي ربط عنده جبريل -ملك الوحي- براق الرسول محمد ﷺ ليلة الإسراء والمعراج، ومن هنا جاء اسمه الإسلامي (حائط البراق)، ولا يزال حتى اليوم جزءاً من الحرم القدسي، وتحديداً هو جزء من جداره الغربي^(٢).

(١) موسوعة اليهود واليهودية والصهاينة (٢/ ٤١٢).

(٢) عقيدة أهل الإيمان في هيكَل نبي الله سليمان، سليمان العريفي، ص ١٥٦٦.



وقد ذكر الإمام البيهقي أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «ثم انطلق بي جبريل حتى دخلنا المدينة - بيت المقدس - من بابها اليماني فأتي قبلة المسجد - الأقصى - فربط بها دابته، ودخلنا المسجد من باب فيه تميل الشمس والقمر»^(١).

فقال أبو بكر: صفها لي يا رسول الله فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هي كذه وكذه»، قال أنس: كان أبو بكر قد رآها.

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أتيت بالبراق، فركبت حتى أتيت بيت المقدس، فربطته بالحلقة التي تربط بها الأنبياء، ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم عرج بي إلى السماء»^(٢).

ويقول الدكتور عبد الوهاب المسيري عن حائط المبكى: (حائط المبكى) هو الحائط الغربي ويسميه المسلمون (حائط البراق)، يقال إنه جزء من السور الخارجي الذي بناه هيرودس، ليحيط بالهيكل والمباني الملحقة به، ويعتبر من أقدس الأماكن عند اليهود في الوقت الحاضر، يبلغ طوله مائة وستين قدماً، وارتفاعه ستون قدماً، سُمي باسم حائط المبكى لأن الصلوات حوله تأخذ شكل عويل ونواح. وجاء في الأساطير اليهودية أن الحائط نفسه يذرف الدموع في التاسع من آب (أغسطس)، يوم هدم الهيكل على يد تيتوس، والتاريخ الذي بدأت تقام فيه الصلوات بالقرب من الحائط غير معروف. وحتى القرن السادس عشر تجد أن المصادر التي تتحدث عن يهود القدس تشير إلى ارتباطهم بموقع الهيكل وحسب.

(١) المصدر السابق، ص ١٥٦٦.

(٢) عقيدة أهل الإيمان في هيكل نبي الله سليمان، سليمان العريفي، (٢/٣٥٦).



كما يبدو أنه أصبح محل قداسة بدءاً من ١٥٢٠ م بعد الفتح العثماني وهجرة اليهود الماراتو حملة لواء النزعة الحلولية المتطرفة في اليهودية، فالنزعة الحلولية تظهر دائماً في شكل تقديس الأماكن والأشياء، كما أن وجودهم داخل التشكيل الحضاري الإسلامي ترك أثره العميق فيهم فشعيرة الحج إلى مكة والطواف حول الكعبة وجدت صداها في تقديس حائط المبكى^(١).

١٠ - عدم قدسية الأسفار التي تتحدث عن وجود الهيكل:

السفران اللذان تحدثا عن وجود الهيكل، وهما: سفر الملوك الأول والثاني، ينسب اليهود كتابهما إلى أرميا، وهذا غير صحيح، وليس هناك دليل واحد يؤيده: فسفر الملوك الثاني تمتد حوادثه إلى ما بعد عصر أرميا، وبالتالي فلا يعقل أن يكون هو كاتبه^(٢). والصحيح - كما ذكر العلماء - أن السفرين عبارتان عن مجموعة من المدونات التاريخية؛ جمعت ونسقت معاً، واستقى كاتبهما موادها من سجلات البلاط، وسجلات الهيكل، وسير الأنبياء، واعتمد على كثير من الروايات الشفهية، والحكايات الشعبية^(٣). ولقد ذهب العلماء إلى أن هذين السفرين قد تم تأليفهما مرتين وبصيغتين مختلفتين:

فالصيغة الأولى: كانت في أواخر القرن السابع ق.م، أو ما بين ٦٢٢ - ٦٠٩ ق.م، أي: ما قبل السبي.

(١) موسوعة المسيري في اليهود واليهودية والصهيونية (١/١٤١٣).

(٢) هيكَل سليمان في عقيدة اليهود، ص ٣٣٨.

(٣) المصدر السابق، ص ٣٣٨.



والصيغة الثانية: وضعت في السبي؛ حيث جاء مؤلف ثان، وأعاد تأليفه من جديد. ويستدل على ذلك بعبارات كثيرة جاءت في السفرين. ويبدو أن هذا التأليف قد تم ما بين عامي ٥٦١ - ٥٣٨ ق. م^(١).

ويذكر الكاتب الفرنسي (موريس بوكاي) أن أسفار صموئيل والملوك، قد شك العلماء في قيمتهما التاريخية حيث تختلط الأحداث بالأساطير، وأن (أدموند جاكوب) وجد فيها أخطاء متعددة، وأن الحدث الواحد له روايات مزدوجة، وحتى ثلاثة^(٢).

وقد طعن العلماء في سفرَي أخبار الأيام: الأول، والثاني - اللذين جاء فيهما ذكر لبناء سليمان للهيكل، وشككوا في كونهما كتاباً موثقاً فيه، ويبان ذلك: أن علماء التقليد اليهودي زعموا أن كاتب السفرين: الكاهن (عزرا)، لكن الناقد اليهودي (باروخ سبينوزا)^(٣) قال إن المؤلفين الحقيقيين لهذا السفر لا يُعلم عنهم شيء يقيني، كما لا يعلم شيء عن سلطتهم وعقيدتهم. وقد شارك (سبينوزا) فيما ذهب إليه عدد من العلماء^(٤).

وقد ذكر الدكتور بشير إسماعيل حمو: التناقض بين روايات الأسفار التي تحدثت عن الهيكل، وتحدثت عن اختلاف حاخامات وعلماء اليهود في تحديد مكان الهيكل، فوق جبل موريا، كما جاء في الكتاب المقدس، وبين أن الكتاب المقدس يقول: إنَّ الرب أمر بهدم الهيكل، ولم يأمر بإعادة بنائه وذكر ذلك بالتفصيل. وينصح بالاطلاع على كتابه^(٥).

(١) هيكل سليمان في عقيدة اليهود، ص ٣٣٩.

(٢) القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم، ص ٣٧.

(٣) فيلسوف يهودي هولندي من رواد الدراسات النقدية للعهد القديم.

(٤) تأثر اليهودية بالأديان الوثنية، فتحي الزغبى، ص ٣٧٢.

(٥) هيكل سليمان في عقيدة اليهود، ص ٣٣٩ - ٣٤٣.



١١ - علم الآثار، ودعوى وجود الهيكل تحت المسجد الأقصى:

منذ أن احتل اليهود الشطر الشرقي من القدس عام ١٩٦٧م إلى اليوم، وهم يحاولون العثور على أي أثر يدل على بقايا الهيكل المزعوم، ويثبت مكانه تحت الحرم القدسي الشريف، وقد قامت حكومات الاحتلال الإسرائيلي المتعاقبة بإجراء حفريات وأنفاق تحت أسوار جبل بيت المقدس، وتحت أسوار المسجد الأقصى من جانبيها: الغربي والجنوبي وامتدت الحفريات إلى الأرضية الداخلية تحت ساحة المسجد، وتحت مسجد النساء داخل المسجد الأقصى، واستمرت الحفريات بشق نفق واسع طويل اخترق المسجد من شرقه إلى غربه، وأقام اليهود في النفق كنيس يهودي صغير، افتتحه رسمياً رئيس الدولة ورئيس الوزراء الإسرائيلي عام ١٩٨٦م. وفي عام ١٩٨١م أعلنت الهيئات اليهودية الدينية عن اكتشاف نفق كبير تحت الحرم القدسي. ولقد مرت عمليات الحفر والتنقيب بمراحل، لأن هدفها هو: تفريغ الأتربة والصخور من تحت المسجدين: الأقصى وقبة الصخرة، لتترك المسجدين قائمين على فارغ؛ ليكونا - لا قدر الله - عرضة للانهييار والسقوط.

ولقد افتتحت حكومة الاحتلال الإسرائيلي نفقين، يمرّان من تحت المسجد الأقصى من جداره الجنوبي، تزعم إسرائيل أنهما كانا يستخدمان لنقل المياه إلى الهيكل المزعوم؛ افتتح النفق الأول عام ١٩٩٦م في عهد رئيس الوزراء السابق بنيامين نتنياهو؛ في حين افتتح النفق الثاني بعيداً عن أعين وسائل الإعلام، في عهد رئيس وزراء إسرائيل إيهود بارك^(١).

(١) هيكَل سليمان في عقيدة اليهود، ص ٣٤٤.



ويتساءل الدكتور صالح الرقب: هل وَجد علماء الآثار اليهود والأوروبيون والأمريكان خلال عمليات الحفر والتنقيب أثراً واحداً يدلّ على الهيكل المقدس المزعوم؟ أو يثبت أن المسجدين: الأقصى وقبة الصخرة قد أقيما على أنقاض ذلك الهيكل، كما تزعم الصهيونية واليهودية المسيحية؟

ويجيب على لسان الشيخ محمد أبو شقرا الذي عقد مؤتمراً صحفياً في عام ١٩٨٣م، تحدث فيه عن تتابع أعمال الحفريات الأثرية، تحت المسجد فقال: إنّ الحفريات الأثرية تحت المسجد لم تسفر إلا على إلقاء الضوء على آثار من العهود الأموية والعباسية والعثمانية ولم يجد الإسرائيليون أية أدلة تؤكد أن معبداً (الهيكل) أقيم في أي وقت في هذا المكان^(١). فهذه الآثار؛ الأموية العباسية والعثمانية تدل على إسلامية المسجد الأقصى البحتة التي لا يشترك معها فيها أي ديانة أخرى، وينسف الادعاءات الباطلة لليهود بوجود أي أثر لهم في المسجد الأقصى^(٢).

يقول الأستاذ منصور عبد الحكيم: لقد أثبت علماء الآثار من اليهود والأوروبيين والأمريكان الذين نقبوا واشتغلوا بالحفريات والأنفاق تحت الحرم القدسي الشريف، أنه لا يوجد أثر واحد لهيكل سليمان تحت الحرم القدسي، ولا تحت المسجد الأقصى، ولا تحت قبة الصخرة، وشاركهم الرأي كثير من الباحثين اليهود والغربيين، مما دفع بعضهم إلى أن يقول إنّ الهيكل قصة خرافية ليس لها وجود، ومن أشهر هؤلاء العلماء اليهود (إسرائيل فلنتشتاين) من جامعة تل أبيب^(٣).

(١) المصدر السابق نفسه.

(٢) المصدر السابق نفسه.

(٣) سليمان عَلَيْهِ السَّلَام النبي الملك، منصور عبد الحكيم، ص ١٤٢.



إن المسجد الأقصى بُني قبل عهد سليمان عَلَيْهِ السَّلَام بأزمنة طويلة كما مرَّ معنا، فكيف يكون هيكَل سليمان المزعوم تحت المسجد الأقصى - كما يزعم اليهود -. إنَّ سليمان عَلَيْهِ السَّلَام جدَّد بناء المسجد الأقصى، فإن ذلك طبيعي لأنه كان مسلماً وموحداً ومفرداً لله في عبادته عَزَّجَلَّ، وهو من ذرية أبي الأنبياء إبراهيم، وسار على نهج موكب الأنبياء والمرسلين، فلم يكن يهودياً ولا نصرانياً، وهو حق ثابت للمسلمين.

ومن كل ما سبق يتبيّن الآتي:

- أنَّ الهيكل عقيدة يهودية، وله قدسية خاصة في الفكر اليهودي.
- أن اليهود يعملون ويخططون لإعادة بنائه من جديد في نفس المكان الذي يزعمون أنه بني فيه هيكَل سليمان، وهو فوق هضبة الحرم القدسي، حيث مكان المسجدين الإسلاميين؛ الأقصى وقبة الصخرة.
- أنَّ ما يعتقد اليهود في الهيكل هو مزاعم باطلة، وأن النصوص التوراتية التي تحدثت عن الهيكل مليئة بالتناقض والكذب^(١)، فقد تبين التناقض الشديد بين الكثير من نصوص العهد القديم، وهو الذي يمثل محور وأساس الرواية اليهودية، بل وحتى تفصيلاتها في أغلب الأحيان. وقد قام الدكتور محمود عبده نور الدين ببيان هذه التناقضات والأكاذيب في بحثه القيم (الهيكل اليهودي: الرواية اليهودية والمنطق التاريخي)^(٢).

- أنَّ الحفريات تحت الحرم القدسي الشريف التي يقوم بها اليهود منذ احتلالهم للقدس، لم تثبت شيئاً من مزاعم اليهود في وجود الهيكل، وأن علماء

(١) هيكَل سليمان في عقيدة اليهود، ص ٣٤٥.

(٢) الهيكل اليهودي، ص ٣٢٧٦.



الآثار من اليهود وغيرهم، قد كذبوا مزاعم اليهود في وجود الهيكل تحت الحرم القدس^(١).

- أحقية المسلمين في حائط البراق: عندما حدثت اضطرابات في القدس بين اليهود والمسلمين وزعم اليهود أنّ حائط البراق جزء من هيكلهم القديم، وحدثت ردود فعل مختلفة فلسطينية وعربية وإسلامية، واستمرت الاضطرابات سنين، وفي عام ١٩٣٠م تم تشكيل لجنة دولية لدراسة المشكلة، وكتابة تقرير عنه، ووافق مجلس الأمم في ١٤ مايو ١٩٣٠م على تشكيل هذه اللجنة بقيادة (شو). وقد حضرت اللجنة إلى القدس في ١٩ يونيو ١٩٣٠م، وأقامت شهراً كاملاً، واستمعت لعدد كبير من شهود العرب واليهود، كما اطلعت على جميع الوثائق المقدمة إليها من الفريقين، واستمعت إلى مرافعات المحامين والذين أحضرهم الطرفان ثم كتبت تقريرها في هذا الشأن؛ ومن ذلك:

- للمسلمين وحدهم تعود ملكية الجدار الغربي، ولهم وحدهم الحق العيني فيه. ولكونه يؤلف جزءاً لا يتجزأ من مساحة الحرم الشريف التي هي من أملاك وقف الملك الأفضل ابن أخي صلاح الدين الأيوبي وللمسلمين، وكذلك تعود ملكية الرصيف الكائن أمام الحائط وأمام المحلة المعروفة بحارة المغاربة، لكونه موقوفاً حسب أحكام الشرع الإسلامي^(٢). فهذا التقرير الدولي يشهد بحق المسلمين بحائط البراق التاريخي والديني والقانوني.

(١) هيكل سليمان في عقيدة اليهود، ص ٣٤٥.

(٢) الهيكل اليهودي الرواية اليهودية، ص ٣٢٧٢.



- جاء في دائرة المعارف البريطانية: ليس من المؤكد أن الهيكل كان في حرم المسجد الأقصى، خاصة وأن تيتوس عندما هدمه عام ٧٠م لم يترك شيئاً قائماً فيها وطمست سائر معالمها، فالبحت عنه إذن عبث^(١).

ومع هذه الحقائق التاريخية الدامغة؛ إلا أن حركة اليهود المعاصرة تشير إلى جديتهم لهدم المسجد الأقصى وفق عقيدتهم المسيطرة عليهم، ومحاولة الارتباط التاريخي بسليمان عَلَيْهِ السَّلَام الذي هو في الحقيقة نبي من أنبياء الله دعا إلى التوحيد وحكم بين الناس بالعدل، بعيداً كل البعد عن العنصرية والأباطيل التي يدعو إليها الاحتلال الصهيوني وممارسته الظالمة والجائرة؛ فكل الممارسات العنصرية التي مارسها شارون أو بن غوريون أو نتنياهو أو ليرمان أو باراك أو أي سياسي صهيوني لا علاقة لها بمنهج سليمان عَلَيْهِ السَّلَام، ولا عقيدته ولا سلوكه.

إن أفكار الحركة الصهيونية الاستيطانية هي أفكار استعمارية تسعى -بحقد عنصري- للسيطرة على أرض فلسطين، والقضاء على شعبها المجاهد، وتزوير تاريخي ممزوج بعقائد ما أنزل الله بها من سلطان، وأين هذه الحركة العنصرية الاستعمارية الظلامية القمعة الدموية من عصر الأنبياء الملوك: داود، وسليمان عَلَيْهِمَا السَّلَام، الذين جاءت سيرهم العظيمة، وقصصهم الرشيدة في القرآن الكريم؟ فذكرت عدلهم وتوحيدهم، ومخافتهم من الله عَزَّجَلَّ، وعمارة الأرض، ورفع الظلم عن الناس، والارتباط الراشد بموكب الأنبياء والمرسلين من آدم عَلَيْهِ السَّلَام إلى خاتمهم محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.



إن من حقنا كمسلمين، صادقين الدفاع عن الحقيقة التاريخية والسيرة العظيمة، والقدوة الحسنة لكل من داوود وسليمان، وتخليصهم مما نسب إليهم من أكاذيب وعقائد باطلة لا دليل عليها ولا برهان إلا الأوهام والخرافات والأساطير. ومن حقنا الدفاع عن نبوتهم، وتخليص ما نسب إليهم من طعون وافتراءات في سيرهم؛ ففعلنا الإسلامية الصافية التي جاءت في القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة توجب علينا ذلك.

إن القرآن الكريم يبين أكثر الحقائق الدامغة لسيرة داوود وسليمان عَلَيْهِمَا السَّلَام، فرد على التشويه اليهودي لهذين النبيين العظميين، ولقد شوّهوا سليمان عَلَيْهِ السَّلَام، واتّهموه بالكفر بالله، وأنه انحاز وراء الأصنام. وقالوا: إن سليمان ما حكم ملكه إلا بالسحر والاستعانة بالشياطين، وكذلك شوّهوا أباه داوود عَلَيْهِ السَّلَام. وقتلتم إنه استعبدكم وجعل النير فوق رقابكم وتناسيتم أنه نبي مرسل وحفيد أنبياء مرسلين، وقتلتم عنه أنه استدان الأموال وأرهب الناس بالضرائب ليني هيكلكم المزعوم ويا للعجب؟ فأين هو هذا الهيكل الذي بناه النبي سليمان على حساب أموالكم والضرائب التي فرضها عليكم؟

يا للعجب العجائب تقولون ذلك ثم تدعون أن الهيكل رمز وجودكم ودولتكم الغابرة، فما بالكم تكفرون بالنبي سليمان، وتلبسونه لبوس المجرمين المشركين السحرة، ثم تقولون إن الهيكل الذي بناه رمز وجودكم في فلسطين.

إننا نخالفكم إلى ما ذهبتم إليه من هذا التشويه المبني على الأكاذيب، وإنما نقول إن النبي سليمان عَلَيْهِ السَّلَام نبي مرسل على نهج من سبقه من الأنبياء والمرسلين -كنوح، وهود، وصالح، وإبراهيم، وإسحاق، وإسماعيل، ويعقوب، ويوسف، وموسى، وهارون، وغيرهم عليهم الصلاة والسلام - أرسله الله ليقم العدل



بين خلقه وعمارة الأرض على شرعه. وهو هبة من الله لأبيه داوود عَلَيْهِمَا السَّلَام، والنبي سليمان عَلَيْهِ السَّلَام دعا الناس ملوكاً وغير ملوك إلى عقيدة التوحيد، وعبادة الله عَزَّوَجَلَّ، وكانت علاقته بملكة سبأ أن يثنيها وقومها عن عبادة غير الله وأن يدلهم إلى الصراط المستقيم، وأن كتابه الذي أرسله إليها بدأه باسم الله الرحمن الرحيم، ولم يبدأه باسم (يهود)، أو باسم (رب الجنود)، أو باسم (الإله) القومي لبني إسرائيل. والنبي سليمان عَلَيْهِ السَّلَام لم يكفر، ولم يستخدم السحر، لتقوية ملكه، فهو نبي وقوته مستمدة من الله عَزَّوَجَلَّ.

إننا كمسلمين نعتز بسليمان عَلَيْهِ السَّلَام، ونؤمن به كنبي مرسل، وإن حاربوه فنحن من ندافع عنه، وعن نبوته وسلوكه، وليس لكم أي علاقة به لا من قريب ولا من بعيد^(١). وندعوكم إلى التوبة النصوح والرجوع إلى سيرته المحفوظة في القرآن الكريم. بل إن تاريخ بني إسرائيل الحقيقي في منعرجاته المتنوعة وأنبيائه العظماء لا تجدون كتاباً - كالقرآن الكريم - حافظ على سيرهم بالتمام والكمال والصفاء والنقاء، ويبين محل الاقتداء بهم كالذكر الحكيم، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۖ وَإِنَّهُ لَهْدَىٰ وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝٧٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ [النمل: ٧٦ - ٧٨].

١٢ - عقيدة أرض الميعاد:

كانت الفكرة لدى العالم في تجميع اليهود في دولة من أيام (نابليون بونابرت) الفرنسي عام ١٧٩٩م، حيث دعا يهود آسيا وأفريقيا للانضمام إلى حملته من

(١) سليمان عَلَيْهِ السَّلَام صرخة النبوة في وجه الخرافة التوراتية، ص ١٥٣ - ١٥٥.



أجل بناء مدينة القدس القديمة، وقد جند منهم عدداً كبيراً في جيشه، إلا أن هزيمة نابليون واندحاره حال دون ذلك.

ثم ابتدأت الفكرة تظهر على السطح مرة أخرى، وبدأ العديد من زعماء الغرب وكبار اليهود يهتمون بها ويؤسسون كثيراً من الجمعيات التي تنادي بهذا الأمر^(١). وكانت عقيدة أرض الميعاد حاضرة بقوة في المتأثرين بأفكار وثقافة وتاريخ العهد القديم للديانة اليهودية والمذهب البروتستانتي النصراني. وتتلخص هذه العقيدة في أن الله عَزَّوَجَلَّ قد أعطى اليهود منذ أن كان اسمهم (بني إسرائيل) أرض فلسطين، ووعدهم بملكها إلى الأبد وأباح لهم -على حسب زعمهم- أن يقتلوا ويطردوا كل الأقوام الذين كانوا يعيشون فيها، كما دعاهم ألا يمكنوا أحداً من العيش فيها إلى جوارهم، فهي ملك خاص لهم وميراث خاص بهم، هذا ما آمن به اليهود منذ القديم، وهذه هي العقيدة التي استقرت في نفوسهم، حتى بعد أن طردوا منها منذ ألفي سنة تقريباً، لقد ظلوا قرونًا كثيرة وهم ينتظرون الملك المخلص والقائد المنصور (الماشبح المنتظر) ليجمعهم ويقودهم إلى فلسطين، لكن اليهودية الصهيونية سبقت المسيح المنتظر وقادتهم في هذه المرة إلى فلسطين، وأعلنوا عن قيام دولتهم في منتصف عام (١٩٤٨م).

لقد غرست النبوءات الكثيرة التي نسبوها إلى أنبيائهم هذه العقيدة في قلوبهم، وأنا هنا لا أناقش هذه النبوءات ومدى صدقها، فتاريخ اليهود القديم في فلسطين يكذبها وينسفها نسفاً، وهناك العشرات من النصوص المثبتة في العهد القديم تقول بأنهم أورشوا الأرض بشرط الإيمان والطاعة، وإن هم أخلوا بالشرط فسوف يطردون ويشتتون في أنحاء الدنيا كلها، وهذا ما كان.

(١) دراسات في الأديان، د. سعود عبد العزيز، ص ٦١.

مضى على طرد اليهود من فلسطين قرون كثيرة، وصلوات العودة إلى أرض الآباء والأجداد على لسان كل واحد منهم، وظلوا يرددون في أعيادهم تحتهم المحفوظة (العام القادم أورشليم)، وحين بدأ التخطيط لقيام دولتهم الحالية، أجمع زعماء اليهود كلهم على أن تكون فلسطين هي أرض دولتهم، وهذا ما تقرر في مؤتمرهم الأول في (بال) بسويسرا عام ١٨٩٧ م^(١)، وجاء في خطاب هذا المؤتمر: إنا نضع حجر الأساس في بناء البيت الذي سوف يؤوي الأمة اليهودية، ثم اقترح برنامجاً يدعو إلى تشجيع القيام بحركة واسعة إلى فلسطين، والحصول على اعتراف دولي بشرعية التوطين، وكان من قرارات ذلك المؤتمر: إنشاء (المنظمة الصهيونية العالمية) لتحقيق أهداف المؤتمر، وقد تولت أيضاً إنشاء جمعيات عديدة علنية وسرية لتخدم هذا الهدف^(٢).

وقد صرح زعماء اليهود بتصريحات واضحة لرسم مسار تحقيق هذا الهدف الذي اجتمعوا عليه:

- يقول تيودور هرتزل في كتابه (الدولة اليهودية): فلسطين وطننا التاريخي الذي لا يمكن نسيانه.

- ويقول ديفيد بن غوريون: إن الصهيونية لم تبدأ بمؤتمر (بال) ولا بوعد بلفور، ولا بقرارات الأمم المتحدة، بل يوم وعد الله أبانا إبراهيم بأرض فلسطين مُلكاً أبدياً^(٣).

(١) كلام اليهود، محمد علي دولة، ص ٣٧٤.

(٢) التاريخ اليهودي العام، ص ١٩٦.

(٣) كلام في اليهود، ص ٣٧٤.



- ويقول مناحم بيغن: إن هذه الأرض أعطيت لنا بموجب الوعد، ومن حقنا الاحتفاظ بها^(١).

- ويقول الجنرال العسكري موشي ديان: إذا كنا نملك التوراة ونعتبر أنفسنا شعب التوراة، فلا بد أن نملك الأرض التوراتية^(٢).

- وتقول غولدا مائير: إن هذه البلاد وُجدت تنفيذاً لوعده صدر من الرب بالذات، ومن السخف أن تطالبه بحجج حول شرعيتها.

ولا تسأل عن تصريحات الحاخامات الكثيرة والمثيرة؛ فهذا الحاخام زفي يهودا كوك -الشخصية الأكثر تعبيراً عن الصهيونية الدينية- يقول: إن جميع هذه البلاد لنا، ولا يمكن تسليم أجزاء منها للآخرين، ورثناها عن آبائنا، لهذا يجب أن يكون واضحاً لا توجد مناطق عربية^(٣).

يقول الشيخ محمد الغزالي رَحِمَهُ اللهُ: إن اليهود لهم فكرة وحيدة لا تتغير وهي: أنهم الشعب المختار، وأنهم سادة العالم، وأن ما في العالم من مال هو لهم يجب أن يستردوه، وأنهم يجب أن يهدموا المسجد الأقصى لينبأوا على أنقاضه هيكل سليمان. وسوف ينزل الرب ليحل في هذا الهيكل، ويحكم على طريقة شعبه المختار: شعب بني إسرائيل^(٤).

(١) المصدر السابق، ص ٣٧٥.

(٢) سقوط الإمبراطورية الإسرائيلية، جورجي كنعان، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط ١، ١٩٨٠ م، ص ٢٧.

(٣) أنبياء إسرائيل الجدد، د. عبد الغفار دويك، ص ٣٦٦.

(٤) اليهود المعتدون ودولتهم إسرائيل، ص ٣٠٤.



إن هذه العقائد الفاسدة والثقافة المنحرفة، والأفكار المغشوشة في المشروع اليهودي الصهيوني لا يمكن الوقوف أمامها، إلا بالعقائد الصحيحة، والثقافة السليمة، والأفكار الصافية التي منبعها كتاب الله وسنة رسوله الكريم.

١٣ - رجال العقيدة اليهودية الصهيونية:

ظهر من اليهود في القرنين التاسع عشر والعشرين دجالون كثر على مستوى عالٍ من الكفاءة، ولقد ناضلوا نضالاً كبيراً في سبيل مشروعهم، وطموحهم في حل ما يسمى بالمشكلة اليهودية، وإقامة دولةٍ لقومهم ترفع عنهم الاضطهادات الكثيرة التي عانوا منها قرونًا، وخاصة في بلاد الغرب المسيحي^(١).

كان هؤلاء أعداء للعرب والمسلمين، اغتصبوا جزءاً عزيزاً من وطنهم، وأوقعوا مجازر رهيبة بشعبهم وهجروا مئات الآلاف من قراهم، وهدموا مئات القرى، وأقاموا على أشلائها (إسرائيل). لقد ارتكبوا جرائم شنيعة، وقاموا بأعمال همجية مُخزية، لكنهم كانوا رجالاً كباراً في نظر قومهم وفي أنظار آخرين قدموا لقومهم اليهود المشتتين خدمات جليلة لتجميعهم في مكان واحد - بعد معاناة طويلة عبر القرون^(٢) - على حساب المستضعفين من أبناء الشعب الفلسطيني المسلم الذي وقع عليه الظلم والجور، والتهجير وسفك الدماء.. إلخ.

وهؤلاء القادة الصهاينة (المعاصرون) هم علمانيون استخدموا اليهودية المنحرفة "العقيدة التي حرّفها رهبانهم" لجمع شتات اليهود، وإعطائهم جانباً

(١) كلام في اليهود، ص ٣٧٧.

(٢) المصدر السابق، ص ٣٧٨.



روحياً، ومستنداً شرعياً، وهم رغم سيرهم على باطل، لكن تجددهم بخلاف العلمانيين العرب الذين يحاربون ويشوّهون قِيم ومعالم ومآثر ورموز الدين الإسلامي خدمة لأفكارهم واستجابة لإيديولوجيا غير أصيلة، هدفها النيل من عقيدة المسلمين ومبادئهم، وتماسكهم الاجتماعي والأخلاقي والروحي.

ومن أشهر قادة اليهود الذين ساهموا في بناء كيانه المحتل هم:

- تيودور هرتزل.

- حاييم وايزمان.

- ديفيد غوريون.

وكان هؤلاء القادة الصهاينة وغيرهم من رجالات اليهود قد جمعت بينهم أفكار جعلتهم كأنهم فريق عمل موحد غايته واضحة، ومن أهم هذه الأفكار:

- حلم تأسيس الدولة وقيامها كان رسالتهم الأولى في هذه الحياة، وشغلهم الشاغل طيلة سنوات حياتهم.

- عاش جميعهم كل أدوار حياتهم في عمل متواصل، ونضال مستمر، وتحملوا المشاق الكثيرة، وقدموا لأمتهم الخدمات الجليلة.

- ارتبطوا بأرض فلسطين برباط عقدي، فهي في اعتقادهم أرض الميعاد، وارتبطوا بشعبهم برباط ديني رسالي، فهو في نظرهم شعب الله المختار، الذي ينتظره عمل عظيم يقوم به بين الشعوب والأمم. وإليك شيء من مواقف هؤلاء القادة وأعمالهم:

أ- تيودور هرتزل (١٨٦٠-١٩٠٤م):

- أبو الصهيونية، والداعية الأكبر لقيام الدولة اليهودية كحل عصري لليهود في العالم.

- ألف كتاب (الدولة اليهودية)، وتحدث فيه في تفاصيل التفاصيل، كأنه يبني بيديه الدولة اليهودية لبنة لبنة، كما يقول الدكتور أحمد طرين^(١).

- اعتبر كتابه دليل عمل للحركة الصهيونية ودستوراً لمستقبلها.

- جمع قادة اليهود في زمانه في المؤتمر الصهيوني الأول في مدينة (بال) بسويسرا في عام (١٨٩٧م)، وبشّره في نهاية المؤتمر بأن الدولة سوف تقوم على أرض فلسطين بعد خمسين سنة كما قال.

- قضى قريباً من نصف عمره القصير داعياً لقيام الدولة، واتصل بكبار زعماء عصره من أجل هذا العرض، واجتهد طويلاً حتى التقى بالسلطان العثماني عبد الحميد الثاني، الذي رفض أن يسمح لليهود باستيطان فلسطين، لكنه لم يأس وحاول أن يكون إمبراطور ألمانيا شقيقاً له عند السلطان العثماني، فلم ينجح، واتصل بشمبرلن وزير المستعمرات البريطاني، ووزير خارجية روسيا، وزار فلسطين وقضى مبكراً والأمل يحدوه بقيام دولة لليهود في فلسطين الذي أرسل إليها من قبل رسولاً ليرى هل هي كما يزعم بعضهم خالية من السكان، لكن الرسول أجابه: العروس جميلة، لكنها مخطوبة، تأكيد على وجود مواطنين فيها، ومع ذلك لم يعبأ بسكان الأرض، واتجه كسائر زعماء اليهود لاغتصابها وجعلها وطناً لليهود^(٢).

ب- حاييم وايزمان (١٨٧٤ - ١٩٥٢م):

- يهودي روسي، وعالم كيمياء، وأقام في بريطانيا في مرحلة شبابه، لاعتقاده أن مصالحها يمكن أن تتلاقى مع أحلام اليهود.

(١) كلام في اليهود، ص ٣٨٠.

(٢) المصدر السابق نفسه.



- خدم الإنكليز في الحرب العالمية الأولى خدمة كبيرة باكتشافه مادة (الأسيتون) التي أفادتهم كثيراً في حربهم.
- استطاع من خلال اتصاله ببعض الإنكليز خصوصاً (بلفور) وزير الخارجية أن يحصل لقومه على (وعد بلفور) في عام ١٩١٧م، وبعد مئات من اللقاءات والاجتماعات كان هذا الوعد الظالم بداية للدعم الكبير الذي قدّمته بريطانيا لليهود لبناء دولتهم في فلسطين.
- شجّع الهجرة إلى فلسطين، وهاجر هو إليها، وساهم في إقامة الجامعة العبرية، واختير أول رئيس لدولة اليهود بعد قيامها في عام ١٩٤٨م.
- آمن إيماناً عميقاً بما جاء في الأسفار المقدسة عن عودة اليهود إلى فلسطين، ومن أقواله: إن الرب سيجمع المشتدّين من إسرائيل، وسيجمع المشتتين من يهوذا، ومن أركان الأرض الأربعة.
- أصرّ على إبقاء صحراء النقب في المنطقة اليهودية في قرار التقسيم، وأصرّ على حرب العرب، وطردهم من فلسطين^(١).
- ج- ديفيد بن غوريون (١٨٨٦ - ١٩٧٣م):
- يهودي روسي، هاجر إلى فلسطين في عام (١٩٠٦م)، وكان عمره عشرين سنة، وبدأ نضالاً مستمراً إلى أن قامت الدولة في عام (١٩٤٨م)، واعتبر المؤسس الأكبر لها.
- ابتدأ عمله في فلسطين عاملاً زراعياً وحارساً ليلياً.

(١) المصدر السابق نفسه.



- نَفَثَتِ السُّلْطَاتُ الْبَرِيطَانِيَّةُ مِنْ فِلَسْطِينَ بِسَبَبِ نَشَاطِهِ غَيْرِ الْمُنْتَظَمِ، وَلَكِنَّهُ عَادَ مَعَ الْفِيلَقِ الْيَهُودِيِّ التَّابِعِ لِبَرِيطَانِيَا فِي عَامِ (١٩١٨م).
- أَسَّسَ (الهِسْتَدْرُوت) وَهِيَ نَقَابَةُ الْعَمَالِ الْيَهُودِيَّةِ، وَسَاهَمَ فِي إِنْشَاءِ حَزْبِ الْمَابَاي، ثُمَّ حَزْبِ الْعَمَالِ، الَّذِي حَكَمَ إِسْرَائِيلَ طَوِيلًا.
- انْتُخِبَ عَضْوًا فِي الْوَكَالَةِ الْيَهُودِيَّةِ، وَكَانَتْ بِمَثَابَةِ حُكُومَةٍ لِإِدَارَةِ شُؤُونِ الْيَهُودِ.
- أَذَاعَ نَبَأَ إِعْلَانِ قِيَامِ الدَّوْلَةِ فِي مُنْتَصَفِ عَامِ (١٩٤٨م)، وَشَكَلَ الْوِزَارَةَ الْيَهُودِيَّةَ عِدَّةَ مَرَّاتٍ، وَتَوَلَّى إِنْشَاءَ الْجَيْشِ الْيَهُودِيِّ، وَطَلَبَ أَنْ لَا يُشَارَ إِلَى حُدُودِ الدَّوْلَةِ، وَأَلَّا يُكْتَبَ لَهَا دَسْتُور.
- قَضَى سَبْعًا وَسِتِينَ عَامًا مِنْ حَيَاتِهِ فِي نِضَالٍ مُسْتَمِرٍّ، وَكَانَ يُؤْمِنُ بِتَفُوقِ الشَّعْبِ الْيَهُودِيِّ، وَلَهُ أَحْلَامٌ مُشِيحَانِيَّةٌ عَرِيضَةٌ.
- آمَنَ بِالْفِكْرِ التَّوَسُّعِيِّ، وَشَجَّعَ الْهَجْرَةَ إِلَى فِلَسْطِينَ كَثِيرًا، وَسَاهَمَ فِي طَرْدِ الْعَرَبِ مِنْ دِيَارِهِمْ وَالتَّنْكِيلِ بِهِمْ.
- كَانَ يَسْتَمِدُّ رُؤْيِيَّتَهُ لِلْوَاقِعِ التَّارِيخِيِّ وَالتَّوْرَةِ، وَالتَّلْمُودِ مِنْ انْتِصَارِ الْجَيْشِ الْإِسْرَائِيلِيِّ الْمُسْتَمِرِّ، الَّذِي وَصَفَهُ خَيْرُ مُفَسِّرِ التَّوْرَةِ.
- حَظِيَ بِاحْتِرَامٍ وَإِعْجَابٍ كَبِيرَيْنِ، وَاعْتُبِرَ السِّيَاسِيُّ الْأَكْبَرُ فِي تَارِيخِ دَوْلَةِ إِسْرَائِيلَ، وَتَرَكَ بِصَمْتِهِ فِيهَا حَتَّى هَذَا التَّارِيخَ.
- إِنْ إِسْرَائِيلَ أَسَّسَتْ عَقِيدَتَهَا فِي أَرْضِ الْمِيعَادِ عَلَى أَيْدِي الرِّجَالِ الْيَهُودِ الْكِبَارِ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ تُقِيمَهَا إِنْكَلْتِرَا وَفَرَنْسَا وَالْوِلَايَاتُ الْمُتَّحِدَةُ الْأَمْرِيكِيَّةُ، وَيَعْتَرَفُ بِهَا الْإِتِّحَادُ السُّوفِيَّيْتِي^(١).

(١) كَلَامٌ فِي الْيَهُودِ، ص ٣٨٢.



ولقد درس اليهود حال المستعمرين، فوجدوا أن بريطانيا أنسب الدول لهذا الأمر التي تتفق رغبتها في وضع داء في وسط الأمة الإسلامية موالٍ للغرب، مع رغبة اليهود في وطن قومي لهم^(١).

١٤ - الدعم الأوربي والأمريكي لليهود:

كانت أكثر البلاد العربية تحت سيطرة بريطانيا فدبر قادة اليهود معها مؤامرة، وأخذوا بذلك وعداً من (بلفور) رئيس وزراء بريطانيا ثم وزير خارجيتها عام (١٩١٧م) أعلن فيه أن بريطانيا تمنح اليهود حق إقامة وطن قومي لهم في فلسطين، وأنها ستسعى جاهدة في تحقيق ذلك. وكان اليهود قد بدأوا الهجرة إلى فلسطين في الوقت الذي كانت فيه فلسطين تحت الانتداب البريطاني، فاستطاع اليهود بسبب الهجرة من تكوين دولة داخل دولة، وكانت الحكومة البريطانية تحميهم من بطش المسلمين، وتتعامل معهم بكل تسامح، في الوقت الذي تتعامل فيه مع المسلمين بكل شدة وتنكيل، ولما ضعفت بريطانيا عن تحقيق أمانى اليهود، أحالت الأمر للأمم المتحدة التي تتزعمها الولايات المتحدة الأمريكية، والتي بدورها استلمت الدور البريطاني في المنطقة، فأرسلت الأمم المتحدة لجانها إلى فلسطين، ثم قرّرت هذه اللجان تقسيم فلسطين بتخطيط يهودي وضغط أمريكي، فأعلن قرار التقسيم لفلسطين بين المسلمين واليهود في ٢٩/١١/١٩٤٧م.

فقررت الحكومة البريطانية بعده الانسحاب من فلسطين، تاركة البلاد لأهلها؛ وذلك بعد أن تأكدت أن اليهود قادرون على تسلم زمام الأمر، فعند خروجها في

(١) دراسات في الأديان، ص ٦٢.



مايو عام (١٩٤٨م) أعلن اليهود دولتهم، التي اعترفت بها أمريكا بعد إحدى عشرة دقيقة، وكانت روسيا قد سبقتها بالاعتراف، ثم استمر دعمها حتى تقوم على قدميها. وخاضت ضد المسلمين عدة حروب مُني فيها المسلمون بهزائم؛ بسبب بُعدهم عن دينهم وتفرّقهم إلى أمم وأحزاب وخيانة بعضهم^(١).

وقد رأت الدول الغربية وأمريكا أنها ستكسب مكسبين عظمين من إقامة هذا الكيان في جسد الأمة الإسلامية:

أحدهما: أنها تسلم من شرور اليهود وسيطرتهم وفسادهم وتحكّمهم في البلاد وثروتها.

ثانيهما: أنها تضع في قلب الأمة الإسلامية دولة حليفة لهم، وهي في نفس الوقت علة تستنزف قوى الأمة الإسلامية، وتضع بذور الفرقة والخلاف بين أمرائها، حتى لا تقوم لها قائمة^(٢).

وهذا المخطط قديم وليس جديداً، فقد اجتمعت الدول الاستعمارية (بريطانيا وفرنسا، وهولندا، وبلجيكا) عام ١٩٠٧م للبحث في عوامل البقاء لدولتهم واستعمارهم، ومما خرجوا به من قرارات ما يعرف بتقرير (كاميل باترمان)، ونورد نصّه لأهميته حيث جاء فيه:

”إن الخطر في الاستعمار يكمن في البحر الأبيض المتوسط فعلى الشواطئ الشرقية والجنوبية لهذا البحر شعب واحد، تتوفر له وحدة التاريخ والدين، واللغة، وكل مقومات التجمع والترابط، هذا فضلاً عن ثرواته الطبيعية ونزعة

(١) المصدر السابق نفسه.

(٢) المصدر السابق، ص ٦٤.



للتحرر، فلو أخذت هذه المنطقة بالوسائل الحديثة، وإمكانيات الصناعة الأوروبية وانتشر التعليم بها فستحل الضربة القاضية بالاستعمار الغربي، فيجب إذن على الدول ذات المصالح المشتركة أن تعمل على استمرار تجزؤ هذه المنطقة، وإبقاء شعبها على ما هو عليه من تفكك وتأخر، وهذا يستلزم فصل الجزء الأفريقي في هذه المنطقة عن الجزء الآسيوي، وتقترح اللجنة لذلك: إقامة حاجز بشري قوي وغريب يحتل الجسر الذي يربط آسيا بأفريقيا؛ بحيث يشكل في هذه المنطقة وعلى مقربة من قناة السويس قوة صديقة للاستعمار وعدوة لسكان المنطقة^(١). ويتضح من هذا التقاء المصالح الغربية والأطماع اليهودية، وأنهم جميعاً كادوا للأمة الإسلامية^(٢).

وأما الدعم الأمريكي لإسرائيل، فهو يغني عن الحديث عن دعم ما سواها من الدول: لقد تعددت صور هذا الدعم وتنوعت، من دعم سياسي، إلى مالي واقتصادي، وإلى دعم عسكري، ولقد فاق هذا الدعم كل تصور، إذ اعتبرت أمريكا دولة (إسرائيل) حليفاً استراتيجياً دائماً، فقدمت لها -وما تزال- معونات تتجاوز عشرات المليارات من الهبات النقدية، والمعونات الاقتصادية، وقدمت لها السلاح الفتاك المدمر الذي قتل الأطفال الفلسطينيين، واللبنانيين، والمصريين، وأمدتها بالجسور الجوية المتصلة من العتاد الحربي في أزماتها، لا سيما في حرب أكتوبر ١٩٧٣ م. ودعمتها في المواقف السياسية، واعترضت -بالفيتو الظالم - على كثير من قرارات مجلس الأمن التي أريد بها إدانة (إسرائيل).

(١) المصدر السابق، ص ٦٢.

(٢) المصدر السابق نفسه.

ولا ننسى موقفها المنحاز جداً لإسرائيل يوم التصويت على قبولها كدولة شرعية من قبل مجلس الأمن في عام ١٩٤٨م، فلقد بذلت واشنطن قصارى جهدها في إقناع بعض الدول بالترغيب والترهيب على التصويت إلى جانب هذا القرار، وأن أمريكا فتحت خزائنها ومستودعاتها وترساناتها الحربية لهذا الكيان الوليد، وتوجهت بثقلها السياسي إلى خدمتها^(١).

وبلا شك، فإن الولايات المتحدة الأمريكية هي التي نفذت تلك الجريمة، ووضعت الخنجر المسموم في يد القاتل اليهودي الأثيم، وبمساعدها السياسية والمالية والعسكرية لليهود إثر الحرب العالمية الثانية، وتأييدها لهم في الأمم المتحدة، ومجالات السياسة الدولية، وبإغداقها عليهم بالأموال بغير حساب، فهي من أكثر الدول الداعمة للكيان الصهيوني وهي تتحمل وزرها، ومسؤوليتها لا تقل بحال عن وزير بريطانيا ومسؤوليتها في كارثة فلسطين العظمى أمام الله، ثم التاريخ وبني الإنسان^(٢).

لقد اجتمعت عوامل عديدة: سياسية، واقتصادية، وثقافية، وفكرية، ودينية، في دعم قيام كيان دولة لليهود في فلسطين، ومن أهم تلك العوامل:

١ - الفكر الديني عند البروتستانت الأمريكيين الذين يشكلون معظم سكان الولايات المتحدة؛ ذلك الفكر المؤمن بعودة المسيح عيسى ابن مريم ثانية إلى هذه الأرض، ويشترط لعودته أن تقوم دولة لليهود في فلسطين.

إن هذا الفكر له نصيب كبير في حمل الإدارة الأمريكية على دعم إسرائيل، وكان عدد كبير من رؤساء إسرائيل يعتقدون هذا المعتقد وفي طليعتهم، كارتر،

(١) كلام في اليهود، ص ٣٩١.

(٢) اليهود المعتدون ودولتهم إسرائيل، محمد الغزالي، دار النهضة، مصر، ١، ٢٠١٠م، ص ١٩٩.



وريجان، وكليتون، وبوش الابن. واعتناق الملايين من الأمريكان الصهاينة له مع عدد وافر من القسّس الذين يروّجوا لهذا الفكر. وهناك مبرّر مهم جداً يغفل عنه كثير من الباحثين المحليين، وهو أن الولايات المتحدة دولة استعمارية بامتياز وإن كان استعمارها يختلف عن الاستعمار التقليدي المندثر، إنها لا تريد استعمار الأرض، بل تريد استعمار البترول وغيره من خيرات العالم العربي، تريد أن تجعل هذا العالم سوقاً تجارياً لها، لا يزاحمها عليه أحد، وهي حتماً في هذا المجال مع (إسرائيل) التي استعمرت الأرض، وتريد استعمار الشرق العربي اقتصادياً وصناعياً، هذا هو الذي جمع بين الدولتين، ووضع هذا الحلف المتين بينهما. ومن ناحية أخرى فإن أمريكا لا تثق بالعرب أبداً ولو قدموا لها كل شيء^(١).

٢- إن أمريكا تتخوّف من نظرتها إلى العرب من خلفيتهم الإسلامية، فهم ربما يفيئون إلى هذه الخلفية مستقبلاً، وأعظم ما يخيفها ويخيف إسرائيل أن تنهض العرب نهضة إسلامية من جديد، ومن هنا كان لا بد من هذا الحلف الاستراتيجي غير المقدس بين أمريكا وإسرائيل^(٢).

لقد كلفت إسرائيل الغرب عموماً وأمريكا خصوصاً كثيراً جداً، كلفتهم مالا عظيماً، ومواقف مخزية كثيرة، وانحطاطاً أخلاقياً كبيراً، ومسؤولية أمام الله، والتاريخ عظيمة^(٣).

ويقول (أنطون لاغارديا): شكلت (إسرائيل) -ولا تزال- خنجراً يهودياً في قلب العالم العربي، ويفصل مصر وشمال أفريقيا عن الهلال الخصيب

(١) كلام في اليهود، ص ٣٩٢.

(٢) المصدر السابق نفسه.

(٣) المصدر السابق، ص ٣٩٣.

وشبه جزيرة العرب، ومجرد وجودها عند العرب هو إذلال. إنها تمثل دولة صليبية جديدة^(١). ولكن من أعان على صنع هذا الإذلال؟ إنه الغرب عموماً، والصهيونية الأمريكية خصوصاً!^(٢)

٣- كما أنه لا شك في أن قادة العرب، وكثير من نخبهم السياسية والفكرية والثقافية ساهمت في ذلك، لأنهم جهلوا رسالتهم، ونسوا تاريخهم، وعاشوا في دنيا الناس أذنباً وعن كتاب الله وهدى نبيه غرباء.

إن مجموعة الشعوب الإسلامية تشعر بجزع مُر للحروب التي بين العرب واليهود، للطريقة التي جربت بها هذه الحروب، ولمظاهر الانحلال والفسق عن أمر الله التي ملأت جوّها. كان العرب في العقود الماضية وفي حربهم مع دولة الكيان الصهيوني أزهد الناس في كتابهم، وكان اليهود ألصق الناس بتوراتهم، كان اللص متحمساً في الهجوم، وكان رب البيت بارداً في الدفاع^(٣).

وبلغ نجاح الغزو الثقافي لبلادنا أن الحرب تعلن لفرض دين واجتياح أمة، ومع ذلك تتبارى وسائل الإعلام في تضليل الفكر العربي وتصف هذه الحرب بأي شيء إلا أن تتصل بالدين، ولم ذلك؟ حتى لا يستيقظ الوعي الإسلامي العام، وتتجاوب الأصداء بضرورة العودة العامة الجادة إلى الإسلام لوقف هذا الفناء القادم.

(١) أرض الميعاد لمن، كولن تشابن، الشركة العالمية للكتاب، ط ١، ٢٠٠٤م، ص ١٣٤ - ١٣٥.

(٢) كلام في اليهود، ص ٣٩٤.

(٣) اليهود المعتدون، ص ١٢١.



لكن آمالنا أن غرائز الأمم تصحوا الملاقاة الخطر الداهم، وأن التنادي بالإسلام سوف يكون اليوم صيحة النجاة، وسوف يكون غداً صيحة النصر ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سِيرِكُمْ ءَايَتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [النمل: ٩٣]^(١).

وقد تحدث الشيخ محمد الغزالي رَحِمَهُ اللَّهُ عن إسرائيل وبيّن في مقالاته بأنها دولة قامت على أعمدة من: التوراة، والبندقية، والتخطيط اليهودي الذكي، والعون الصليبي الكبير، والتخاذل العربي المدبر.

إن البعد الديني اليهودي كان ولا زال حاضراً في تأسيس الكيان الصهيوني في فلسطين، وقد كتب (وايزمن) في مذكراته السياسية، قائلاً: "إن اللورد بلفور ولويد جورج وغيرهم من قادة إنجلترا أعطوني الوعد بمشاعر دينية"^(٢).

في معركة الجزائر وكان الاستعمار الفرنسي شمولياً استيطانياً استعماريًا استهدف كل مقومات الشعب الجزائري، واستمر نحو ١٣٠ عاماً، ومع هذا استطاع الشعب أن يقاوم ويحرّر بلاده من المستعمر اللعين بعقيدته الإسلامية، وتمكّنه بالقرآن الكريم وهدى سيد المرسلين وأخذه بسنن الصراع.

وفي مرحلة الجهاد الأخيرة التي ترتب عليها استقلال الجزائر ودحر المحتل الفرنسي، كان الثوار الجزائريون يسمون صحيفتهم (الجهاد) وكان العلماء لهم دور كبير في توجيه القادة السياسيين والاجتماعيين والنخب المتنوعة وعموم الشعب للتمسك بالإسلام؛ وبرز الشيخ عبد الحميد بن باديس، ومحمد البشير الإبراهيمي، من خلال جمعية العلماء الجزائريين في تفجير الطاقات الكامنة في

(١) اليهود المعتدون، ص ١٢٢.

(٢) المصدر السابق، ص ١٢٧.

الشعب وتربيتهم على القيم الروحية والأخلاقية المستمدة من القرآن الكريم. وابن باديس رَحِمَهُ اللَّهُ كان مناهضاً صلباً للاستعمار الثقافي والفكري والعسكري والسياسي الفرنسي؛ وقد اشتهرت قصيدته التي غدت نشيداً تغنت به أجيال كثيرة من أبناء مسلمي الجزائر:

شَعْبُ الْجَزَائِرِ مُسْلِمٌ	وَإِلَى الْعُرُوبَةِ يَنْتَسِبُ
مَنْ قَالَ حَادَّ عَنْ أَصْلِهِ	أَوْ قَالَ مَاتَ فَقَدْ كَذَبَ
أَوْ رَامَ إِدْمَاجًا لَهُ	رَامَ الْمُحَالَ مِنْ الطَّلَبِ ^(١)
يَا نَشْءُ يَا ذُخْرَ الْجَزَائِرِ	فِي الشَّدَائِدِ وَالْكُرْبِ
يَا نَشْءُ أَنْتَ رَجَاؤُنَا	وَبِكَ الصَّبَاحُ قَدْ اقْتَرَبَ
خُذْ لِلْحَيَاةِ سِلَاحَهَا	وَخُضِ الْخُطُوبَ وَلَا تَهَبْ
وَأَرْفَعْ مَنَارَ الْعَدْلِ وَالْإِ	حْسَانِ وَاضْطِدْ مَنْ غَضَبَ
وَاقْلَعْ جُذُورَ الْخَائِنِينَ	فَمِنْهُمْ كُلُّ الْعَطَبِ
وَأَذِقْ نَفُوسَ الظَّالِمِينَ	سُمًّا يُمَزَجُ بِالرَّهَبِ
وَاهْزُزْ نَفُوسَ الْجَامِدِينَ	فَرُبَّمَا حَيَّ الْخَشَبِ
مَنْ كَانَ يَبْغِي وَدَّعَانَا	فَعَلَى الْكَرَامَةِ وَالرَّحَبِ
أَوْ كَانَ يَبْغِي ذُلَّنَا	فَلَهُ الْمَهَانَةُ وَالْحَرْبِ

(١) كفاح الشعب الجزائري، علي محمد الصلابي، دار المعرفة، بيروت - لبنان، ط١، ٢٠٠٥م، (٥٦٩/٢).



هَذَا نِظَامُ حَيَاتِنَا بِالنُّورِ خُطٌّ وَبِاللَّهَبِ
 حَتَّى يَعُودَ لِقَوْمِنَا مِنْ مَجْدِهِمْ مَا قَدْ ذَهَبَ
 هَذَا لَكُمْ عَهْدِي بِهِ حَتَّى أَوْسَدَ فِي التُّرْبِ
 فَإِذَا هَلَكْتُ فَصِيْحَتِي تَحِيًّا الْجَزَائِرُ وَالْعَرَبُ^(١).

إن الشيخ عبد الحميد بن باديس وزعماء الثورة الجزائرية من بعده وخلفهم الشعب الجزائري، قاوموا الغزو الفكري الفرنسي، وأشعلوا جذوة الثورة، واستمر لهيبها حتى أحرق المستعمر بالإسلام، وكان يطرح الإسلام، ويربى عليه تلاميذه، ويعرف الناس به بنظرته الشاملة لدينهم.

ومما قاله في هذا الصدد، ونحن لما نظرنا إلى الإسلام وجدناه الدين الذي:

- يحترم الإنسانية في جميع أجناسها، فيقول جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي
 آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾.

- ويقرر التساوي والأخوة بين جميع الأجناس، ويبين أنهم كانوا أجناساً
 للتمييز لا للتفضيل، وأن التفاضل بالأعمال الصالحة فقط، فيقول الله: ﴿يَا أَيُّهَا
 النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ
 أَتَقَدُّكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣].

- ويدعو تلك الأجناس كلها إلى التعاطف والتراحم بما يجمعها في
 وحدة الأصل ووشائج القرابة القريبة والبعيدة، فيقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا

(١) كفاح الشعب الجزائري (١٩/٢).

النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ [النساء: ١].

- ويقرر التضامن الإنساني العام بأن الإحسان إلى واحد إحسان للجميع، والإساءة إلى واحد إساءة للجميع، فيقول: ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢].

- ويقرر شرائع الأمة، ويهون عليها شأن الاختلاف ويدعوها كلها إلى التسابق في الخيرات، قال تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً﴾ [المائدة: ٤٨].

- يؤمن المسلمون بالكتب السماوية الأخرى، ويسلمون أمر التصرف لأهلها، ويحترمون الاختلاف الديني والفكري من قبل الشعوب كافة، ويقول القرآن الكريم: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ٦].

- يأمر الدين الإسلامي بالعدل العام مع العدو والصدیق، إذ قال تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٨].

- يُحرِّم الدين الإسلامي الاعتداء تحريماً عاماً على البغيض والحبيب، فيقول: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا ۚ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدُونِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢].

- ويأمر بحسن التخاطب، فيقول: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣].



فلما عرفنا هذا، وأكثر من هذا في الإسلام، وهو الدين الذي فطرنا الله عليه بفضلله، عَلِمْنَا أنه دين الإنسانية الذي لا نجاة لها ولا سعادة إلا به، وأن خدمتها لا تكون إلى على أصوله، وأن إيصال النفع إليها لا يكون إلا من طريقه، فعاهدنا الله على أن نقف حياتنا على خدمته ونشر دينه وخدمة كل ما هو بسبيله ومن ناحيته، فإن عشتُ له فإني أعيش للإنسانية لخيرها وسعادتها في جميع أجناسها وأوطنها وفي جميع مظاهر عاطفتها وتفكيرها، وما كنا لنكون هكذا إلا بالإسلام الذي ندين به ونعيش له، ونعمل من أجله، فهذا -أيها الإخوان- معنى قلبي، أنني أعيش للإسلام^(١).

إن اهتمام ابن باديس بالإسلام، وارتباطه به يعتبر محورياً جوهرياً في استراتيجية التغيير التي سار عليها في حياته، ويرجع ذلك إلى قناعته على قدرة تعاليم الإسلام على التصدي لمخططات الاستعمار وأكاذيب المستشرقين ودعاة التنصير، والتصدي لمؤامرات الغزاة، الذين كانوا يستهدفون النيل من الكيان الروحي للجزائر، ومن ثمة ابتلاع الوطن أرضاً وعقيدة وثقافة، ولذلك ابن باديس يدافع عن الإسلام ويجهاد في سبيل حمايته من خطر الابتلاع، وحماية بلاده مما يدبر لها، إذ لا فرق عنده بين الدين والوطن، فالدفاع عن الوطن يتضمن حتماً الدفاع عن الدين.

وهذه هي استراتيجية ابن باديس التي أصبحت استراتيجية جمعية العلماء، فهو لم يفصل في معاركه التي خاضها في هذا السبيل هو ورفاقه بين الإسلام والجزائر^(٢).

(١) إمام الجزائر، ص ١٦٦ / كفاح الشعب الجزائري (٢/ ٥٥٥).

(٢) كفاح الشعب الجزائري (٢/ ٥٥٥).

وما غادر ابن باديس الحياة إلا بعد أن نجح في ترسيخ القيم والمبادئ ومقاصد القرآن الكريم في الشعب الجزائري بقلمه ولسانه وتلاميذه وجهاده ودعواته، ولقد أحدث إصلاحاً شاملاً، واحتفظت الجزائر بشخصيتها الإسلامية، وقاومت التفرنس والاندماج والاستعمار بفضل الله، ثم ابن باديس، ومن كان على نهجه ومنواله في النضال والجهاد، وأبناء الشعب الجزائري الذين استجابوا لخطاب الهوية والعقدية والحضارة والتاريخ والأشواق الروحية، فقد مهد ابن باديس بفكره المستنير وعبقريته الفذة، وتعاليمه العظيمة وتضحياته الكبيرة لولادة الثورة الجزائرية، عام ١٩٥٤م^(١).

اندلعت ثورة الجزائر وكانت الولايات المتحدة وحلف الناتو وروسيا مساندة لفرنسا، إلا أن الله عزَّجَل أخذ بأيدي الشعب الجزائري فوفقهم بأخذ السنن في الصراع؛ فكانت عوامل النصر التي تعامل معها قادة الجزائر والشعب الجزائري كثيرة منها:

- القيادة السياسية والعسكرية الواعية.
- التخطيط والتنظيم في كل المجالات.
- وضوح الرؤية والهدف المنشودة.
- دور الإسلام كعقيدة ودين في التضحية والفداء وطلب الشهادة.
- التواصل مع كل ألوان الطيف الجزائري وتنظيمه وترتيبه في جبهة عريضة ضد المستعمر.
- بناء جيش التحرير على أسس حديثة مادية وقيم معنوية وروحية مستمدة من الإسلام.

(١) المصدر السابق، (٢/٢٢).



- تشكيل جهاز مخابرات قوي تابع للحكومة المؤقتة.
- الإعلان عن ميثاق وطني حدد مبادئ وأهداف ثورة الجزائر.
- تشكيل فريق سياسي دبلوماسي للتواصل مع الأحرار في العالم: شعوباً، ودولاً؛ وجلب التأييد لقضيتهم العادلة.
- نجاحهم في التواصل مع المحيط العربي والإسلامي وأحرار العالم؛ فقد وقفت الشعوب العربية والإسلامية مع حكامها لدعم الجزائر.
- خطاب إعلامي متوازن يعلي من قيمة الحرية، وحق الشعب الجزائري في العيش الكريم، ونيل حريته، ودحر المحتل البغيض.
- فكرة جامعة الشعب (الحرية والاستقلال، ضد الاحتلال الفرنسي وعبوديته) غذّيت بعقيدة إسلامية وقيم حضارية ومبادئ إسلامية.
- وغير ذلك من العوامل. وقد تعاملت قيادة ثورة الجزائر مع السُّنن بذكاء؛ فلم تهمل:
- سُنّة الأخذ بالأسباب.
- وسُنّه التدافع العسكري والسياسي والثقافي والفكري والحضاري.
- وسُنّة التدرج في الإعداد للثورة.
- وصبرت على سُنّة الابتلاء، وأخذت بأسباب التمكين المعنوية والمادية وشروطه، وحققت أهدافه، وغير ذلك من السُّنن الاجتماعية والنفسية والتاريخية.
- كانت ملحمة عظيمة في انتصار الحق على الباطل، والخير على الشر، والحرية على العبودية والاستقلال على الاستعمار.



لقد كتبت ثلاث مجلدات عن كفاح الشعب الجزائري، وخرجت بقناعة راسخة: هي أنَّ الشعب الفلسطيني سينجح - حتماً بإذن الله - ويقدر على تحرير بلاده من المحتلين؛ فعوامل النجاح متوفرة أكثر من الثورة الجزائرية. كما أنني أنصح قادة الشعب الفلسطيني بدراسة تجارب الشعوب، واستلهام الدروس والعبر، واستخراج الفوائد في مسار الكفاح والنضال والجهاد.

١٥ - تزيف الحقائق وادعاء الحق اليهودي في قضية فلسطين:

سعت (الصهيونية) - في محاولات جادة - لتشويه وطمس القضية الفلسطينية، وذلك في حملات من التضليل المتعمد والادعاءات الكاذبة، والدعاية المخادعة، التي تراكت طوال العقود؛ لكي تبرهن لليهود أولاً، وللرأي العام العالمي ثانياً، أحقيتها دون غيرها في فلسطين. وأسندت الدعاية الصهيونية في تبرير احتلالها لفلسطين وما جاورها من مناطق (المشرق العربي)، على حقوق اخترعها اليهود، وكانت قبلاً لا وجود لها في أي قاموس علمي، أو سياسي، أو تاريخي، أو اجتماعي، أو غيره، في أي عصر من العصور؛ ومن ذلك^(١):

أ- الحق التاريخي:

ومضمون الحق التاريخي، استيطان اليهود الغابرين (فلسطين)، وإقامة كيان سياسي فيها، في فترات قصيرة ومنقطعة الزمن^(٢). وهذا الحق - المزعوم - ساقط لما يأتي:

(١) العنصرية اليهودية، د. أحمد الزعبي، مكتبة العبيكان، ط ١، ٢٠١٠م، (٣/ ٥٢١).

(٢) فلسطين في ضوء الحق والعدل، هنري كتن، ص ١٤٩.



- أن العرب أول من استوطن (فلسطين)، ولم ينقطع وجودهم فيها على مر التاريخ إلى يومنا هذا، وأقدم هجرة حفظها التاريخ إلى فلسطين هي هجرة سكان الجزيرة العربية من الكنعانيين، فبعدها أخذ الجفاف ينتشر في المناطق الصحراوية، اضطروا إلى الهجرة إلى مناطق ذات موارد مائية وفيرة، فكانت الهجرة إلى فلسطين وما جاورها شرقاً وغرباً، حيث كانت من أخصب الأراضي بالخيرات الزراعية والمعدنية منذ العصور القديمة، ويطلق عليها بلاد الشام، أي: سوريا، ولبنان، وفلسطين، وشرقي الأردن. والكنعانيون: أصلهم من ذرية كنعان بن حام بن نوح عَلَيْهِ السَّلَام، وقد نسب إليه سكان الجزيرة، وهم في أدق التقارير هاجروا إلى فلسطين في النصف الأول من الألف الثالثة قبل الميلاد، واستوطنوا في وسط فلسطين، وباسمهم سميت (أرض كنعان) وهو الاسم الذي يكثر وروده في التوراة، وإليهم يرجع الفضل في تأسيس حضارة فلسطين القديمة. وكانت المستوطنات الكنعانية منقسمة إلى دويلات صغيرة محصنة على غرار دويلات المدن الجنوبي العراق، وكانت هذه الدويلات في نزاع وحروب فيما بينها، فاضطر بعضها إلى التمرکز في سفوح جبال لبنان. وهكذا نشأت المدن الكنعانية في سفوح الجبال على السواحل، وقد سمى اليونانيون مجموعة هذه المدن البحرية التي كانوا على اتصال بها: (فينيقيا)، ومعناه (أرجواني أحمر).

وظل الفينيقيون متصلين بالكنعانيين حتى عهد الرومان. ويرى (غوستاف لوبون) أن قبيلة غير سامية هاجرت من جزيرة (إقريطش) من اليونان تعرف باسم فلسطين، ملكت الساحل الجنوبي في أرض فلسطين^(١).

(١) اليهود في تاريخ الحضارات الأولى، غوستاف لوبون، ص ١٩. ودراسات اليهودية والمسيحية وأديان الهند، د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي، ص ٤٠.

وكانت النشأة الأولى لمدينة القدس على أيدي العرب اليوسيين الذين وصلوا إلى موقع القدس في موجة انتقال بشري من شبه الجزيرة العربية في حدود عام ٢٣٠٠ ق.م.

وقد أثبت علماء الآثار -بعد الحفريات والتنقيب، وبعد دراسة بعض الآثار من حصون المدينة- أنها أنشئت عام ١٨٠٠ ق.م، أي قبل غزوة العبرانيين لها، قرابة ٨٠٠ ق.م.

ومن القبائل التي يكثر ذكرها في التوراة المحرقة: المعاليق؛ وهم من العرب الخالص، وقد سكنوا فلسطين الوسطى والجنوبية قبل وصول العبرانيين إليها. وأما التراث الإسرائيلي، فينصّ على أنهم من ذرية عيسو ابن إسحاق من زوجته رفقة، وبعد عهد يشوع تمكن الإسرائيليون الوافدون من خارج فلسطين من الاستيلاء على (غزة) و(عقرون)، ولكن عاد الفلسطينيون فأوقعوا هزائم شديدة بالإسرائيليين في أواخر عهد القضاة، واستولوا على تابوت العهد، وبقي الإسرائيليون تحت حكمهم أربعين سنة. وفي عهد صموئيل استرجع الإسرائيليون المدن الساحلية التي استولى عليها الفلسطينيون، وكانت الحرب بينهم دولاً، حتى تقلد الحكم نبي الله الملك داوود عَلَيْهِ السَّلَام خلفاً لشاول، فاستطاع أن يسترد تابوت العهد من أهل فلسطين^(١).

وفي الشمال الشرقي لنهر الأردن كانت قبائل الآراميين الوافدة من حوض الفرات وهي عمون في الشمال، ومؤاب في الوسط، وأدوم في الجنوب، ونسب

(١) دراسات في اليهود والمسيحية وأديان الهند، ص ٤١.



هؤلاء إلى آرام بن سام بن نوح، كما جاء في سفر التكوين في الإصحاح العاشر
الفقرة الثانية والعشرين^(١).

ومن المرجح أن اشتقاق كلمة (إرم) الواردة في القرآن الكريم هو من اسمهم؛
لأن هؤلاء سرعان ما تحولوا من الحياة البدوية إلى الحياة الحضرية، وأن خصب
موقعهم ساعدهم على التحول. وهذه هي القبائل التي كانت تسكن فلسطين وما
حولها باختصار^(٢).

الإسرائيليون منذ ١٩٦٧م بدأوا بالتنقيب وإجراء الحفريات في محيط
القدس، وخصوصاً أسفل قبة الصخرة والمسجد الأقصى، بحثاً عن الهيكل
المزعوم، ولكنهم لم يجدوا شيئاً وأصابهم اليأس، بل وجدوا آثاراً وشواهد
تؤكد عروبة المدينة وإسلاميتها. وإن كان ثمة شيء من آثارهم، فقد انتهت بعد
حروب البابليين والإيرانيين، ولم يبق شيء من الآثار الإسرائيلية، وخاصة بعد
حرب (تيتوس) الروماني، بل أقام مكانه معبداً عظيماً لأحد آلهته، وغير اسم
أورشليم إلى (إيليا)^(٣)، كما ذكرنا سابقاً.

إن العرب لم ينقطع وجودهم التاريخي من فلسطين منذ الحضارات القديمة
إلى يومنا هذا، كما أن فلسطين قد تعاقب على حكمها عدة دول: الكنعانية،
والمصرية، والفلسطينية، واليهودية، والآشورية، والبابلية، والفارسية،
واليونانية، والرومانية، والإسلامية، والصليبية، ثم الإسلامية، فلو فتح الباب بناء

(١) المصدر السابق نفسه.

(٢) المصدر السابق، ص ٤٢.

(٣) المصدر السابق، ص ٤٢.

على أن دولة حكمت أراضي شعوب دولة أخرى، لتغيرت خارطة العالم رأساً على عقب، ولكان حق النصارى في فلسطين أعظم من حق اليهود؛ لأنهم كانوا بعدهم تاريخياً في (فلسطين)، علماً بأن المسلمين فتحوا (فلسطين)^(١)، وهي تحت حكم النصارى لا اليهود.

ب- الحق الديني:

إن مضمون الحق الديني: الوعود الإلهية الواردة في (العهد القديم) لأنبياء بني إسرائيل عَلَيْهِمُ السَّلَامُ بتمكينهم ونسلهم ما بين النيل إلى الفرات، ولا سيما فلسطين ملكاً أبدياً؛ فقد جاء في العهد القديم: في ذلك اليوم قطع الرب على أبرام ميثاقاً قائلاً: لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى الكبير نهر الفرات^(٢). وهذا الحق المزعوم ساقط -أيضاً- لأن (العهد القديم) قد ثبت تحريفه^(٣)، فلا تستبعد أن تكون هذه الوعود مما تم تحريفه داخل أسفاره، وعلى فرض صحة هذه الوعود -جداً- فليس لليهود حق؛ وذلك لما يأتي:

- أن هذه الوعود الإلهية مشروطة بشرطين، هما:

الشرط الأول: طاعة الله تعالى، حيث يقول سبحانه: ﴿يَبْنِي إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ [البقرة: ٤٠]. ولكنهم عصوه، ولذلك حكم عليهم الخبير بقوله سبحانه: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأعراف: ١٦٧].

(١) العنصرية اليهودية (٣/ ٥٦٢)

(٢) المصدر السابق نفسه.

(٣) المصدر السابق نفسه.



الشرط الثاني: أنها محدودة بفترة زمنية تمت خلال حكم اليهود لـ (فلسطين) حتى زوال ملكهم عام ٥٨٦ ق.م.

- كما أن نسل إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَام لا ينحصر في إسحاق، والد يعقوب (إسرائيل) عَلَيْهِمَا السَّلَام الذي من نسله بني إسرائيل، وإنما يشمل أيضاً إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَام الذي من نسله (العرب) وعلى رأسهم رسول الإسلام محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الذي نسخ دينه كافة الأديان الأخرى، وقد ملكت أمته ما جاء في هذه العهود وزيادة، إلى يومنا هذا، بل إلى أن تقوم الساعة بإذن الله تعالى.

فتكون هذا الوعود -على فرض صحتها- قد تحققت لبني إسرائيل؛ لما كانوا يعملون وفق منهج الله تعالى؛ فلما تخلوا عن ذلك نسخت دياتهم (اليهودية) بـ (النصرانية) -أولاً- ثم بـ (الإسلام) -أخيراً- الذي حقق أتباعه المسلمون ما جاء في الوعود وزيادة -كما ذكرنا قبل قليل- والحمد لله تعالى^(١).

- كما أن الامتداد الطبيعي والوارث الحقيقي لحضارة داود وسليمان، وتراثهم الحقيقي وتاريخهم المنير هي الحضارة الإسلامية التي أسسها وقادها النبي الخاتم محمد. فالمسلمون وأتباع محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أولى بـ داود وسليمان عَلَيْهِمَا السَّلَام من اليهود المعاصرين والسابقين الذين أساءوا إليهم في كتبهم وتاريخهم وتراثهم -كما مر معنا- بعكس الدين الإسلامي والتاريخ الإسلامي الذي حفظ سيرهم ودولهم وآثارهم في الحياة؛ سواء كانت دينية أو سياسية، أو حضارية أو روحية أو أخلاقية في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

(١) العنصرية اليهودية (٣/٥٦٣).



ج- الحق القومي:

إن مضمون (الحق القومي): انتماء جميع اليهود، في جميع أنحاء العالم، إلى قومية يهودية متميزة لها ذاتيتها، ومعالمها وقيمتها الروحية والمادية، وموطنه الوحيد فلسطين. وهذا الحق المزعوم ساقط أيضاً؛ لأن أكثرية يهود العالم بما يزيد على (٩٠٪) لا تنتمي إلى بني إسرائيل الأقدمين الذين كانوا يقطنون (فلسطين)، بل إنهم ليسوا من نسل (سام) أصلاً، وإنما هم من نسل (يافث) الذين اعتنقوا (الديانة اليهودية) في أثناء فتح التبشير بها فيما بين (القرنين الثالث، والثالث عشر الميلاديين)^(١).

إن الواقع يكذب اليهود في دعواهم نقاء جنسهم، وذلك أن النظرة عامة في هياتهم وسحتهم تدل على تباين أصولهم، ففيهم ذو السحنة الأوروبية، وذو السحنة العربية، وذو السحنة الإفريقية.

ومع هذا التباين لا يمكن ادّعاء أن أصلهم واحد، إذ لا بد أن يكونوا اختلطوا بأمم أخرى أورثتهم هذا التباين في السمات، ثم إن اليهود ذكروا في كتابهم أن كثيراً منهم تزوجوا نساء أجنبيات، وأن نساءهم تزوجن رجال أجانب^(٢).

كما أنه ثبت تاريخياً أن أمة كبيرة من شعب دولة الخزر تهودوا في القرن الثامن الميلادي، وكان ذلك الشعب من قبل وثنيًا، وهو شعب تركي آري كان يقطن منطقة آسيا الوسطى، ودولتهم التي تسمى باسمهم دولة الخزر كانت تقع في المنطقة بين البحر الأسود وبحر قزوين، وتشغل منطقة شمال أذربيجان وأرمينية

(١) المصدر السابق، (٣/٥٦٤).

(٢) دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، ص ٦٨.



وأوكرانية، وجميع منطقة جنوب آسيا إلى حدود موسكو عاصمة روسيا. وكان بحر قزوين يسمى بحر الخزر، وقد جاء في الموسوعة اليهودية عن الخزر ما يلي: الخزر شعب تركي الأصل، تمتزج حياته وتاريخه بالبداية الأولى لتاريخ يهود روسيا... أكرهته القبائل البدوية في السهول من جهة أخرى إلى توطيد أسس مملكة الخزر في معظم أجزاء روسيا الجنوبية قبل قيام الفرنجيين سنة ٨٥٥م بتأسيس الملكية الروسية؛ في هذا الوقت (٨٥٥م) كانت مملكة الخزر في أوج قوتها تخوض غمار حروب دائمة، وعند نهاية القرن الثامن تحول ملك الخزر ونبلاؤه وعدد كبير من شعب الوثنيين إلى الديانة اليهودية. وكان عدد السكان اليهود ضخماً في جميع أنحاء مقاطعة الخزر خلال الفترة الواقعة بين القرن السابع والقرن العاشر الميلادي.

بدا عند حوالي القرن التاسع أن جميع الخزر أصبحوا يهوداً، وأنهم اعتنقوا اليهودية قبل وقت قصير فقط^(١).

ثم إن هذه الدولة سقطت بعد ذلك في يد الروس الذين احتلوها وقضوا عليها تماماً، واستولوا على جميع أراضيها، وقد تلاشت هذه الدولة من خارطة أوروبا، في القرن الثالث عشر الميلادي وتوزع شعبها على دول أوروبا الشرقية والغربية: هنغاريا، وبولندا، ورومانيا، والمجر، وروسيا^(٢).

فهذا يدلّ دلالة واضحة أن اليهود الذين يسمون (الأشكنازيم) هم يهود أوروبا، ولا يمتُّون بصلّة إلى يعقوب عَلَيْهِ السَّلَام وذريته^(٣).

(١) يهود اليوم ليسوا يهوداً، بنيامين فريدمان، دار النفائس، ط ١، ١٩٨٨م، ص ١٩.

(٢) دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، ص ٦٩.

(٣) دراسات في اليهودية والنصرانية، ص ٦٩.

وقد قام الدكتور أحمد عبد الله الزغبى بالرد على زعم اليهود في الحق القومي، بحجج دامغة ودراسة مستفيضة، فمن أراد التوسع فليرجع إليه^(١).
د- الحق الإنساني:

إن مضمون (الحق الإنساني): أن اضطهاد اليهود على مدى التاريخ، في كل بلد وجدوا فيه أقلية دينية مستضعفة، منذ العهد الفرعوني المصري، حتى العهد النازي الألماني، وكونهم لا يزالون عرضة لهذا الاضطهاد في أي حين، يخولهم إنشاء دولة خاصة بهم في موطن آبائهم -المزعم- فلسطين، واضطهاد الأبرياء، وهذا الحق المزعوم ساقط -أيضاً- لما يأتي:

١- أن الاضطهاد عامٌ لليهود وغيرهم، من الشعوب الأخرى، فهو في القديم والحديث^(٢):

- كالشعب الجزائري، الذي كان مضطهداً من فرنسا.
- والمغربي من إيطاليا.
- والمصري والعراقي من بريطانيا.
- والبوسنة والهرسك من صربيا.
- والجمهوريات الإسلامية والقوقاز من روسيا، وكثير من الشعوب العربية والإسلامية والآسيوية والأفريقية تعرضت للاستعمار الأوربي الحديث.
- ٢- أن العرب -عموماً-، والفلسطينيين -خصوصاً- لا يتحملون تبعات اضطهاد العالم لليهود، فهم لم يضطهدوهم؛ بل إن أزهى عصور اليهود كانت

(١) العنصرية اليهودية، (٤/ ٢٠٨ - ٢٥٥).

(٢) المصدر السابق، (٣/ ٥٦٥).



بين المسلمين. وإذا كان هناك من أحد يتحمل تلك الاضطهادات، فهو من اضطهدهم حقيقةً وليس ادعاءً^(١).

وهناك مغالطة تبثها الدعاية الصهيونية، وهي أن الأراضي العربية الواسعة، والعرب يضمنون على اليهود بهذه البقعة الصغيرة (فلسطين)، وهذه المغالطة يدحضها ما يلي:

١- أن الأوطان لا يمكن التنازل عنها للأعداء، مهما كانت صغيرة، ومهما كان البديل كبيراً.

٢- أن الأقليات في الوطن العربي الإسلامي كثيرة، فهناك الأقليات الدينية النصرانية (الأرثوذكس القبط)، والمارونيون والأرمن وغيرهم، وهناك الأقليات العرقية: الأكراد، والبربر، والتركمان، والزنوج.. إلخ. ولو فتح هذا الباب لضاعت أوطان العرب والمسلمين.

٣- أن مطامع الصهيونية لا تقتصر على (فلسطين)؛ وإنما تشمل أكثر مناطق المشرق العربي الإسلامي^(٢).

هـ- الحق القانوني:

إن مضمون (الحق القانوني) ثلاثة أقسام، هي:

- وعد بلفور: القاضي بإقامة وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين عام ١٩١٧م - ١٣٣٦هـ.

- صك الانتداب: القاضي بانتداب بريطانيا على (فلسطين)، لتحقيق الوطن القومي اليهودي عام ١٩٢١م - ١٣٣٩هـ.

(١) العنصرية اليهودية (٣/ ٥٦٥).

(٢) المصدر السابق، (٣/ ٥٦٥).

- قرار التقسيم: القاضي بتقسيم (فلسطين) إلى دولتين: عربية، ويهودية عام ١٩٢٧م - ١٣٦٧هـ.

وإن هذا الحق المزعوم ساقط -أيضاً- لأنه ليس لـ(بريطانيا) التي وعدت -وهي لا تملك- اليهود -الذين لا يستحقون- بإقامة وطن قومي لهم في فلسطين، ولا لـ(عصبة الأمم المتحدة) التي انتدبت (بريطانيا) على (فلسطين)؛ لتحقيق هذا الوطن القومي لليهود ولا لـ(هيئة الأمم المتحدة) التي أقرت تقسيم (فلسطين) إلى دولتين بين العرب واليهود، والتي اعترفت بـ(إسرائيل) من خلالها عضواً فيها، ولا لأي أحد حق في التصرف في مصائر الشعوب^(١).

وتعقيباً على هذه الحقوق المزعومة لليهود، في فلسطين؛ يقول الداعية الإسلامي أحمد ديدات، في محاضرة ألقاها في (كيب تاون - جنوب أفريقيا)، بعنوان (العرب وإسرائيل شقاق أم وفاق) عام ١٩٨٩م - ١٤٠٩هـ: إن للعرب حقوقاً أكبر من حقوق الإسرائيليين، في أرض فلسطين.

إن للفلسطينيين حقوقاً في أرض فلسطين، مماثلة لحقوق الفرنسيين في أرض فرنسا، ولحقوق البريطانيين في أرض بريطانيا. وحق العرب التاريخي لا يحتاج إلى أية جهود للدعاية والترويج له، فهو حق ثابت وواضح بذاته، والخطأ الذي يمارس بحقهم إنما هو حقيقي للغاية^(٢).

هذه بعض الحقائق التاريخية المتعلقة بكتابتنا هذا "الأنبياء الملوك داوود وسليمان وهيكِل سليمان المزعوم".

(١) المصدر السابق، (٣/ ٥٦٧).

(٢) المصدر السابق، (٣/ ٥٦٨).



تتبعُ الجذور التاريخية والعقدية، والحضارية، واعتمدتُ على كتاب الله عزَّوجلَّ، والسنة النبوية الصحيحة، ثم سبرت أقوال المفسرين، وتبحرت فيها، وفي كتب التاريخ والحضارة، ودراسة العهد القديم، وتأريخ التوراة، وطبيعة الصراع على فلسطين، والحضارات التي تعاقبت عليها، وحقوقنا العادلة في مسرى رسول الله والمسجد الأقصى، وحقنا في العيش الكريم، وتحرير بلادنا المغتصبة (فلسطين) من الظالمين، كما تم تحريرها في عهد عمر بالأخلاق العمرية، وفي عهد صلاح الدين بالصفات الصلاحية.

علينا أن نكون مع الله عزَّوجلَّ حتى يكون الله معنا، وأن نتمسك بالإسلام عقيدة، وشريعة، وعبادة، وأخلاقاً، وأن يكون فقه الجهاد القرآني، والنبوي، والراشدي، والصلاح، والنوري، حاضراً في معركة تحرير فلسطين.

فلا نجعلها معركة استرداد الأرض فقط، ولا نجعلها فلسطينية فقط، ولا عربية فقط، بل نجعلها معركة إسلامية؛ إنها قضية المسلمين جميعاً، ليست قضية العرب وحدهم.

إن الأمة التي أخرجت صلاح الدين -وهي في أسوأ حال من حالنا اليوم، وأشد انقساماً وأكثر عيوباً- لا تعجز عن أن تخرج اليوم مثل صلاح الدين. وإن نكبة فلسطين بالصليبيين كانت أشد من نكبتها بإسرائيل. وقد مرت بسنن الابتلاء والتدافع، والتمكين للمسلمين في نهاية المطاف. وإذا عجزنا نحن أن نعود إلى مثل سيرة صلاح الدين وجيله، ليُكتب لنا مثل نصر حطين، فسيخرج الله من أصلابنا من هم أتقى منا وأظهر، ويستردون فلسطين بإذن الله تعالى.

- إن قضية فلسطين لن تموت، إنها عقيدة في قلب كل مسلم، هل سمعتم أو قرأتم أن عقيدة يحملها في قلبه أكثر من مليار مسلم يمكن أن تموت؟
- إن الناس يموتون في سبيل العقيدة، وما ماتت -قط- عقيدة من أجل حياة إنسان، فإن طال يوم الصهاينة في فلسطين، فلقد مرّ بها يوم أطول، وتسلب عليها عدو أكبر: الصليبيون أي دول أوروبا كلها، ومن بعدهم المغول، والتتر، أي قبائل المشرق كلها^(١). ولكن الله هزمهم، وقتل أكابرهم، وانكسروا. وسيكون للصهاينة -إن شاء الله- يوم كيوم هؤلاء المنكسرين المهزومين.
- إن أقل ما يمكن فعله من أجل قضية الأمة الإسلامية المركزية:
- ١- غرس العقيدة الإسلامية ومعاني العز والمجد والأمل في نفوس هذا الجيل وكذلك الجيل القادم.
 - ٢- رفض مخططات الاستسلام، لنسلم الراية للشباب الصامد.
 - ٣- دعم الجهاد بالنفس والمال والرأي والإعلام والتشجيع والتثبيت والدعاء.
 - ٤- إبراز القيادات الحكيمة، التي تمتلك رؤية محلية وإقليمية ودولية.
 - ٥- تحويل القضية الفلسطينية لمشروع تحرري للأمة الإسلامية لكي تساهم بحكامها وشعوبها في دعم حركة التحرر سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وعلمياً، وتربوياً وإعلامياً.. إلخ.
 - ٦- تحويل دائرة الشعوب العربية والإسلامية، وأحرار العالم، لدعم مستمر للشعب الفلسطيني المكافح والصابر.

(١) الأفكار الطنطاوية، الاستعمار وفلسطين، مجاهد مأمون ديرانية، دار المنارة، ص ١٣٥ - ١٤٤.



٧- العمل على توحيد جبهة المقاومة الفلسطينية، والاحتراس من الاختراعات الأمنية، والفكرية التي تولد الفارقة، وتضعف التماسك وتمزق الصف.

٨- نقل القضية من المستوى العربي والإسلامي إلى العالمي، والتركيز على القيم الإنسانية التي تكبر نضال الشعوب، وسعيها للحصول على حريتها وتحرير أوطانها من الغاصبين.

٩- أخذ فصائل المقاومة بسنة الأخذ بالأسباب على كافة الأصعدة الإعلامية، والأمنية، والعسكرية.

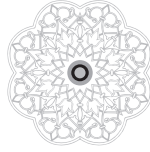
١٠- اهتمام الأمة الإسلامية، حكومات وشعوباً ومنظمات إنسانية وخيرية بأسر الشهداء والأسرى والبعيد، والقابعين خلف أسوار السجون، والمرضى والمحتاجين.

١١- ربط الشعب الفلسطيني والأمة الإسلامية، بتاريخ الإسلام العقائدي والتاريخي والحضاري والثقافي الذي يستمد منه الشعب الفلسطيني روح النضال والكفاح والجهاد.

(وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين)

﴿سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الصفافات: ١٨٠-١٨٢].





الخلاصة

أعطى الله تعالى دواود وسليمان عَلَيْهِمَا السَّلَامُ مُلْكًا عَظِيمًا وَحِكْمَةً بِالْغَةِ، فجمع لهما بين المُلْك والنُّبُوَّة، وكانت المِنْحَةُ الإلهية لداود عَلَيْهِ السَّلَامُ من بعد نُبوته، بأن رزقه بولده سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ، والذي ورث النبوة والملك عن أبيه، وسَخَّرَ الله تعالى له الإنس والجن والحيوانات؛ لتمكين دعوة التوحيد ورسالة الله تعالى في الأرض.

وقد عرض القرآن الكريم قصة النبيين الكريمين (داود وسليمان عَلَيْهِمَا السَّلَامُ) من بدايتها إلى نهايتها، وتجلت سمات مُلكهما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ ١٦ وَقَالَ يَأَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ١٧ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ١٨﴾ [النمل: ١٥-١٦]. فكان داود وسليمان عَلَيْهِمَا السَّلَامُ يكثران من الشُّكر والثناء والتعبد والإنابة والاستغفار، بفضل الله عليهما، ونعمه العظيمة عليهما في تمكين دعوة التوحيد على أيديهما.

كان تناولنا لقصة النبيين القائدين الكريمين عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، مترابطة ومتواصلة ومنسجمة في سياق هذا الكتاب، نظراً لحجم التداخل بينهما، وكانت تلك الإحاطة المتواضعة، بعد الرجوع للآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وبعد



الوقوف على مصادر التفاسير، والكتب العلمية التي تناولت دراسة قصتهما في الكتاب العزيز، وقد خلصتُ لأهم نتائجها ودروسها وعبرها وفوائدها، ونذكرها على النحو الآتي:

١- إن السنن الربانية ثابتة في الكون، وتقع على الإنسان في كل زمان ومكان، وسنة التدافع من السنن التي تتعلق بالتمكين، وكذلك تتعلق بالحكم والسلطان تعلقاً وثيقاً.

٢- إن من الضروري أن تعي الأمة الإسلامية سنة الله تعالى في دفع الناس بعضهم ببعض، وذلك لتدرك بأن سنة الله تعالى في تدمير الباطل هو في أن يقوم في الأرض حق يتمثل في أمة، ومن ثم يقذف الله تعالى الحق على الباطل فيدمغه، فإذا هو زاهق.

٣- في الحديث عن أصل القدس، تبين دراسات كثيرة بأن النشأة الأولى لمدينة القدس كانت على أيدي العرب اليوسيين، والذين وصلوا إلى موقع القدس في موجة الانتقال البشري المبكرة من شبه الجزيرة العربية في حدود عام ٢٣٠٠ ق.م.

٤- يعتبر العرب أول من استوطن (فلسطين)، ولم ينقطع وجودهم فيها على مر التاريخ إلى يومنا هذا، وإن أقدم هجرة حفظتها مصادر التاريخ إلى فلسطين هي هجرة سكان الجزيرة العربية من الكنعانيين، بعدما أخذ الجفاف ينتشر في المناطق الصحراوية، فقد اضطر الكنعانيون إلى الهجرة إلى أماكن ذات موارد مائية دائمة، فكانت الهجرة إلى فلسطين وما جاورها شمالاً وشرقاً وجنوباً.



٥- لقد تعاقب على حكم فلسطين دول عدة، وفي مقدمتها: الكنعانية، والمصرية، والفلسطينية، واليهودية، والآشورية، والبابلية، والفارسية، واليونانية، والرومانية، والإسلامية، والصليبية، ثم الإسلامية.

٦- استطاع الفراعنة أن يهزموا الهكسوس، وأن يُطهّروا بلادهم من ملوك الهكسوس، ويطردهم من مصر، فتغيرت الأحوال على بني إسرائيل، ودخلت مصر في طور جديد من الحكم الفرعوني، ولما انتقل الحكم في مصر إلى الفراعنة، قاموا باضطهاد بني إسرائيل وتعذيبهم بسبب أنهم اعتبروا الإسرائيليين أعوان للهكسوس المستعمرين الغزاة.

٧- في واقع الأمر، يبدأ تاريخ بني إسرائيل من يعقوب عَلَيْهِ السَّلَام، وتعتبر صلتهم بإبراهيم خليل الله كصلتهم بإسماعيل عَلَيْهِمَا السَّلَام.

٨- بدأت قصة بني إسرائيل في مصر بعد مجيء يوسف عَلَيْهِ السَّلَام إليها، ودعوة والده وإخوته للمقام فيها، وبعد ما تمكن في الحكم وأصبح الرجل الثاني فيها (عزير مصر ووزيرها الأول).

٩- أصبح بنو إسرائيل بعد هزيمة الفراعنة للهكسوس جماعة غير مرغوب في بقائهم، فأذاقهم الفراعنة المصريون شتى ألوان العذاب، واتخذوا منهم عبيداً في بيوتهم، وأجراً في أراضيهم.

١٠- تقدر الفترة الزمنية بين وفاة موسى عَلَيْهِ السَّلَام، وتولي داود عَلَيْهِ السَّلَام الملك قرابة القرن ونصف القرن.

١١- تعدّ قصص بني إسرائيل من أكثر القصص تكراراً في القرآن الكريم، وجاءت بوفرة وتنوع؛ لأن الله تعالى علم أن أجيالاً من هذه الأمة ستمر بأمور كالتي مرّت بها بنو إسرائيل، فيتجنبون ما وقع فيه بنو إسرائيل من أخطاء.

١٢- إن الآيات من سورة البقرة التي تكلمت عن بني إسرائيل مع ملكهم طالوت، مثالٌ للذين غلبوا على أمرهم، ومن ثم بدلوا أحوالهم من الذلة عزة، وهي قصة تكشف عن سنن الاجتماع والحروب، وأمثلة طرق الحكم وإدارة البلاد.

١٣- بدأت دولة بني إسرائيل على يد الملك طالوت ثم قويت، وتمكنت على عهد داوود عَلَيْهِ السَّلَام، ومن ثم تمددت وتوسعت، وترسّخت واستقرت على يد النبي الملك سليمان عَلَيْهِ السَّلَام.

١٤- إن القرآن الكريم يثبت نبوة داوود وسليمان عَلَيْهِمَا السَّلَام، وخص الله تعالى سيدنا داوود عَلَيْهِ السَّلَام في الآيات من سورة النساء بذكر خاص: ﴿وَعَاتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾ لمكانته عَلَيْهِ السَّلَام، وإثبات نبوته بإتيانه الحكمة المفسرة بالنبوة.

١٥- النبوة اتصال بين الخالق والمخلوق في تبليغ شرعه، وسفارة بين الملك والمالك الواحد الأحد وعبيده، ودعوة من الرحمن الرحيم تَبَارَكَ وَتَعَالَى لخلقه، ليخرجهم من الظلمات إلى النور، وينقلهم من ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة.

١٦- إن الأنبياء (صلوات الله وسلامه عليهم) معصومون من الخطأ فيما يُبلّغون عن الله تعالى، لأن مقصود الرسالة لا يحصل إلا بذلك.

١٧- إن الإيمان بالنبوة هو الطريق المؤدي إلى معرفة الله عَزَّ وَجَلَّ ومحَبَّته، والسلم المفضي إلى رضوان الله وجنته، والسبيل المؤدي إلى النجاة من عذاب الله، والفوز بمغفرته.

١٨- يُعدّ الإيمان بأنبياء الله ورسله ركنًا من أركان الإيمان، فلا يتحقق إيمان العبد حتى يؤمن بجميع الأنبياء، ويصدّق بأن الله تعالى أرسلهم لهداية البشر،



وإرشادهم، وإخراج الناس من الظلمات إلى النور، وأنهم بلغوا ما أنزل إليهم من ربهم البلاغ المبين.

١٩- وجد دين الإسلام في معناه العام مع وجود الإنسان على هذه الأرض، وهو دين الأنبياء جميعاً. أما الإسلام بمعناه الخاص، فهو الذي بعث به محمد ﷺ جامعاً فيه الإسلام العام، والذي هو التوحيد ونبذ الشرك.

٢٠- إن الإسلام هو دين كل نبي من الأنبياء، وخلاصة دعوة كل رسول، فكل نبي جاء بالإسلام.

٢١- إن شريعة الله تعالى للناس طرف من سننه في خلق الكون، وكتابه المنزل بيان للحق الذي يقوم عليه نظام السنن، وإن العدل في الحكم وفي تسيير شؤون الحياة قاطبة الذي يطالب به الخلفاء في الأرض، والحكام بين الناس؛ إنما هو طرف من الحق الكلي، لا يستقيم أمر الناس إلا حين يتناسق مع بقية الأطراف، وإن الانحراف في الحكم، إنما هو انحراف عن نظام السنن الذي قامت عليه السماء والأرض، وهو أمر عظيم إذن، وشَرُّ كبير.

٢٢- إن القرآن الكريم وَصَفَ داود عَلَيْهِ السَّلَامُ بالإيمان بالله، وشَرَفَهُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ بالعبادة، واتصف بالصبر والشجاعة والحكمة والحكم بالحق والاستغراق الكبير في تسبيح الله وحمده والثناء عليه وذكره في موكب الأنبياء والمرسلين، وآتاه الله الزبور، وشَدَّ اللهُ ملكه الذي كان في طاعة الله، واشتهر بالصيام والقيام والشكر لله عَزَّوَجَلَّ بالجوارح واللسان والقلب إلى غير ذلك من الصفات النبيلة والأخلاق الكريمة والمثل الحميدة.

٢٣- كان داوود ملكاً نبياً، وعلمه الله جَلَّالَهُ صناعة الزرد وعدة الحرب، وكان أول من جمع بين الملك والنبوة هو داوود عَلَيْهِ السَّلَام.

٢٤- كانت من أسمى أهداف دولة داوود عَلَيْهِ السَّلَام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكان ينهج مع الظلمة والعصاة منهجاً شديداً يظهر فيه معالم القوة والردع، وإعلاء كلمة الحق.

٢٥- تعلم داوود عَلَيْهِ السَّلَام سياسة الملك، وأحوال الناس، ومنازع النفوس، وأحوال البلدان، وما تنتجه من خيرات، وغير ذلك، وكان تعليم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى له بالنبوة التي أفاضها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عليه، والتجارب التي ساقها الله إليه، والذخيرة التي بين يديها من أحوال الحاكمين السابقين، والهداة المرشدين، وما أوتي من علم التوراة، والأخبار الصحاح عن النبيين السابقين.

٢٦- ورد اسم داوود عَلَيْهِ السَّلَام في القرآن الكريم ست عشرة مرة، وجاء ذكره في القرآن على صور، فأحياناً ورد اسمه فقط بدون إشارة إلى قصته، وأحياناً ذكر مقروناً مع تفضيل الله له بإنزال الزبور عليه، وأحياناً بذكر اسمه في سياق بدء أمره، وذلك بعدما قتل قائد أعدائه جالوت، وأحياناً يذكره بذكر اسمه في سياق لعن الكفار من بني إسرائيل.

٢٧- أنعم الله تعالى على عبده ونبيه داوود عَلَيْهِ السَّلَام مما آتاه من الفضل المبين، وجمع له بين النبوة والملك المتمكن، والجنود ذوي العدد والعدد، وما أعطاه من الصوت العظيم الذي كان إذا سَبَّح تسبَّح معه الجبال الراسيات الشامخات، وتقف له الطيور السارحات والعاديات والرائحات، وتجاوبه بأنواع اللغات.



٢٨- شَدَّ اللهُ ملك داوود، وقواه وثبته، ومنحه كل ما يحتاجه ملكه من وسائل القوة والثبت، من المال والرجال والعتاد والسلاح والدروع والتشريع.

٢٩- كانت أحكام داوود وأقضيته عَلَيْهِ السَّلَامُ صائبة صحيحة إذ إنه النبي المؤيد من الله، والمعصوم، بعصمة الله له، وكانت أحكامه وأقضيته تؤدي إلى فصل الخطاب، وقطع الخلاف وإنهاء النزاع.

٣٠- كان داوود عَلَيْهِ السَّلَامُ عاملاً ماهراً في صنع الدروع، وإليه نسبت، ف قيل دروع داوودية.

٣١- كان داوود عَلَيْهِ السَّلَامُ قبل النبوة راعياً للغنم في شبابه، وكان يعمل ويكسب بيده من الصناعة، ويأكل من عمل يده، ويستغني عن غيره.

٣٢- إن تعلّم الحرف والأعمال التي يحتاجها المجتمع من فروض الكفاية، ولهذا كان أنبياء الله والصالحون يتعاطون الحرف التي يحتاجها الناس؛ ليكون ذلك منهم دلالة على مشروعية هذه الحرف، وتعلّمها وتعاطيها.

٣٣- الزبور كتاب أنزله الله على نبيه داوود عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولا توجد نسخة كاملة للزبور باقية في المصادر الإسلامية المعروفة لدينا، والموجود منه فقرات متناثرة تتفاوت طولاً وقصراً.

٣٤- إن المزامير المنسوبة إلى داوود عَلَيْهِ السَّلَامُ، والمذكورة في العهد القديم، ليست هي الزبور الذي أنزله الله على داوود عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولا هي مما كان داوود يناجي به ربه تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

٣٥- إن مملكة داوود وسليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ كانت قائمة على العدل والحق، وكان باب الاجتهاد مفتوحاً للوصول للحكم العادل، وقد نقل عن داوود وسليمان

عَلَيْهِمَا السَّلَام أحكام أخرى في القضاء، وفصل الخصومات، فكانوا ملوكاً وقضاة وأنبياء وحكاماً حقيقيين.

٣٦- إن تسبيح الجبال والطير مع داوود المذكور تسبيح حقيقي؛ لأن الله جَلَّ وَعَلَا جعل لها مدارك تسبيح من خلالها، يَعْلَمُهَا جَلَّ وَعَلَا، ونحن بقصورنا البشري لا نعلمها.

٣٧- إن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى منح الحديد لداوود عَلَيْهِ السَّلَام، وعَلِمَهُ كَيْفَ يُلِينُهُ؛ لأنَّ الفائدة تتحقق بوجود الخام والقدرة على تشكيله، ولا شك أن ذلك ساعد على بناء حضارة عظيمة جمعت بين المنهج الرباني، والتطور العمراني والصناعي.

٣٨- إن داوود عَلَيْهِ السَّلَام هو أكثر أنبياء بني إسرائيل وروداً في القرآن بعد موسى وعيسى عليهما وعلى نبينا أفضل الصلاة والتسليم، وقد صرح الله بتفضيله، وميز كتابه الزبور بالذكر في أكثر من موضع، وهو الأمر الذي يدل على أنه من أفضل الأنبياء بعد أولي العزم من الرسل.

٣٩- حقق داوود عَلَيْهِ السَّلَام مقام المراقبة لله عَزَّ وَجَلَّ، وكان على يقين راسخ بأن الله لا يخفى عليه خافية في ليل أو نهار، في سر أو إعلان، في خلوة أو اجتماع، في باطن الأرض أو ظاهرها. وأثر ذلك الاعتقاد في قلبه خوفاً من الله من أن يراه على حال لا ترضيه، واستحى من الله في خلواته وأخلص لله في جميع أعماله، ونشر التوحيد بين آل داوود والناس في زمانه، ودعاهم لإفراد العبادة لله وحده.

٤٠- كتب الله لداوود عَلَيْهِ السَّلَام نجاحاً بعيد المدى في أن يخلص قومه الإسرائيليين من جالوت وجنوده، وفي أن يحقق لهم الاستقلال التام، وأن يوجد لنفسه نفوذاً في بلاد الشام.



٤١- توفي داوود عَلَيْهِ السَّلَامُ، وذلك بعدما خيّر عند موته، فاختار جوار الله تعالى، ودُفن في المكان الذي مات فيه.

٤٢- يُمثل حكم النبيين الملكين داوود وسليمان عَلَيْهِمَا السَّلَامُ فترة رخاء وازدهار على المستوى الإنساني في تاريخ الأرض، وقد سادت قيم الحق والعدل والرحمة والإحسان في حكمهما عَلَيْهِمَا السَّلَامُ.

٤٣- إنّ ما ورد عن نبي الله سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ من روايات تنسب إليه أنه قطع أعناق الخيل وأرجلها، لا يثبت منها شيء بالدليل من الكتاب والسنة.

٤٤- كثيرة هي الأقوال التي تفسّر فتنة سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ -التي ذكرت في القرآن- تفسيراً لا يليق بمقام نبوته عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولذلك فهي -عندنا- مردودة، إذ لا دليل موثوق حولها ابتداءً؛ ومن ثم فإن كثيراً منها يتعارض وعصمة الأنبياء والمكانة السامية التي اختصهم الله تعالى بها.

٤٥- لم يطلب سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ الملك للظلم أو البغي، وإنما طلبه للتقويّ به على تنفيذ شريعة الله تعالى في الأرض، وإقامة حدوده وتعظيم شعائره، وظهور عبادته، ولزوم طاعته جل في علاه.

٤٦- إنّ سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ جدّد بناء المسجد الأقصى، وهذا طبيعي لأنه كان مسلماً وموحداً، ومفرداً لله في عبادته عَزَّوَجَلَّ، وهو من ذرية أبي الأنبياء إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وسار على نهج موكب الأنبياء والمرسلين.

٤٧- ذكر سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ في القرآن الكريم سبع عشرة مرة: مرتان في سورة البقرة، وفي سورة النساء مرة، وفي سورة الأنعام مرة، وفي سورة الأنبياء ثلاث مرات، وفي سورة النمل سبع مرات، وفي سورة سبأ مرة، ومرتان في سورة ص.

٤٨- تضمنت قصة سليمان عَلَيْهِ السَّلَام في القرآن الكريم الكثير من معجزاته، كما حوت الكثير من قيم ومعالم الحكم الرشيد، ومعايير العدل والقضاء والحسبة والتربية والأخلاق، كما اشتملت على مناهج الدعوة وأساليبها وأهدافها.

٤٩- إن قصة سليمان عَلَيْهِ السَّلَام مع النملة، ومع الهدهد، ومع ملكة سبأ، وتسخير الجن والطير له؛ تظهر نعمة الله عليه، وهي نعمة الله سبحانه بالعلم، والملك، والنبوة.

٥٠- ورث سليمان عن داوود عَلَيْهِمَا السَّلَام خلافة إيمانية، ودولة قوية، ومملكة متكاملة، فحافظ عليها، وقواها ووسع حدودها، وضم لها بقاعاً أخرى، وطبق فيها شرع الله، وأسعد الناس في زمانه، وسار بهم في طريق مرضاة الله.

٥١- لا بد لقادة البناء والنهوض الحضاري من صفات: اليقظة والمتابعة، والقوانين الضابطة لحركة الجيوش، ومؤسسات الدول، وفهم سنة الأخذ بالأسباب، والسير على النهج المستقيم في إدارة الشؤون العامة والخاصة.

٥٢- إن من القيم والمبادئ التي تضمنتها البسملة في قصة نبي الله سليمان عَلَيْهِ السَّلَام: قيمة الإيمان بوجود الله عَزَّوَجَلَّ، وإثبات بعض صفاته، وبيان قيمة تعظيم الله بمقتضى صفاته وأسمائه الحسنی، وبأنه عَزَّوَجَلَّ رحمن رحيم. وتحرير الإنسان من العبودية لغير الله أو الخضوع لسواه، وقيمة محبة الله تعالى وتعظيمه بمقتضى أسمائه الحسنی وصفاته العلی، وتخليص النفس من سيطرة غيرها عليها، والخوف منه.

٥٣- كان للعلاقة بين سليمان ووالده داوود منذ طفولته وفي شبابه؛ الأثر البالغ في صقل شخصيته، وتحديد أهدافه، ومعاني رسالته في الحياة؛ فقد نشأ في بيئة تلقى فيها تربية نبوية صالحة، فهو ابن النبي داود عَلَيْهِ السَّلَام الذي وصف



بالعبودية لله عَزَّوَجَلَّ، والذي تميّز في جهاده، وصلاته وصيامه، وذكره وثنائه، وحمده لله عَزَّوَجَلَّ.

٥٤- سار سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ على نهج والده النبي الملك داوود، وتأثر بأخلاقه وسلوكه ودعوته وأعماله وأهدافه، وإدارته للملك، وقدّما نموذجاً من نماذج تحقيق العبادة من خلال منصب (الرئاسة) وقيادة الدولة، والشعوب التابعة لها في دفع المظالم، وإقامة العدل، ودلالة الناس على توحيد الله وإفراده بالعبادة، ومساعدة المحتاجين، وعمارة الدولة بالبناء والتجارة والانفتاح على الآخرين، وفق منهج الله وشرعته.

٥٥- تبرز أهمية العلم الرباني المستمد من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي بناء الحضارات، وترسيخ مقومات الحكم الرشيد في الدولة، وضبط مسار القيادة والشعوب والمؤسسات؛ وفق قيم الشريعة الربانية، التي جعلها الله بصائر للناس وهدايات لهم في حياتهم الدينية والدنيوية، وكيفية التعامل مع العلوم المتنوعة في إسعاد الناس وفق المنهج الرباني.

٥٦- من المقومات الأساسية للحكم الرشيد؛ الاهتمام بالأمر التنظيمية، والإصلاحات الإدارية والمالية في المجتمع؛ وسليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ قدّم درساً في القيادة الحكيمة وفق رؤية إدارية واقتصادية رشيدة؛ فحقق التنمية الشاملة في دولته.

٥٧- يُعد سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ ملكاً امتدت له مقومات الدولة ومقدراتها المادية، كما كشف عن الحياة الدينية، واهتم بعنصر التدريب لزيادة كفاءة مكونات جيشه، فكان يحرص على إعداد الخيل ولياقتها البدنية، ويراقب تمارينها على الجري والعدو؛ لتكون جاهزة للجهاد، باعتبارها من أسلحة الحرب المعروفة للجهاد.

٥٨- إن الطير عابدة لله تعالى بلغة خاصة، وأصوات معينة؛ تنفذ أمر ربها ولا تتمرد عليه، وقد تلقت أمر خالقها بالقبول، وكانت تشارك داوود عبادته، وتسبيحه. وللجبال لغة خاصة تسبح بها الله رغم أنها جمادات نحن لا نفقهها، وللطيور أصوات خاصة تسبح بها الله تعالى نحن نسمعها ولا نفقهها.

٥٩- أعجب بعض المفسرين بالتفاصيل الإسرائيلية المكذوبة التي وردت في قصة داوود وسليمان عَلَيْهِمَا السَّلَام، والتي تسيء بمقامهم، فسجلوها في تفاسيرهم، وفسروا بها آيات القصة، ونسوا أنهم يتحدثون عن أنبياء ورسل كرماء عصمهم الله وحفظهم، فكانوا أتقى وأفضل الناس في زمانهم. أما المفسرون والمؤرخون المنهجيون، فقد رفضوا تلك الإسرائيليات، ثم تهيبوا الخوض، في أحداثها واكتفوا بذكر المعنى الإجمالي لآياتها.

٦٠- خاضت بعض كتب التفاسير في القصص التي وردت في القرآن الكريم عن داوود وسليمان بسبب التأثير بالإسرائيليات، ونسبوا لهما ما يتنافى مع عصمة الأنبياء، ولكن علماء أهل السنة يجمعون على أن الأنبياء معصومون عن الكبائر.

٦١- استخدم سليمان عَلَيْهِ السَّلَام معدن النحاس في العمارة والبناء وشيّد العديد من المباني والقلاع والمساجد، والقصاع والقدور، وقد استفاد من معدات الحديد كذلك، ومعادن أخرى في الصناعات الحربية والمدنية؛ لتقوية دولته ونمو صناعتها وازدهار حضارتها، والقيام بواجب العمارة في الأرض، وفق مفهوم الخلافة فيها.

٦٢- ما يعتقد اليهود في هيكَل سليمان هو مزاعم باطلة، وأن النصوص التوراتية التي تحدثت عن الهيكل مليئة بالتناقض والكذب، فقد تبين التناقض



الشديد بين الكثير من نصوص العهد القديم، وهو الذي يمثل محور وأساس الرواية اليهودية، بل تفصيلاتها - كذلك - في أغلب الأحيان.

٦٣- إن من حقنا كمسلمين صادقين، الدفاع عن الحقيقة التاريخية والسيرة العظيمة، والقذوة الحسنة لكل من داوود وسليمان، وتخليصهم مما نسب إليهم من أكاذيب وعقائد باطلة لا دليل عليها ولا برهان إلا الأوهام والخرافات والأساطير، فعقيدتنا الإسلامية الصافية التي جاءت في القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة؛ توجب علينا ذلك.

٦٤- إن القرآن الكريم يعدُّ من أكثر الشواهد على الحقائق الدامغة لسيرة داوود وسليمان عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وهو بذكر هذه الحقائق ردَّ على التشويه اليهودي لهذين النبيين العظيمين. ولقد شوَّهوا سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ، واتهموه بالكفر بالله، وأنه انحاز وراء الأصنام وقالوا: إن سليمان ما حكم ملكه إلا بالسحر والاستعانة بالشياطين، وكذلك شوَّهوا أباه داوود عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقتلتم إنه استعبدكم وجعل النير فوق رقابكم وتناسيتم أنه نبي مرسل وحفيد أنبياء مرسلين، وقتلتم عنه أنه استدان الأموال، وأرهق الناس بالضرائب ليبنى هيكلكم المزعوم.

٦٥- لقد بيّن العلماء بأنه لا يجوز استخدام الشياطين من قبل الإنس لا لعلاج ولا غيره؛ لأن الله خص نبيّه سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ بتسخير الجن والشياطين.

٦٦- عاش سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ مع الله وفهم أسمائه الحسنى، وآمن بصفاته العلى. ونراه يدعو الله باسمه الوهاب، فقد كان مستغرقاً في هبات الله منذ طفولته، ورأى ذلك في ملك أبيه، فأحب الله عَزَّوَجَلَّ، وأخلص العبادة له، وطرق أبوابه، التي لا تعد ولا تحصى بجميع أصنافها، وأنواعها.

٦٧- إن سليمان عَلَيْهِ السَّلَام لم يطلب الملك الواسع ليتنعم به، أو يتباهى به، إنما طلبه ليسخره في خدمة الدعوة إلى الله، ولأنه سيجابه قوة كانت أعظم القوى في ذلك الوقت.

٦٨- انتهت بوفاة سليمان عَلَيْهِ السَّلَام مرحلة العصر الذهبي لبني إسرائيل، والمتمثل في دولتهم الفتية وخلافتهم الربانية.

٦٩- لم تستمر دولة سليمان بعد وفاته كثيراً، إذ سرعان ما دبت فيها الفرقة والاختلاف، فانفصلت سباً عن الدولة، ثم زاد الاختلاف، حتى انقسمت الدولة في الأرض المقدسة إلى أقسام، وحكمها ملوك ضعفاء، ووقعوا في المخالفات والمعاصي والذنوب الكبيرة، وكان نتيجة ذلك أن أوقع الله بهم غضبه وعذابه، فأزال دولتهم ودمّر كيانه، ومكّن أعداءهم منهم، فأخرجوهم من الأرض المقدسة، وتشتتوا في بقاع الأرض.

٧٠- تعرضت سيرة سليمان عَلَيْهِ السَّلَام للأكاذيب والأباطيل، وقد تداول الناس عبر التاريخ كتب السحر التي تعبّد الناس للشياطين، وتقيم بينهم وبين ربهم حجاباً وحاجزاً، ونسبوا هذه الكتب إلى نبي الله سليمان، وسليمان منها براء.

٧١- إنّ قصة سليمان عَلَيْهِ السَّلَام من فوائدها أنها تبيّن لنا معالم ومقومات الحكم الرشيد سواء كانت علمية أو اجتماعية أو إدارية أو قانونية أو اقتصادية أو تشريعية أو سياسية.

٧٢- كان من ثمرات الحكم الرشيد في دولة سليمان عَلَيْهِ السَّلَام بناء نهضة علمية، ونهضة عمرانية، ونهضة إعلامية، ونهضة عسكرية، ونهضة صناعية، ونهضة بحرية، ونهضة تجارية.



٧٣- انتشر السحر والعمل في بني إسرائيل عندما سلط الله تعالى على اليهود البابليين في زمن حكم ملكهم البابلي (بختنصر) في القرن السادس قبل الميلاد، فقد قتل منهم مقتلة عظيمة، وأخذ عدداً كبيراً منهم أسرى إلى بابل (في العراق)، وفي أثناء أسرهم انتشر السحر في بابل، وراح اليهود ينشرون الفساد في المجتمع البابلي، وذلك بهدف إضعاف أهل بابل وإفسادهم.

٧٤- تابع اليهود تعلم السحر، ونشره في الأرض، وهناك ارتباط وثيق بين السحر والشياطين، لأن السحر وسيلة من وسائل الشياطين في استهواء الناس، وإغوائهم، وقيادتهم، والتأثير فيهم.

٧٥- إن من سمات القائد الفذ واليقظ الإحساس بالمسؤولية والأمانة في تفقد أتباعه وجنوده وموظفيه، وتلمس احتياجاتهم ومتطلباتهم، والإحساس بمعاناتهم ومشكلاتهم، والعمل على وضع الحلول الجادة لعلاجها من أجل توفير البيئة الإيجابية المنتجة.

٧٦- إن الأصل العام الذي اجتمعت عليه الأمة أن جميع المسلمين ذكوراً وإناً متساوون في الخطاب بالأحكام الشرعية، فخطاب الذكور موجه للنساء إلا ما ورد بتخصيصه نص أو إجماع.

٧٧- هناك تناقض واضح في روايات الأسفار التي تحدثت عن الهيكل، وعن تحديد مكان بيت الله؛ مما يؤكد قضية الهيكل من أولها إلى آخرها، لا يمكن تصديقها.

٧٨- يشكك كثير من المؤرخين في صحة ما روي عن الهيكل؛ لأن الكتب المقدسة لم تكتب إلا بعد عهد موسى بمئات السنين، حيث تعرضت خلالها لكثير من التحريف والتبديل باعتراف كهنة ورجال الدين اليهود أنفسهم.

٧٩- لليهود ثلاث إطلاقات للهيكَل، لكل واحدة معنى مختلف عن الآخر؛ فالهيكَل الأول هو: هيكَل سليمان الذي هدمه (نبوخذ نصر)، والهيكَل الثاني هو: هيكَل هيرودس الذي هدمه (تيطس)، والهيكَل الثالث والأخير: هو الذي سيُنشئ في العصر المشيخاني - على حد زعمهم - وقد جعل الصهاينة الاستيطان الصهيوني هو العود المشيخانية وبالتالي، فإن الدولة الصهيونية هي الهيكَل الثالث.

٨٠- يُصَرّ اليهود على إعادة بناء الهيكَل في هذا المكان بالذات؛ ليعيدوا ممارسة عبادتهم حسب طقوسهم وشعائرهم الموجودة في كتبهم التراثية، التي اختلطت فيها الأمور الدينية بالكتابات التاريخية، والتي جمعت بين الحقائق والتحريف والتبديل، ويرون أنّ بناء الهيكَل في هذا المكان يمهد لمجيء المسيح كما يعتقدون.

٨١- يشغل الهيكَل مكانة خاصة في الوجدان اليهودي، كما يعبر عن التيار الحلولي، وهو ما يسمى (البنان)؛ لأنه يطهر إسرائيل من خطاياها.

٨٢- شكّل الصهاينة دولتهم في فلسطين على ادعاءات تاريخية، وقامت على أعمدة رئيسية، وهي: التوراة، والبندقية، والتخطيط اليهودي الذكي، والإسناد الغربي الكبير، والخذلان العربي الرسمي (المدبّر).

٨٣- إن البعد الديني اليهودي كان - ولا يزال - حاضراً في تأسيس الكيان الصهيوني في فلسطين.

٨٤- (حائط المبكى) هو الحائط الغربي، ويسميه المسلمون (حائط البراق)، ويقال إنه جزء من السور الخارجي الذي بناه (هيرود)، وذلك ليحيط بالهيكَل، والمباني الملحقة به، ويعتبر من أقدس الأماكن عند اليهود في الوقت الحاضر.



٨٥- إنَّ السِّفرين اللذين تحدثا عن الهيكل هما عبارة عن مجموعة من المدونات التاريخية؛ جمعت ونسقت معاً، واستقى كاتبهما موادها من سجلات البلاط، وسجلات الهيكل، وسير الأنبياء، واعتمد على كثير من الروايات الشفهية، والحكايات الشعبية.

٨٦- أثبت علماء الآثار من اليهود والأوروبيين والأمريكان الذين نقبوا واشتغلوا بالحفريات والأنفاق تحت الحرم القدسي الشريف؛ أنه لا يوجد أثر واحد لهيكل سليمان تحت الحرم القدسي، ولا تحت المسجد الأقصى، ولا تحت قبة الصخرة.

٨٧- إن اعتقاد اليهود -الذي لم يتغيّر- أنهم الشعب المختار، وأنهم سادة العالم، وأن ما في العالم من مال هو لهم يجب أن يستردوه، وأنهم يجب أن يهدموا المسجد الأقصى لينبأ على أنقاضه هيكل سليمان. وسوف ينزل الرب ليحل في هذا الهيكل، ويحكم على طريقة شعبه المختار: شعب بني إسرائيل.

٨٨- سعت الصهيونية في محاولات جادة لدفن قضية فلسطين تحت أكوام من روايات التضليل المتعمد، والوقائع الكاذبة، والدعاية المخادعة، التي تراكمت على مرّ العقود، حتى تبرهن لليهود أولاً، وللرأي العام العالمي ثانياً، أحقيتها دون غيرها في ملكية فلسطين.

٨٩- إن مضمون (الحق القومي): انتماء جميع اليهود، في جميع أنحاء العالم، إلى قومية يهودية متميزة لها ذاتيتها، ومعالمها وقيمتها الروحية والمادية، وموطنه الوحيد فلسطين، وهذا الحق المزعوم ساقط؛ لأن أكثرية يهود العالم بما يزيد عن (٩٠٪) لا تنتمي إلى بني إسرائيل الأقدمين الذين كانوا يقطنون

(فلسطين)، بل إنهم ليسوا من نسل (سام) أصلاً، وإنما هم من نسل (يافث) الذين اعتنقوا (الديانة اليهودية) في أثناء فتح التبشير بها فيما بين (القرنين الثالث، والثالث عشر الميلاديين).

٩٠- إن الواقع يكذب الصهاينة اليوم في دعواهم نقاء جنسهم، وذلك أن النظرة العامة في هياتهم وسحتهم تدل على تباين أصولهم: ففيهم ذو السحنة الأوروبية، وذو السحنة العربية، وذو السحنة الإفريقية.

٩١- إن عالمية العهد لنوح عَلَيْهِ السَّلَام في التوراة هو عهدٌ أبديٌّ لجميع ذريته وأبنائه، وهؤلاء الذين نجوا معه في السفينة، أي لجميع أبناء البشرية، وليس لذرية سام بن نوح - فقط - حسب الادعاءات الإسرائيلية، وذلك على حساب بقية إخوته وحقهم هم وذرية من نجوا مع نوح في السفينة. فهذا العهد ليس خاصاً ببني إسرائيل وحدهم من بين الأمم والشعوب الأخرى، ولكنه عامٌ وخاصٌّ بجماعة المؤمنين في أي زمان، وفي كل مكان؛ وأن الخاص باليهود سبق أن تحقق لهم بالعودة من "السبي البابلي"، وما بعد ذلك ليس هم المقصودون به. وإنما بعد مراجعة تلك الكتابات، وما قاله علماء اللاهوت الغربيون حولها؛ يمكننا أن نقول بكل ثقة: إن أتباع الدين الإسلامي هم المعنيون بها دون غيرهم^(١).

٩٢- إن ممارسات الصهاينة في القدس من طرد أهالي الأحياء المقدسية مثل حي سلون والأحياء المجاورة للمسجد الأقصى، واغتصاب منازلهم والاستيلاء عليها بالقوة، وإسكان مستجلبين يهود من شتات الأرض فيها،

(١) نقض خرافة الهيكَل المزعوم، مصطفى إنشاصي، دار الجزائرية للنشر والتوزيع، الجزائر، ٢٠١٩م، ص ٢٩٣ - ٢٩٤.



وكذلك انتهاكهم حرمة مقابر المسلمين واغتصابها، وإقامة المشاريع الصهيونية الدينية والعامة عليها.. إلخ، بزعم أنها تقع مكان ما يُزعم أنه (مدينة داود) التي تمتد إلى داخل سور المسجد الأقصى، وأنه استرجاع تاريخه وأرضه وإعادة بناء تلك "المدينة الوهم"، وذلك وغيره، هو طمس وإلغاء وانتهاك لتاريخ وحضارة الشعب الفلسطيني بالقوة، وتغيير واقع قائم بكل معالمه التاريخية والجغرافية والحضارية لصالح تاريخ وحضارة (يهودية) مزعومة، واختلاق واقع وجود لشعب لم يسكن أجداده هذه الأرض، ولا سمعوا بها يوماً^(١).

٩٣- وجود المسجد الأقصى قبل الهيكل المزعوم بأزمان طويلة؛ هو من أقوى الأدلة التاريخية التي تبطل مزاعم اليهود، وتكشف مدى مصداقية الرؤية الإسلامية في حق المسلمين في المسجد الأقصى وفلسطين.

٩٤- إن الآثار الأموية والعباسية والسلجوقية والأيوبيّة والمملوكية والعثمانية تدلّ على إسلامية المسجد الأقصى التامة، والتي لا تشترك معها أي ديانة أخرى، وذلك ينسف الادعاءات الباطلة لليهود بوجود أي أثر لهم في المسجد الأقصى، ومدينة القدس عاصمة فلسطين قديماً وحديثاً.

٩٥- إن للفلسطينيين حقوقاً في أرض فلسطين، لا تختلف عن حق أي شعب بأرضه، كما هو الحال مع حقوق الفرنسيين في أرض فرنسا، وحقوق البريطانيين في أرض بريطانيا، والصينيين في الصين وغير ذلك. وإن حق العرب التاريخي لا يحتاج إلى أية جهود للدعاية والترويج له، فهو حق ثابت وواضح بذاته، وإن الخطأ الذي يُمارس بحقهم إنما هو حقيقي للغاية.

(١) السابق السابق، ص ٨١ - ٨٢.

٩٦- إن الامتداد الطبيعي والوارث الحقيقي لحضارة داوود وسليمان عَلَيْهِمَا السَّلَام، وتراثهم الحقيقي وتاريخهم المشرق هي الحضارة الإسلامية، والتي أسسها خاتم النبيين وإمام المرسلين ورسول العالمين رسول الله محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فالمسلمون من أتباعه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هم أولى بـداوود وسليمان عَلَيْهِمَا السَّلَام من اليهود المعاصرين، والسابقين الذين أساءوا إليهما في كتبهم وتاريخهم وتراثهم وسلوكهم الفاسد - كما مر معنا - بعكس القرآن الكريم، والسنة النبوية، وكتب التاريخ الإسلامي الصحيحة؛ فكل هذه المصادر حفظت سيرهم ودورهم الحضاري والإيماني، وآثارهم الروحية والمادية في شتى مناحي الحياة.

٩٧- إن الدول المعاصرة التي تملك خام الحديد تستطيع أن ترهب أعداءها بما ينتجه لها هذا الخام من مقدرة على التسلح الثقيل، وتستطيع أيضاً أن تخطو خطوات واسعة، لكي تقف في مصاف الدول الصناعية العظمى التي يشكل الحديد العمود الفقري لصناعاتها وغناها.

٩٨- إن قضية فلسطين لا تموت؛ فهي مرتبطة بوجدان الأمة وعقيدتها وتاريخها ودينها. وإن الأمة التي أخرجت صلاح الدين - وهي أسوأ حالاً من حالنا اليوم وأشد انقساماً وأكثر عيوباً - لا تعجز عن أن تخرج اليوم مثل صلاح الدين. وإن نكبة فلسطين بالصليبيين كانت أشد من نكبتها بإسرائيل، وقد مرت بسُنن الابتلاء والتدافع، والتمكين للمسلمين في نهاية المطاف.

٩٩- سبق القرآن الكريم كل النظم المعاصرة في الحديث عن مقومات الحكم الراشد، والذي سعى لتحقيق التنمية الشاملة في المجتمع بما يتضمن من التوجيهات الأساسية لطريقة الحكم.



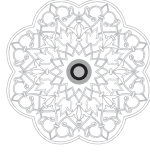
١٠٠- إن سيرتي داوود وسليمان عَلَيْهِمَا السَّلَامُ تحملان الكثير من الدروس والعبر التي لا تزال مفتوحة للتقصي وللاستقراء والاقتداء بها في حياتنا المعاصرة؛ إنها قصص تبث الأمل في النفوس، وتذكرنا بقوة الإيمان، والصبر، والتوكل على الله، في كل أوقات الحياة.

١٠١- تشكل قصص النبيين الكريمين -داوود وسليمان عَلَيْهِمَا السَّلَامُ؛ الدعوة والقيادية- نموذجاً لكل من يحاول التعمق في رحلة البحث عن العلم والحكمة، ومعرفة معالم التخطيط النبوي في القيادة والإدارة والسياسة، والخبرة في العلاقات الدولية في الحاضر والمستقبل.

١٠٢- يدعو الإسلام جميع الأجناس على مر العصور والأزمان إلى التعاطف والتراحم بما يجمعها في وحدة الأصل ووشائج القرابة القريبة والبعيدة، فيقول الله تعالى في محكم تنزيله:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].





المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- ١- إبراهيم خليل الله عَلَيْهِ السَّلَام؛ داعية التوحيد ودين الإسلام والأسوة الحسنة، علي محمد محمد الصلابي، دار ابن كثير، دمشق، ط ١، ٢٠٢٠م.
 - ٢- ابن باديس: حياته وآثاره، عبد الحميد الصنهاجي، مكتبة الشركة الجزائرية، ط ١، ١٩٦٨م.
 - ٣- الإتيقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤م.
 - ٤- الأحاديث الصحيحة من أخبار وقصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، إبراهيم محمد العلي، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط ١، ١٩٩٥م.
 - ٥- أحاديث الصحيحين المتقدمة الخاصة بالأنبياء، أسامة الشنقيطي، بدون طبعة.
 - ٦- أحسن القصص في القرآن الكريم، نائلة هاشم صبري، دار النفائس، ط ١، ٢٠٢٠م.
 - ٧- أحكام القرآن، ابن العربي، دار الكتب العلمية، ط ٣، ١٤٢٤هـ.
 - ٨- أخلاق الأنبياء، محمد عبد الدرويش، الرياض، دار الحضارة للنشر والتوزيع، (د. ت).

- ٩- الارتباط الزمني والعائدي بين الأنبياء والرسل، محمد وصفي، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٩٩٧م.
- ١٠- أرض الميعاد لمن، كولن تشابن، الشركة العالمية للكتاب، ط١، ٢٠٠٤م.
- ١١- أسماء الأنبياء ودلالاتها ومعانيها، خالد محمد، نور حوران للنشر والتوزيع، دار العرب للدراسات، ط١، ٢٠١٦م.
- ١٢- الأشباه والنظائر، ابن نجيم، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٩هـ.
- ١٣- الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق علي محمد البجاوي، دار النهضة - مصر.
- ١٤- أصول الفكر السياسي في القرآن المكي، التيجاني عبد القادر حامد، ط١، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م، عمان - الأردن، دار البشير.
- ١٥- أضواء البيان، محمد الأمين الشنقيطي، دار عطاءات العلم، ط٥، ١٤٤١هـ.
- ١٦- إعجاز القرآن الكريم في العمارة والعمران، يحيى وزيري، عالم الكتاب، ط١، ٢٠٠٨م.
- ١٧- إعلام الساجد بأحكام المساجد، أبو عبد الله الزركشي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ط٤، ١٤١٦هـ.
- ١٨- الإعلامية في الخطاب القرآني، زهراء البرقعوي، دار كنوز المعرفة العلمية، ط١، ٢٠١٩م.
- ١٩- الأفكار الطنطاوية، الاستعمار وفلسطين، مجاهد مأمون ديرانية، دار المنارة.



- ٢٠- الإمامة العظمى، عبد الله الدميحي، دار طيبة، ط ١، ١٤٠٨ هـ.
- ٢١- أنبياء إسرائيل الجدد، د. عبد الغفار دويد، بدون طبعة.
- ٢٢- أنبياء القرآن، عبد المجيد همو، دار الكتاب العربي، ط ١، بدون تاريخ.
- ٢٣- أنبياء الله، أحمد بهجت، دار الشروق، ط ٢٧، ٢٠٠١ م.
- ٢٤- إنجيل برنابا، تحقيق: سيف الدين أحمد فاضل، الكويت: دار القلم، ط ١، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م.
- ٢٥- أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي)، عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٤١٨ هـ.
- ٢٦- أيسر التفاسير، أبو بكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، ط ٥، ٢٠٠٣ م.
- ٢٧- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، دار الفكر، ط ١، ١٤٣٠ هـ.
- ٢٨- بداية المجتهد ونهاية المقتصد، ابن رشد، دار الحديث، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٤ م.
- ٢٩- البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر ابن كثير، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط ١، ١٩٩٧ م.
- ٣٠- البرلمان في الدولة الحديثة، د. علي محمد الصلابي، دار المعرفة، ط ١، ٢٠١٤ م.
- ٣١- البناء السردى، في القصة القرآنية، منيرة الزهراني، يحيى وزيرى، عالم الكتب، ط ١، ٢٠٠٨ م.
- ٣٢- بنو إسرائيل منذ وفاة سليمان عَلَيْهِ السَّلَام، عبد الرحمن الخطيب، رسالة دكتوراه، جامعة أم درمان الإسلامية، ٢٠٠٧ - ٢٠٠٨ م.

- ٣٣- البيان في علم المناسبات، فايز السريح، دار القبس للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١٩م.
- ٣٤- بيت المقدس، محمد شرّاب، الأهلّة للنشر والتوزيع، لبنان، ط١، ٢٠٠٣م.
- ٣٥- تأثر اليهودية بالأديان الوثنية، فتحي الزغبى، دار الآفاق العربية، ط١، ٢٠١٣م.
- ٣٦- تاريخ القضاة، محمد الزحيلي، دار الفكر المعاصر، ط١، ٢٠١٦م.
- ٣٧- تأملات في سورة مريم، د. عادل أحمد الرويني، ط١، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم.
- ٣٨- تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام، ابن فرحون المالكي، دار مكتبة الكليات الأزهرية، ط١، ١٩٨٦م.
- ٣٩- التبيان في أقسام القرآن، محمد بن أبي بكر ابن القيم، تحقيق محمد الفقي، دار المعرفة، بيروت.
- ٤٠- التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، الدار التونسية، ط١، ١٩٨٤م.
- ٤١- التدبر والبيان في تفسير القرآن بصحيح السنن، محمد بن عبد الرحمن المغراوي، مكتبة مشكاة الإسلامية، لبنان، ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م.
- ٤٢- تفسير ابن باديس، عبد الحميد ابن باديس، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٥م.
- ٤٣- تفسير ابن كثير، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩.



- ٤٤- التفسير الإسلامي للتاريخ، د. عماد الدين خليل، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ١٩٨٦م.
- ٤٥- التفسير الاقتصادي للقرآن الكريم، رفيق المصري، دار القلم، ط١، ٢٠١٣م.
- ٤٦- تفسير البغوي "معالم التنزيل"، البغوي، تح: محمد عبد الله النمر، دار طيبة، الرياض، ط٣، ١٤١٦هـ، (٦/٣٢٠).
- ٤٧- تفسير الزمخشري: الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن أحمد الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ)، بيروت، دار الكتاب العربي، ط٣، ١٤٠٧هـ.
- ٤٨- تفسير الزهراوين البقرة وآل عمران، محمد صالح المنجد، دار العبيكان، الرياض، ط١، ٢٠١٦م.
- ٤٩- تفسير السعدي: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، الدمام: دار ابن الجوزي، ط٤، ١٤٣٥هـ.
- ٥٠- التفسير الشامل للقرآن، أمير عبد العزيز، دار أرشيف العلم، ط١، ٢٠١٠م.
- ٥١- تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، دار أخبار اليوم، القاهرة، ٢٠١٣م.
- ٥٢- تفسير القرآن الثري الجامع، د. محمد هلال، دار ابن كثير وابن حزم، ط١، ١٩٩٨م.

- ٥٣- تفسير القرآن الكريم، محمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٤هـ.
- ٥٤- التفسير الكبير: مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، دار إحياء التراث، بيروت، لبنان، ٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
- ٥٥- تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي، شركة مكتبة مصطفى البابي الحلبي، ط ١، ١٩٤٦م.
- ٥٦- تفسير المراغي، أحمد مصطفى المراغي، دار إحياء التراث العربي، ط ٢، ١٩٨٥م.
- ٥٧- تفسير المنار (تفسير القرآن الحكيم)، محمد رشيد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٠م.
- ٥٨- التفسير الموضوعي لسور القرآن، عبد الحميد محمود طهماز، دار القلم، دمشق، ط ١، ١٤٣٥هـ.
- ٥٩- تفسير النابلسي "تدبر آيات الله في النفس والكون والحياة"، د. محمد راتب النابلسي، مؤسسة الفرسان، عمان، الأردن، ط ١، ٢٠١٧م - ١٤٣٨هـ.
- ٦٠- تفسير سورة الإسراء، أحمد نوفل، ط ١، ٤٣٥هـ - ٢٠١٤م.
- ٦١- التلازم بين العقيدة والشريعة وآثاره، د. طارق سعيد القحطاني، مكتبة الرشد ناشرون، ط ١، ٢٠١٤م.
- ٦٢- التَّمَكِينُ لِلأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي ضَوْءِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، لمحمد السيد حمد يوسف، دار السلام - مصر، ط ١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.



- ٦٣- التنمية الشاملة، د. علي القره داغي، دار البشائر الإسلامية، ط ١، ٢٠١٢م.
- ٦٤- الثناء في القرآن الكريم، هتون سامي عبد الرحمن فلمبان، دار ابن حزم، بيروت، ط ١، ٢٠١٦م.
- ٦٥- جامع أحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر الخزرجي الأندلسي القرطبي، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
- ٦٦- جماليات النظم القرآني، د. عويض العطوي، مركز تدبر، ط ١، ٢٠١٠م.
- ٦٧- الجوانب الاقتصادية في حياة سيدنا سليمان عَلَيْهِ السَّلَام، عبد التواب محمد إبراهيم.
- ٦٨- الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي، الماوردي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
- ٦٩- حديث القرآن عن التوراة والانجيل، صلاح عبد الفتاح الخالدي، الأردن، دار النفائس، ط ١، ٢٠١٧م.
- ٧٠- حروب القدس في التاريخ، ياسين سويد، شركة الملتقى للطباعة والنشر، ١٩٩٧م.
- ٧١- حصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول، صالح الفوزان، مكتبة الرشد، ط ١، ٢٠١٠م.
- ٧٢- الحق الواضح المبين في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين من الكافية الشافعية، عبد الرحمن بن ناصر آل سعدى، السعودية، دار ابن القيم، ط ٢، ١٩٨٧م.

- ٧٣- الحقوق العامة للمرأة في عصر الرسالة، عبد الحليم أبو شقة، مركز حقوق التراث العربي.
- ٧٤- الحكم والتَّحَاكُم في خطاب الوحي، لعبد العزيز مصطفى كامل، دار طيبة، ط١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
- ٧٥- الحلال والحرام، يوسف القرضاوي، دار الكتب المصرية، طبعة ٢٠١٣م.
- ٧٦- خصائص معجزات سليمان، زينب محمد سوار.
- ٧٧- خطر اليهودية العالمية، عبد الله التل، دار القلم، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، ط١، ١٩٧٩م.
- ٧٨- داوود في الأسفار اليهودية، مي المدهون، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى - مكة المكرمة، ١٤٢٠ - ١٤٢١هـ.
- ٧٩- دراسات تاريخية من القرآن الكريم، محمد بيومي مهران، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- ٨٠- دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، د. سعود الخلف، دار أضواء السلف، ط١، ١٩٩٧م.
- ٨١- دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند، د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي، مكتبة الرشد ناشرون، ط١، ٢٠٠٩م.
- ٨٢- الدعوة إلى الله في سورة إبراهيم، محمد بن سيدي بن الحبيب، دار الوفاء للطباعة والنشر، جدة، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٥م.



- ٨٣- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة للحافظ أبي بكر أحمد البيهقي، تحقيق: عبد المعطي قلعجي، ط ١، ١٤٠٥هـ، دار الكتب العلمية - بيروت.
- ٨٤- الرّحيق المختوم، لصفّي الرّحمن المباركفوري، ط ١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م، مؤسّسة الرّسالة - لبنان.
- ٨٥- رسائل الأنبياء، عمر أحمد هاشم.
- ٨٦- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٥هـ.
- ٨٧- الزبور في المصادر الإسلامية، د. صلاح الباجوري، الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، كلية الدعوة وأصول الدين.
- ٨٨- زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة (ت: ١٣٩٤هـ)، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٨٧م.
- ٨٩- السحر: أنواعه وأحكامه وتطبيقاته المعاصرة، د. هيفاء ناصر الرشيد، دار الناشر المتميز، دار النصيحة.
- ٩٠- سقوط الإمبراطورية الإسرائيلية، جورجي كنعان، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط ١، ١٩٨٠م.
- ٩١- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
- ٩٢- سلسلة الأحاديث الصحيحة، الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
- ٩٣- سلطان العلم في سورة النمل، د. نبيل محمد، رسالة علمية، جامعة الملك خالد للعلوم الشرعية والدراسات الإسلامية، ٢٠١٨م.

- ٩٤- سليمان النبي الملك، منصور عبد الحكيم، دار الكتاب العربي، دمشق - القاهرة، ط١، ٢٠٢٠م.
- ٩٥- سليمان عَلَيْهِ السَّلَام في القرآن والسنة، همام حسن يوسف، أطروحة دكتوراه، جامعة النجاح الوطنية، ٢٠٠٦م.
- ٩٦- سليمان في القرآن الكريم، همام حسن سلوم، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، كلية الدراسات العليا، رسالة ماجستير.
- ٩٧- السمات القيادية المستنبطة من قصة سليمان عَلَيْهِ السَّلَام، عبد محمد باريد، جامعة الأزهر، كلية التربية، رسالة علمية.
- ٩٨- السنة بين أهل الفقه وأهل الحديث، محمد الغزالي، دار الشروق، ط١، ٢٠١٠م.
- ٩٩- سنن ابن ماجه للحافظ أبي عبد الله محمد بن زيد القزويني، دار الفكر.
- ١٠٠- سنن أبي داود للإمام أبي داود سليمان السَّجِسْتَانِي، تحقيق وتعليق عزّت الدَّعاس، ١٣٩١هـ، سورية.
- ١٠١- السنن الاجتماعية في القرآن، محمد المحزون، دار طيبة، ط١، ٢٠١٨م.
- ١٠٢- سنن التمكن وأثرها على السياسة الشرعية، إبراهيم المبارك، دار اليسر، ط١، ٢٠١٧م.
- ١٠٣- سنن النَّسَائِي، لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النَّسَائِي، مطبعة مصطفى الحلبي - القاهرة، ١٩٦٤م.
- ١٠٤- السيرة النبوية، الصلابي، دار ابن كثير، ط١، ٢٠٠٥م.



- ١٠٥- شبّهات وردود حول الأحاديث الخاصة بالمرأة، د. قاسم قول بيك، محمد بلوج.
- ١٠٦- شخصية الحاكم في ضوء القصص القرآني، محمد رائف، دار الفاروق للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١٠م.
- ١٠٧- شرح ابن بطلال، أبو الحسن بن بطلال، دار مكتبة الرشد، ط١، ٢٠٠٣م.
- ١٠٨- شرح المواقف، عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٧م.
- ١٠٩- شرعة الله للأنبياء، محمد مصطفى الزحيلي، دار ابن كثير، دمشق، ط١، ٢٠١٨م.
- ١١٠- الشفا في التعريف بحقوق المصطفى، للإمام القاضي عياض، إستانبول، عثمانية.
- ١١١- شفاء الغليل في بيان ما وقع في التوراة والإنجيل من التبديل، عبد الملك الجويني.
- ١١٢- صحيح ابن حبان، محمد بن حبان التميمي الدارمي البُستي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
- ١١٣- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، دمشق، دار ابن كثير، ط١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
- ١١٤- صحيح الترمذي، الألباني، مكتبة التربية العربية لدول الخليج، الرياض، ط٣، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- ١١٥- صحيح قصص الأنبياء، أحمد جاد، دار الغد الجديد، ط١، ٢٠٠٩م.

- ١١٦- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٧٢م.
- ١١٧- الصراع بين الحق والباطل، العنزي، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين.
- ١١٨- صرخة النبوة في وجه الخرافة التوراتية، د. حسن الباشا، دار قتيبة، ط١، ٢٠١٠م.
- ١١٩- صفات الأنبياء من قصص القرآن "إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ولوط"، عقيل حسين عقيل، سما للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ٢٠١١م.
- ١٢٠- صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
- ١٢١- صلاح الدين الأيوبي وجهوده في القضاء على الدولة الفاطمية وتحرير بيت المقدس، الصلابي، دار ابن كثير.
- ١٢٢- صلاح الدين الأيوبي، أحمد عبد الجواد، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٩٩٠م.
- ١٢٣- صلاح الدين والصليبيون، عبد الله سعيد الغامدي، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، ١٤٠١ - ١٤٠٢هـ.
- ١٢٤- صورة المرأة الحاكمة، ريم المرايات.
- ١٢٥- الطبقات، محمد بن سعد بن منيع الزهري، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة الخانجي للطباعة، القاهرة، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
- ١٢٦- عالم الجن في ضوء الكتاب والسنة، عبد الكريم نوفان عبيدات، كنوز اشبيلية، ط٣، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.



- ١٢٧- عالم السحر والشعوذة، عمر سليمان الأشقر، الأردن، دار النفائس، ط٤، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
- ١٢٨- العصمة في ضوء عقيدة أهل السنة، منصور راشد التميمي، مكتبة الرشد ناشرون، ط١، ١٤١٩هـ.
- ١٢٩- عظات وعبر من قصص الأنبياء، سعيد عبد العظيم، دار الإيمان، ط١، ٢٠٠٢م.
- ١٣٠- العقائد الإسلامية، السيد سابق، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ٢٠١٠م.
- ١٣١- العقيدة الإسلامية وأسهها، عبد الرحمن حسن حنكة الميداني، دار القلم للطباعة والنشر، بيروت - دمشق، ط٢، ١٩٧٩م.
- ١٣٢- العقيدة اليهودية، د. سعد الدين صالح، دار الصفا ط٢، ١٩٩٠م.
- ١٣٣- عقيدة أهل الإيمان في هيكَل نبي الله سليمان، د. محمد العريفي، جامعة المنيا، كلية دار العلوم، ٢٠١٠م.
- ١٣٤- علم الدولة، سليمان عَلَيْهِ السَّلَام، د. نواف الحليسي.
- ١٣٥- عمدة التفاسير، اختصار أحمد شاكر، دار الوفاء، ط١، ٢٠٠٥م.
- ١٣٦- عمدة الحُفَاط في تفسير أشرف الألفاظ، السمين الحلبي شهاب الدين أحمد بن يوسف بن عبد الدائم، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
- ١٣٧- العنصرية اليهودية، د. أحمد الزعبي، مكتبة العبيكان، ط١، ٢٠١٠م.
- ١٣٨- فبهدهم اقتده: "قراءة تأصيلية في سير وقصص الأنبياء"، عثمان محمد الخميس، دار إيلاف الدولية، الكويت، ط١، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.

- ١٣٩- فتاوى السبكي، أبو الحسن تقي الدين السبكي، دار المعارف، ط ١، ٢٠١٠م.
- ١٤٠- فتاوى دار الإفتاء المصرية.
- ١٤١- فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤١٠هـ.
- ١٤٢- فتح الباري شرح في صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: عبد العزيز ابن باز وآخرون، القاهرة، المطبعة السلفية، ط ١.
- ١٤٣- فتح الباري شرح في صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: عبد العزيز ابن باز وآخرون، القاهرة، المطبعة السلفية، ط ١.
- ١٤٤- فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان القنوجي، تحقيق: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، المكتبة العصرية، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
- ١٤٥- فتح القدير، الشوكاني، دار ابن كثير، دمشق، ط ١، ١٤١٤هـ.
- ١٤٦- فتح القدير، الكمال ابن الهمام، دار الفكر، بدون طبعة.
- ١٤٧- فتنه داوود عَلَيْهِ السَّلَام، نوال عبد السلام، مجلة الدراسات الإسلامية، المجلد ٣، العدد ٤.
- ١٤٨- الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، ابن تيمية، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة دار البيان، دمشق، مكتبة المؤيد، الرياض، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- ١٤٩- الفصل في الملل، والنحل، والأهواء، لابن حزم، مكتبة السلام العالمية، ط ١، ٢٠١٠م.



- ١٥٠- فقه النصر والتمكين في القرآن الكريم، علي محمد الصلابي، بيروت، دار المعرفة، ط ٥، ٢٠٠٩م.
- ١٥١- فلسطين التاريخ المصور، د. طارق سويدان، شركة الإبداع الفكري، ط ١، ٢٠١١م.
- ١٥٢- فلسطين في ضوء الحق والعدل، هنري كتّ، مكتبة لبنان ناشرون، بدون طبعة.
- ١٥٣- فوائد قصص نبي الله سليمان، عبد الفتاح محمود.
- ١٥٤- في الفقه السياسي الإسلامي الفريد، فريد عبد الخالق، دار الشروق، ط ١، ١٩٩٨م.
- ١٥٥- في صحبة الرسل الكرام، السيّد عبد المقصود عسكر، دار البشير للثقافة والعلوم، القاهرة، ٢٠٠٠م.
- ١٥٦- في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، ط ١٧، ١٤١٢هـ.
- ١٥٧- قاموس الكتاب المقدس، بطرس عبد الملك ورفيقاه، القاهرة: دار الثقافة، ط ١٠، ١٩٩٥م.
- ١٥٨- القائد؛ دراسة تحليلية لشخصيات قيادية في القرآن الكريم، عبد الستار المرسومي، دار المعراج، ط ٢، ٢٠٢٠م.
- ١٥٩- القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم، موريس بوكاي، المكتب الإسلامي، ط ٣، ١٩٩٠م.
- ١٦٠- قصة الحضارة، ول ديورانت، تقديم محي الدين صابر، ترجمة زكي نجيب محمود، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع، بيروت، د.ت.

- ١٦١- قصة الخلق، محمد بن عبد الله الخرغان، دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ٢٠٠٨.
- ١٦٢- قصة بدء الخلق وخلق آدم عَلَيْهِ السَّلَام، علي محمد الصلابي، دمشق، دار ابن كثير، ٢٠٢١م.
- ١٦٣- قصص الأنبياء في رحاب الكون، د. عبد الحليم محمود، دار الرشاد للنشر، القاهرة، ط١، ٢٠١٠م.
- ١٦٤- قصص الأنبياء، إسماعيل بن كثير الدمشقي، دار الخير، دمشق، ط١، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
- ١٦٥- قصص الأنبياء، مصطفى العدوي، مكتبة مكة، طنطا، مصر، ط١، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م.
- ١٦٦- قصص القرآن الكريم، فضل حسن عباس، دار النفائس للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط٣، ١٤٣٠هـ - ٢٠١٠م.
- ١٦٧- قصص القرآن، سميح عاطف، دار الكتاب المصري، ط١، ٢٠٠٥م.
- ١٦٨- قصص القرآن، عمرو الشاعر، دار النفائس، ط١، ٢٠١١م.
- ١٦٩- القصص القرآني أهدافه وخصائصه ومنهج الكتابة فيه، سليمان الدقور، عمان، دار النفائس، ٢٠١٨.
- ١٧٠- القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث، صلاح الخالدي، دار القلم، دمشق - الدار الشامية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- ١٧١- القيم التربوية في قصة نبي الله سليمان، سمر ربابعة، رسالة دكتوراه، جامعة اليرموك، ٢٠١٤م.



- ١٧٢- قيم حضارية في القرآن الكريم، توفيق سبع، مكتبة القاهرة، ١٩٧٢م.
- ١٧٣- كتاب النبوات، ابن تيمية، تحقيق: عبد العزيز بن صالح الطويان، أضواء السلف، الرياض، السعودية، ط١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
- ١٧٤- كفاح الشعب الجزائري، د. علي محمد الصلابي، دار المعرفة، بيروت - لبنان، ط١، ٢٠٠٥م.
- ١٧٥- كلام في اليهود، مجموعة مقالات في اليهود وفي دولتهم المعاصرة، محمد علي دولة، دمشق، دار القلم، ط١، ٢٠١٣م.
- ١٧٦- الكنز المرصود في قواعد التلمود، د. يوسف نصر الله، دار الكتاب، ط٢، ٢٠١٩م.
- ١٧٧- لباب التأويل في معاني التنزيل (تفسير الخازن)، الخازن، تحقيق: عبد السلام شاهين، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠٠٤م.
- ١٧٨- لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن، دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠٠٤م.
- ١٧٩- لغة الجوارح ودلالاتها في القرآن الكريم، د. علي الجواري، دار دجلة ناشرون وموزعون، ط١، ٢٠١٦م.
- ١٨٠- لمحات تربوية إدارية، د. فوقية محمد ياقوت، دار الكتاب العربي، ط١، ٢٠٢٠م.
- ١٨١- مباشرة المرأة للحقوق السياسية، عرفة محمد عرفة، دار الكتب القانونية، ط١، ٢٠١١م.
- ١٨٢- مجالس النور، محمد عياش الكبيسي، الدوحة، جامعة قطر، ط١، ٢٠١٩م، (١٨٢٣/٤).



- ١٨٣- مجموع الفتاوى، ابن تيمية، طبعة دار عالم الكتب، الرياض، ١٤١٢هـ.
- ١٨٤- محاضرات في النصرانية، محمد أبو زهرة، المملكة العربية السعودية، الرياض: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ط٤، ١٤٠٤هـ.
- ١٨٥- مختصر تفسير ابن كثير، محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت، ط٧، ١٤٠٢هـ - ١٩٨١م.
- ١٨٦- مدارج السالكين، ابن القيم الجوزية (٧٥١هـ)، تحقيق: عماد عامر، القاهرة، دار الحديث، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
- ١٨٧- المرأة بين الفقه والقانون، مصطفى السباعي، دار الوراق للنشر والتوزيع، ط١، ١٩٩٩م.
- ١٨٨- المرأة بين القرآن وواقع المسلمين، راشد الغنوشي، مركز المغاربي للبحوث والترجمة، ط٣، ٢٠٠٠م.
- ١٨٩- المرأة بين طغيان النظام الغربي ولطائف التشريع الرباني، محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر المعاصر، بيروت، بدون طبعة.
- ١٩٠- المرأة والولاية العامة في الإسلام، ناظم محمد، مكتبة الإمام الذهبي، ط١، ٢٠١١م.
- ١٩١- الاستفادة من قصص القرآن للدعوة والدعاة، عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- ١٩٢- مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب أرنؤوط وآخرين، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط٢، ٢٠٠٨م.



- ١٩٣- المسيح عيسى ابن مريم، د. علي محمد الصلابي، دار ابن كثير، ط ١، ١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م.
- ١٩٤- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد الفيومي، المكتبة العلمية، بيروت، ٢/ ٢٠٥. أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، تحقيق مكتب تحقيق التراث، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط ٨، ٢٠٠٥م.
- ١٩٥- المضامين التربوية في قصة موسى والعبد الصالح كما وردت في القرآن الكريم، عويض بن حمود العطوي، السودان، مجلة الدراسات النفسية، ع ١١، كانون الأول/ ديسمبر ٢٠١٢م.
- ١٩٦- مظاهر الوثنية في عقائد أهل الكتاب، محمد عبد المعطي، دار الصحوة، ط ١، ١٩٩٨م.
- ١٩٧- مع قصص السابقين، صلاح الخالدي، دار القلم، دمشق، ط ١، ٢٠٠٧م.
- ١٩٨- معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، بيروت، عالم الكتب، ط ١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- ١٩٩- معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، بيروت، عالم الكتب، ط ١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- ٢٠٠- معجزات الأنبياء، عبد المنعم الهاشمي، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية، بدون تاريخ.
- ٢٠١- المعجم المفصل في تفسير غريب القرآن، محمد التونجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢١هـ.

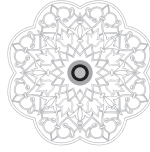


- ٢٠٢- المعجم الوسيط، إبراهيم أنيس وآخرون، القاهرة، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، ط ٥، ٢٠١١م.
- ٢٠٣- مغالطات اليهود، د. عبد الوهاب طويلة، دار القلم، ٢٠١٠م.
- ٢٠٤- مفتاح دار السعادة، ابن قيم الجوزية، تحقيق: عبد الرحمن بن حسن بن قائد، مجمع الفقه الإسلامي، جدة، السعودية، ط ١، ١٩٩٧م.
- ٢٠٥- مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط ٤، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
- ٢٠٦- المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان الداوودي، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط ١، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م.
- ٢٠٧- مقارنة الأديان "اليهودية"، د. أحمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط ٩، ١٩٩٠م.
- ٢٠٨- مقدّمة ابن خلدون، للعلامة عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون، ط المكتبة التجارية الكبرى - القاهرة، بدون تاريخ.
- ٢٠٩- المقصد الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى، الغزالي، الجفان والجابي، قبرص، ط ١، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- ٢١٠- مقومات بناء الحضارة في سورة النمل، سعيد أحمد، مجلة البحوث والدراسات الشرعية.
- ٢١١- من آيات الإعجاز الإنبائي والتاريخي، د. زغلول النجار، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط ١، ٢٠١٣م، (٣٠٣/١).



- ٢١٢- من فقه الدولة في الإسلام، يوسف القرضاوي، دار الشروق، ط١، ٢٠١٠م.
- ٢١٣- مواقف الأنبياء في القرآن، صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
- ٢١٤- الموجهات الدعوية والإعلامية في سورة النمل، منى محمد.
- ٢١٥- موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، عبد الوهاب المسيري، طبعة ١٩٩٩م.
- ٢١٦- موسى كليم الله عدو المستكبرين وقائد المستضعفين، علي محمد محمد الصلابي، دار ابن كثير، ط١، ٢٠٢١م.
- ٢١٧- موقف الإسلام من السحر، حياة سعيد عمر، جامعة أم القرى، ١٩٨٧م.
- ٢١٨- نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي، ظافر القاسمي، دار النفائس، ط٦، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.
- ٢١٩- نقد التوراة، أحمد حجازي السقا، مكتبة النافذة، بدون طبعة وتاريخ.
- ٢٢٠- نقض خرافة الهيكل المزعوم، مصطفى إنشاصي، دار الجزائرية للنشر والتوزيع، الجزائر، ٢٠١٩م.
- ٢٢١- النُكت والعيون (تفسير الماوردي)، أبو الحسن علي بن حبيب الماوردي، تحقيق خضر محمّد خضر - نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، والتراث الإسلامي - بالكويت.
- ٢٢٢- النُكت والعيون (تفسير الماوردي)، أبو الحسن الماوردي، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، ٢٠١٠م.

- ٢٢٣- نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث سيّد الأخيار، لمحمّد بن علي الشّوكاني، دار الحديث - القاهرة.
- ٢٢٤- هيكَل سليمان في عقيدة اليهود، بشير إسماعيل، رسالة علمية، مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الإسلامية - غزة، ٢٠٢١م.
- ٢٢٥- واقعنا المعاصر لمحمّد قطب، مؤسّسة المدينة للصّحافة، والطّباعة، والنّشر - جدّة، ط٢، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧م.
- ٢٢٦- الوجود التاريخي للأنبياء، سامي العامري، رواسخ، ط١، ١٤٤٢ هـ.
- ٢٢٧- الوجيز في الشام أرض الأنبياء ومهد الأصفياء، منير غندور، دار الفارابي للمعارف، بدون طبعة.
- ٢٢٨- وقفات تربوية في ضوء القرآن الكريم، عبد العزيز ناصر الجليل، دار طيبة، الرياض، السعودية، ط٢، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨م.
- ٢٢٩- وقفات في حياة الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَام، الشيخ خالد عبد العليم، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط١، ٢٠٠٤م.
- ٢٣٠- والله الأسماء الحسنی، عبد العزيز ناصر الجليل، دار طيبة، الرياض، ط٣، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩م.
- ٢٣١- اليهود المعتدون ودولتهم إسرائيل، محمد الغزالي، دار النهضة، مصر، ط١، ٢٠١٠م.
- ٢٣٢- يهود اليوم ليسوا يهوداً، بنيامين فريدمان، دار النفائس، ط١، ١٩٨٨م.



فهرس الموضوعات

- الإهداء ٥
- تقديم لكتاب ٦
- الأنبياء الملوك: داوود وسليمان عَلَيْهِمَا السَّلَامُ مقدمة الكتاب ١٣
- المدخل ٢٧
- ١ - أنبياء الفرع الإسرائيلي: ٢٨
- ٢ - ختم النبوة بالفرع الإسماعيلي: ٢٩
- ٣ - بداية تاريخ بني إسرائيل من يعقوب: ٢٩
- ٤ - نحن نؤمن بأنبياء بني إسرائيل: ٣٠
- ٥ - حياة بني إسرائيل في مصر: ٣٢
- ٦ - وفاة يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ: ٣٣
- ٧ - حكم الفراعنة لمصر وهزيمة الهكسوس: ٣٤
- ٨ - بدأ نجم الإسرائيليين في الأفول: ٣٥
- ٩ - امتناع بني إسرائيل عن دخول الأرض المقدسة في تلك الفترة، ومرحلة التيه: ٣٦
- ١٠ - وفاة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ٤٠
- ١١ - يوشع بن نون ودخول الأرض المقدسة: ٤٣



- أ- حجة من قالوا بنبوّة يوشع: ٤٤
- ب- ومن قال بعدم نبوة يشوع: ٤٥
- ج- يوشع بن نون المجاهد الصالح: ٤٦
- د. مخالقات بني إسرائيل بعد يوشع بن نون عَلَيْهِ السَّلَام: ٤٩
- هـ- تبديل بني إسرائيل أوامر الله قولاً وفعلاً، والحديث في ذلك: ٥٠
- و- الله يعاقبهم بالرجز والطاعون: ٥١
- ١٢- عهد القضاة: ٥٢
- أ- النوع الأول: ٥٣
- ب- النوع الثاني: ٥٣
- ١٣- المدة الزمنية بين موسى وداوود عَلَيْهِمَا السَّلَام: ٥٦

المبحث الأول

- ملوك بني إسرائيل في سورة البقرة طالوت وداوود عَلَيْهِمَا السَّلَام ٥٧
- أولاً: قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلِكِ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لَهُمْ أَبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُنْقِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَاءِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٦] ٦٠
- ١- ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلِكِ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى﴾: ٦٠
- ٢- ﴿إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لَهُمْ أَبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُنْقِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: ٦٢



- ٣- ﴿قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا﴾: ٦٣
- ٤- ﴿قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أَخْرَجَنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَاءِنَا﴾: ٦٣
- ٥- ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾: ٦٤
- ثانياً: قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَتَىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ﴾ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿ [البقرة: ٢٤٧] ٦٦
- ١- ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾: ٦٧
- ٢- ﴿قَالُوا أَتَىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ﴾: ٦٨
- ثالثاً: قال تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آءَالُ مُوسَىٰ وَآءَالُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٨] .. ٧٤
- ١- ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ﴾: ٧٤
- ٢- ﴿أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ﴾: ٧٤
- ٣- ﴿فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آءَالُ مُوسَىٰ وَآءَالُ هَارُونَ﴾: ٧٥
- ٤- ﴿تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ﴾: ٧٧



- ٥- ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾: ٧٧
- رابعاً: قال تعالى: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنْ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّكَلَّفُوا اللَّهَ كَمَ مِنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ عَلَبْتَ فِتْنَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩]: ٧٨
- ١- ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنْ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ﴾: ٧٨
- ٢- ﴿فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾: ٧٩
- ٣- ﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾: ٧٩
- ٤- ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّكَلَّفُوا اللَّهَ كَمَ مِنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ عَلَبْتَ فِتْنَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾: ٨٠
- ٥- حكمة التعبير عن الشرب بالطعم: ٨٠
- ٦- عدد الثابتين مع طالوت بعدد الصحابة في بدر: ٨١
- ٧- أنواع الصبر: ٨٢
- ٨- مراحل تقصية جيش بني إسرائيل: ٨٢
- خامساً: قال تعالى: ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَدْمَانَا وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٠]: ٨٣
- ١- ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾: ٨٤



- ٢- ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾: ٨٤
- ٣- ﴿وَنُثِيتْ أَفْدَامَنَا وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾: ٨٤
- سادساً: قال تعالى: ﴿فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ ۚ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥١]: ٨٧
- ١- ﴿فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾: ٨٧
- ٢- ﴿وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ﴾: ٨٨
- ٣- ﴿وَأَتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ﴾: ٨٩
- ٤- ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥١]: ٩٢
- ٥- ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ ۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾: ٩٤
- ٦- أهم السنن في حياة الأمم والشعوب من قصة طالوت: ٩٥
- ٧- بداية المملكة القوية لبني إسرائيل: ١٠٠
- ٨- نزع التمكين وزواله من الظالمين: ١٠١
- ٩- وضع الجوائز لمن يقوم بالعمل العظيم: ١٠٢
- ١٠- اسم داود عَلَيْهِ السَّلَام في القرآن الكريم: ١٠٣

المبحث الثاني

قصة داود وسليمان عَلَيْهِمَا السَّلَام في سورة ص ١٠٧

أولاً: قال تعالى: ﴿أَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ١٧﴾ إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعِشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ١٨ وَالطَّيْرَ مُحْشُورَةً ١٩ كُلُّ لَهُ أَوَّابٌ ١٩ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَضَّلَ الْخِطَابِ ﴿[سورة ص: ١٧-٢٠]: ١٠٨

١- ﴿أَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ١٧﴾: ١٠٨

٢- ﴿إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعِشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ١٨﴾: ١١١

٣- ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَضَّلَ الْخِطَابِ ١٩﴾: ١١٨

ثانياً: قوله تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَضِرِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصِمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَأَحْكَمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ٢٢ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَجَّةً وَلِي نَجَّةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ٢٣ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَجَّتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنْ كَثِيرًا مِّنَ الْخُطَايَا لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ٢٤ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَّآبٍ ﴿[سورة ص: ٢١-٢٥]: ١٢١

١- ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَضِرِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ٢١﴾: ١٢١

٢- ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصِمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَأَحْكَمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ٢٢﴾: ١٢٣

٣- ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَجَّةً وَلِي نَجَّةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ٢٣﴾: ١٢٥

٤- ﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَجَّتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنْ كَثِيرًا مِّنَ الْخُطَايَا لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ٢٤﴾: ١٢٦



- ٥- ﴿فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ﴾: ١٢٩
- ٦- رفض الإسرائيليات الواردة في تفسير القصة: ١٢٩
- ٧- داوود عَلَيْهِ السَّلَامُ لم يخطئ في تخصيص الليل لعبادة الله تعالى: ١٣١
- ٨- حكم سجدة التلاوة في سورة ص: ١٣٣
- ثالثاً: قوله تعالى: ﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ [سورة ص: ٢٦]: ١٣٥
- ١- قواعد الحكم: ١٣٧
- ٢- ما يترتب عن اتباع الهوى: ١٣٩
- ٣- دولة داوود عَلَيْهِ السَّلَامُ ومدى اتساعها: ١٤٠
- رابعاً: قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴿٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴿٨﴾ كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا ءَايَتِهِ وَلِيَسْتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [سورة ص: ٢٧-٢٩]: ١٤٢
- ١- ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا﴾: ١٤٤
- ٢- ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ [سورة ص: ٢٨]: ١٤٥
- ٣- ﴿كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا ءَايَتِهِ وَلِيَسْتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [سورة ص: ٢٩]: ١٤٥
- خامساً: قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٣١﴾﴾ إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ



- بِالْعِشِيِّ الصَّفْنَتِ الْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴿٣٢﴾
 رُدُّوَهَا عَلَيَّ فَنُفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾ [سورة ص: ٣٠-٣٣]: ١٤٧
- ١ - ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ ١٤٧
- ٢ - ﴿إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعِشِيِّ الصَّفْنَتِ الْجِيَادُ﴾ ١٤٩
- ٣ - ﴿فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوَهَا عَلَيَّ فَنُفِقَ
 مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾: ١٥١
- ٤ - القول الرابع في المسح بالسوق والأعناق: ١٥٦
- ٥ - خيل سليمان والأجنحة: ١٥٨
- ٦ - تجارة الخيول في عهد سليمان عَلَيْهِ السَّلَام: ١٥٨
- سادساً: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ﴾
 [سورة ص: ٣٤]: ١٦٠
- ١ - سبب هذه الفتنة: ١٦١
- ٢ - أقوال العلماء في هذه الفتنة: ١٦٢
- سابعاً: قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ
 أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ
 وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾
 وَإِنَّ لَّهُ عِنْدَنَا لُزْفًا وَحُسْنَ مَّثَابٍ ﴿٤٠﴾ [سورة ص: ٣٥-٤٠]: ١٦٦
- ١ - ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي﴾ ١٦٦
- ٢ - ﴿وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي﴾ ١٦٦
- ٣ - ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ ١٦٨



- ثامناً: قال تعالى: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ۝٣٦ وَالشَّيْطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ
وَعَوَّاصٍ ۝٣٧ وَعَآخِرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ۝٣٨ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝٣٩
وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ﴾ [سورة ص: ٣٦-٤٠]: ١٦٩
- ١- ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ﴾: ١٧٠
- ٢- ﴿وَالشَّيْطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَعَوَّاصٍ ۝٣٧ وَعَآخِرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾
[سورة ص: ٣٧، ٣٨]: ١٧٠
- ٣- ﴿هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾: ١٧١
- ٤- ﴿وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ﴾: ١٧٣
- تاسعاً: فوائد وعبر في قصة داوود وسليمان عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: ١٧٣
- ١- داوود وسليمان عَلَيْهِمَا السَّلَامُ في موكب الأنبياء والمرسلين: ١٧٣
- ٢- النبي والرسول: ١٧٧
- ٣- حقيقة النبوة: ١٧٨
- ٤- الإيمان بالأنبياء والمرسلين أحد أركان الإيمان: ١٨٠
- ٥- الإسلام هو دين الأنبياء جميعاً: ١٨١
- ٦- الزبور الذي أنزل على داوود عَلَيْهِ السَّلَامُ: ١٩٠
- ٧- فوائد السعدي من قصة داوود وسليمان عَلَيْهِمَا السَّلَامُ في سورة ص: ... ١٩٦
- ٨- الرد على الأخطاء التي نسبت إلى داوود عَلَيْهِ السَّلَامُ في الأسفار
اليهودية: ٢٠٠
- ٩- وفاة داوود عَلَيْهِ السَّلَامُ: ٢٠٢



المبحث الثالث

قصة داوود وسليمان عَلَيْهِمَا السَّلَام في سورة النمل: ٥٠٢

أولاً: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١٥) وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَأَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُئِينُ ﴿[النمل: ١٥-١٦] ٢١٠

١- ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ

الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النمل: ١٥]: ٢١٠

٢- ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ﴾: ٢١٥

٣- ﴿وَقَالَ يَأَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُئِينُ﴾: ٢١٦

ثانياً: قوله تعالى: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ (١٧) حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَأَيُّهَا النَّملُ ادْخُلُوا مَسَكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴿[النمل: ١٧-١٩] ٢٢٠

١- ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾: ٢٢٠

٢- ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَأَيُّهَا النَّملُ ادْخُلُوا مَسَكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ

سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾: ٢٢٤

٣- ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾: ٢٢٨



- ثالثاً: قوله تعالى: ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهَدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ۚ﴾ لَاَعْدِبْتُهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَا أَذْبَحْتُهُ أَوْ لِيَأْتِيَنِي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ نَحِطْ بِهِءَ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّي وَجَدْتُ أَمْرًا تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٢٦﴾ * قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٧﴾ أَذْهَبَ بِكَ نَبِيٌّ هَذَا فَاَلْقَاهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ [النمل: ٢٠-٢٨]: ٢٣٢
- ١- ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهَدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ۚ﴾ لَاَعْدِبْتُهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَا أَذْبَحْتُهُ أَوْ لِيَأْتِيَنِي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٢١﴾ ٢٣٢
- تعليل وتحليل: ٢٣٧
- تدقيق لغوي وغوص علمي: ٢٣٨
- المعنى: ٢٣٩
- توجيه واستنباط: ٢٣٩
- تقدير العقوبة: ٢٤٠
- تنبيه وإرشاد: ٢٤٠
- الحق فوق كل أحد: ٢٤١
- ٢- ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ نَحِطْ بِهِءَ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ﴾ ٢٤٢

- ٣- ﴿إِنِّي وَجَدْتُ أَمْرًا تَمْلِكُهُمْ وَأَوْتَيْتُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾: ٢٤٨
 ٤- ﴿قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ (٢٧) أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقَاهُ
 إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾: ٢٥٥

رابعاً: قوله تعالى: ﴿قَالَتْ يَأْيُهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾ (٢٩) إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ
 وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣٠) أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَى وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ (٣١) قَالَتْ يَأْيُهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي
 فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ (٣٢) قَالُوا نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ
 وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ (٣٣) قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَـةَ
 أَهْلِهَا أَذْلاً (٣٤) وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ (٣٥) وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾
 [النمل: ٢٩-٣٥] ٢٥٩

- ١- ﴿قَالَتْ يَأْيُهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾ (٢٩) إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ
 الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣٠) أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَى وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ﴾: ٢٥٩
 ٢- ﴿قَالَتْ يَأْيُهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ﴾: ٢٦٦
 ٣- ﴿قَالُوا نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾: ٢٦٧
 ٤- ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَـةَ أَهْلِهَا أَذْلاً (٣٤) وَكَذَلِكَ
 يَفْعَلُونَ﴾: ٢٦٨
 ٥- ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾: ٢٧١

خامساً: قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَ بِمَالٍ فَمَا آتَيْنَاهُ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا
 آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾ (٣٦) أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِخُنُودٍ لَّا قِيْلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ
 مِنْهَا أَذْلاً وَهُمْ صَاغِرُونَ (٣٧) قَالَ يَأْيُهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (٣٨) قَالَ
 عَفِيتُ مِنَ الْجِنِّ أَنَا وَآتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ (٣٩) وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ (٤٠) قَالَ الَّذِي



عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ؕ أَشْكُرْ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ؕ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ [النمل:

٢٧٤: [٤١-٣٦]

١ - ﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَنَ قَالَ اتِمِدُونْ بِمَالٍ فَمَا آتَيْنَاهُ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا ءَاتَكُم بَلْ أَنْتُمْ بِهَدْيِكُمْ

تَفَرِّحُونَ ﴿٤٢﴾:: ٢٧٥

٢ - ﴿ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ

صَغِيرُونَ ﴿٤٣﴾:: ٢٧٩

٣ - ﴿قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوْاْ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٤٤﴾:: ٢٨١

٤ - ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ؕ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ

أَمِينٌ ﴿٤٥﴾:: ٢٨٢

٥ - ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴿٤٦﴾: ...: ٢٨٧

المبحث الرابع

قصة داوود وسليمان عَلَيْهِمَا السَّلَامُ في سورة الأنبياء وسبأ: ٢٩٣

أولاً: قصة داوود وسليمان عَلَيْهِمَا السَّلَامُ في سورة الأنبياء:: ٢٩٣

١ - ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا

لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿٢٩٣﴾:: ٢٩٣

٢ - ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ؕ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴿٢٩٤﴾:: ٢٩٤

٣ - ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ؕ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ؕ وَسَخَرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ



يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٢٩٩﴾

٤- ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِيُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنْتُمْ

شَاكِرُونَ﴾: ٣٠١

٥- ﴿وَلَسَلِمْنَ النَّبِيَّ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ

عَالِمِينَ﴾: ٣٠٥

٦- ﴿وَمِنَ الشَّيْطَانِ مَنْ يَغُصُّونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ ۖ وَكُنَّا لَهُمْ

حَافِظِينَ﴾: ٣١٠

ثانياً: قصة داوود وسليمان في سورة سبأ: ٣١٢

١- ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَجِبَالٌ أَوَّيَ مَعَهُ وَالطَّيْرُ ۖ وَأَلْنَا لَهُ

الْحَدِيدَ﴾: ٣١٣

٢- ﴿إِنْ أَعْمَلَ سَبِيغَتٍ وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ ۖ وَأَعْمَلُوا صَاحًا ۖ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ

بَصِيرٌ﴾: ٣١٨

٣- ﴿وَلَسَلِمْنَ النَّبِيَّ الْريحَ غُدُوها شَهْرٌ وَرَوْحُها شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقَظْرِ ۖ وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ

يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ ۖ وَمَنْ يَزْعُ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾: ٣٢٢

٤- ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحْرِبٍ وَتَمَثِيلٍ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَتٍ ۖ أَعْمَلُوا

ءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾: ٣٢٦

٥- ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ ۖ

فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْكَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾: ... ٣٣٥

ثالثاً: اتهام اليهود لسليمان عَلَيْهِ السَّلَام بالسحر: ٣٤٢

١- ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ



- أَوْثُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤٣﴾ ٣٤٣
- ٢- ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطَانُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَٰكِنَّ الشَّيْطَانِ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾: ٣٤٥
- ٣- ﴿وَمَا أَنزَلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بِبَابِلَ هُرُوتَ وَمَرُوتَ ۖ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾: ٣٤٧
- ٤- ﴿فَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾: ٣٥٢
- ٥- ﴿وَمَا هُمْ بِضَآئِرِينَ بِهِ ۚ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾: ٣٥٣
- ٦- ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾: ٣٥٤
- ٧- ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ﴾: ٣٥٥
- ٨- ﴿وَلَيْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾: ٣٥٥
- ٩- ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾: ٣٥٨
- رابعاً: أهم صفات سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ القيادية: ٣٥٩
- ١- الإيمان بالله: ٣٥٩
- ٢- العلم: ٣٦٠
- ٣- التنظيم والضبط: ٣٦٢
- ٤- اليقظة والمتابعة والتفقد: ٣٦٢
- ٥- الحزم والصرامة: ٣٦٣
- ٦- قدرة سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ على بناء العلاقات: ٣٦٤
- ٧- الكرم وحسن الاستقبال: ٣٦٦



- ٨- التواضع: ٣٦٦
- ٩- العدل وقبول العذر: ٣٦٧
- ١٠- الهيبة والوقار: ٣٦٨
- ١١- الثبوت من الأخبار: ٣٦٩
- ١٢- حسن التصرف بذكاء: ٣٦٩
- ١٣- سعة الصدر وحسن الاستماع: ٣٧١
- ١٤- التدرج في تحقيق الأهداف: ٣٧١
- ١٥- توظيف المهارات والمواهب والإمكانيات: ٣٧٢
- ١٦- التعالي على حطام الدنيا والثبات على المبدأ: ٣٧٣
- ١٧- الثبات على المبدأ: ٣٧٣
- ١٨- الاستماع لكبار مستشاريه: ٣٧٤
- ١٩- القدرة على الحسم: ٣٧٤
- ٢٠- الشدة مع المعاند: ٣٧٤
- ٢١- حبّ الجهاد: ٣٧٥
- ٢٢- التواضع وعدم الاغترار: ٣٧٦
- ٢٣- الصبر: ٣٧٦
- ٢٤- الفهم والحكمة: ٣٧٧
- ٢٥- البناء والإبداع: ٣٧٧
- ٢٦- علو الهمة: ٣٧٩
- ٢٧- الانفتاح على الآخرين: ٣٨٠



- ٢٨- القدرة على التخطيط والتنفيذ: ٣٨١
- ٢٩- مؤيد: ٣٨٣
- خامساً: مقومات الحكم الرشيد في دولة سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ: ٣٨٥
- (١) المقومات الاجتماعية والعلمية: ٣٨٦
- (٢) المقومات الإدارية (التنظيمية) والاقتصادية: ٣٨٩
- (٣) المقومات التشريعية والسياسية: ٣٩٤
- سادساً: ثمرات الحكم الرشيد في عهد سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ ٣٩٨
- ١- النهضة العلمية: ٣٩٩
- ٢- النهضة الإعلامية: ٣٩٩
- ٣- النهضة العمرانية: ٣٩٩
- ٤- نهضة المواصلات والاتصالات: ٤٠٠
- ٥- النهضة العسكرية: ٤٠٠
- ٦- النهضة الصناعية: ٤٠٠
- ٧- النهضة البحرية: ٤٠١
- ٨- النهضة التجارية: ٤٠١
- سابعاً: الملك العظيم: ٤٠٢
- ١- ﴿أَمْرٌ يُحْشَدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾: ٤٠٣
- ٢- ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾: ٤٠٣
- ثامناً: ملكة سبأ وحديث الرسول ٤٠٤
- تاسعاً: تجديد بناء المسجد الأقصى، ولمحات من تاريخه: ٤١٤



- ١- الأَقصى بُني بعد الكعبة بأربعين عاماً: ٤١٤
- ٢- المسجد الأَقصى في عهد سليمان عَلَيْهِ السَّلَام: ٤١٥
- ٣- طلبات ثلاثة لسليمان عَلَيْهِ السَّلَام: ٤١٧
- ٤- فضائل المسجد الأَقصى: ٤٢٠
- ٥- المسجد الأَقصى بعد الفتح العمري للقدس: ٤٢٤
- ٦- المسجد الأَقصى وصلاح الدين الأيوبي: ٤٢٥
- عاشراً: بنو إسرائيل بعد وفاة سليمان عَلَيْهِ السَّلَام: ٤٣٢
- ١- الحكم العراقي: ٤٣٤
- ٢- الحكم الفارسي: ٤٣٦
- ٣- الحضارة الإغريقية: ٤٥١
- ٤- الحكم الروماني: ٤٥٤
- الحادي عشر: عهد عيسى عَلَيْهِ السَّلَام: ٤٥٧
- ١- المكر بعيسى عَلَيْهِ السَّلَام ورفعهُ إلى السماء: ٤٦١
- ٢- ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾: ٤٧٠
- ٣- ما الذي جرى ليلة القبض على الشبيه: ٤٧٦
- ٤- نظرات في الآيات التي تحدثت عن قتل الشبيه: ٤٨٤
- ٥- اضطراب الأناجيل في أحداث تلك الليلة وأقربها إنجيل برنابا: ٤٨٧
- ٦- اضطهاد اليهود للنصارى: ٤٩٠
- ٧- ثورة اليهود على الرومان وتدمير القدس: ٤٩٢
- ٨- الإمبراطور قسطنطين يعنف المسيحية: ٤٩٥



- ٩- انقسام الإمبراطورية وحكم هرقل: ٤٩٦
- ١٠- الفرس يطردون الروم من القدس: ٤٩٧
- ١١- الروم يستردون القدس (عام ٦٢٧م): ٥٠٢
- ١٢- النصارى يضطهدون اليهود: ٥٠٣
- الثاني عشر: هيكل سليمان المزعوم: ٥٠٣
- ١- معنى الهيكل: ٥٠٧
- ٢- جبل الهيكل: ٥٠٨
- ٣- الهيكل الأول: ٥٠٩
- ٤- الهيكل الثاني: ٥١٠
- ٥- هيكل هيرودس: ٥١٠
- ٦- الهيكل الثالث: ٥١١
- ٧- اختيار اليهود بناء هيكل سليمان في مكان المسجد الأقصى وسبب ذلك: ٥١٢
- ٨- مكانة الهيكل عند اليهود: ٥١٣
- ٩- حائط البراق أم حائط المبكى: ٥١٨
- ١٠- عدم قدسية الأسفار التي تتحدث عن وجود الهيكل: ٥٢٠
- ١١- علم الآثار، ودعوى وجود الهيكل تحت المسجد الأقصى: ٥٢٢
- ١٢- عقيدة أرض الميعاد: ٥٢٨
- ١٣- رجال العقيدة اليهودية الصهيونية: ٥٣٢
- ١٤- الدعم الأوربي والأمريكي لليهود: ٥٣٧



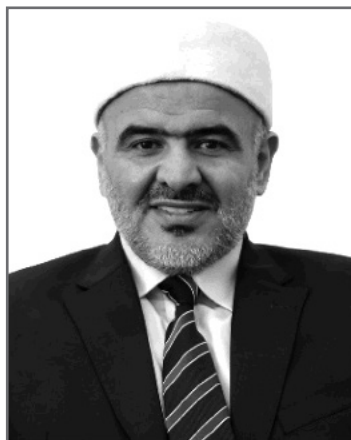
- ١٥ - تزييف الحقائق وادعاء الحق اليهودي في قضية فلسطين: ٥٥٠
- الخلاصة ٥٦٥
- المصادر والمراجع ٥٨٧
- فهرس الموضوعات ٦٠٩
- السيرة الذاتية للؤلّف ٦٤٩





السيرة الذاتية للؤلف

د. علي محمد محمد الصّلابي
مفكر ومؤرخ وفقيه



- ولد في مدينة بنغازي بليبيا عام ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣ م.
- نال درجة الإجازة العالمية (الليسانس) من كلية الدعوة وأصول الدين من جامعة المدينة المنورة عام ١٩٩٣ م، وبالترتيب الأول.
- حصل على درجة الماجستير من كلية أصول الدين في جامعة أم درمان الإسلامية عام ١٩٩٦ م.
- نال درجة الدكتوراه في الدراسات الإسلامية بأطروحته فقه التمكين في القرآن الكريم من جامعة أم درمان الإسلامية بالسودان عام ١٩٩٩ م.



- اشتهر بمؤلفاته واهتماماته في علوم القرآن الكريم، والفقه، والتاريخ، والفكر الإسلامي.

- زادت مؤلفات الدكتور الصلابي على الثمانين مؤلفاً.

كتب صدرت للمؤلف

١. السيرة النبوية: عرض وقائع وتحليل أحداث.
٢. سيرة الخليفة الأول أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: شخصيته وعصره.
٣. سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: شخصيته وعصره.
٤. سيرة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: شخصيته وعصره.
٥. سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: شخصيته وعصره.
٦. سيرة أمير المؤمنين الحسن بن علي بن أبي طالب: شخصيته وعصره.
٧. الدولة العثمانية: عوامل النهوض والسقوط.
٨. فقه النصر والتمكين في القرآن الكريم.
٩. تاريخ الحركة السنوسية في إفريقيا.
١٠. تاريخ دولتي المرابطين والموحدين في الشمال الإفريقي.
١١. عقيدة المسلمين في صفات رب العالمين.
١٢. الوسطية في القرآن الكريم.
١٣. الدولة الأموية، عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار.



١٤. معاوية بن أبي سفيان، شخصيته وعصره.
١٥. عمر بن عبد العزيز، شخصيته وعصره.
١٦. خلافة عبد الله بن الزبير.
١٧. عصر الدولة الزنكية.
١٨. عماد الدين زنكي.
١٩. نور الدين زنكي.
٢٠. دولة السلاجقة.
٢١. الإمام الغزالي وجهوده في الإصلاح والتجديد.
٢٢. الشيخ عبد القادر الجيلاني.
٢٣. الشيخ عمر المختار.
٢٤. عبد الملك بن مروان وبنوه.
٢٥. فكر الخوارج والشيعة في ميزان أهل السنة والجماعة.
٢٦. حقيقة الخلاف بين الصحابة.
٢٧. وسطية القرآن في العقائد.
٢٨. السلطان عبد الحميد الثاني.
٢٩. دولة المرابطين.
٣٠. دولة الموحدين.



٣١. عصر الدولتين الأموية والعباسية وظهور فكر الخوارج.
٣٢. الدولة الفاطمية.
٣٣. حركة الفتح الإسلامي في الشمال الأفريقي.
٣٤. صلاح الدين الأيوبي وجهوده في القضاء على الدولة الفاطمية وتحرير البيت المقدس.
٣٥. استراتيجية شاملة لمناصرة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، دروس مستفادة من الحروب الصليبية.
٣٦. الشيخ عز الدين بن عبد السلام سلطان العلماء.
٣٧. الحملات الصليبية (الرابعة والخامسة والسادسة والسابعة) والأيوبيون بعد صلاح الدين.
٣٨. المشروع المغولي: عوامل الانتشار وتداعيات الانكسار.
٣٩. سيف الدين قطز ومعركة عين جالوت في عهد المماليك.
٤٠. الشورى في الإسلام.
٤١. الإيمان بالله جَلَّ جَلَالُهُ.
٤٢. الإيمان باليوم الآخر.
٤٣. الإيمان بالقدر.
٤٤. الإيمان بالرسل والرسالات.
٤٥. الإيمان بالملائكة.



٤٦. الإيمان بالقرآن والكتب السماوية.
٤٧. السلطان محمد الفاتح.
٤٨. المعجزة الخالدة.
٤٩. الدولة الحديثة المسلمة: دعائمها ووظائفها.
٥٠. البرلمان في الدولة الحديثة المسلمة.
٥١. التداول على السلطة التنفيذية.
٥٢. الشورى فريضة إسلامية.
٥٣. الحريات من القرآن الكريم: حرية التفكير وحرية التعبير، والاعتقاد والحريات الشخصية.
٥٤. العدالة والمصالحة الوطنية: ضرورة دينية وإنسانية.
٥٥. المواطنة والوطن في الدولة الحديثة.
٥٦. العدل في التصور الإسلامي.
٥٧. كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي.
٥٨. الأمير عبد القادر الجزائري.
٥٩. كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي، سيرة الزعيم عبد الحميد بن باديس، الجزء الثاني.
٦٠. سُنَّة الله في الأخذ بالأسباب.



٦١. كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي، وسيرة الإمام محمد البشير الإبراهيمي.
٦٢. أعلام التصوف السُّني: "ثمانية أجزاء".
٦٣. المشروع الوطني للسلام والمصالحة.
٦٤. الجمهورية الطرابلسية (١٩١٨ - ١٩٢٢) أول جمهورية في تاريخ المسلمين المعاصر.
٦٥. الإباضية: مدرسة إسلامية بعيدة عن الخوارج.
٦٦. المسيح عيسى ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَام: الحقيقة الكاملة.
٦٧. قصة بدء الخلق وخلق آدم عَلَيْهِ السَّلَام
٦٨. نوح عَلَيْهِ السَّلَام والطوفان العظيم.. ميلاد الحضارة الإنسانية الثانية.
٦٩. إبراهيم خليل الله عَلَيْهِ السَّلَام: "داعية التوحيد ودين الإسلام والأسوة الحسنة".
٧٠. موسى عَلَيْهِ السَّلَام كلیم الله.
٧١. موسى عَلَيْهِ السَّلَام والخضر.
٧٢. موسى عَلَيْهِ السَّلَام في سورة طه.
٧٣. موسى عَلَيْهِ السَّلَام في سورة القصص.
٧٤. موسى عَلَيْهِ السَّلَام في سورة الشعراء.
٧٥. مؤمن آل فرعون في سورة غافر.
٧٦. لا إله إلا الله (أدلة وجود الله وأول المخلوقات)



٧٧. سقوط الدولة العثمانية (الأسباب - التداعيات).
٧٨. سقوط الدولة الأموية (الأسباب - التداعيات).
٧٩. مختصر نشأة الحضارة الإنسانية وقادتها العظام.
٨٠. النبي الوزير يوسف الصديق عَلَيْهِ السَّلَام من الابتلاء إلى التمكين.
٨١. ذكريات لا تنسى.
٨٢. الأنبياء الملوك داوود وسليمان عَلَيْهِمَا السَّلَام، وهيكل سليمان المزعوم.
٨٣. لوط عَلَيْهِ السَّلَام ودعوته في مواجهة الفساد والشذوذ الجنسي وعقاب الله للظالمين.
٨٤. تجديد بناء المسجد الأقصى في عهد سليمان عَلَيْهِ السَّلَام وقصة الهيكل المزعوم.
٨٥. نبي الله هود عَلَيْهِ السَّلَام وأسباب زوال حضارة قوم عاد.
٨٦. نبي الله صالح عَلَيْهِ السَّلَام وأسباب هلاك قوم ثمود.
٨٧. الأبعاد الإنسانية والحضارية في شخصية النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
٨٨. نبي الله أيوب عَلَيْهِ السَّلَام "طريق الشفاء" ﴿وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣].
٨٩. نبي الله يونس ﴿فَتَدَاىِ فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ...﴾.
٩٠. أنبياء الله إسحاق ويعقوب عَلَيْهِمَا السَّلَام.
٩١. نبي الله إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَام.



٩٢. أنبياء الله إدريس وإلياس وذو الكفل واليسع عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

٩٣. نبي الله زكريّا ونبي الله يحيى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ "رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ" [الأنبياء: ٨٩].

٩٤. نبي الله شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ "خطيب الأنبياء".



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إيماناً من الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين بأن الأمة الإسلامية إنما تنهض بالعلوم النافعة، وتنهض بالأفكار العالية، وترتقي بالأخلاق الراقية، وتتقوى بالحضارة الجامعة، وشاء الله تعالى أن تمتاز حضارة الإسلام بالقراءة الصحيحة لكتاب الله المسطور (القرآن والسنة) وكتاب الله المنظور (الكون وما فيه) قراءة دقيقة تجديدية تحليلية في ظلال الإيمان والأخلاق، وكرامة الإنسان وحقوقه، حيث دل على ذلك قوله تعالى: {اقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (1) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (2) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (3) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (4) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ} [العلق: 1-5].

وبهذه القراءة الجامعة للوحي الصحيح، والعقل المستضيء بنور الله تعالى، يتحقق الاستخلاف والشهود الحضاري النافع، القائم على العزة، والعدل، والرحمة للعالمين. ونحن في الاتحاد تبني هذا المشروع بطريقة جديدة وهي: نشر خلاصة جهود العلماء المتخصصين في فروع العلوم الإسلامية، بدل أن نبدأ من جديد.

فالיום نقدم جهود فضيلة العالم المحقق المتخصص في سير الأنبياء (عليهم السلام) الدكتور علي محمد الصلابي التي بذل فيها جهوده المباركة خلال سنوات طوال: مستهدفاً الإسهام في هذا المشروع الحضاري العظيم، جزاه الله خيراً.

وبعد هذه الموسوعة سنقدم موسوعة أخرى في السياسة، ثم في الاقتصاد، ثم في الفكر إلخ... بتوفيق الله تعالى آمليين من أمتنا -وبخاصة علماؤها ومفكروها- دعم هذا المشروع، وإفادتنا بملاحظاتهم القيمة.

والله أسأل أن يجعل هذه الموسوعات التي نقدمها إلى أمتنا خالصة لله تعالى، ونافعة للبلاد والعباد، ومحقة الغايات التي وضعت لها، والمقاصد التي أريد منها.. آمين.

محبتكم جميعاً: أ.د. علي محيي الدين القره داغي رئيس الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين.

TK: 978-625-5637-70-3
ISBN: 978-625-5637-82-6



9 786255 637826

asaletyayinlari.com.tr

asaletyayinlari

